

جان بول سارتر

مواقف

قضايا الماركسية

جہان پوئل تارتر

مواقف
۴

فضایا المارکسہ

ترجمہ : جورج طرابیشی

صورة المفامر

أقبل بسرور ان أضيف كلمات الى دراسة اسطوانات المرموقة حول المفامر . لا لأقرطها أو لأوصي بها القراء ؛ فهي توصي بنفسها من تلقاء نفسها . لقد كانت فكرة بارعة من اسطوانات ان يقرّب بين هذه الاسماء الثلاثة وهذا الطيرت الثلاث . وسوف يحكم القارئ ، إذا كان هذا التقريب مشمراً . كما لا أود أن اعلق عليها او ان اجازف باكلامها ؛ فأنا اعشى ان أسقط في الاسهاب والحشو نظراً الى لغتي السكارها ووضوحها . إن ما يفريني بالأخرى هو ان أسلط الضوء على موازنة مضمرة باستقرار في هذا الكتاب شاه لخايت اسطوانات ألا يفتح اليها إلا تقيحاً خاطئاً .

ارت الفكر ليلتقل بكل منا ونحن نطالع صورة المفامر هذه (وكنت افضل ؛ سورة رجل العمل) الى تقيحه ، المناضل . بل يبدو انه يكفي أن نعكس ما يقوله اسطوانات حتى نكون فكرة لا بأس بها عن الشيوعي الوسطي . بيد ان المفامر والمناضل لا يتعارضان كتحض مفهومين مجردين . فهما رجلان حيان يتواجهان ، يتعارفان ، يعترف كل منهما بالآخر ، تارة يتحالفان وطوراً يتحاربان . ويودي لمرأهول ، كما لو التي اكتب فصل الحتام ، أن أسلط الضوء على بعض العلاقات المعقدة التي تجمع بينهما ، اي ان أعرض وأشرح بعضاً من الأفكار التي أوصي في ها اسطوانات .

* * *

ان التنازل يرحي الينا بالزيد من الثقة كلما يسدا دخوله الى الحزب أشد ضرورة . وأنا لا أفكر هنا بالكلام عن تلك الضرورة الداخلية ، المشبوهة دوماً التي تولد من الصراعات الباطنية ومن العقد والصبوات الأخلاقية ، وبصورة اعم مما يسمى به « الأسباب الشخصية » . بل المرجو ، على العكس ، ان يكون التنازل قد أمكت أسباب لاشخصية كالجموع ، على سبيل المثال ، الذي هو حالة جامعة بين الجميع ، او الحزب او الغضب الذين يفترسان الجموع النقل : وباعتصار أن يكون ايضاً طبيعة ومحركاً من قبيل القوى الطبيعية الكبرى التي تسير الحيوانات البدائية وتتحكم بها بطريقة او بأخرى ، من غير ان تكون بحاجة إلى امتلاك جهاز عصبي . ان الغضب والخوف والجموع لا تكفي لتخلق شخصاً ، وهذا ما يعني ان يكون . ذلك انه ليس من الصحيح ان المطلوب منك أن تتنازل عن « أنك » : فكثير بالأصل ان تكون لديك « انا » لتتنازل عنها . ان الانتماء إلى الحزب يجب ان يتجاوب بدقة مع الدخول إلى المكونات الانسانية . والحزب لا يحددك من « أنك » بل يهلك ايها . اقول ذلك بلا سخرية : انه لمن المستغرب ان يكشف الانسان نفسه في عيون الآخرين الأخوية . ان المنازلة الجديد لن يكون موضوع نقود ميداني ولا هيام غير متبصر .

قبل كل شيء سيخبرك به الحزبيون على انه نذل لهم ، ابي عضو في الحزب : انها عملية تكريس . وفيه يتحول الحزب إلى ذاته كما هو شأنه في سائر الآخرين . وطالما انه مخلوق الحزب ، فهو سيجد الحزب ايضاً غضب . وسيكون الحزب وسيطاً ضرورياً بينه وبين اقرب اصدقائه الى نفسه . قيل لشاب شيوعي : « خذ زوجتك من الحزب . فبذلك لن تضيع وقتاً » . انه ليس وحيداً قط لأنه يأتي إلى ذاته بدءاً من الجميع . انه ليس عمقاً ولا سراً . انهم يحرمون عليه أبسط العقد وأكثرها تواضعاً : انهم يؤسونه في نظر نفسه بالذات بواسطة معطيات موضوعية صرف ، وبفسروته بطبقته ، وبالظروف التاريخية . وهو يرى نفسه من الداخل كما يرونه من الخارج : لا ادراج سريرة ولا خزان ذات قاعين . وإذا كان لا يتكلم عن نفسه بضمير الغائب فهذا من قبيل الاستسهال .

يبدو ان وجوده ليس وجوده تجريد محض : انه يتعرف نفسه عضواً في الطبقة والحزب اللذين يصنعان التاريخ ، ويعلم انه مهدد بهبات واضحة وبأمل كبير ، ويعرف ايضاً قلبه الذي يتغذى بالحقد والصداقة . وفيها عدا ذلك سيتميز بأفعاله . لكن هذا لا يعني ان المطلوب منه « أن يخلق من ذاته . . . ذلك الكائن الذي لا يمكن لأي كائن آخر ان يكون بديلاً عنه » . فالحزب لا حاجة له إلى كائنات لا يمكن ان يكون لها بديل . ان المناضل يقف في منتصف الطريق بين الكائن الذي ليس له من بديل وبين الكائن الذي يمكن استبداله بغيره : انه يستخدم « هذا كل شيء » . في عام ١٩٣٥ كان بوليتزر^(١) يعمل عالم يمكن بوسع اي انسان آخر ان يعمل : كان يعمل في علم النفس العميق . لكن كانت هناك حاجة الى الاقتصاديين . فترك علم النفس الى الاقتصاد الاجتماعي . وسألته : « وأعمالك ؟ » . فقال لي : « ليس ثمة من عجلة . فبعد الثورة « سيأتي عاملون آخرون يقومون بالعمل خيراً مما في وضعي الآن » .

* * *

ليس منافلاً كل من يريد ان يكون منافلاً . فإذا جاءت الأنا في المرتبة الأولى ، كان الانفصال الى الأبد . والأنا تولد مكرراً في الطبقة البورجوازية . حين كان جيد طفلاً ، كان يرمي بنفسه بين قرانهي أمه صائحاً : « أنا لست كالأخرين » . أن يكون الانسان ذاته فهذا معناه أولاً ألا يكون كالجار ، أن يكون متميزاً . يقال : « انحطم الثقال » . والحال ان الثقال يجب ان يكون دوماً معطوماً . فالحضارة البورجوازية هي « حضارة عزلة ووحدة » . ولا ريب في انه يتوجب أولاً ان يعترف البورجوازيون ببعضهم بعضاً فيما بينهم على انهم بشر . لكن هذا الاعتراف المجرّد لا يستهدف في أي منا غير ما هو عام ، ويفرقتنا وحيدين في قفردنا . وبالانحصار تعترف لنا الحضارة البورجوازية بالحق

١ - جورج بوليتزر : مفكر ماركسي معاصر ، اعدده التازيون أثناء احتلالهم لفرنسا .

بأن نكون في نظر أنفسنا كل ما نريده من خلف جدار الحياة الخاصة . والفظة « الخاص » بالذات ، يفكرة الحرمان⁽¹⁾ التي تنطوي عليها ، تبين بما فيه الكفاية ان شمولية الاعتراف هي شمولية رفض الاعتراف . إن الإنسان البورجوازي ، المتجسس ، خلف هذه الاسوار الدائرية ، هو إنسان مجنون ، حيوان متوحش ومهيجور ، دخل من نيات مجنونة . ترى ألا تجد انفسنا متقارنين الى القول بأن هذا المناضل ، العلي في العمق اعماق قلبه ، والذي زداد صميميته مع ذاته كفسا ازداد شفافية في نظر الجميع ، وبأن هذا البورجوازي الذي ليس بذاته إلا في نظر ذاته ، والمتعلق على نفسه في ظلمات لا يمكن لأحد ان يعرفه فيها ، انفسا يتشبان الى نوعين متباينين ؟ اذا ما حدث لأحد ابتداء العائلات ان لشكك الخوف امام هجرانه ، فإن الأوان يكون قد فات ، انه لن يجد في الحزب أي عون له . وحتى لو سمح له بالدخول اليه ، فلن يكون له من حظ تقريبا في ان يجد فيه حلا لصراعاته : فهذه الصراعات عبارة عن مشكلات شخصية ، وهو لا يريد ان يديه الحزب قطعة خيار تسمى بالأنا ، انفسا يطلب فقط ان تشفى آه . وعبثا يبتغ بالأصل بأن ضرورة داخلية ما هي التي قادت الى الحزب ، لأن الجواب الذي سيتلوه هو ان هذه الضرورات مترتبة وكالية ، وسوف يظل مشبوهاً بالتالي . انه لانطلاق شيء ان يرفض الوحدة . ذلك انه حتى يرفضها ، فلا يند ان يلحظها ، وملاحظتها هي غير وسيلة لإعطائها أعلى درجات الوجود . واذا ما هرب منها ، يكون قد اعترف بها ، وجعل منها بالتالي دافع العمل كفاية . هل سيحاول أن يخرج من ذاته بواسطة الحب ؟ لكنه سيكون حذب انسان متوحده يهرب من ذاته . كتب مالرو : « الحب هرب من الذات » . وهذا صحيح اذا لم يكن الحب مطلوباً لذاته ، بل كوسيلة للخروج من الذات . وهذا يكفي بالأصل حتى يصبح هذا الهرب مستحجلاً . ولقد أحسن كافكا ، ذلك المتوحده ، التعبير عن هذا النوع من الحب : « كان يميل إلي انفسا بمحاطة بأنا»

١ - لفظة « خاص » و « حرمان » مشتقان في الفرنسية من فعل واحد هو « Privere »

مسلحين بوجهون حراهم نحو الخارج . في كل مرة كنت احاول فيها ان اقرب
كنت اصطدم برؤوسها الحديدية التي تجرحني وترغمني على التراجع ... انا أيضاً
كنت محاطاً بأناص مسلحين بوجهون حراهم نحو الداخل وبالتالي ضدي . حين
كنت امدفع نحو الصبية ، كنت اصطدم أولاً بحراب حراسي بالذات ، موت
ان اتكن من تجاوزها . ولعلي لم أصل قط الى حراس الصبية ، واذا ما حدث
مرة وتكننت من ذلك فهذا ليس إلا بعد ان جرحت نفسي بحراي ومن غسبر
ان امري .

إن فرصة التعامل الشاب الذي يدخل الى الحزب هي انه ليس له من « أنا »
قبل ان يجب : انه يتكشف نفسه في الهبة التي يقدمها للآخر والتي يعترف بها
آخر . وحتى يتوصل شابنا البورجوازيون الى الحب ، فلا بد ان يكون في
وسمهم ان يجازفوا بأن يتركوا الغير يعلمهم لأنفسهم . والحال ان الأوان قد
فات : فهم يعلمون حق العلم ما هم . لكن يبقى أمامهم على الأقل ان يحسدوا من
يحسبهم . فربما ستعترف امرأة ما ، يدافع من حبهها ، هذا الفرد الذي يرفض
المجتمع البورجوازي ان يصادق عليه . وربما سيكون في وسعها أن تكتسب ذلك
المسخ الذي لا شبيه له ، الفضل على كل شيء ، الذي هو كينونة كل كائن في
نظر نفسه والذي يبدله في قلبه . لكن كلمة « بدل » هذه لها دلالتها : انهم
يريدون ان يبروا من ذواتهم ومع ذلك يبدلونها . انها ليست أنهم التي يفضونها
بل هي وحدتهم ، وهم لا يفهمون انهم لا يستطيعون ان يفضوا على هذه إلا إذا
فضوا على تلك .

لكن لغة شابنا يبدو عليهم انهم فهموا ذلك : انهم على وجه التحديد أولئك
الذين يتكلم عنهم اسطفان . ولما كان العمل رابطة بين البشر ، فإنهم سيحاولون
عن طريق العمل ان يبروا من عزلتهم . فبالعمل يصبح الانسان آخر ، وينسحق
عن ذاته ، ويتغير بتغيره العالم .

لكن لا بد أيضاً من تحديد هدف معين ومن إرادته بمعنى . غير أن الهدف في
مثل هذه الحال هو الأساسي ، لا الفعل الذي لا يعدو أن يكون أكثر من وسيلة

بلوغه . والحال أن الغاية بالنسبة إلى المتاضل هي التي تحلث أولاً ، وبضرورة
 مطلقة : عليه أن يعيش ، أن يسد رقبته ، أن يحمي نفسه من البطالة ، من ارتفاع
 الأسعار ، من الاستغلال ، من الحرب . وعند دخوله إلى الحزب تغير الهدف تحت
 نظريته : ففهم أن هذه المطالب لن تلبى إلا بقيام مجتمع اشتراكي . ولقد تغير
 هو نفسه مع الهدف : أن الحزب يتابع ، فيه وعن طريقه ، تحقيق هذه الغاية
 المطلقة . والتفرد المعترف له به هو إرادته المتفردة شذعة هذا التحقيق .
 وهكذا يتوسط نظام : الغاية هي الموجودة أولاً وهي التي تحده الحزب بأنه
 المشروع المنسق للأعمال التي ستسمح بلوغها . أن المتاضل لا يسأل فعله أن يبرره :
 أنه غير كائن أولاً حتى يبرر نفسه فيما بعد . لكن شخصيته تتطوي على تبريره
 الذاتي ما دامت الغاية المطلوب بلوغها هي التي تؤسسها . وعلى هذا فإنه تابع
 للعمل التابع بدوره للهدف . أما العمل نفسه فيلبي أن نسبه مشروعاً ، لأنه
 جهدٌ بناه ببطيء ، وعند يسد طوال حقيقه غير محددة . ولا ريب في أن هذا
 الجهد يشتمل على مظهر من مظاهر التنمي ، لأنه لا يسد من المتضال ، ومن تقويض
 المجتمع القديم ، ومن تحطيم المقاربات وتعميد الطريق ، لكن علينا أن نرى فيه
 في مجموعه بناءً إيجابياً واتساجاً متجسماً وتدرجياً لأشكال اجتماعية جديدة . أن
 المتاضل ، الذي يدعوه ويمارده خلقه باستمرار هذا المشروع الذي يتجاوزوه ،
 يجد نفسه محبباً من الموت : أن المشروع الذي يحدده أطول عمراً بكثير من عمر
 حياة واحدة . وهو يعمل بالتالي باستمرار فيما وراء موته الذاتي ، واخشافه لن
 يبدل الصيرورة التاريخية تماماً كما أن ظهوره لم يبدلها . أن إرادته سبقي من
 بعده ، تلك الإرادة التي أعاره إليها الحزب فنيته من الزمن ، وستتابع العمل
 من دونه .

لكن العمل هو الغاية بالنسبة إلى الجورجوازي الشاب الذي يحاول أن يتصل
 بالبشر ، لأن العمل هو الذي سيحقق هذا الاتصال . وبذلك انعكس الترتيب :
 أنه يعمل من أجل أن يتفق ذاته ويختار غاية للعمل . وكل غاية صالحة مبدئية :
 يكفي أن تثير العمل الذي سيبرره . بيد أن مشروعه الأساسي مشروع سلمي .

وبالفعل ، انه لا يستطيع ان يفكر بأن يستمد من البشر شخصية جديدة : إما هو يريد الخلاص للشخصية التي له من الأصل . وهذا يعني انه يريد ان يتعلم يتصرفونه في الفرد . ولهذا لا يكفي أن يخدم عارهم : لأنهم في مثل هذه الحال لن يعرفوا إلا بخدمته . وإذا كان يريد ان يقبلوا بطبيعته المتفردة ، فعليه ان يهتم إياها . ولما كانوا يغير حاجة إليها ، فهو سيدمرها باحتفال كبير وسيجعلهم شهوداً على نضجته . ان يركز^{١١} ، أحد أبطال مارلو ، يريد أن « يوجد بين عدد كبير من البشر ، وربما لمدة طويلة » . وهو يضيف هذه الفكرة : « المرء لا يقتل نفسه إلا لوجود » . وبالفعل ، ان الميت لن يكون له من وجود إلا عن طريق الآخرين . فهو يأتي ليقسط على وحدتهم العديدة ، فيأخذونه على عاتقهم من جديد ، شاوراً أم أياً ، ولا يعود وحيداً . وهذه البنية العامة العلية قريبة الى أبعد الحدود مما يسميه الأميركيان « Compulsory Consumption »^{١٢} وما نسميه بالترف . فالطبقة المالكة ، التي ينتمي إليها رجال العمل عندما لا تتميز بالأصغار والتوفير إلا في لحظة معينة من تاريخها . انها تستهلك : وهذا يعني انها تدم نفسها بدمها ثروتها عن طريق الاستعمال ، والفكر بالثاني انها تبيع املاكاً لثبته لذاتها . وعند هذه المرحلة يمكن للتدبير النجسي أن يصبح الرزية الوحيدة للاتصال مع الآخرين : وهكذا تقع أعياد البولتاش^{١٣} - تدبير الثروات إكراماً للغير - وتقيم الحفلات - تدبير الثروات بحضور الفسيف . لقد أهلكت الارستقراطية الرومانية نفسها بهذه الألعاب ، وكذلك فعلت النبالة الفرنسية : كل أبناء العائلات يهدون الافلاس كما يريد هؤلاء الشبان البورجوازيون الموت . ان الغامرين سيضرمون النار في مستودع البضائع الضخم الذي هو المجتمع البورجوازي ، وبعد ذلك سيرمون بأنفسهم بين السنة القريب . البولتاش ، الحفلات ، الجود : هكذا ستكون نهايتهم . ولا أستطيع ان أضع

١ - من أبطال رواية « الطريق الذي » لأندريه مارلو . « م . م »

٢ - ومعناها « الاستهلاك الفاسد » . « م . م »

٣ - عيد ديني هندي أمريكي تتبادل فيه العطايا . « م . م »

نفسى من التفكير بذلك المفامر الآخر ، جان جينيه ، الذي كتب في « مواكب
جنازته » : « إن غايصة حياتنا دقنة جية ، جنازة حافلة ، جنازة ستكون
الرائحة الكبرى ، وعن وجبه التعديد تنويج حياتنا . يجب ان أقضي نفسي
بحولني تبجيل عظيم ، ولا أهمية تقريباً إن عرفت الجهد قبل موتي أو بعده إذا
كنت أعظم بأنني سأله » .

الجهد : هذه هي الكلمة الحقة . انهم لن يبحثوا عن الاتصال في الأخوة التي
يرك فيها الانسان يوماً شيئاً من ذاته للآخر ، بل في الجهد الذي يوجد فيه
الانسان بالنسبة الى الجميع دون أن يفر شيئاً من ذاته . إن لحظة الموت ستكون
لحظة حياتهم ، وهم ينتظرونها « يوجد » . وفي هذه اللحظة اللامتناهية الصغر ،
سيشعرون ، وهم على قيد الحياة بعد وهم اموات في الوقت نفسه ، بأنهم أصبحوا
بالنسبة الى الآخرين ما كانوا بالنسبة الى أنفسهم . وبنظرة هذه اللحظة لتناقضه
يكتفون ، « لحظات كاسسة » ينعكس فيها الكون للحس الظاهر الكبير المشوق
الذي سيكونه . « التنازح من السعادة التي يوفرها قرار سريع » . لكن إذا كان
القرار يتم الحياة بأسرها ، فإن الحياة التي سقلوه لن تتعجز عن موت يحدث كل
يوم ويوم . والحياة القرار على هذا النحو يعني الركض فوق الذروة المدببة التي
تفصل الحرية الناقصة عن استقالة الجنة ، يعني أن يقبل المرء ميته الذاتية . ولقد
بتنا نعرف توقعهم : فهذا الانسان المشغول يمتازته القادحة ، الشؤوم بالنسبة
الى ذاته والنسبة الى الغير ، والذي لا يجد للحياة طعماً إلا في بعض اللحظات
الحارقة ، أما هو البطل . . . ويجدر بنا ان نلاحظ أن الناضل ليس بطلاً . وليس
ذلك لأنه لا يعرف أن يموت ، لكنه لا يسعى الى الموت إذا كان يمكنه ان
يتجنبه ، وإذا ما دامه ، فإنه يموت بتواضع . أنا اعرف أن بعض الأشخاص
المقرضين سموا الشيوعيين ، أبطال زماننا الدائين . . . ولقد كانت هذه التسمية
إعانة لهم : فأرللك الذين لم يتكلموا تحت التعذيب كانوا يقولون ببساطة : « لم
يكن يوسعي ان أفعل غير ذلك » . كانت إرادتهم تجسداً لإرادة الحزب وكانت
إرادة الحزب ألا يتكلموا . وما داموا لا أهمية لهم في نظر أنفسهم ، وما دام

مشروعهم ان يبتوا وما دام ان هذا المشروع سيكتمل من موتهم ، وما دامت
 حركتهم تأمل في الحياة ، فان موتهم لا يسد لهم ، وكأنه زعرمة للكون بأسره
 بل يبدو لهم كحادثة عرضي يؤسف له .
 بيد أن الأبطال هم طقيليو المناضلين . إن البطولة بحاجة الى فريضة ما ، وإلا
 فلن تكون سوى انتحار . وكل يأس المدمرين سيكون غير مجد اذا لم يحدد أمل
 الجماهير العريضة . وحتى تكون جنائزهم فحمة ، وحتى يعمرها طويلاً في ذاكرة
 البشر ، فلا بد أن يكونوا قد ساروا ، من اجل ما كان في زمانهم يحمل أضخم
 المعاني وأكبر الآمال . . . وعلى هذا فإنهم سيعطون لحافات مع حركة ثورية أو
 مع حزب مقاومة وطنية . لكن هذه التفاربات مؤقتة والغامر لن يشكك إلا
 بالأعمال السلبية : انه سيكون إرهابياً أو ضابطاً . وعلى كل ، فإنه يظل مشبوهاً
 من قبل حلفائه ، ولا يجهوم : ، لا احب حتى التساس الفقراء ، اولئك الذين
 سأقاتل من أجلهم بعد كل شيء . . . اني أفضلهم فقط لجره انهم المغلوبون . .
 وانه لما يشير الفضول أن يكون لورانس وكثيرون من أبطال مارلو وغرباله في البلد
 الذين يقاتلون فيه . ففي القرن التاسع عشر كان الكتاب القوي يذهب لباريس
 الحبيب ويقتد ماله خارج وطنه : فقد كان يعجبه ، هو المستهلك الأجنبي في جماعة
 مكدة ، أن يكون الصورة الكاملة للطفيلية . أما الكتاب المغامر اليوم فإنه
 يذهب الى البلاد نفسها ليقامر بجلده : إنه يطلب ، هو الطفيل البطل ، من ارتكك
 المقاتلين الذين لم يختاروا معرفتهم ان يبرروا موتاً اختاروه بنفسه . واختلاف
 القنات والأعراف يسمح له بأن يظل منفصلاً عنهم . وأهمية القنات الخاصة
 نفسي . عمل المغامر لكنها إضافة غير مباشرة .

بيد أن الموقف ليس بالموقف الذي يمكن للمغامر أن يتسار عليه : ففاعلية
 مغامرنا مستمدة من قبل رجال متحمسين ، وهمي الجنان لا يطعمون أوامرهم إلا
 ليتمكنهم استخدامهم بصورة أفضل . والمجتمع الذي يريد المناضلون ان يبتوه
 يستبعد مجرم Desperados⁽¹⁾ وهباتهم المتطية . إن الارهابيين لا مكان لهم في

(1) - المتمردين

مجتمع متجانس . لقد كان تشن¹¹ يعرف إن « العالم الذي يعدونه له عمداً يدينه بقدر ما يدينه عالم اعدائهم » . وفي هذا العالم الذي يعرف فيه البشر بعضهم بعضاً عن طريق عملهم وفيه « لا أمل البتة في أن يلتقي لقرود هذه الكائنات اعترافاً بـه » . والأهم من ذلك ان ذكراهم بالذات ستحمي «ته » وحوثهم بالذات يبدو مجهول المصدر : فهو ان يفهم على انه عطاء مجاني « يسيل سيخلف بينه وبين تفاني المتسلمين اليهم » . لحظة النصر ستكون بداية فشلهم . فهل يتكلمون ان يريدوا انتصار حزب سيدقنهم مرتلين ؟ لكنهم اذا لم يريدوه فإن البطولة سلتهاو : ويبقى الانتصار . وحمل التماسك يتأرجح من غير أن يتوقف ابداً بين اكثر انواع الكرم جنوناً واكثر انواع الانتصار أمانة . انه يتطلب اياناً ويدمر كل ايمان : ان الغامر يصبح مضطراً اذا آمن بما يفعله « ودجالاً اذا لم يؤمن به . فيتكش « وينشج على ارادته الهدامة « وتبدو له حرب اسبانيا « حيث يقاتل « كوميديا كربية « وينفض الغابسة الموضوعية التي تنفضه في غاياته : « الرشح الذي سيأتبكم به التحرر الاقتصادي « من يستطيع أن يقول لي انه سيكون اكبر من الحائل التي سيأتي بها المجتمع الجديد ؟ « وعندما يتبين انه سيوت من أجل لا شيء « تأخذ الرغبة في ان يؤكد في الوقت نفسه بطلان كل مشروع : « البشر يتوتون من أجل ما هو غير موجود « . لقد التزم بالعمل ليفلت من الوحدة « فإذا به يجد نفسه وحيداً أكثر من أي وقت مضى . ولا مجال لأن تدعش بذلك : فهذا التلاص الذي يفرض بنفسه من أجل السادة سيكون نوعاً مغايراً لحلفائه « وسوف يتبرونه دوماً مشبوحاً : فهو لم يكن مرشحاً على القتال . وبالأسفل ماذا يريد منهم ؟ الاخوة « الرقصة « الصداقة ؟ يقينا « أجل . لكن هذا يعني على الأخص انه يطالبهم بأن يكونوا شهد موتهم . ان رفاق الغامر هم نائحات مستقيلات « أمناه مستودع مصيره . يقول مالرو : « لا وجود ليطل بلا نظارة » .

ويعود من جديد إلى العمل « لكن هذه المرة ليرجمه الى ماهيته . انه ينظر

١ - من أبطال رواية « الشرط الانساني » مالرو ، التي تصور أحداثها في الصين . « ص ٥٠

اليه يصحو ففكر ، بعيداً عن الدوافع التي ولدته والقابلات التي تسير به ، في عطف
الحض : « لا قوة » ، ولا حتى حياة حقة بدون بلين بطلان العمل وبدون تسلط
فكرة هذا البطلان على الانسان . « وأتذاك فقط سيريد لذاته . سيريد هذا
العمل لذاته » ، وحسابه الشخصي ، من غير أن يسأل بالشهود ، « وأتذاك »
ومها كانت ديمومة هذا العمل قصيرة ، فإنه يبرره . حين يلسبب عملي مني ...
يذهب معه ايضاً شيء من دمي » . لكن هذا لأن العمل لم يعد محض حالة ذاتية .
فهو قد شرع به كي يخرج من ذاته ، ويتألم ليعود إلى ذاته . انه يريد في الوحدة
والعرف ، من غير ان يهوى عن نفسه عيشته ، بلا أمل وبلا إيمان ، من أجل لا
شيء . وهذا الحلم ، الذي شرح به ليرره ، يصبح هو الذي يبرره الآن . وما
من غاية متعالية يمكن ان نجعلها مشروعاً . ان هذا العمل يتعلق به وحده ،
انه تمرد محض لا يهدى ضد مجرى الأشياء وضد الطبيعة الانسانية . ولا يعود
لهم التدمير عن طريق فعل ما ، بل القيام بفعل ما يدمر نفسه ، بطلانه
بالذات يشهد على صفته المضادة للطبيعة . وطالما انه ما من شيء يستدعي الفاعل ،
وطالما أن كل شيء ينتقصه ، وطالما انه ما من رمية ترد يمكن ان تلغي الصدقة ،
اذن يبقى امساعه ، شأنه شأن مالارميه الشاعر ، ملكوت اللاكينونة . ان
الانسان كلتن يوت من اجل ما هو غير موجود . وعلى هذا فسيان العمل ، إذ
يفور وبشلاشي ، يشير ، شأن شيفرة الفشل لدى ياسيرز ، الى ملكوت ما فوق
طبيعي للسكانس الذي لا يترأراً إلا عبر الهزيمة والموت والحيانة . وعلى كل ،
فإن داعي الفاعل ان يضع في الفشل انتصاره اقل سمواً ، ذلك ان انتصاره
سيكون فشلاً . « ان التحقني ، اذا ما جاء ، سيكون غيبة كبيرة ووعماً
متبهداً » . إقت فالملطوب ألا يجيء ابدأ . المطلوب ألا يجيء ابدأ جنة عدن
الستقبلية لتلك ، المدينة الشفقة بالنسبة الى المفسرين وحدهم . « كان الهدف ،
بالنسبة إلى البصير ، الفشل وحده . كان علينا ان نؤمن دوماً بالرغم من كل
شيء بأنه لن يكون هناك من انتصار ما لم نتزل الى عالم الموت ونحن نقاتل
ونطالب بالهزيمة » . وفي الهزيمة والاحتضار ، يشعر المناضل والفاعل لأول مرة

بأخرة حقيقية : والحق ان المناضل هو الذي يتغير لا رجل العمل . لقد اختار
 الاخير ان يموت ، فسوف يموت إذن ، ولن يكون قد خسر من شيء . لمضن
 الاول كان يريد ان يعيش ، ان يبلغ هدفاً ينامى ويحتفى . كان مقاتلاً ، وكانت
 له لغة برؤسائه ، يعمل أحسن اداءه ، لكن كل شيء يتشوش ، ويعلم أن الربح
 قد يكون مستحيلًا . كان موظفًا مطلقًا ، محدود المبادعات ، معساده على
 اكتشاف وجهه الأليف في عيون رفاقه ، والتقا من ذاته ، والتقا من انه يجدي في
 احماق ذاته ارادة الحزب الخازمة كصخرة . وهما هو ذا يجد نفسه مهجوراً في
 عزلة الهزيمة التي لا تقفارة عنها ، والحزب قد غلب على أمره ، والأصل قد
 سحق ، ويكتشف في عيون العدو المتصر وجهاً وحشياً ومجهولاً هو وجهه .
 وتهاير أنه ، التي كان يدعها الكثير من الأوامر والخطابات والرسائل ، وتظهر
 أدا اخرى ، لقد ياتى يدكره على نحو غريب بالوحدات البورجوازية . وموته
 الذي موته طوال حياته بتظاره بأنه سيوت من اجل القضية ، يرتد نحو
 على حين غرة لأن القضية قد تزقت ولأنه يموت من أجل لا شيء . فهل خسر
 حياته ؟ وهل ربحها الآخر ؟

التي مدرك ان كليها بحاجة إلى الهزيمة ليثيرا العجاسي . بل انني سألتنى أيضاً
 هزيمة حقيقية للمغامر ، اي انتصار المناضل : انه لمن مقتضيات الاخلاق ان
 يقتصر المناضل (وهذا يشجواب علاوة على ذلك مع الصيرورة التاريخية) . انه
 على حق في كل نقطة : لقد ذهب نفسه للحزب من غير ما عوده الى ذاته ، وقامر
 على نشاطه مرغاً تحافل ، وأحب جميع الحوت ، وحسين كان احدم يفضل من
 الحزب ، لعلطة اقرارها كان يكلف عن حبه لأنه يكون قد كف عن ان يكون
 اخاه . والمجتمع الذي يريد أن ينيه هو المجتمع الوحيد العادل . ولقد كان المغامر
 على خطأ : لأنه كان يجعل جميع ردائل الطبقة البورجوازية من الالية وخيللاء
 وسوء نية . لكني بعد ان أصفقت لانتصار المناضل ، أتتبع المغامر في وحدته .
 فلقد عاش حتى الثالثة شرطاً مستحيلًا : يهرب من الوحدة ويبحث عنها ، يعيش
 ليحوت ويمسوت يعيش ، مقتنعاً ببطلان العمل وبضرورة ، يحاول ان يبرر

مشروعه بأن يستد عليه هدفاً لا يؤمن به ، يبحث عن موضوعية النتيجة الشاملة ليحلها في ذاتية مطلقة ، يريد الفشل الذي كان يرفضه ، ويرفض الانتصار الذي كان يمشاه ، يريد أن يبني حياته كما لو أنها قدر ، ولا يعجب إلا بالمحطات للاعتمادية الصغر التي تفصل الحياة عن الموت . لا تحلل هذه التضادات ، لا تركيب هذه التناقضات . ان كل زوج افا ما ترك لنفسه يتحلل ، فيسقط الحدان كل في جانب ، او يتلاشى من الوجود فيتلاشى الحدان بدورها . ومع ذلك استطاع هذا الرجل ، على حساب ثور لا يطاق ، ان يبقي على الحدين معاً ، في تضادهما بالذات . وكان الوهي الدائم لهذا التضاد . انني انظر اليه بقناني ، مدفوناً وغالياً ، قد تم نسيانه في ذلك المجتمع الذي لا مكان له فيه . وأفكر بأنه يشهد على الوجود المطلق للانسان وعلى استحالته المطلقة معاً . بل أكثر من ذلك : انه يدع عن على ان استعالة الكينونة هذه هي شرط وجوده وان الانسان موجود لأنه مستحيل . والمتأمل ؟ ماذا انسى له في فجر تهاره الجديد ؟ ان يعلم كيف يستعيد ما لا يمكن استعادته . انني أفهم ألا يكون لورانس مكانه إلا في ظروف ١٩٩١ التاريخية ، وأن يفسر نفسه بسدءاً من اميرالية الانكليز الاستعمارية وبالتالي يبدأ من الرأسمالية . انني أفهم ألا يظهر من جديد لورانس آخر ، ولا سيما بعد تصفية الطبقة البورجوازية . وأفهم ايضاً ألا يحبه الشيوعيون تقريباً ، واعتقد بالأصل ان له صلات وثيقة بالشر ، بيد ان مجشاً اشراكياً قادمًا يستحيل فيه جذرياً وجود امثال لورانس يبدو لي عليمًا . وحتى لو كان لورانس الشر بعينه في نظر الاشراكيين ، فإنني اصر على ان الهدف يجب ألا يكون إلغاء الشر بل الحفاظ عليه في الخير .

يقول في اسطوان : « هؤلاء هم آخر المفاسرين ، ويعددهم ان يكون هناك غير مناخلين » . انني انسى ذلك اذا كان المشافون سيحتضنون مرات فضائل للمفاسرين . وأنا اعرف من الآن رجالاً جمعوا معاً بين تلك الأنا العطاة التي تلقوها من الآخرين من اجلي النضال ، والتي يتجاوزونها في النضال ، وبين انهم الحقيقية الكلائة فييا وراء الأنا . انهم لا يفكروون إلا بواسطة العقل الكفاسي الذي

منهم اياه الحرب ، لكن لما كان فكرهم يرفض كل قيد فإنيهم يدفعون بهذا العقل
 المتكون الى أقصى مدهاء ويحولونه الى عقل متكون . رجال وهبوا ذواتهم كاملة
 للطاعة ولا يحتفظون منها بشيء ، اي شيء على الاطلاق ، فبأخلاق تلك الحرية
 التي تهبهم بلا تحفظ . رجال خاضون حتى نخاع العظم في المعركة اليومية التي هي
 الموضوع الوحيد لاهتمامهم ، ويقفون في الوقت نفسه خارجاً عنها تماماً لأنهم
 يعلمون ان الغايات البشائية القوية بالرغم من تصميمهم على بذل حياتهم من اجل
 بلوغها ، ولأنهم قرروا ان الرهان ليس على سعادة الانسان ، بل على الانسان
 المحض المطلوب خلقه . مفامر او مناضل : انني لا أؤمن بهذا الاحراج ، فأنا
 اعرف أكثر مما ينبغي ان تفعل وجهون : السلبية التي هي مفامرة ، والبناء الذي
 هو الضباط . ولا بد من إحياء السلبية والتلقي والتقد الثاني في الانضباط . ونحن
 لن نربح إلا إذا استخلصنا جميع النتائج من هذه الحلقة المفرقة : الانسان ما
 يزال يتطلب ان يُصنع ، والانسان هو وحده الذي يستطيع ان يصنع الانسان .
 (مدخل الى « سورة المفامر » لروحيه)
 اسطفان - منشورات ساجيتير - ١٩٥٠) .

علماء ميزفون أو أراب ميزفة

إن ميرو - يولي مؤهل أكثر مني لتقديم كتابك للقراء . فقد كتب « المذهب الأنساني والأرهاب » ليقامول عن طبيعة ونتائج القتل السياسي . قلبي مجتمع شديد الاندماج ، تحارول ممارسة مسا ان نستولي على السلطة ، وسواء أربحت أم خسرت . فإن قانون العمل التاريخي يريد ان تتغير . فإذا ما كان قصر حاسماً نهائياً ، جعلت من نفسها قياس التاريخ وقورث معنى الماضي . وهي لشيء المستقبل . وولي حالة الميزفة ، يكون الوضع أكثر تعقيداً . إنهم يزول المعارضون ؟ من سيحيا كهم ؟ بأسم أي مبادئ ؟ وكيف سيحيا كرون انفسهم بأنفسهم ؟ هل سيقبلون بتعايير قاهرهم ؟ وبكافة واحدة : ان المشكلة التي درساها مع لور-يولي تتعلق بنفي التغي : ماذا يحدث اذا لم يتمكن هذا التغي من تفجير الاطارات التي تضيق عليه الحقائق ؟ ان كتابك « يا عزيزي داللا » يقدم له مناسبة ليضيف ملحفاً الى دراسته : إن احداث يوغوسلافيا الأخيرة تظهر لنا المعارضة وقصد حلفت نصرأ جزئياً ، متوقفاً ، غسبر مؤكداً ، يتوجب العزيزة ، فبأسم أي مبادئ ، أي غير ، سيتم تقييمه ؟ ان تبتولم يحصل بعد على الحق في ان يطبق مقاييسه على تاريخنا لأنه لم « يلتصر » بعد نهائياً ، ولكنه أصبح له من الآن الحق في رفض مقياس الآخرين لأنه لم يتغير . ان الغرب لا يستطيع ان يفسر الحركة التبتيرية تبعاً لمبادئه الليبرالية : انه لمن غير المباح له ان يرى في يوغوسلافيا لغة في الحصن السوفياتي إلا اذا وصل الى ان يحصل من نفسه سيصد الاقتصاد اليوغوسلافي . وطالما ان الاتحاد السوفياتي ، من جهة أخرى ، لم يتمكن من

سحق هذا التمرد ، فإنه يميز عن لغيره حسب رجليته . وحتى يكون في
 مكتته ان يقرر ان يتبو خاتين ، فلا بد ان يكون قادراً على شئته . وأخيراً
 فإن المعارضين المتنازعين في أوروبا يخطئون اذا ما رأوا في الانشقاق اليوغوسلافي
 دليلاً على قرب البعث ثورة متاعضة : فقد رفض المسؤولون اليوغوسلافيون
 أكثر من مرة العمل على لتطبيع أوضاع تنظيم الشغبية الأمي . لا البيرانية
 البورجوازية ولا السناينية ولا القروتسكية تلك في ذاتها مفتاح ذلك الواقع
 اللئيس والمتحرك الذي هو يوغوسلافيا : إن الأزمة الكبيرة لمراسك هي على
 وجه التحديد حفاظها على التماس هذا الحدث . وبالرغم من انك لا تحمي
 تعاطلك - الذي أشاطرك اياه - مع النظام الشيوعي ، إلا انك لا تحمي عنالاً
 احتمالات الخطأ ولا التهديدات الخارجية . ذلك انك تأبى ان توقف صيرورة ما
 يزال تجري وان تمكك عليها . وليس ذلك لأنه لا يمكن ان تتوفر لديك اليوم
 جميع العناصر التي تسمح لك بتقييم تلك الصيرورة فحسب ، بل أيضاً وعلى
 الأخص لأن لديك قباعة - بالغة الندرة اليوم لدى الماركسيين - بأن المستقبل
 لما ينع بعد .

ومع ذلك ليس كتابك لا تحقيقاً صلباً ولا عرضاً وصفياً صرفاً - يقينا ،
 انه هذا أيضاً . فانت أحد القلائل في فرنسا الذين قدموا وقتئذ أخذت من
 مطالبها ومصادرها عن انشقاق لينو وعن التصنيع اليوغوسلافي وعن مضاعفة
 التمازجات الفلاحية الخ . وفي الوقت نفسه تعرف كيف تعطي عرضك ، بين
 حين وآخر ، قوة الاقتناع الحمي والمنحصر التي لتلكها الشهادة . لقد رأيت لينو
 وجهتنا تراه . لقد صادقته وانت لجمعنا نشهد الهادئة . لكن ما يعطي هذا
 المؤلف قيمة استثنائية هو انه أول محاولة لتفصير الانشقاق التيتوي عميقاً . انك لا
 تطبق على هذه الواقعة التاريخية أي مبدأ قبي : فقد تركتها تعرض نفسها امامنا
 غير منظورات البوبالكتيك الماركسي ، لكنك بدلاً من ان تفسرها قسراً
 باسم ماركسية خصوصية ، اعتبرتها تجربة حقلها التاريخ تثبت صحة الشرح الذي
 يسمح بتفسيرها وتسمه في بعض نقاطه وتعديله في نقاط أخرى . إن هذه المحاولة

جديدة بما فيه الكفاية ، فهي تفرك الحدث بحري تحت بصير القاريء ، بسلبه الحرية ، وفكتفي بأن نظير لنا كيف تولد الوقائع ديالكتيكيها الثاني . انها محاولة جديدة بأن تكون مثلاً يحتذى .

ما دعت الى الذي اقدم الكتابك ، سوف احاول ان اسعد اهمية الحركة التثوية . لا اهميتها في ذاتها ، هناك ، عند التخوم السوفياتية ، بل اهميتها هناك بالنسبة اليها نحن مواطني ديوقراطيات الغرب . وسوف احاول ، مقدماً منهجك ، ان اترك الوقائع لتنظم من تلقاء نفسها . وبالرغم من ان القني ليست لغة ميرلو - بوناي مئة بالمئة ، سوف اتخذ مكانتي في اطار اهتمامات و المذهب الإنساني والارهاب ، لاستجوب هذه الوقائع .

إن العقول التي أرادت ان تحدد قبلياً معنى التجربة اليوغوسلافية ، حاولت هي ذاتها ان تقرر قبلياً الأهمية التي يجب ان تأخذها هذه التجربة في نظرها . فالبعض لا يريد أن يرى في تيتو سوى تابع وظيفته الوحيدة ان يؤجج جرحاً حياً في جنب الاتحاد السوفياتي ؛ وهذا لأنهم راهنوا سلفاً على القوة الاميركية ، ولأنهم اختاروا سلفاً الحرب . وقرر الآخرون ان أهمية التثوية تكمن في التأثير الذي يمكن ان تمارسه على يوليوتاريا القرب ؛ لكنهم عتياً يعاولون ، كما بينت أنت بما فيه الكفاية من الرضوح ، ان يستثيروا حماسة الشعية الفرنسيين المرافعة مع تيتو أو ضده . فهذه المرافعة لا تشغل حتى الآن سوى بال المتفقين الذين هم عاجزون بالأصل . واذا ما حاولنا على العكس ان نترك الحدث اليوغوسلافي يحده بنفسه اهميته في التطور الديالكتيكي وعن طريقه ، وجدها ما بقي ؛ لقد ارتفعت ، من جميع الجهات ، في الأوساط اليسارية احتجاجات ، ولا سيما منذ التحرير ، ضد ما يمكن ان يسمى بالمذهب الموضوعي الصائلي¹¹ . إن قوائماً

١١ - انني استخدم هذا التعبير أيضاً لأنه يمتد على الحائط . وبالعقل ان الصائليين يطلقون اسم « مذهب موضوعي » على موقف معين في الفلسفة والتاريخ اليوجوسلافي يزعم انه ينظر الى المذاهب السيلية والاجتماعية والى الصراعات السياسية على حدة سواء « بشكل موضوعية » باسم الحقيقة المطلقة وهذا الموقف المثالي الفزعة يجد في كل رأي حقيقة معينة . وفي كل طرف قيمة =

صاحبة يريد أن تعطي الذاتية حتى قدرها ، إنما عن طريق إعادة الأولوية إلى وهي الجماهير ، وإنما عن طريق ترطيد الديمقراطية من جديد داخل الحرب . إن هذه المطالب مثالية التزعة لأنها تصدر عن أفراد منعزلين وعاجزين - بصورة عامة عن مثقفين - ولأنها تنطلق من حسرة على الماضي لو من سلم فتح قلبية بدلاً من أن تبدو كتحفة في سيرة واقعية وتاريخية . وما أسهل على الستالينيين أن يظهرُوا أنها من بقايا الذهب الثاني اليورجوزي القديم . إن التبنوية ، إذا كانت لها بالنسبة لينا أهمية استثنائية ، فهذا لأنها تكوّنُ الذاكرة . لكن هذه الذاتية لا تظهر هنا كمثل الحق شكلي : إنما هي نتيجة بصفتها واقعياً فعلاً انطلاقاً من

معينة . ويحاول في كل مناسبة أن يضع نفسه مكان الآخر ، وأن يظهر وجهة نظره نحو الحق أفضل . ولو كان الحد من ذلك حاربه بصورة النصح . وتعارض الفارسية هذا التصور المثالي للحقيقة في ذاتها بالتصور الواقعي عن الحقيقة الكفافية وعن العبودية الطبيعية . إن كل حقيقة تعكس مصالح الطبقة التي تنتمي ولا دخل لها بسائر العقائد . وهذه العقائد لا تتكامل ، بل تتعارض . وكل حصة يقضي المثلث السابع بأن نفرض ان الستالينية تعارض الذهب الموضوعي اليورجوزي بذهب ذاتي طغي .

بإزاء ذلك ان الطبقة اليورجوزية هي اليوم طبقة عابثة ، متروكة ، غلبت ميادها الذاتية ، ومتشعبة . فبدأ في فيروليتاريا ، بل هي تراقق من الآن . وقد كانت مواقعها وعاصمتها صرفاً ، وفيروليتاريا ، الطبقة الصاعدة . مشدوها بسا واستحق المجتمع اللاطفي . أي الطبقة الواحدة الوحيدة . وكل هذا فإن الطبقة الفيروليتارية ، بالرغم من انها ذاتية لتكوينها تبع عن وجهة نظر الطبقة العامة . لتتقل ال موضوعية المطلقة باعتبار انها متصع فيها بعد وجهة نظر الانسان . وخلاصة القول انها هي التي تشكل التاريخ . ان ذاتية الطبقة الصاعدة تبع عن موضوعية الضرورة التاريخية ولحمدها . ولذا يستطيع القادة الروس ان يذكروا ان التاريخ عملاً صارعاً وأن يسبقوا بديهم تحت نعمة الذهب الموضوعي . ان عبارة « الذهب الموضوعي » ، ابتداءً القومح ، تعطي عن طرح فكرة حقيقة مطلقة . لكن اليورجوزي يبحث في كل مكان ضمن هذه الحقيقة . ويعمل مع جيد هذا الوقت ان أقصى مداه حتى انه يأخذ بالتمسك الحزم ليعتق في حين ان الشيوعي الستاليني يعتقد انه قابض على زمام هذه الحقيقة المطلقة مسا دام ينتمي الى الطبقة التي تشكل التاريخ .

ومكافئاً فإن التصحيح التاريخي للتاريخ المعاصر من قبل ايديولوجي مزايديولوجي الخربيصيح هو عملية جديدة . والتي اعطت هنا اسم « ذهب موضوعي » كل موقف مثالي نوعياً رغم انه يفسر الفلسفة الاسمية ، في علمها ومغولاتها على حد سواء ، بالفاظ الموضوعية الصارمة . وهذا يعني بالتالي اعتبار الذاتية معقولاً مطلقاً ، أي معقولاً لا يتحول اليه الى حد .

الذهب الموضوعي من قبل حركة التاريخ بالذات . فلو حقق المعارضون نصراً مطلقاً ، لكانوا سادة الموضوعية . ولو كانوا ظميراً على أمرهم ، لمحتقنهم موضوعية الغالب . وانتصار فيتو التصفي يعالج من شأن الذاتية لدى المسؤولين اليوغوسلافيين ، وينقل عدوها إلى المسؤولين السوفياتيين .

وليس أسهل ، بالفعل ، من نسب زعنة هؤلاء الأخيرين الموضوعية إلى عنادهم . فهذه الزعنة هي في الحقيقة ظاهرة معقدة لكن جذورها في موقف موضوعي وفي تقبيل ذاتي لهذا الموقف . وإنما لأن السهولة والضرورة معاً أنت نسب دوراً معيناً إلى ذاتية الجماهير حين تكون هذه الجماهير ، في بلد رأسمالي وعالي التصنيع ، تجسداً لتناقضات المجتمع بأسره . ولتلك كانت المجال على سبيل المثال في ألمانيا روزا لوكسمبرغ^(١١) . كتب ماركس ، « حين نقطن البروليتاريا عن التحلل النظام الاجتماعي الراهن ، فإننا تكشف بذلك عن سر وجودها بالذات ، لأنها تشمل في ذاتها على الانحلال الفعلي لهذا النظام الاجتماعي » . وفي هذا الوضع السلي للبروليتاريا التي هي بحد ذاتها ، تسخ المجتمع بصفته طبقة خصوصية^(١٢) ، « يكون هناك نطاق كبير بين وجود فعلها الأكثر مباشرة وبين مهمتها التاريخية بحيث أن وعي الجماهير هو الذي يقدم مثال الراديكالية . ونتيجة مطالباتها التلقائية هي التعميل بالتحلل المجتمع الرأسمالي » في الوقت نفسه الذي تعبر فيه عن طابع البروليتاريين العميق . أن الطبقة المضطهدة ، ذات طابع شمولي نتيجة آلامها الشمولية ، « وهي ولا تستطيع أن تتحرر من سائر مؤثر المجتمع من دون أن تحرقها جميعاً بالتالي » . إذن نوعي الجماهير له حقيقة عملية لأنه التعبير الضروري عن موقف معين ولأن مطالباتها تنطوي على تجاوزها الذاتي نحو مجتمع « يكون فيه الإنسان الكائن الآخر بالنسبة إلى الإنسان » . ولهذا يتكهن ماركس أن يستخدم تعبيراً الراسب

١ - انثراكية وماركسية لثنية . أكدت على العود الذاتي للجماهير وساهمت في ثورة ١٩١٩ .
وانفردت في تأسيس حزب الشيرونتيين الماركسي (١٩٢٠ - ١٩١٩) .
٢ - « مساهمة في نقد فلسفة الحق » - المؤلفات الفلسفية - المجلد الأول - ص ١٠٦ .

الخطي ليحدد خصائص المطالبات التي يرجع أصلها إلى المصلحة المباشرة :
 « حين يعاهد العمال كيانا يرجعوا يوم العمل إلى حدوده المعقولة القديمة » ، « حين
 يسمون إلى عرقلة إرغاقهم بالعمل عن طريق رفع الأجور عندما لا يكون
 بإمكانهم الحصول على تحديد مشروع ليوم العمل الطبيعي ... فإنهم إنما يؤدون
 واجباً تجاه أنفسهم وتجاه دورهم ويضعون حدوداً لاستبداد الرأسمال الجائر
 الاستثنائي^{١١١} » . ولما كان وضع البروليتاريا هو الانحطاط ، لذا يكون رد فعلها
 قزماً على انحطاطها أو نقيضه ونقيضاً للجمتمع الرأسمالي . وتكون البروليتاريا
 آنذاك هي التي . وعملها يصفته شعورياً ، هو دعماً كل ما يمكنه أن يكون ،
 ويبلغ دعماً هدفه . ان البروليتاريا لا تستطيع ان تعيش من غير ان تطالب
 لأنها مبردة من كل شيء ، « ولا تستطيع ان تطالب من غير ان تهتم لأن الجمتمع
 الوجودي لا يتولد إلا عن طريق سحق العامل . ولهذا يلج ماركس على
 تحرر البروليتاريا الذاتي ، ولهذا تكتب روزا لوكسمبرغ : « انت الدور الوحيد
 لقادة الحركة الاشتراكية – الديمقراطية » المزعومين ، هو تدوير الجماهير حول
 رسالتها التاريخية ... وحطوة الزعماء وتأثيرهم في الديمقراطية الاشتراكية ...
 لا يزالان إلا بقدر ما يعملون من الجماهير القائمة ومن أنفسهم الأجهزة التنفيذية
 لعمل الجماهير الواعي^{١١٢} » .

لكن إذا كانت هناك وحدة هوية ، في مرحلة الهدم ، بين ردود الأفعال
 المباشرة والمصالح البعيدة للبروليتاريا ، فإن هذه الوحدة تنقسم في مرحلة
 البناء ، أي عندما تستلم البروليتاريا السلطة . ان التصور الذي قالت به روزا
 لوكسمبرغ في نطاق ألمانيا الامبراطورية لم يعد من الممكن القول به عام ١٩١٧
 في روسيا السوفياتية . إن اهم الأول للقادة في بلد بلا أموات وبسلا إطارات
 سيكون تحقيق الشروط المادية لحل المشكلات التي خلفتها الثورة . وانك لعل
 صواب كبير حين تلاحظ ان ماركس « كان يتوقع التحول الثوري في البلدان

١ - « الأجور والأسعار والأرباح » .

٢ - « تاريخية ضد الماركثوية » : الجماهير والزعماء ، ص ٣٥ - نقار سباروكرس .

الرأسمالية المتقدمة ، ، وان الثورات حدثت جميعها حتى الآن في بلدان
 مختلفة ، بل « مستعمرة » . وينجم عن هذا ان وعي الحركة الثورية متقدم
 على اقتصاد البلاد . وعلى البروليتاريا ان تعطي عينيها اقتصادها . بيد ان
 قلب المشكلة يؤدي الى انفصال حاجات الطبقة البروليتارية ومصالحتها المباشرة
 من جهة ، والتركيز على الانتاج من الجهة الثانية . وفي مثل هذه الحال لا يعود
 توسع سياسة البناء ان تستلهم ردود أفعال الجماهير العفوية ، وبالمقابل تهدد
 ردود الأفعال العفوية بأن تسيء في عكس اتجاه المصالح العامة للاقتصاد . فقبل
 الثورة كانت كل حركة غاضبة أو بانسة مستندة الى أم أو حاجة خاصة شمولية
 وذلك بقدر ما تكون فردية . وبعد الثورة تظل هذه الحركة عينها فردية
 ومناهضة لما هو شمولي عام . وماركس يشرح ان الشكل الثوري للعامل في
 المرحلة ما قبل الثورية ينجم عن « التناقض بين طبيعته الانسانية وبين وجوده
 الحيويني الذي هو النقي العلي والنهائي والشامل لهذه الطبيعة » . بيد ان
 هذا التناقض يظل قائماً في الآونة الأولى من المرحلة ما بعد الثورية . ولا ريب في
 انه يمكن تحقيق تلبية جديدة لهذا التناقض عن طريق الدعاية ، والتحويد الى
 « تضحية مرتضاة » ، لكن هذه الفكرة مضافة إضافة الى المصلحة بدلاً من ان
 تصدر عنها . وفي تلك الفترة من الجماعية والحرب الأهلية المصحوبة بحرب اجتماعية
 تهدد حركة العامل العفوية بأن تكون هدامية : تهدد برفض العمل المكثف ،
 ويتطلب رفع الأجور وسياسة إسكان الخ . وإذا كانت الشروط العامة تقتضي
 تعبئة جميع قوى البلاد لخلق صناعة ثقيلة على وجه خاص ، يصبح من المستحيل
 استشارة وعي الجماهير ، باعتبار ان مصلحة العامل هي أن يحدف « التناقض بين
 طبيعته وبين وجوده » أي ان يطالب بخلق وتطوير صناعات استهلاكية .
 ويدعي انه يمكن اتناؤه ، لكن الذي سيفتعه سينطلق من معرفة الضرورات
 الموضوعية الى التأثير المركز على الوعي الطبقي . وبعبارة اخرى ، سيؤثر من
 الخارج على ذاتية الجماهير . إن الاختصاصي يكف عن ان يكون متشعباً الى

الجماعير البروليتارية ، وعن ان يكون مدبراً عنها ، وعن استلهاها : بل يلق خارجاً عنها ، لا تشغل سوى المشكلات التي لا يستطيع الشبية ان يقرروا شيئاً بسدها على الاطلاق .

اذن فالجماعير الثورية التي كانت متقدمة على الاقتصاد في المرحلة ما قبل الثورية تصبح متخلفة عنه بعد الثورة نتيجة انقلاب شيطاني .

وانا في هذه اللحظة يتدخل التقييم الذاتي ويختار القادة السوفييتيون سياسة معينة وتصوراً معيناً للإنسان ، ولقد كان ممكناً ، حتى في هذه الظروف الصعبة ، ان يعتبر الكائن الإنساني كائناً متقدماً دوماً على وضعه ، وأن نستخلص من هذا التجاوز الوسيلة لتكوين ذاتية بناءة . كان ذلك ممكناً في اطار الماركسية بالذات . ذلك ان فكرة ماركس في هذا الموضوع ملتزمة ، وصحيح انه كتب : « ان افكار الدماغ البشري المشوشة هي تصعيدات ضرورية لسيورتهم الحيوية المادية ، القابلة للفهم تجريبياً والمربطة بشروط مادية ، وبالفعل يدور ان هذا يعني أن الوعي ، ذلك النتاج الحامد الصرف للشروط المادية ، لا يستطيع ان يتجاوز اللحظة الحاضرة ، وعليه ان يكتبي بأن يعكسها سلبياً^(١) . لكنني يكتب أيضاً : « ... ان ما يميز من البداية أسوأ المهندسين المهارين عن أكثر النعلات خيرة هو انه ينسى التخروب في رأسه قبل ان يبنيه في عقله . والنتيجة التي يفضي اليها العمل تكون موجودة سابقاً بصورة مثالية في نخلة العامل . وليس ذلك لأنه يدخل تغييراً شكلياً على المواد الطبيعية فحسب : بل يحقق فيها في الوقت نفسه هدفه الخاص الذي هو واجبه والذي يحدد نط عمله ككائن ، والذي يتوجب عليه ان يخضع له ارادته^(٢) . لكن القادة السوفييتين بدلاً من ان يعدقوا الاقتراحات ماركس ويشيدوا نظرية عن الذاتية متلافة مع المرحلة الجديدة من الثورة ويحددوا الى أي حد يمكنهم ان يسبقوا بين توجيه الوجدانات من الخارج وبين التوضيح التدرجي لتياهم المشوشة ، بسدا عليهم

١ - المائة للخدمة - ص ١٥ - ١٦ .

٢ - الراسخ - المجلد الأول - ص ١٩٧ .

وكانهم فعلوا على الأخص بالهوة التي تفصل بين الذاتية الشعبية وبين مساهمة
 ماركسيه الفهم التطري للحركة التاريخية في مجموعها ، ان المعرفة النظرية
 والمعلبة لقصيرة التاريخية تصبح علماً وتقنية يُعدّها لها الاختصاصيون . وهكذا
 سبقت الصناعة لفترة من الزمن العلم : فقد كان البشر يبتزون المراكب قبل ولادة
 أرخيدس بسدة طوية . وكان الحدس يسمح لهم بتجاوز النظرية عن طريق
 الممارسة . لكن التعمد التدريجي للأنظمة العلمية أدى في النهاية الى عزفها عن
 القانون والنهن . وبالرغم من أن هذه الأنظمة يتناول الجميع نظرياً ، لكنها في
 الواقع وقف على ارسنقراطية صغيرة من الاختصاصيين . وما يزال في وسع العمال
 أن يمارسوا عدة مهن ، لكن اختراعات الصناعة ينتجها بالضرورة ملك من
 الشككيين كونه العلماء . وهذا الانفصال الذي نلناه في المجتمعات البورجوازية
 بين عمري الوشوعية (العلماء ، المهندسون ، الاحصائيون) وبين الجماهير العاملة
 هو الانفصال الذي قام في الاتحاد السوفياتي بين الأيديولوجيين والقادة من جهة ،
 وبين الطبقة العاملة من الجهة الأخرى . ولهذا يتكهن للتشافين ان يصعب شارحاً
 ستالين : « ان الجميع سلاح في يد البروليتاريا ... هو نظريتها الثورية الخاصة .
 وإنا ما ارتبطت هذه النظرية ارتباطاً غير قابل للانقسام بالحركة الثورية للطبقة
 العاملة ، فإن مبداها يكون حزب البروليتاريا في شخص قائده وایدولوجييه^{١٧} .
 ولقد سبق لروزا لوكسمبورغ قبيل حرب ١٩١٤ ان وثقت ضد هذا الاتجاه
 وأخذت على لينين عن طريق قلب المواقف مشير للفضول « مذهبه الذاتي » :
 « انه ليخيل إلينا اننا نعيش في هذه الرغبة ... في فرض وصاية لجنة مركزية
 مطلقة المعرفة ومطلقة القدرة لحماية حركة عاملة « حاكمة بالوجود مطبقة بالتسغ »
 من الوقوع في بعض الخطوات العائرة ، أقول ليخيل إلينا اننا نعيش في هذه الرغبة
 أعراس نفس ذلك المذهب الذاتي الذي سبق له ان نصب أكثر من مطلب واحد
 للفكر الاشتراكي في روسيا^{١٨} . « لكن هذا المأخذ إن لم يكن خطاً فهو على

١٧ - تشافين : فكر الحزب في الفلسفة - المنشورات الاجتماعية - ص ٢٠٠ .

١٨ - المركزية والديمقراطية - مقال ظهر عام ١٩٠٤ .

الأقل سابق لأوانه . فليست هي إلا « بخلاف زعمها » التي تأخذ بتأريها ، فالأنا والثانية قد ثلاثتا معاً .

إن الجماهير الشعبية مقطوعة الصلة بعبيد العفوي ، وهي تتكشفه أمامها « شيئاً » وأخذاً طابعاً موضوعياً ، شأن قوة عملها في المرحلة ما قبل الثورية . وهي لا تفك لغز هذا الوعي بنفسها ، بل لتعلمه عن طريق قادتها ، ولتعرف نفسها أولاً كواقعية عن طريق وساطة هؤلاء القادة . وإذا كانت قوة عملها لم تعد محض بضاعة ، إلا أنها ظلت متصلة عنها ، وما قاله ماركس عن الصناعة البورجوازية يظل صحيحاً : « لا ينبغي أن نقول ان ساعة إنسان يساوي ساعة إنسان آخر ، بل ينبغي ان نقول ان الانسان ساعة يساوي انسان ساعة آخر » . لكن لا ينبغي ان نستنتج من هذا ان الثانية توجد على مستوى القادة . فحين تكون إحدى الطبقات الاجتماعية مستلبة ، فإن الاستلاب يشد « كما بين فلنك لو كاش^١ » بعد ماركس ، الى درجات المجتمع كافة . وفي اللحظة التي تنسط فيها البروليتاريا ، ذات التاريخ ، خارج الوعي النظري والعمل لهذا التاريخ ، تصبح بالنسبة الى قاضيا مادة هضبة للتاريخ ، موضوعاً سالياً . لكن القادة المنفصلين عن العامل التاريخي لا يؤثرون على التاريخ نفسه في هذه الحال إلا من الخارج : فيصبح هذا التاريخ شيئاً في ذاته يمكن تأمله ومعرفة ، ويمكن التأثير عليه من الخارج تبعاً لقوانين محددة . انهم يؤثرون إذن بصورة غير مباشرة على التاريخ بتحديدهم العامل التاريخي من الخارج كوضوع ، لكنهم لما كانوا قد كثروا عن أن يكونوا اثباتاً لوعي الجماهير ، فانهم يكفون بالتالي عن صنع التاريخ مباشرة . هم خاضعون إذن لقوضوعية بصورة لا تقل جذرية عن خضوع الجماهير الشعبية لها . والحق ان هذه الجماهير موضوع بالنسبة الى القادة ، « بالتالي » يعرف القادة التاريخ كوضوع خارج عنهم . وهم بالنسبة الى الجماهير كعالم القرن لتاسع عشر بالنسبة الى النظام التجريبي : في الخارج . وبما نجد ان بيبيل^٢ وروزا لو كسمبرج

١ - جورج فوكش ، فيلسوف عمري ماركسي معاصر . « د . م . »

٢ - لوخت بيبيل ، أحد مؤسسي الائتلافية - الديمقراطية البلشفية وماركسي بارز . (١٨٤٠ - ١٩١٣) . « د . م . »

في معرفتها وفي عملها قريبان من العالم المعاصر الذي يعتبر ان المغرب يشكل جزءاً من النظام التجريبي . و خلاصة القول ان القادة السوفياتيين يتحولهم وعي الجماهير الخلاق الى موضوع وبقفزهم خارجاً عنها ، لم يعد لثابتهم من حضانة نظراً الى أنها غير مدعومة بذاتية الجماهير : لم يعد يرفضها نهر الروح⁽¹⁾ ، الشعبية الكبير الذي ما يزال موحلاً لكنه عارم قوي ، فهي تقبل وتمتيز نفسها معتبرة الى حق والى أساس . وهم في الوقت نفسه مطلقون في الهواء نظراً الى ان وضعهم كقادة فصلهم عن الشروط البروليتاري : انهم يستطيعون ان يضعوا أيديهم على تناقضات الموقف الموضوعية لكن ليست هذه التناقضات هي التي تكونهم وهم لا يستطيعون ان يستفيدوا من قوتها المنتجة . وبالتالي ليسوا في الواقع سوى المعرفة المحضة الموضوعية والتأثير الوحيد الذي يارسونه عليه نواكس الوظيفية النظرية - العملية للبروجوازية الصناعية . وهكذا تصبح الجماهير موضوعاً سلبياً ولاواعياً للتناقضات التاريخية بينا يتكون القادة والأيديولوجيون وعياً مجرداً خالصاً لهذه التناقضات . ولما كانت وظيفتهم الوحيدة تسويق المعطيات الموضوعية ، فانهم يدركون من الخارج انسياب الظاهرات والقوانين التي تسيطر هذا الانسياب⁽²⁾ . إذن فليس المنهج كالتأ فيهم ،

١ - ماركس هو الذي استخدم هذه العبارة .

٢ - ان كوريا ، على سبيل المثال ، تقسم الى قسمين ، هي تناقض عيش . وقد كان لا بد ان ينشب صراع بين الشمال بقيادة الصناعي والمخطط وسعيه الى إقامة نظام اشتراكي ، وسعي الجنوب بقصاده المختلف والنظامي الاقطاعي وملكيته الزراعية الكبيرة . لكن انسياب السوفياتية الخارجية ، ينظرها الى هذا الصراع من الخارج ، عبر منظورات الدفاع عن المصن السوفياتي ، واعتبارها له واحداً من عوامل التوقف المؤقت والتطوره ، ويتعمدها تبعاً لفساد الموقف التاريخي والساعة الذي يمكن ان يستاح فيها ليجرم انماي اكبر قدر من فرص النجاح ، ويرسمها التوقفون المختلفون للاتحاد السوفياتي في حالة النجاح وفي حالة الفشل . تستخدم اساليب فلاحية الجذب او حياطة التمايلين الثورية كبرى في رقعة شطرنج ، بحيث يتكون الكوربيوت عملاً واعياً لتاريخ بالنسبة الى القسم ، وأداة مبررة من الخارج بالنسبة الى القادة السوفياتيين . لقد أصبح الوعي الثوري للجماهير الكوربية بالنسبة الى الزعماء السوفياتيين عنصراً من عناصر حياتهم الموضوعية .

وهو لا يكشف عن علاقتهم الحية بالموضوع . بل هو بالأحرى قاعدة موضوعية الموضوعية . انسه يتجمد من الخارج ، بتعظيم ، يصبح قاعدة ماصحة خالصة للتغير . وتموت الماركسية وتصبح سكوناً لائبة . وعلاوة على ذلك فإن العودة الى التحليل البورجوازي تجهز على ما تبقى فيها من الديالكتيك وتحولها الى تحليل الشروط المادية لصيرورة التاريخية . إذن فمن غير الصحيح ان الذاتية هي المطلب الأخير للنظام السوفياتي ، على الأقل عندما تنظر إليه قبل الشقاق بينه . ان القيادة والبيروقراطية التي تنفذ أوامره هم ضحايا الموضوعية كما ان البورجوازي ضحية الرأسمال . والذاتية لا وجود لها في أي مستوى من مستويات النظام . أرمي بالأحرى موجودة في كل مكان ، لكن ملتزمة ، غير منظور : موجودة كهراب من الذات نحو الموضوعية . بيد أنهم اعطوها مع ذلك مكانها في النظام . انها مساة وتقيدى كصفة موضوعية معينة للموضوع . وهذه الذاتية الكافية تتجاوب بدقة مع ما يعتبره لوكاش الذاتية في المجتمعات البورجوازية : « نتيجة لعطلة صيرورة العمل ، تسود صفات الشغل الانسانية وخصائصه أكثر فأكثر وكأنها محض منابع للأفراط والأخطاء تعارض العمل المتوقع والمحسوب لتلك القوانين الجردة والمجزئية » . وأي عجب في ذلك أصلاً طالما ان لينين ، نظري المركزية الأول ، أمكنه ان يكتب هذه العبارات القطعية متناسياً كلياً نظرية التشيؤ (التي تقبل عن طواعية بأن ينظم العمل الشغية لكن كاشياء) : « تنهني الايسكرا¹¹ بأنني أتصور الحزب كعمل ضخم على رأسه مديره ، اللجنة المركزية ... ان هذا العمل الذي يبدو للبعض وكأنه فزاعة ولا شيء آخر هو الشكل الاسمي للتعاون الرأسمالي الذي ضم البروليتاريا وضيبتها وعظها والتنطع ... والماركسية ، عقيدة البروليتاريا التي تفتتها الرأسمالية هي التي علمت وتعلم المثقفين الثقيلين الفرق بين الجانب الاستغلالي من العمل (الانضباط التي على خوف الموت من الجوع) وبين جانبه التنظيمي (الانضباط

١ - ومعناها البرومية الشراعية وهي اول صحيفة ماركسية علمة اسمها لينين عام ١٩٠٠ .
ثم استولى عليها الشيك عام ١٩٠٣ . « م »

التي هي على العمل المشترك التاجم عن تقنية ريفية تتطور^(١) . إن لينين هنا
 للضليل : فانضباط العمل يجب تعبعه في التaylorية وسائر أشكال العقلنة ، وينجز
 الشيء العامل بإرفاعه إياه على العمل الجزأه وبنسفه صلته العينية بالنسج ونفسه
 ويعطه إياه الى مستوى الآلة . إن هذا الانضباط والتاجم عن تقنية ريفية
 التطور ، يقيم بين الأشخاص تنظيمياً لا يقل احكاماً عن تنظيم الآلة . ومردوده
 مرموق ، وانما ما نقل هذا التنظيم الحكم الى صعيد العمل الثوري اعطى نتائج
 مذهلة . لكن المنظمة الكفاحية تجزئ الشيء الذي بدأته البورجوازية . وهذا
 مقبول أيضاً فيما لو أن الشيء يتحول وقد بلغ أقصى مسده حسب الانقلاب
 الديالكتيكي الذي لوقعه ماركس . لكن البورجوازية اختلت والاستلاب الجفري
 الذي كان يذ المجتمع البورجوازي لبث متيقماً .

والنظام الموضوعي النزعة يجب تكلمه اخيراً في الجيش السوفياتي . إن الزمام
 السوفياتيين يرايون في الأحزاب الشيوعية الوطنية لأن هذه الاحزاب لم تقادر
 نظراً الى بقائها في حظيرة المجتمعات البورجوازية ، المرحلة السلبية التي تتعبد على
 وجه التحديد بالاتحاد المتناغم بين الموضوعية والذاتية . وبناء على هذا التطور
 سيفهد السادة الى الجيش الأحمر بتهمة إحداث الثورات المغلية . وهكذا
 سيستبدلون حركة فردية وديالكتيكية ومهيمه بعملية تكنيكية صرف تتشابه
 في كل نقاطها مع عملية تركيب آلة . إن الجيش الأحمر ، الخارجى باعتبه بالنسبة
 الى البلد الذي يجره ، يستبدل الثورة الشعبية المفاجئة بعمل منظم يمارس
 على المواضيع من الخارج . وأتذالك لا تعود المسألة سوى مسألة هندسية صرف ،
 والتكتيكيون الذين سيوضعون في مراكز القيادة يتشخون على أساس كفايتهم
 من قبل تكنيكيين غيرهم ، بدلاً من أن تحملهم الجماهير الى السلطة . ومعلوم ان
 يكون المذهب الذاتي اليوم حلقاً ورمعاً : ففي البلدان التي ظلت خارج منطقة
 عمل الجيش الأحمر ما زال الذاتي موجودة وإن كانت مُلجسة ، لكن

١ - لينين - مؤلفات مختارة - طبعة موسكو الفرنسية - ١٩١٥ - المجلد الأول - ص

البيروقراطيات ، الناقصة التكوين ، المحترقة بسبب عدم انضباطها ، مدوكة لصيغها مؤقتاً : ومطالباتها المشروعة تستخدم لتفدية شغب مشوش في أوروبا يعرف الانتاج وسيء الى جملة الحزب في الوقت نفسه . وفي بلدان الكتلة السوفياتية ، هو البيروقراطي الذي ما يزال يعرف ما هي الخاتمة ؟

إن البيروقراطي ، الوسيط بين موسكو وبين أبناء وطنه ، يعرف انسه موضوع بالنسبة الى القادة السوفياتيين ، أما الموقف الذي يملك لقراء وينظمه ، فهو لا يدركه إلا من خلال الصفة الموضوعية التي يضلونها عليه في اطار الظروف الحالية . انه يلاتم ، هو الموضوع والمنظور اليه كوضوع ، البنس المحلية الموضوعية مع الموقف الموضوعي الذي ينعكس عبر التطلبات السوفياتية . وحين ترضي البعثات التجارية على « طلبات » ، يتوجب على الموظف ان يوجه الانتاج المحلي وينشط حتى يتمكن ان يسل هذه التطلبات في موعدها المحدد . وهذا النشاط التنظيمي يتم من لقاء نفسه على اساس الحساب والاحصاء .

ولهذا أرى انه من قاصح الخطأ ان نفسر د العصابات ، الجبهة التي قام بها الألباني ذرودزبه والبولوني غومولكا والمجري راجك والبلفاري كوستوف بأنها اكتشاف ومطالبة بحقوق الذاتية . إن نقطة الانطلاق على العكس ، كما تشير الى ذلك ، هي ، في كل حالة ، تناقض موضوعي بين التطلبات السوفياتية والهام التي تفرضها صيرورة التشريك المحلية . وهذه التناقضات ليست بالضرورة محسوسة من قبل الجماهير ، او اذا كان السكان يشكون منها ، فإن التمرد لا يولد على كل حال من هذا الصدام المعاش والحسوس : فما هذا التمرد إلا وهي البيروقراطي الذي يلاحظ التضاد والتناقض من الخارج شأن عام الرياضيات الذي قد يكتشف اخطاء في صياغة المعادلة . إن استياء الفلاحين او العمال لا يظل غير ملحوظ : لكنه يقيم كعظمى موضوعي وكتعبير وعلامة عن التناقض . حين ألقى كوستوف خطابه في صوفيا في ٨ ايلول ١٩٤٧ ، لجعل له هذا التناقض وكأنه محفور في الأشياء . فمن جهة اولى ، تلك العقيدة الجامدة الثابتة عن « الدفاع الدائم عن الوطن السوفياتي » : كيف السبيل الى الشك في موضوعيته ؟

فلاستفاه البيروقراطي اختار كوستوف على وجه التحديد ليستخلص النتائج العملية من تلك الموضوعية ، وكوستوف لا يستطيع ان يرى نفسه إلا على انه ذلك الموضوع المكلف بتطبيق سياسة متاصرة للسوفييت ، وذلك الوعي المحد الذي يدرك الضرورة الموضوعية لهذه السياسة . لكن الموظف كوستوف مكلف من جهة أخرى ، وفي اطوار الدفاع عن الحصن الروسي ، بتشريك بلقاريا على مراحل وتبعاً لتأهيج بحرية . والحال ان الاستغلال الاقتصادي لبلقاريا من قبل الاتحاد السوفياتي يجعل هذا التشريك مستحيلاً عملياً . واليك المظهر الآخر للموقف الموضوعي : « منها لكن الظروف فلن تسمح بتدخل اجني في قضايا الداخلية . إن الشعب البلقاري يعرف حق المعرفة انه بدون استقلال ويسدون سيادة لا يمكن ان توجد ديوقراطية شعبية ولا تصنيع ولا كهربة ، ولا ملكية وحياسة سعيدة للشعب » . بيد أن التناقض يتابع تحويل الموظف : فهو يرغم « بتكشفه عن انه الصراع بين مهمتين متناقضتين لا يمكن تجاوزهما وتحددانه في واقعه » على ان يختار نشاطاً يحدده في كينونته ، بصرف النظر عن كل نشاط آخر ، وباختصار يرجعه الى الذاتية¹¹ . وينتقل التناقض كيه « تحت شكل صراع بين الموظف - الموضوع الذي يتعده بتطبيق التطلعات السوفياتية وبين الوعي المحد الذي يملكه في الاستعانة الموضوعية . لكن لا ينبغي ان نطن ان اكتشاف ذاتيته يفعمه بالسعادة . فهذه الذاتية تتجلى له على العكس في الفلق ، وهي مندبجة علاوة على ذلك بالنظام الموضوعي الزرعة ، ولقد اعتبر الذاتية يوماً « منبعاً للأفراط والأخطاء » . وعلى هذا فإن اللحظة الذاتية ليست بالنسبة اليه سوى مرحلة انتقالية ، وهدف « فردية » حذف التناقض في الموضوع وبالتالي نحو اللحظة الذاتية في شخصه . ويبدو انه من المرجح ان تلك العصبانيات المزعومة لم تكن تهدف إلا الى إرساء اسس سياسة حزم تجاه الاتحاد السوفياتي للحصول من موسكو على ترتيبات تسمح بتابعة التشريك مع الاستمرار في تأمين الدفاع

١٠ - ان التناقضات الجزئية التي صادفها في عهد اليومي تتعل في اغلبها وفي اطوار العتقدات المذكورة ، ولا يرجع الى الذات .

عن الحصن السوفياتي وبذلك يكون البيروقراطي، عن طريق ترفيقه بين مهامه، قد استرجع الموضوعية .

والحال انه في كل مرة يفشل، ويسجن، ويحسب، فكيف سيفهم فشله؟ انه لا يتكلم ان يبين الذاتي من الموضوعي . ولا يستطيع ان يلجأ بالتالي الى تفسير ذاتي النزعة : « لقد اسطأت التصرف » . ذلك ان كونه قد اخطأ التصرف بالذات يعني « في منظور المذهب الموضوعي المطلق » انه لم يكن يوسع ان يحسن التصرف . وبالفعل ماذا يتوجب عليه ان يقول ؟ « لقد عجلت بالتصرف » ام « تأخرت » ؟ لكن الموضوعية هي التي تحدد بنفسها لحظة الشروع : ولا ريب في ان الأوان كان قد فات حين الكشف التناقض . لكن قبل ان يتكشف كان الأوان ميكرواً بعدة نظراً الى ان هذا التناقض لم يكن قابلاً لأن يتكشف أو على الأقل لم يكن باعثاً على الفلق بأفقه الكفاية ليبر عملاً ما . هل سيقول : « سينجع آخرون » ؟ لكن جميع الذين يكتنهم ان ينجعوا والذين يعدون على اصابع اليد قد فشلوا معه : ما دام البيروقراطي قد انفصل عن الجماهير ، فإنه لا يستطيع ان يعتمد في البداية على المساهمة الشعبية ، ويأخذ لمرءه في مشهد وجه تآمر . « أكتف على حق ؟ أأنا على حق حق في فشل ؟ » . ان هذا الموقف شعري : ان مالأوميه يفوس في قساح البحر ، مقهوراً ومتنصراً ، لكن الخوف في جمهورية شعبية لا يقامر إلا على اسام : من يخسر يربح ، والنجاح هو معيار الحقيقة . افن فهو غطىء : وما كان يوسع مشروعه ان يأخذ مكانه في الواقع . لقد كشف العقل الموضوعي عن حقيقته ، عن واقعه المطلق ، وعن ضرورة كل حركة من حركاته عندما جاءت لتتخطم على صخرة ذلك العقل الموضوعي . لكن الكارثة تصالحه مع نفسه لأن العقل يكشف له عن الدلالة الحقيقية لتلك الغاية التي ما زال تسلطه عليه كذكرى حلم : انها عدم ، تناو ، عجز . وكل ما هو موضوعي واقعي ، وكل ما هو واقعي موضوعي . ولقد كان تفسيره للموقف المعيني خاطئاً . أي عدماً . لقد أراد ان يصدر حكماً بدون ان تتوفر لديه العناصر ، وهذه العجزة نتيجة عيب في طبيعه . وبالفعل ان العقل

الأشئ هو تلاؤم أمثل مع متطلبات الموضوع ، إذن فالذاتية لا تستطيع ان تعمل شيئاً سوى ان تفقد هذا التلاؤم . ان الكبرياء والاندماج وضيق النظر قوى سالبة أو بالأحرى غياب كينونة . واذا كان تحييل اليه لحظة من الزمن انه سينجح ، واذا كان مشروعه قد حظي ببداية تنفيذ ، فهذا لأنه تقيد بالواعد الموضوعية . وهو انما يستمد فعاليته من الموضوعي . لكن هذه المساعدة للتبخر من تلقاء نفسها عندما يرمى الى تحويل القوى الموضوعية ضد الموضوعية . ان المذهب الموضوعي الذي استعاد نسجانه الهادي، على هذه الصورة يقرب هنا من أخلاق كوتديل : « الأسوأ ليس مؤكداً درماً » . وهكذا يصبح الموظف متواطئاً مع فضائه : ففي الوقت الذي يحكم فيه على الذاتية بالأنا تكوّنت سوى محض غياب ، بصور هؤلاء التآمر الذي حاك شياكه وكأنه النتيجة الضارة الموقف الذاتي . انه متفق معهم على النظر الى الذاتية لا باعتبارها تأريخاً معيناً للموضوعي بل تلياً لهذه الموضوعية : انها بالنسبة اليه كما بالنسبة اليهم العدم الذي يهب الكائن قوته ليقلبها ضده . واختصار : انها شر . وفي نظره كما في نظرم ، ليس القشل النهائي للشر ورجع إلا الدليل على ان الشر عاجز ، وهو يميز لتفاهلهم للمروض بالارهاب . ولا بد ان يغالي الفضاة أكثر من ذلك أيضاً : فسامر إلا موظفون مهمتهم ان يقدموا التقارير للسلطات العليا . ونقل المشكلة هي هي في التيوبسيات¹⁹ كافة : الواجب الأول هو تبرئة الله . والفعل لا يكفي ان يرضع الخير والحق والتنظام والموضوعي والكينونة في جانب ، والشر والخطأ والذاتي والعدم في الجانب الآخر : بل لا بد أيضاً من تفسير العدم . ذلك ان الشر غير كائن ومع ذلك هناك شر ، والخطأ ليس شيئاً ومع ذلك يخطئه الانسان . ومهمة الكنيسة هي ان يبينوا ان اللاكينونة تأتي من الكينونة وانه لا وجود لها إلا عن طريق الكينونة وإن الكينونة مع ذلك ليست مسؤولة عنها البتة . « الإدارة لا تتحمل أي مسؤولية ... » . فبالنسبة الى ديكرت على سبيل المثال بأينا الانيحائي كله من الله ، والسالب انما يلبس منا . لكن ديكرت

١ - التيوبسيات علم صفات الله وحدته . - ١٢٠٥٥ .

كان يؤمن على الأقل بالحربة الانسانية ، وكان لديه ميذاً من مبادئ التنفير . لكن المسألة أدق وأعمق بالنسبة الى الكتبة السوفييتيين الذين لا يؤمنون بحرية الارادة؛ ان الشخص لا يمكن أن يستخدم بعد اليوم ككوش فداء ، اذ المطلوب على العكس ، معرفة من الذي ستلقى عليه مسؤولية وجود الشخص. إن السالب ، في ، لا يمكن أن يولد من الضرورة التاريخية ولا من باعشاري نتاجاً وعملاً موضوعياً لهذه الضرورة . كما لا يمكنه أن يولد من الطبيعة التي يفرل عنها الحجز انها على وجه التحديد ضرورة متحركة تحددها قوانين عامة . كتب يقول : «إن الفرد العزول لم يعد ضرورياً كصدر التجربة ، بل يمكن أن تسببد تجربته الفردية الى حد ما بنتائج التجارب التي قام بها عدد معين من أسلافه . واذا كانت السمات الرقابية على سبيل المثال تبدو لدينا بديهية من تلقاء نفسها بالنسبة الى أي طفل في الثامنة من العمر وليست بحاجة الى البرهان عليها بالتجربة ، فهذا فقط باعتبارها نتيجة لثراث مورا ك¹¹ » .

وطالما إنه لا النظام الاجتماعي ولا النظام الطبيعي مسؤولان عن الفرد بصفته تاهياً ومتمياً للأخطاء ، فلا بد ان من نسبة الى ثلاثها . ان التناقية عيب في الصنعة ، فالب يتصر ، اذا ما نظرنا اليه بصفته نتاجاً طبيعياً ، بالقوانين والظروف ويشد مع التالي بما هو عام وشعولي ، لكنه يصبح ، من وجهة النظر الاجتماعية ، استثناء ، وحشاً . والمسؤول انما هي الصدفة ، اي ثلاثي سلسلتين مستقلتين . والصدفة تعني على وجه التحديد عدماً – مسا دامت كل سلسة من السلسلتين نتج من تلقاء نفسها الاجتماعية الخالصة وليست علة السالب إلا من وجهة نظر السلسة الأخرى وبالنسبة اليها – الجانب غير القابل للفهم فيما هو قابل للفهم – وما دامت كل ظاهرة في كل سلسة قابلة للتفسير بنهاها ، لكن لا ثلاثي السلسلتين ، باعتبار ان سبب هذا الثلاثي غير كامن من حيث تعريفه بالذات لا في هذه السلسة ولا في تلك ولا في حسد ثالث وجوده كقيل والقضاء على استقلال السلسلتين – العجز – ومسا دامت الصدق يلقي بعضها بعضاً حسب قانون

١ - الحجز ، ملاحظات حول شد تعريف « في » والكتيك الطبيعة » - ص ٢٦٠ .

الاعداد الكبيرة . ان الفرد ، الذي هو محض مثال عن القوانين الطبيعية ، ليس شيئاً في الطبيعة سوى ما هو عام . لكنه قد يكون الاستثناء في العالم الاجتماعي . ومنذ ذلك يتوجب على الذاتية باعتبارها عيباً في الصنعة ان تكون قد وجدت من لحظة لسلم النتائج . انها صفة موضوعية للوضع البيروقراطي . ولا بد بالفعل من تحديد موضعها وحصرها : الامم متصيرة الادارة اذا كان المرض الذاتي يستطيع في كل لحظة ان يتفرض على الموظفين السوفييتيين ؟ وقد يحدث أن يتم اكتشاف هذا المرض في زمن متأخر ، لكن هذا لأن المريض كان يخفيه . وبكلمة واحدة : ان الذاتية عيب في التكوين اسمه الآخر الحيانة . ان بعض الأشخاص ولدوت ذاتيين ، أي نساء ومذنبين ، وعالمهم ان اللصبة . وحتى هنا ، حتى الادانة ، حتى تنفيذ الاعدام ، يكون التهم متواطئاً مع قضائه : ثم يأتي فشله ليحرره من قلبه . ومن أحمق سجنه يتأمل بإطمئنان العالم الموضوعي الذي صلحت حاله . ويقع وعيه الحاصل موضوعاً جديداً بين سائر المواضيع : هو نفسه مع ذاتيته . وهذه الذاتية ، المرتدة الى بعض صفة خارجية ، تكف عن إقلاقه ويطلبته . انها في الخارج تكون شعرة ، كوزنه او كقامته . لقد كشفت عن أن تكون ذلك الصوت المحائل ، الجهول ، الذي كان يمس في افئه ويحاول ان يقنعه بأنه ذاته وبأنه - اي الصوت - لا ينتمي الى عالم الأشياء . والآن ها هي ذي اصابعه ، هامة ، تهددها الصعيرة التاريخية . ولا يعود هو سوى نظرة مجردة تتأمل جنة . بيتاً ، لقد كان خائناً ، وكان لا بد أن يكون كذلك . كان سير العالم نفسه يتطلب الحيانة . وكان لكونه المغيب بسببه لاقرارها ، وكان عتسماً على الطرف التاريخي ان يحبطها ويحضرها . ويتصر التهم : كان يريد النظام ، ولقد ذله . والحونة بالذات يحتلون مكانهم في النظام ويسامعون في قرطيد . وحيل النظام لم يضطرب قط . ووعي المذنب الففل يؤلف كلاً واحداً ووعي القاضي الففل . وهذا المذنب يستعيد برامته بادائه جوفته باسم الموضوعية التي خدمها دوماً . وبذلك يعود من جديد بيروقراطياً . ويسمى مع سائر البيروقراطيين الى استقلال واقعة خيائته الموضوعية الى أقصى حد . ولما كل واحد من

تكتيكي الدعاية ، فإنه يهيء مع زملائه الاعترافات ، المدروسة جداً ، التي سيبدى بها أُنساء المحاكمة . وإني لأدعش إذ يثار كل ذلك اللغط حول هذه الاعترافات وهذه النزعة الموضوعية . فمفردتنا بها ليست بنت اليوم . فنحن أكثر من قرن وضع هيجل نظريتها وكتب : « لقد طرح الوعي مبدأ التفرد . وفي تطوره الكامل طرح التفرد الذي هو الوعي واقعي فعلاً كلفي لذاته ، أي كوضعية قائمة ، أو هو النزاع من نفسه كبنوته لذاته وجعل منها كائناً . وفي هذا التطور جاءت أيضاً إلى كائن الوعي وحدته مع هذا الشمولي ، وهي وحدة ... تشكل في الوعي كوعي ماهيته^(١) .

ولتعد قراءة الصفحات الخمسة للوعي التعميس . إن النقاش حول لمبالتفرد والعمومية في الوعي المسيحي ينطبق أيضاً على صراع الموضوعي والذاتي في الوعي الموظف المجرى أو البلاغري . لكن تقدم المناهج الحديثة ولاسيما تكتيك الاعترافات - التفوق إلى حد بعيد على تكتيك الاعتراف الكاثوليكي - منح لهذا « الوعي التعميس » الجديد باستبعاد التعاسة .

وكل ما هنالك أن النظام الموضوعي النزعة يتطلب إخفاق المؤامرات . إنه يفسر المعلقين ويشغى هزينهم . وكل نجاح يسد إليه ضربة قاضية : والحاصل أن تينو قد نجح . فبقينا « من الممكن أن يسحق هداً ، ومن الممكن أن يتلاشى حكمه مع شوب حرب عالمية جديدة ، ومن الممكن أن تقوضه المصاعب الداخلية ، ومن الممكن أن تعيش بوضولانيا عيشة كفاف ضمن حدودها الإقليمية : إلا أنه بانتظار ذلك يفقد الشفاهة من نجاح إلى نجاح وسيطر سيطرة تامة على قوته . إن المذهب الموضوعي لا يملك أدوات فكرية لتفسير وتقييم هذا التاريخ الجزئي . والاتحاد السوفياتي تموزه الوسيلة لهاكمة ليشو . ذلك أنه لو كانت الذاتية عجزاً ، لكان لوجب على تينو أن يكون « راجك » ، ولما كانت « الصيرورة التاريخية » أتاحت له أي فرصة للنجاح . والحق أن الماركسية تقلب منا على الستالينية ، وتقلب الستالينية على نفسها .

١ - فينومينولوجيا الفكر - ترجمة هيرويلت - ص ١٩١ .

كتب انجيز : « ان مسألة ظهور فرد معين ، لا أي فرد آخر ، في عصر محدد ، في بلد محدد ، هي بالطبع مسألة متعلقة بالصدفة الحاصلة . لكننا إذا ما حددناه ، فسوف يكون دوماً بحاجة الى بديل ، وهذا البديل سيوجد بهذه الصورة او تلك . سيوجد حتماً مع مر الزمن . ولقد كانت صدفة ان يكون نابليون ، ذلك الكورسيكي ، الديكتاتور العسكري الذي كانت لاحتاجه الجمهورية الفرنسية التي أبتكتها حروبها . لكن لو لم يوجد نابليون هذا ، لفسام غيره . مهمته^{١١} . ضموا في هذه النص يقيناً مكان نابليون فتجد النتيجة تغيرها المطلق . كان نريف برغوسلافيا الاقتصادي ، والثمنير الفلاحي ، والاشقياء العالي ، وانخفاض مستوى الحياة ، ووقف التصنيع ، كان هذا كله يتطلب الطبيعة مع الاتحاد السوفياتي ، بل كان هذه القطيعة نفسها : وذلك من حيث المنى الذي تقول على أساسه ان البروليتاريا هي تناقض المجتمع البورجوازي . ولقد كان واجباً ان تتم هذه الطبيعة عن طريق وساطة زمرة من القادة الذين يتحددون على وجه التحديد بتصميمهم على إنجيز هذه القطيعة . ان يقيناً ، فيما إذا صدقنا إنجيز وستالين ، هو النتائج الموضوعي لوضع اليوغوسلافي . سيقال : كلا ، فهو يحكم بالأرهاب . أمن الممكن إذن ان يقوم على الارهاب ضد التاريخ ؟ وفي مثل هذه الحال ، من يثبت لي ان المكتسب السياسي ، لا يحكم ضد إرادة الشعوب السوفياتية ؟ لكنني لا اعتقد ان هذا التفسير حاسم : فمن أين له القوة التي تفرض حكم الارهاب ؟ أمن الجيش ، أمن الحزب ، أم من الاطارات ؟ أمهي معه إذن ؟ إذا صح هذا ، نكون قد تجاوزنا على نحو مستغرب موضوعه و العيب الذاتي في الصنعة . . ويحيطنا متاليفي آخر : كلا انه يعتمد على العناصر الرجعية من السكان : الفلاحين ، البورجوازية . لتبيل بذلك : إذن فهذه العناصر تلك ما فيه الكفاية من القوة والأهمية لفرض سياستها . وفي مثل هذه الحال كانت

١ - انجيز : رسالة الى ستاركبيرغ - ١٩٠٩ كانون الثاني ١٩١٤ . انظر أيضاً كورسي ، الصيغة الثانية لتاريخ ، العهد الثاني ، ص ١٠٠ . وكذلك بليخانوف : مشكلات الماركسية الأساسية ، ص ١٥٠ .

يتوجب على الاتحاد السوفياتي ان يجري تعديلات على سياسته ، وان يتوقع مراحل أكثر عدداً نحو التشريك ، وان يعتدل في مطالبه على الصعيد الاقتصادي . وبكلمة واحدة ، لقد أخطأ هؤلاء القادة : ان الذاتية ثمر محالينهم . هناك من يهيجني بأنه لا يمكن ان يكونوا على خطأ وبأن سياستهم تغير عن المطالب الموضوعية للوضع في الاتحاد السوفياتي . حسناً . إذن فتنظيرة الثورة في مثل هذه الحال متناقضة ، نظراً الى ان لينين كان يرى ان من ضرورات الاشتراكية ان تقوم الوحدة الاقتصادية للدول التي في طريقها الى التشريك على أساس ، معونة مترهنة وبلاسيطرة ، ونظراً الى ان الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية مرهنة من قبل وضعها على ان تقع مع يوغوسلافيا علاقات تجارية وأعمالية تسمى الى هذه الدولة . لا بد من الاختيار : إما ان التمس الماركسي التاريخ خاطئاً ، باعتبار أن الصيرورة التاويجية سترغم البلدان الاشتراكية على ان تطبق فيما بينها قانون السوق العالمية الرأسمالية - وإما ان التصور البيروقراطي للذاتية خطأ فادح . وبعبارة أخرى : إما ان نحتاج لنمو يتوسر بشروط يوغوسلافيا الموضوعية من خلال منظور مذهب موضوعي يقدم نفسه بنفسه ، وإما انه يتصور بأخطاء سياسية - ارتكبها الاتحاد السوفياتي او القادة اليوغوسلافيون - وعندما لا بد من الاعتراف بفعالية معينة ، بصلابة معينة لنا هو ذاتي . ان يوغوسلافيا المنشقة هذه كانت مستحيلة : مستحيلة لأن جهاز الاتحاد السوفياتي البيروقراطي لا يمكن ان يخطئه في تقييمه للمعطيات الموضوعية ، ولأن الأخطاء القربية صدف تراكم ، ومستحيلة أيضاً لأن الحياة حلم قديم عاجز يتغير ما إن يس الواقع . والحال ان هذه الاستعانة الموضوعية تعيش وتزدهر ، والصاعقة الديالكتيكية لم تحلها الى رساء ، وهي تتطور رغم أنف كل بدوية ، بل إن يوغوسلافيا سابقة مدينة كان واقعها مراقباً من قبل السوفياتيين ومدموغاً بدمفتهم . تقول إحدى الأغلبي : كان علماء يجرؤون تجارب على أرانب وكانت النتائج الموضوعية لهذه التجربة مقررة سلفاً بناء على محاليات عقلية متينة . وكانت الأرانب تعرف مقدماً ما سلتبه . والحال ان التجربة لم

تزيد النتائج المرتقبة . وفيهم الغفاء عندئذ ، أمام هذا الميت ، ان الأرناب التي أجروا عليها تجاربهم كانت أرناب مزيفة . حسناً : نحن نعلم ان نيتو أرناب مزيف ، وان يوغوسلافيا هي يوغوسلافيا مزيفة . لكن ما الأرناب المزيف ؟ على كل الأحوال ، ان هذا الحيوان الكذاب يستلزم ان يكون العالم قد أخطأ : فإما انه أرناب حقيقي يظنه العالم مزيفاً ، وأما انه مزيف فخطيئة العالم لا تقتصر إذ ظنه حقيقياً . ان رجال الكومنتفورم يقولون ان نيتو كان دوماً فاشياً . إذن فقد كان دوماً نيتو مزيفاً . لكن في مثل هذه المجال يصح أن نقول ان الاتحاد السوفياتي قد أخطأ : وهل هناك من طريقة أخرى للتفسير المديح الذي ضمرت أكاليه له ، ستالين رقم ٢ ، ؟ إذا كان الأرناب أرناباً مزيفاً ، يكون العالم عالماً مزيفاً . ويكفي ان يصرح العالم بأن العالم الحقيقي لا يمكن ان يخطئ . حتى يكون قد انساى في سلسلة من المحادثات تجمله بفقد رأسه : ان العالم الحقيقي لا يمكن أن يخطئ . إذن فأرصاده للأرناب صحيحة ، والمجال ان الأرناب المزعومة لا تزيددها ، إذن فهي أرناب مزيفة ظنها العالم حقيقية ، إذن فالعالم قد أخطأ ، إذن فهو عالم مزيف . لكن العالم المزيف لا يقول الحقيقة ، إذن فهو قد أخطأ عندما قال ان العالم الحقيقي معصوم عن الخطأ ، إذن فالعالم الحقيقي يمكن ان يخطئ . إذن فالعالم المزيف قد يكون عالماً حقيقياً خطأ ، إذن فالأرناب المزيف قد يكون أرناباً حقيقياً . ان الموضوعية ليست محض لتقييم الموقف الراهن ، بل هي أيضاً وعن الأخص لتحمين . وإذا لم يزيد تطور الموقف صحة التضمين ، فهذا لأن الموضوعية ذاتية دوماً من بعض نواحيها . ولما كانت للتضمين ، سواء أكانت صائبة أم خاطئة ، نتائج واقعية ، ولما كان الاتحاد السوفياتي ، سواء أخطئته بصدده السياسة الواجب اتباعها ازاء الديموقراطيات الشعبية أم يخطئته بصدده الطبيعة الحقيقية للحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، قد أزر على مجرى الأحداث ، يتبع عن هذا ان الواقع ليس متطابقاً مع الموضوعية الصرفة . وعن الواقعية الاشتراكية ان تأخذ بعين الاعتبار العوامل الذاتية . وعليها ان تحمل هذا التضاد الجديد : الأطروحة : الذاتي بنية ثابرة للموضوعية ؛

التقيض : الموضوعية منوطه بذاتية تقع الظاهرات وتتوقعها وتعددها تبعاً
لتشبيهاها .

وهذا المخرج البالغ الذي واجهه القادة السوفييتيون يتجلى في تناقضات
الصداقة الشيوعية : فهي لا تتوصل الى تعريف تينو . أخائن ذاتي ؟ أخائن
موضوعي ؟ اذا كان ذاتياً ذاتياً ، شأن رجبك ، فقد كان دوماً ذاتياً ،
والذاتية ، باعتبارها عيباً ، هي شر في أصل تكوين طبيعته . بيد ان هذا
يفترض اننا نعاترف بذهب حتمي نفسي - فيزيولوجي مستقل عن الديالكتيك
التاريخي . ونحن نقشت التاريخ على هذا الأساس ، بدلاً من ان نعتبر الواقعة
التاريخية الجزئية تعبيراً عن الكلية ، ونفهم الحدث على انه نتاج سلاسل سببية
مستقلة ومتلاقية : « لو كان الف كليبواترة أنصر ... » ، « ولو كان تينو أسهل
خبثاً ، أو لو كان مات بداء الحصاة أو برصاصة ثانية ، لكان تغير وجه العالم .
لكن الإن لم ينتهي التفسير الماركسي للتاريخ ؟ ان ماركس ، بلا أدنى ريب ،
يقبل بتأثير الصدفة : « ما كان أسهل ان يضع تاريخ العالم لو كانت كل صراع
يخوضه البشر يتم في شروط مناسبة بصورة لا يتطرق اليها الخطأ . ثم انسه
سيكون فاعلية مفرقة في الصوفية لو لم تكن « الصدفة » تلعب فيه أي دور .
إن هذه الحالات العارضة تعود الدخول بسهولة في المسير العامة لتتطور وتعاود
كثرتها حالات عارضة أخرى . لكن لسارع الأحداث أو تباطؤها منوطان الى
حد كبير بده صدق ، مشابهة يمثل من بينها أيضاً طبع الناس الذين يفتقون على
رأس الحركة »^{١١} . لكن السياق يدل على ان السألة هي مسألة تسارع أو تباطؤ
في صعوبة تطور جارية . وبشعب آخر ، ان الالتحاق اليوغوسلافي محفور في
الاشياء : لو لم يكن تينو موجوداً أو لو كان مختلفاً ، لحذمت القطيعة فيما بعد ،
لكن تينو لا يستطيع وحده ان يخلق شروط هذه القطيعة ولا ان يمنع وقوعها .
وعلى كل فإن الأيديولوجيين السائليين قد رفضوا وجهة نظر ماركس الممتدة
نسياً . إن المذهب الموضوعي مضطر اضطراراً الى استبعاد الصدفة . وهكذا

١ - رسالة الى كوجيفان ١٥ نيسان ١٩٥٦ .

امكان لتاريخ رسمي ، بوكروفسكي ، ان يكتب في مؤلفه « تاريخ روسيا » أن
 الاستعداد بالصدقة دليل على الفقر الفكري . . ويتبع آخر ، ان الاهتاد على
 الصدقة كبدأ للتفسير مشروع في حالة إخفاق المحاولة المدروسة . اما في حالة
 نجاحها ، فهو يصف الماركسية . لكن الشيوعي السائلي يقول : « لم ينته كل
 شيء بعد : انظروا يضع سنوات وستطيع يوفوسلافيا من لقاء نفسها بالطاغية ،
 ولن يمدوا عندها الانحراف التبشيري ان يكون أكثر من احدي تلك الصدق
 التي لا اهمية لها والتي تؤخر فقط سير التاريخ من غير ان تتوصل الى تغييره . .
 جانتز ، لكن السائليين ما عادوا يملكون غير ايمانهم لتأييد هذه التوقعات .
 وطالما انهم انظروا في تقييمهم للحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، بين 1945
 و 1968 ، فمن تبنت لهم انهم لا يحفظون اليوم في تقييمهم لتطور اليوغوسلافي ؟
 ولهذا يفضل معظم السائليين ان يعترفوا ، في احاديثهم الخاصة ، بأن تبتو
 قد لا يكون خائناً دائماً . وتبانه ليست هي التي موضع اتهام . لكنه موضوعياً
 يتنون لأن انشادانه يخدم الدول الغربية ويهدد بأنت يضعف الاتحاد السوفياتي .
 واني لأتهم بالفضل ان تكون هذه الحججة قيمة لو طبقت ، على سبيل المثال ، على
 بروجوازي صغير غير متلف سياسياً : فشل هذا الشخص يمكن ان تكون له ،
 بالفضل ، افكار كريمة ، حساسية يسارية ، مثل أعلى تقدمي ، لكنه يلمب
 مع ذلك في ظروف محددة ، وعلى جهل منه ، لعبة الرجعية . لكن الطفل نفسه
 يستطيع ان يلهم ، في الحالة المطروحة هنا ، نوع الاخطار التي تتعرض لها قضية
 الاشتراكية نتيجة السياسة التنبؤية . فكيف يمكنني ان اتقبل بأن متاشلين
 متعمرين وقادة ونظرين من امثال بالشي وديوفيتش يمكن ان يجعلوا هذه
 الاخطار ؟ وإذا كان اقل الشيوعيين الفرنسيين لغافسة يقين بوضوح ان تبتو ،
 يتخله عن عقيدة « الحصن السوفياتي » ، مرغم على الانتباه الى المسكر الاميركي ،
 فكيف لا يفهم تبتو ذلك ؟ إن هذا غير معقول ، وبخاصة اذا ما فكرنا بأنت
 القطيعة وقعت بعد شهر من النقاش وتبادل المذكرات ومحاولات التسوية ، وان
 جميع مظاهر الشككة قد درست من كلا الجانبين . كلا : لسيد كان تبتو مدركاً

بوضوح لأخطار مشروعها ، وهو لا يستطيع ان يجيها . وإذا كانت خائفاً موضوعياً ، فلا بد انه كان كذلك ذاتياً . أو بالعكس : اذا لم يكن خائفاً ذاتياً ، فلا يمكنه ان يكون خائفاً بصفة موضوعية صرف . وهذا يعني : انه لم يأخذ بعين الاعتبار الجميع المتألفة ، إما لأنه لم يعد يؤمن بتطرية الحصن السوفياتي ، وإما لأنه لا يعتقد بأن النهاية المحتمة للانشقاق اليوغوسلافي هي حجر الاشتراكية والانتهاج الى الكتلة الأميركية . وفي مثل هذه لا يدان ان تعترف بأن هناك امكانية لتعيين اثنين متباينين لوقف واحد : الذاتية ضد الذاتية .

لكن التنبؤية لن تكون لها سوى فائدة ثانوية لو كان الهدف منها إحراج نظري الحزب وسحقه ليس إلا . والحق ان ما يعطىها أهميتها الاستثنائية الفائقة هو انها مترافقة بالنسبة الى القادة اليوغوسلافيين بإعادة اكتشاف الذاتي ، وبالعمل للذات كان يتو في البداية ، شأن راجك ، موضوعي النزعة . ولا أهمية إن كانت طبعه وتجرئته كقنوم جملاً الطاعة صعبة عليه إلى أقصى حد : فالأمر الواقع هو انه اندمج بصفته قائداً أعلى ، بالنظام البيروقراطي الصارم والضخم الذي شاده الاتحاد السوفياتي . والأمر الواقع ، كالتوء بذلك يا عزيزي دالم ، هو انه ما من عنصر من العناصر التي يمكن للماركسي أن يجعل منها سبب البيروقراطية السوفياتية ... غائب عن يوغوسلافيا . ويتوء ، شأنه شأن راجك وكوستوف ، قد انشاق إلى التمرد نتيجة التأمل الموضوعي الحضر في الموقف . ان خطابه ، التي كان يمكن لكوستوف او راجك ان يلقياها مع بعض تعديلات طفيفة ، تشده الهجة على الارتباطات الموضوعية وعلى الواقعية الاقتصادية : انه يلمح على الحاجة الموضوعية لتحرير الاقتصاد الوطني من سيطرة الرأسمال الأجنبي ، وإعادة بناء صناعة هزتها الحرب وتعزيز التنضيم لتوفير قاعدة مادية وقنية ليستأه الاشتراكية . ولقد رقت القطيعة جزئياً لأن عبيدة الحصن السوفياتي ، الموضوعية ولدت لدى السوفياتيين مشروع تحويل يوغوسلافيا إلى امراء للاتحاد السوفياتي . اذن فالسألة في البداية كانت مسألة تصورين للموضوعية متعاكسين . وآلية القطيعة شبيهة بالآلية التي وصلناها آتلاً بصدده راجك او كوستوف .

والهدف منها الضغط على الاتحاد السوفياتي ليعدل سياسته . وإذا كان صحيحاً أن مقاومة ليشو سابقة لعام ١٩٤٨ ، فلا بد من الاعتراف بأن الاتحاد السوفياتي هو الذي يادر إلى جعل المزاج علنياً والقطيعة محتمة .

وحتى نفهم هذه القطيعة ونتائجها ، فمن المهم ان ننظر إلى الثبوتية بالطرف الآخر من الشطار ، أي من وجهة نظر السياسة السوفياتية . إن برغوسلافيا هي البلد الوحيد في الكتلة السوفياتية الذي استلم فيه الحزب الشيوعي السلطة على الفور ويفرده ، البلد الوحيد الذي اتجه فيه التفكير على الفور نحو اتخاذ تدابير تشريك قدرجية لكن حازمة . إذن فهذا الحزب الشيوعي اليوغوسلافي هو بالضرورة حزب أشداء . وهو ليس بحاجة البتة إلى التأهل وإلى اخذ المقاومات البورجوازية بعين الاعتبار . انه يحتم الخطي ، وينجح ، ويفضح التهازلية الاحزاب الشيوعية في الديمقراطيات الغربية . وحسين سيرفوس مولوتوف وفوستيلسكي سياسة الشدة في الاتحاد السوفياتي ، فإننا نحول ليشو ميتوجهات بالطبع ، وانما في شخصه سيجدان الحليف الأفضل . والحال ان سياسة مولوتوف - تيتو هذه تمثل الحد الأقصى من المذهب الموضوعي : ان تحليلاً اقتصادياً لوضع الولايات المتحدة الاميركية يسمح باليقين الجازم بأن الانتاج الاميركي سيشهد أزمة واسعة النطاق . ومن هنا كان الاستنتاج ، عن طريق التسلسل المنطقي الصارم ، بأن الحرب محتمة . وبدءاً من هذه المعطيات الموضوعية سيتم تحديد سياسة متصلة ، بسبل جذرية ، يمكننا ان نطلق عليها اسم استراتيجية . وإذا ما أضفنا إلى ذلك ايدولوجية جذرية النزعة ، لا بد ان توافق بالضرورة الجماعاً سريعاً نحو التشريك ، وسياسة مصلية على توقعات « علمية » ، تبين لنا ان الحزب الشيوعي اليوغوسلافي كان لا بد ان يصبح بطل المذهب الموضوعي . والحال ان القادة السوفياتيين لاحظوا فشل هذه السياسة ، الشيء الذي يعني في العالم الموضوعي النزعة إجراء تعديل في الجهاز . وبعد تعبئة مولوتوف شعر الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي كانت أسسه « في الارتفاع » ، شعر على حين غرة بتحول جذري يأتيه من الخارج من غير ان يتكون قد عمل

شيئاً في موقفه . وهكذا أصبحت نزعته الجذرية طفولة يسارية ، وأصبحت
 المقامات التي كان يعارضها مطالب الاتحاد السوفياتي الاقتصادية لمرء ان
 هذه المطالب تهدد بمرقة للتشريك ، أصبحت علامة على انحراف قومي الفزعة .
 وأصبح الحزب الشيوعي اليوغوسلافي مرطقياً ، وولدت التنبوية . ولقد كان
 يكتفي بالطبع ، لتجنب ذلك ، الإقرار بالخطأ ، وتبني تبدل الجاه السياسة
 السوفياتية ، والاتزام بسرعة الى قطيع الروح الشيوعية . لكن هنا تدخل
 استعانة موضوعية اخرى : ان حركة التشريك متقدمة أكثر مما ينبغي ،
 والأيديولوجية الكفصاحية واسعة الجذور أكثر مما ينبغي في الجماهير حتى يمكن
 تبديل الاتجاه . وهكذا فإن عاملين موضوعيين اثنين سبباً حصر السزولين
 اليوغوسلافيين في موقف ذلي : إن عليهم ان يتقاروا : إما ان يصبحوا خوثة
 تحت اسم « روتسكيين قوميين » وإما ان يتحملوا بمفردهم أخطار الموقف .
 لكن ما كانوا يفررون المسود حتى لكشفت الذاتية لهم بكل رحمتها بالرغم
 منهم . فبينما ان الضرورة الشطية البسيطة التي تقضي بأن يردوا همة التحريرية
 الى الاتحاد السوفياتي لتطلب منهم شجاعة لا يمكن إلا ان لتوافق بقلق معين :
 بلد زراعي صغير ، مختلف اقتصادياً ، يحرث على توجيه همة الانحراف إلى أمسة
 تعدادها ١٥٠ مليون نسمة إلى دولة صناعية كبيرة مستمرة في التشريك منذ
 ثلاثين عاماً ! لكن الذهول ولد على الأغص لعام نتائج سياستهم . لقد كانوا
 ليبيين وستالينيين ، وهم ما يزالون كذلك ، ومبادئه الستالينية ما تزال تعمر
 عقولهم كما ان قائل ستالين ما تزال تعمر حدائقهم . كانوا يريدون ان يفضوا
 حتى آخر الشوط ويريدون ان تندلع الثورة في كل مكان ، ويشبهون قادة الحزب
 الشيوعي الفرنسي بالانهائية . والحال ها هم مضطرون ، لأنهم طالبوا بتضال
 أحزم وأحد ضد الرأسمالية ، الى الالتفات نحو العرب الرأسمالي ليطلبوا منه
 المساعدة الاقتصادية التي ستسمح لهم بحاربه . بل أكثر من ذلك ، وكما يقول
 احد مراقبي المشكلة اليوغوسلافية ، وجدت كتائب الصدام الشيوعية هذه
 نفسها وقد تحولت موضوعياً الى « قوة ثالثة » : « ان وجود القوة العسكرية

الاميركية هو الذي يضمن استئصال يوغوسلافيا القومي ، لكن ... الوزن السياسي للاتحاد السوفياتي هو الذي يحول بين النظام السياسي اليوغوسلافى وبين ان يطيح به زحف البورجوازية العالمي¹¹¹ . وهؤلاء التصليون لا يصحون من دعوتهم : فلأنهم اراموا سياسة بلا تسويات ، وجسوا انفسهم مرغين على المرافقة ، على اللعب على الحبلين ، على الموازنة بين التنازلات . ولأنهم وقفوا بلا ردد الى جانب احد المعسكرين المتعادين ، وجدوا انفسهم بقية في No mans land¹¹² ، ووجودهم يمسثه الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية معا . ولأنهم اعلتوا تأييدهم بلا تحفظ وبلا مهمة استراتيجية لقيام الثورة في كل مكان ، وجدوا البورجوازية تقسم لهم والثورين يدينونهم . وهذه التناقضات تخلق موقفاً مأساوياً وهزلياً لا يمكنه ان يفهم نفسه ويتجاوز ذاته إلا بالفساط الذاتية .

ويبدأ من هنا بأخذ ليشو الذاتية على عاتقه على وجه التحديد لأنه محدد ولأنه لا ينهار تحت لوم الكومنتورم . ولقد رأينا انه لا يستطيع ان يدافع عن سياسته الا اذا اتهم القادة السوفياتيين بالانقسامية . فهو يبدأ اذن بإلقاء حمل الذاتية كله على الخصم . وهذه الذاتية ما تزال بعد محض «منبع للأخطاء» ما تزال صالحة . لكن ليشو بإخراجه على الأخطاء السوفياتية يجد نفسه مرغماً على القول بأحتمال ان يخطئه هو نفسه . وهكذا تنتقل دفعة واحدة الى ميدان جديد تكون فيه تسيبات الموقسفات السياسي او الاقتصادي محتمة فحسب . تنتقل من المنعيب الموضوعي الدورماتي الى منعيب قائم على حساب الاحتمالات . لكن ليس هذا كل شيء ، إن أمة مؤلفة من ١٥٠ مليون نسمة ، حين تختار سياستها ، تستطيع أن تؤكد على نحو رافع بأن هذه السياسة هي وحدها الصحيحة . وقوتها تسمح لها بالاعتقاد بأنها ستفرضها ، ولأسيا على جيرانها الضعفاء . لكن حكام بلد صغير غير صناعي مرغمون في كل لحظة على أن يأخذوا بعين الاعتبار القوى الخارجية

١ - كورد برديه : الانتفاخ اليوغوسلافى - ص ١١٠ .

٢ - في الارض المزروعة السلاح التي الفصل بين حدود برلين .

التي قد تحبط جهودهم. ان مصيرهم ليس بأيديهم إلا جزئياً . وعليهم ان يراوغوا ويماطلوا ويمخروا بالسيفنة عبر الهالك ويستغلوا التزايدات التي تشل الدول الكبرى : بل إن أهم سياسة على الاطلاق قد تكون عاجزة عن تلافى كارثة ستولد في مناطق أخرى من الكرة الأرضية وستنتج بسرعة ان البسيطة كلها . وهكذا يظهر شكل جديد من الذاتية ، ويجازف المسؤل بأخطار ، وبحسب حسابها وبأخذها على عاتقه . وانك لتبدع إذ تقول : « إن يوغوسلافيا تواجه تهديداً مزدوجاً : فكما انها قد تسلم أمام الولايات المتحدة الاميركية وتضغ الى الكتلة الامبريالية ، كذلك فإنها قد تستهلك نفسها الثوري وتحط الى دولة برلمانية » . أخطار في الداخل ، وأخطار في الخارج . وهي أخطار ظاهرة البيان بصورة يمكننا معها بسهولة أن نعتقد بأن تينو يعرفها جميعاً . ومع ذلك لم يرضخ ، وهو مستمر في النضال . إننا نطاقة القيادة وورعهم وإخلاصهم وبراغماتهم يمكن ان توخر الى حد ما العباد ، وتجنب الأسوأ ، وتبتكر مخرجاً لتوقف يدومينوساً ، ومن يدري ؟ ربما حطقت التصر . ان مشروع تينو عبث لا يمكن حتى تصوره لولا ثقة مطلقة في قدرات الانسان . يقول يوفيتش : « لا بد من الاستمرار برباطة جأش وبالرغم من جميع المضايقات . لكن حتى في مثل هذه الحال يظل الهلاك والانهيار ممكنين . علينا ان نفهم ان التيتوية ترض بصبرها باستمرار الى امكانيتين : أولاً الانتصار والثانيا الانسحاق الجذري والموت . لكن لما كان موقف اليوغوسلافيين يتسبب المذهب الموضوعي المطلق ، لذلك ما عادوا يحدون النجاح بالحقيقة ، والقشل بالخطأ . فمن الممكن ان يقهر الانسان ويكون على حق . وفي مثل هذه الحال تم استعادة القشل نفسه : إن بدأ صغيراً يفتني لأنه داخل بلا تحاذل وبلا تسويات يصبح قدرة تحنذي . ولقد قال تينو ذلك بصراحة . ولقد كان يستطيع ، بهذه المناسبة ، ان يستشهد بماركس ، ما دامت كومونة ١٩٥٦ ، الثورة ، ظلت في نظر الأخير انتصاراً للبروليتاريا ومشالاً . إمكانيات ، احتمالات ، اختيارات ، مجازف ، إرادة ، لقب القشل بالذات : اننا نجد هنا جميع معالم المذهب انساني مأساري

كان لعدة طوية من الزمن مذهب الطبقة العاملة .

لكن الذابة لا تؤخذ بعين الاعتبار . فلو أعاد القادة اكتشاف ذاتيتهم لأعادوا في الوقت نفسه اكتشاف ذاتية الجماهير التي يقومون بها . إن المذهب الموضوعي يفترض أن الجماهير تستير . وبين الزعيم يسمح له بمعاملتها كوضوع . لكن إذا كان من الممكن أن يخطئه الزعيم ، وإذا كان النجاح ممكناً فحسب ، وإذا كان يمكن لعمه أن يفضل نتيجة لحاذل وخور ، وإذا كان على العكس بحاجة إلى أن يبذل كل طاقاته حتى ينجح فيه ، فآنذاك تصبح الجماهير من جديد العامل الرئيسي في التضال الاجتماعي . وفرض نجاح أهداف المشروع تتعلق بوقف الجماهير : فهل تميز هذه الجماهير تلك الأهداف بوضوح أم لا ، وهل تحض تأييداً لهذه الأهداف أم لا ، وهل تتطلع بكل ما لديها من طاقة إلى تحقيقها أم هي تكتفي بأن تنظر التوجيه سلباً . إذا كان مستقبل يوغوسلافيا محدداً من الآن ، فالسياسة إذن هي من اختصاص الفنيين . وإذا لم يكن مرسومياً سلفاً ، فهو يتعلق إذن بالجماهير أولاً . ولهذا تشبه خطابات الزعماء اليوغوسلافيين أحياناً وعلى نحو غريب مقالات روزا لوكسمبرغ . كتب كارل في : ونحن لا نعتقد أننا نستطيع أن نعمل من غير أن نقع في أخطاء ، لكننا نرى أن الأخطاء التي ترتكب عندما تأتي البداية من القاعدة بحرية لتفرض نفسها هي أقل خطراً من أخطاء أولئك الليبراليين الذين وضعوا في رؤوسهم فكرة أنهم معصومون عن الخطأ، وأنه ينبغي ألا يحدث أي شيء كان قبل أن يسطروهم بركنهم . ولقد كتبت روزا لوكسمبرغ منتقدة لينين : « إن الأخطاء التي ترتكبها حركة عاملة ثورية حقاً هي ، من وجهة النظر التاريخية ، أخطأ وأثمن بساً لا يقاس من معصومية غير لجنة مركزية في العالم عن الخطأ¹¹ » .

وانطلاقاً من هنا يمكننا أن نقيم كيف أن دكتاتورية البروليتاريا الضرورية يمكن أن تتلق مع ممارسة ديوقراطية اشتراكية . يقول تيتو : « لا مزاج مسع الثورة ، وهذا يعني أن مجتمعاً في سبيله إلى الاشتراكية عليه أن يشل العناصر

١ - الماركسية ضد الدكتاتورية - ص ٣٥ .

الرجعية التي ما زال فيه وأن يجعل يشلوب هذه العناصر. لكن لم نلنا يمكن هذه العناصر من هدف سوى معارضة التباير الاشتراكية، فإن هذه الدكتاتورية ليست سوى لحظة سالية : انها قتل نقي النقي . والمظهر الأيماني والبناء للتشريك يظل حراً ، أي غير معرقل من الخارج . وإذا ما مورست الدكتاتورية ضد ، فإن النقي نفسه يصبح مجرداً ورجعياً . وكما سبق لروزا لوكسمبرغ ان لاحظت ، فإن دور الأجهزة القيادية في الحزب الاشتراكي يأخذ طابعاً محافظاً الى حد كبير : ففي كل مرة تكسب فيها الحركة العاملة أرضاً جديدة ، تحرثها هذه الأجهزة ، كما تدل التجربة ، من حدودها القصوى لكنها تحوفا في الوقت نفسه ان حصن ضد التقدم اللائق الأوسع نطاقاً¹¹ ، وبكلمة واحدة : إن جهاز الدولة يلعب دور العنسل الفعلي ، فيحطل ويوضح ، ويسلط الضوء ، لكنه يحدد ويحد أيضاً . وواجب على حركة الجماعة العميلة ان تتدخل باستمرار ضد هذا التحديد ، وان تدبر الأطر ، وان تطالب في كل مرة لأجهزتها العميلة بقدر أكبر من السلطات التي ألقتها الدولة بها . وإذا هذه الصورة فقط يمكن ان يتحقق تدريجياً للشيء الدولة الذي كان لينت نفسه يطالب به : لا عن طريق تكيف انسانية بالغة الوداعة و ، بالغة التهذيب ، تطبع من لقاء نفسها بدون وجود استاذ ، شأن الفتيات النموذجيات الصغيرات اللواتي يحافظن على هدوءهن المعقل أثناء غياب مربياتهن ، بل على العكس عن طريق حث الجماهير على رفض الطاعة ، أي عن طريق تنمية المبادرة في كل مكان . وطالما ان الدولة تعتبر نفسها دكتاتوراً ، فإن تخرج من المرحلة اللاهوتية .

سيفال في : لكن ألا نعترف بأن المصلحة الياطرة للجماهير يمكن ان تتعارض مع ضرورات التشريك وبأن البداية الحكومية مهددة بأن تصنيف الفكرة إضافة الى المصلحة بدلاً من ان تشتتها منها ؟ هذا صحيح : لكن فقط من خلال منظور ماركسي معين يعتبر الفكرة محض العكاس للنشاط البشري لا تجاوزاً هذا النشاط وللحاجات . اما اذا كان الكائن الانساني متدفعا

١ - التاركسية ضد الدكتاتورية - ص ٢١ .

دوراً على وضعه الذاتي ، وأما إذا كانت الحاجة تتجاوز نفسها باستمرار نحو
 المطالبة وتتجاوز المطالبة نفسها نحو متطلبات عامسة وقيم تشمل على تصور
 معين للإنسان والعنكب الإنساني ، فعندها لن تصاف الفكرة إضافة إلى الصلحة
 بسبل تولد الفكرة من الصلحة . يقول تيتو : « علينا أن نشرح » أن نشرح
 باستمرار ، . وهذا صحيح بشرط ألا يُلصق التصريح بالوجدانات كدائوق ، بل
 أن تحت هذه الوجدانات على اكتشافه بنفسها ، وبشرط ألا تكون الصلحة التي
 تم توضيحها وأصبحت راعية لمستلزماتنا وسيلة في أيدي القادة لقرض الاستقرار ،
 بل أن تكون دافعاً لمتطلبات جديدة : بشرط أن تستبدل عقيدة المعصومية
 بالديمقراطية بنقد ذاتي دائم يطبقه القادة على انقسام . أليس هو ماركس الذي
 وجه التلويح التالي إلى كومونة ١٨٧١ : « لم تدع الكومونة لنفسها المعصومية ،
 تلك الصفة اللازمة لجميع الحكومات التي من الطراز القديم ، وكانت تشهد
 علانية أعمالها وأقرانها ، وتدرّب الجمهور على اكتشاف نقاط ضعفها^{١٥} . والحال
 أن قرعة التيتوية ، التي رأيت النور بسبب خطأ ، بسبب نزاع بين معصوميتين
 متناقضتين ، هي على وجه التحديد كونها لا تستطيع أن تدعي المعصومية .
 والرسالة الوحيدة التي تستطيع بها أن تدافع عن نفسها ضد الاتحاد السوفييتي في
 نظر الجماهير اليوغوسلافية ، ليست هي معارضة دوحمانية يدوحمانية أخرى -
 ذلك أنه إذا ما وجدت الدوحمانية فكيف السبيل إلى البرهنة على أن المعتقد
 الصحيح ليس هو معتقد الطرف الآخر ؟ - بل أن تطالب ضد كل دوحمانية
 يحق القائد في الخطأ وأن تصور البناء الاشتراكي على أنه عازقة . لكن هذا
 مستحيل إذا لم يُسلم بالحقوق نفسها لجميع أعضاء الحزب ، وإذا لم يُسمح لهم
 بتركيب المظاهرات نفسها . والشيء الأهم من ذلك هو أن هذا التغيير السياسي في
 الحزب الشيوعي اليوغوسلافي سيعبر عن انقلاب في تصوره عن الإنسان : إذ لو
 كانت البنى الفوقية نتائج قانونية مطلقة ، « الموضوعية المادية » ، ولو كانت هذه
 الموضوعية مجرد نتيجة من الانعكاسات المشروطة ، إذن لما كان لأي إنسان أي

١ - الحرب الأهلية في فرنسا .

حق من الحقوق ، القادة شأن الآخرين ، والكائنات التنبؤية هي المحطة .
سيفال : حسناً هل تؤيد الوقائع النظرية ؟ هل هناك ديوقراطية
اشتراكية في يوغوسلافيا ؟ انك لشديد التحفظ في هذا الموضوع يا عزيزي دالمبا .
اما بورديه فهو يحزم بلا تردد : « لا وجود لديوقراطية في يوغوسلافيا » . يسل
هناك نظام شعبي يبدل جهده ليني بأكبر سرعة ممكنة بدلاً حديثاً في شروط
اتضيات عسكري^(١١) . لكن بورديه يلاحظ هو نفسه ان « الاكراه قد
ترامت قبضته على الارجح وبصورة تدريجية منذ القطيعة مع موسكو » ، وهو
يعطي هذا القرائي تفسيراً قاطعاً مبيّنة بقوله : « ان الحزب ... مرغم على
ان يتم احياناً أكبر برقيات السكان ... » . ويضيف ان « الشفوية يشعرون
فعلاً بالمكانة التأثير على حياتهم الخاصة » . لكن من المفهوم ان يكون تحرر
التطبيقات الكلاسيكية وبخاصة القلاحيه ابطاً وأثني في بلد متخلف عنه في بلد
كألمانيا على سبيل المثال . ولا سيما ما تزال في البداية : إن اليوغوسلافيين ما
يزالون يكتشفون وضعهم الغريب ، وقد صعدوا التوم من الحكم الستاليني ، وهم
يطرحون على انفسهم اسئلتهم الأولى بنوع من الدوار . لقد قال احدهم لبورديه ،
على سبيل المثال : « افن ... ها كانت موسكو أيضاً ؟ ... » . ان الطريق ما
زال غائفا امامهم باعتبار انهم يستكفون عما كنه واجك في الوقت نفسه الذي
يجهلون فيه من انفسهم صدى الاتهامات التي توجهها موسكو ضد كوستوف .
هذا لأنه ما تزال تموزم الانوات النظرية التي تسمح لمس الحكم على الموقف
الراهن . يقول بورديه : « انهم يفتون عند غيبة تطور فكري طويل » . يقدمون
فيه ببطء ، نظراً إلى انهم مكيفون بالفيوه الفكرية الشيوعية الاورثوكسية
الضيقة . وانت يا دالمبا تروي لنا ان تيتو وابدولوجي الحزب الشيوعي
اليوغوسلافي الذين ما عادوا يرددون في ان يدينوا بعنف « الانحراف الستاليني »
يفتون في أكبر الحرج عندما يطلب منهم ان يفسروه . واذا كانوا يتهربون من
السؤال ، فهذا لأنهم ليسوا على استعداد للإجابة : إن النظرية تموزم وهم

يخشون ان يساقوا الى ادانة لينين والمعتد الماركسي نفسه فيما وراء لينين .
وبكلمة واحدة : إن ضغط الظروف الموضوعية وتناقضات المذهب الموضوعي
نفسه قادتهم رغمًا عنهم الى اعادة تقييم الذاتية . لكن اعادة التقييم هذه تتطلب
بدرورها نتيجةً نظرياً . لا بد من اعادة التفكير بالماركسية ، لا بسد من اعادة
التفكير بالإنسان .

واستطيع الآن أن أخلص الى نتيجة : ان انتصار نيتو النضفي قد علمنا من
تلقاء نفسه الأهمية التي يجب ان يأخذها في نظرنا نحن الغربيين . ولا مجال للتفكير
بإنشاء امية جديدة أو بتحويل بلغراد الى « مكة » عمال « جديدة » . وكل ما
هنالك ان وجوده يوغوسلافيا اشتراكية . ومنسقة عن الكرملين لا بد أن يؤثر من
الداخل على وعي مناضلينا الشيوعيين إذ يجعلهم يعيدون اكتشاف ذاتيتهم . ولا
ينبغي ان نعتقد بأنهم سيركون الحزب الشيوعي الستاليني ، ولا بأنه من الممكن
أن يقع انشقاق في فرنسا أو في إيطاليا بصدده القضية اليوغوسلافية ، بل لا ينبغي
حتى أن نقضى ذلك . كما انني لا أقول ان الشائعين يمكن أن يظهروا ذات يوم
تعاظفًا أو تنهماً تجاه الحركة التيتوية ، انا أقول فقط انه اذا ما قبض مجتمع
اشتراكي أن يتوطد ويدوم ضد القادة السوفييتيين والكونغرفوم ، فلا مفر من ان
يشير السبيل امام الشيوعيين الغربيين بصدده طبيعة نشاطهم . وكما قلت يا دالسا ،
« اذا لم يكن هناك شيء آخر » ، فإنا لا نستطيع حتى ان نقول إن العامل
يدخل الى الحزب الشيوعي . بل ينبغي في مثل هذه الحال أن نقول انه يراد فيه
لأنه لا فرق بين أن يكون الانسان يوليبارياً وبين ان يكون ستالينياً . لكن
اذا كان هناك شيء آخر ، ولو ببعض مهب بعيد ، حركة ملتبسة يعود منشؤها
الى انشقاق مشوش بما فيه الكفاية ، لكنها صاعدة مستمرة ، لا تقارص أصنام
التهديدات السوفييتية ولا بغربا المذهب الأمريكي ، اذن فإن العامل يشعر من
تلقاء نفسه بأن النباه الى الحزب ليس نتيجة لحركة آلية صرف ، او بأن هذا
الانتهاء ، اذا كان قد تم آلياً ، يصحح الآن اختياراً . وليس معنى هذا انه يتكره ،
بل هو على العكس يبدده ، لكنه يلهم انه يجازف ، انه قد يكون غخطاً وأنه

لا بد من المراجعة ، ووقاؤه بالذات يصبح انسانياً . ان هذا الانتهاء يكلف عن ان يكون قائماً على استجابة مفادرة الحزب الشيوعي ليقوم بالتساوي على ارادة البقاء فيه ... ويعداً من هنا يمكن ان تقوم علاقات اخرى بين الجماهير والمسؤولين ، بين المناضلين والزعماء . ويمكن الوعي الطبقي ان يعود من جديد وعباً . وهذه هي الفائدة التي يمثلها كتاب كنتابك . انني أعرف انسه ان يوزع على الجمهور الكبير ، وان صحف الحزب ستفكري عليه او ستلزم حوله الصمت . لكنه هنا انه موجود ، انه شهادة ، ويستطيع اني كان ان يرجع اليه ، ان يقيمه ، ان يناقشه . ويمكن ان يعمل بعض أوساط المناضلين المثقفين تطرح السؤال ، حتى يكون قد أدى دوره . ذلك ان هناك سؤالاً . وهو سؤالنا بقدر ما انه سؤال اليوغوسلافيين : ما دام الثاني يتكشف من جديد في العظمة بالذات التي يوشك فيها العمام الانساني على العرق في الموضوعية المطلقة ، فكيف ينبغي ان نفهم التاريخ والعمل السياسي لتنفذ كلاً من الحركة الثورية والتدانية في آن واحد معاً ؟ إنه ما من انسان يستطيع ان يتوقع ما ستؤول اليه التبتوية . وما من انسان يستطيع اليوم ان يفهم دلالتها الحقيقية . ولهذا لا بد من المراجعة عليها . وحتى يوضع الرهان ، وتبدأ كرة الروليت بالدوران ، لا يعود بإمكان أحد أن يغير لعبه ، ويختفي الانسان . لكن العظمة الانسانية لتسرع من الشاربع انما تقاس بقدره الانسان على ان يراهن حتى آخر لحظة على نجاحه او فشله .

(مقدمة « الشيوعية اليوغوسلافية » لوي دالما - ١٩٥٠) .

هل نحن في ديموقراطية ؟

كان من المبعث ان نموت من أجل الديمقراطية^(١) ، وسيكون من المنطقي ان نموت من أجل الديمقراطية : هذا على الأقل ما يكررونه على مسامعنا يومياً . إنني لا أفتش المبدأ : فالمرء إذا ما وهب حياته من أجل شيء ما ، فينتهي به الأمر الى ان يبها من أجل لا شيء . لكن يودي ، قبل أن أموت من أجل الديمقراطية ، ان أتأكد من انني أعيش فيها . يبدو ان الديمقراطية هي نظام بلادي : يودي ذلك، لكني حين أبحث عن أدلة، أتبين انها تستند الى شهادة الغير . لقد قرأت فوق طوايح برديسة وعلى واجهات دور المحافظة ان الدولة الفرنسية تسمى جمهورية . واستطيع ان أقرأ الدستور والقوانين التنظيمية والقراريات . لكن المؤرخين يعرفون منذ زمن طويل ان دراسة القوانين المكتوبة لا تعطي فكرة دقيقة عن عمل المؤسسات الواقعي . لقد لفتت في حديثي نظرة متفائلة الى التاريخ تقوم على أسطورة تقدم . وإذا ما صدقتا هذا التصور الرسمى للقاية ، فإن آلام أسلافنا وانعاهم ، من كروماتيون^(٢) الى قلمي^(٣) ، قد قادت الجنس البشري نحو العظيمة المدمرة التي تسلمت فيها اليورجوازية أخيراً السلطة . انني لم أتحور نهائياً من هذا التفاضل ، ولما كلفوا قد أقنعتني بأن كل مرحلة

-
- ١ - مدينة وازية كان احتلال اللاتين فسا عام ١٩٥٩ ، السبب المباشر لانفلاق الحرب العالمية الثانية . « ٢٠٥ »
 - ٢ - بلدة ما قبل تاريخية تقع في فرنسا . « ٢٠٥ »
 - ٣ - قرية فرنسية انتصر فيها الفرنسيون على البروسين عام ١٨٧٤ . « ٢٠٥ »

تاريخية تحقق تقدماً على المرحلة السابقة وتطوي على بذور التقدم اللاحق ، فإنني ما أزال أميل الى الاعتقاد بأن الجمهورية الرابعة أكثر ديمقراطية من الثالثة ، وإن هذه الأخيرة أكثر ديمقراطية من الثانية . ومن سوء حظنا أن هذا المقترح ما عاد يفتح أي باب : فقد كان التقدم ، أثناء صعود البورجوازية ، هو التفسير الشمولي . لكن جميع الأفعال قد جرى تبديلها اليوم بعد أن أخذت البورجوازية بالأمل ، وفقدت بلغة العقول حداً باتت معه البورجوازية تسمى **جمعية الحكومات القاشية** التي خرجت بالأساس من حظيتها ، وتطلق صفة التقدمية على الأحزاب الشعبية التي تسبق أسطورة التطور المتفائلة بالأيمن التراجيدي والمأساوي والثورات . لكنني إذا ما عدت أؤمن بالتقدم ، فمن يثبت لي عندما أن الديمقراطية ليست في الخطأ ؟ وهل أعرف كيف يجري تطبيقها في الجزائر ، في غابو¹ ، بل حتى في كروزو² ؟ باختصار اني اعرف نظام فرنسا الذي أعيش فيه عن طريق القال والتقبل شأن معرفتي بتضاريس الغابون التي لم تطأها قدمي قط .

بيد أن الكثير من الناس يزعمون ان لهم معرفة حديثة مستمرة وعملية بجزائرتنا . إن الديمقراطية بالنسبة اليهم بديهية . وهم يعونها بوعياً من خلال ممارسة وظائفهم بالذات ، حين يفرضون الاحترام لحقوقهم بل حتى عندما يؤذون واجباتهم . فأنتم تستطيعون ان تذهبوا وتجيئوا ، ان تفكروا وتقولوا ما تفكرون به ، وأنتم تلتخبون ، تظلمون على الأحداث عن طريق صحافة مستقلة ، ولكم حصانكم ضد تصف الدولة والأفراد : وما الديمقراطية إلا هذا .

لكن الأمور ليست واضحة الى هذا الحد بالنسبة إلي . انني مدرك ، بالفعل ، اننا نتمتعون ببعض الحقوق ومطالبون ببعض الواجبات ، شأننا شأن أي عضو في أي مجتمع قومي . لكن من اللحظة التي أرغب فيها أن أتأكد بأن لي حقاً حقوقاً معترفاً بها ، يفزع كل شيء ويلتوش . فمن المؤكد ان لي حق

١ - إحدى مدن أفريقيا الغربية الفرنسية .

٢ - بلدة فرنسية صغيرة مشهورة بصناعتها النجوية .

الانتخاب . لكن هل أنا واتي من ان صوتي لن يضيع ؟ لنفترض ان الامة التي
أنتهي اليها مرعشة على الخاق سياستها الخارجية بسياسة بلد اقوى « يحميها » :
فأي أهمية في مثل هذه الحال إن كان صوتي يساهم في تشكيل هذا الحزب او ذلك
من تسلّم « السلطة » ؟ أي أهمية لذلك ما دامت السلطة نفسها لم تعد موجودة ؟
وما دامت جميع الحكومات ستنتهج نفس السياسة ؟ فعلى أعرف أن لي فعلاً
حق الانتخاب ؟ فمن الضروري ان أحده أولاً اذا كانت فرنسا قد احتفظت
بسيادتها أم أضاعها . وهذا مثال آخر : التي افتتح صحيفة من الصحف « كل
صباح » لأبحث فيها عن معلومات حقيقية عما جرى البارحة . وأنا التي بالصحافة
لأنني اعرف أنها « حرة » . وهذا يعني انها غير خاضعة للرقابة وان حكومة
بلادي لا تفك الوسيلة للضغط عليها مباشرة . لكن لنفترض ان وضع فرنسا
والعالم لا يسمح لهذه الصحافة بأن تستوفي الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي
لكفيل لها حريتها العييلة . لنفترض ان الصحف اليومية الكبيرة مكروهة من قبل
الطرف التاريخي – وحتى من غير ان يبيع نفسها – على التخلي عن استقلالها من
تفداء نفسها . لنفترض ان مفاهيم الحرية والموضوعية بالذات فقدت معناها في
مجتمع يزرعه الصراع الطبقي وفي عسالم منقسم الى كتلتين متناحرتين . إن تفني
الجملة هذه ستبخر دفعة واحدة اذا أدركت ذلك : وأتذكر سأجد نفسي على
حين ثورة عاطفاً يسور من الكذب . وفي مثل هذه الحال سيكون المثل الاصل
للصحافة هو الموضوعية « وسيكون واقعها التفضيل الدائم . واذا كنا نشعر
في شعراء الصحيفة كل صباح « فهذا لأننا نرفض من حيث المبدأ ان تطرح السؤال .
وباختصار « انه ليخيل لي اننا نشعر في كل لحظة بحربنانا وبحقوقنا لأنهم أقنونا
في البداية بأننا نعيش في نظام ديموقراطي . لكنني اذا لم اكن أفعل شيئاً
سوى اني أساهم في طمس الاقتراح والفرقة السرية التافه « بدلاً من أن اعارس
فعلاً حتى الانتخابي « وباختصار اذا كانت أفعالنا كواطنين تسبب سراً الى حركات
ظاهرية « فهذا لأنهم كيفوني منعبياً بصورة يستحيل معها علي ان أمرك حقيقة
الواقع . واذا ما شعرت مع ذلك « نتيجة لاسيادتهم « بأن كل شيء لا يسير

على ما يرام ، فإني سأبهم الانسان بدلاً من أن أبهم النظام .

صحيح ان في بعض سلطات واقعية . لكن كيف السبيل الى الحزم بأنها
ثأبني من الدستور لا من كوني منتقياً الى الطبقة صاحبة الامتيازات ؟ اني حر
على سبيل المثال في السفر الى الخارج ، والعمل السوفياتيون لا يتكلمون مثل هذه
الحرية . حسناً . لكن العمال الفرنسيين هم أيضاً لا يتكلمون بها . انهم يتكلمون الحق
الجرد في اجتياز الحدود : لكن هل ثمة من يتصورهم سواها؟ وانما ما أرادوا
أن ياجروا ، فإن منظمات قومية وهولية سببت في أمرهم . والحلaxe ان جميع
الناس حقوقاً متساوية ، لكن ليس لجميع الناس حق التمتع بهذه الحقوق . ان
النظام الذي اعترض فيه أكثر ديموقراطية بكثير بالنسبة الى منه العامل ميالوم .
أليس هذا مظهراً جليداً من التمتع للقدم لعمالين الأحرار ان سايين ومغالين؟
وبالفعل اننا لسيل الى الحكم على القوانين حسب قناعاتنا المسبقة . لقد رأيت
ظرفاً متنازرة وجدت في القانون التعلق بحق المرشحين في لتكون لائحة واحدة
للقوز بجميع مساعدات الدائرة الانتخابية ، فزوة الديموقراطية . وكانت هذه
الظول قلوب : انما كان الحزب الشيوعي (او الحركة الجمهورية الشعبية) متناهياً
طيشالحالف اذن مع غيره . انهم يتظاهرون بالاعتقاد بأن عزلة الشيعيين تعود الى
فراج من الحزب . ، وانما أثبتنا عدم العكس ، فهذا اكتشافهم : ان الديموقليين
والشياليين متصبون ومشاهدين ، وإن قانوناً يحافظ على الديموقراطية لا يمكن
أن يكون غير ديموقراطي . بسبب انهم يدعون باستخفاف ان نقض الأوزان
والقائيس . فقد قرر ، بحيرة فم ، أن صوقاً مدعوى لجان الحزبين هو نقل قبعة
من غيره ، وقرر أن حق بعض الآراء في تشيل نفسها هو أقل من حق غيره ،
ومع ذلك يقولون انهم ديموقراطيون ويمتلون سرورهم ورفاههم .

لقد الأسباب والأسباب كثيرة غيرها ، خيل البنا ان الواجب يلضي بأن
لجان ان تتحرر من الأساطير والأفابل . اننا نشرع ، بدءاً من اليوم ، بتطبيق
عن التطبيق الواقعي للديموقراطية الفرنسية . هل يسمح الظروف التاريخية ، تحت
مظهره الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، بحرية اللعب للعباءة . الديموقراطية ؟

ما مقدار الطلاق بين الحقوق والواجبات في المجالات الأساسية (الصحافة + الأمانة
 الاستثمارية + العدالة + البوليس + المجالس النيابية + الخ) ؟ أما زال فرساناً
 ذات سيادة ؟ هل الانتخاب العام هو النموذج الواقعي للاقتراع ؟ هل تتعدى
 الإدارة في المستعمرات بالانتخابات التي عقدها الحكومة ؟ هل تتمتع فعلاً
 بالحصانات التي يطلق عليها اسم "habeas corpus" ؟ الخ . وبالطبع إن الوقت
 مبكر على أن نحده بدقة البنية الحقيقية للجمعية الفرنسية المعاصر (التي ليس
 هو بالتأكيد لا محض ديموقراطية ولا محض ثوراتية¹) . لكن يبدو
 لنا يمكناً ، من الآن ، أن نضع النقاط على الحروف . اننا سنخصص سلسة من
 المقالات لتوضيح ذلك المزيج المتعدد من الواقع والقيم ، من الأساطير والحقائق ،
 من التراجعات والتقدميات ، من الأساليب والوقائع . ومساعدة قرائنا لن نكون
 قانصة عن الحاجة : اننا نوجه اليهم ، لأن هذا الشروع لن يكون له من معنى
 إلا اذا كان جامعياً . فليحيطوا علماً إذن ، اذا كانت الشروع يعطى بأهمهم ،
 بجميع الوقائع التي يمكن أن تكون مفيدة لنا (ليس لنا من موقف مسبق لا في
 هذا الاتجاه ولا في ذلك) . وسوف نأخذ بعين الاعتبار جميع الانتقادات وجميع
 الاقتراحات التي سيبحثون بها البناء ، وانما كان عددها لن يسمح لنا بشرها بتمامها²
 فنخصص لها ، على كل الأحوال ، تطبيقات خاصة .

كلمة أخيرة لتجنب أي سوء تفاهم : إن الطلاق الآنف الذكر الذي يمكن
 أن نناقش في ملاحظته سيحتمل ولا شك أكثر من تفسير واحد . فنحن نستطيع
 ان نزعم ، على سبيل المثال ، انه توجد تحت سماه الاطالونية جمهورية مثالية لا
 يحول بينها وبين أن تجسد على الأرض سوى نقى الطبيعة البشرية . ويمكننا
 ان نزعم أيضاً ان السبع الطبيعي للمؤسسات الديموقراطية قد شوهته أحداث

١ - اسم قانون مشهور في اسكتلندا يضمن حرية المواطن الفرنسية بصفة هي وجوب إضطرار
 الظروف الى الحركة التي في صحتها اعتكاف (٢٠٠٠)
 ٢ - نظام سياسي للتحقق فيه حقوق الأفراد بالدرجة التي لا تقبل وجود حزب فاسد حزب
 الحكومة (٢٠٠٠)

خارجية واتمه من الممكن إصلاح الآلة . ويمكننا ان نزعم انهم ان العصر
الذي للديموقراطية قد أمسى ورامعا ، وان تفسخ النظام سيكون قتل لبدء
تلك الحكيم القيصري الذي يتلو عادة ، حسبما يقول التاريخ المقارن ، عهد
الجمهوريات .

إن وجهة نظرا لا يثلا أي من وجهات النظر هذه ، وبالأصل نحن لا نبالي
هنا بأن نتطلسف حول التاريخ . ان الديموقراطية في نظرا نظام بورجوازي ،
والتناقضات التي قد تكشفها فيها متلاحة داخليا بالجمع البورجوازي . ولا
وجود للديموقراطية مثالية ، إذا هناك نظام ليبرالي وقد تناقضات من نقطة
البدء بالثبات لأنه يفترض المشكلة محولة : انه ينقي بالفعل - عن الورق -
واقع الطبقات وصراع الطبقات ، ويزعم انه لا ينظر إلا الى المواطن المعزول
والجرد في علاقته بالمرأة أو بسائر المواطنين المعزولين . وإذا كان قد وجد عصر
قعي المنحرف الليبرالي السياسي ، وإذا كان بعض السذج يعتقدون انهم يستطيعون
الرجوع الى ذلك العصر ليديتورا ، تعفن ، مؤسساتنا ، فهذا لأن النظام الذي
كان يبيد حق الانتخاب بأداء ضريبة معينة أو لأن سحق البروليتاريا التي
كانت بيئة التنظيم من قبل جيوش البورجوازية ، فقد حذفنا الفترة من الزمن
التطهرات النظورة لصراع الطبقات ، والبروليتاريا ، الصامتة أو المختارة ، لم
تكن تسمى آنذاك كعامل تاريخي ، بحيث ان الحكومة والبرلمان وأجهزة
السلطة القضائية كانت تسمى بالفعل وكأنا انبثاقات لجمع لا تطبق : كانت
الطبقة البورجوازية هي وحدها التي تلجها وراقبها وتستخدمها لسلطتها ،
وعلى هذا ، لم يكن يوسع تلك الأجهزة ان تعكس تناقضات مجتمع لا تعبر عنه
ببانه ، ونحن نرى ان الطلاق المتعاطف باستمرار في بعض المجالات ، بين
الوقائع والمبادئ ، يظهر على العكس مقاومة الواقعي ، أي التلاق أوروبا
وبورجوازيها وظهور طبقة عامة منظمة وواعية لنفسها في إطار الأمة ، في آن
واحد معا ، ان عدم استقرار الحكومة والبحث الدائم والباطل عمن غالبية
برلمانية ليس سببه ، كما تؤكد أوساط البعين ، قلة أخلاقي وائتبا : كل ما هنالك

ان الصراع الطبقي ، انعكاسه على الصعيد البرلماني ، قد عطب آلام تخلفي إلا
لنعكس السجام ، البيئات ، الاجتماعية وللمسح لها بالتوفيق بين مصالحها .
وسوف نلاحظ في الوقت نفسه ان الشجرات الديمقراطية ، في قطاعات أخرى ،
لسجل ، وتدمراً ، بالنسبة الى فترة ما قبل الحرب . لكننا سنرى أيضاً ان هذا
التقدم بالذات يساهم ، يا بولده من نتائج ، في تدمير النظام الذي حققه . فكان
التحقيق الكامل للديموقراطية البورجوازية سيتطابق ولا يد مع دمارها الشامل .
وليس في هذا ما يدعو الى العجب : فبقدر ما كان الفكر الليبرالي ينفي وجوده
الطبقات ، بنيت شبه الصريحة لإخفاء الشكبة الحقيقية ، كان لا يسد ان يرك
فكرة واضحة عن مجتمع بلا طبقات سيكون حقيقة الديمقراطية البورجوازية
وسيساهم في هلاكها .

« الأزمات الحديثة » - العدد ٧٨ .

• نهاية الأمل •

ذات ليلة • في أيام الاحتلال • كنا عشرين انا وبعض الاصدقاء في غرفة فندق . وتعالى فجأة صوت مجهول في الشارع يطلب التوجه . ودفعتنا نبرة هذا الصوت إلى النزول إلى الشارع ركضاً حتى من غير ان نلتاور . وجدنا الشارع مقفر أجمعنا حول الشاؤل ولم نصادف احداً . عدنا إلى عملا لكن ذلك الصوت لم يكف طوال الليل عن الصراخ في آذاننا . صوت بلا وجه • بلا اسم • يصرخ منادياً الجميع : في أيام الرعب تلك كنا ننتظر جميعاً مساعدة بعيدة • نجدة تأخرت عن موعدها • وكان كل واحد منا يتسائل إلى لم يكن الصوت الذي سمعته هو صوت الحاص . وهذا الصوت هو الذي خيل إلي أنني أتعرفه حين قرأت لقرة الأولى • نهاية الأمل • . انه هو الذي رتبه • من ممره • ذلك النداء في نهاية كلون الثاني ١٩٤٦ : كان يقول آنذاك : • إن الأوان قد فات تقريباً • وقد وصلنا النداء عام ١٩٥٠ . وحين تسرناه في • الأزمنة الحديثة • • تلقينا رسائل كانت لسألنا : • من هو هر مساوس ؟ أين هو ؟ • وأجبت : • لا أمري • . وكانت تعرض مالاً ومساعدة • فأجبت : • لقد فات الأوان • .

عندما استشرعون براءة هذا الكتاب • سيخيل اليكم انه يحدثكم عن الفسك . الأشخاص • الاعتقالات السرية • النضال السري • توزيع المنشورات • الحرف • الاصدقاء المنفق إلى الاذاعة البريطانية : لقد عرفنا هذا كله . ولقد أحسن المؤلف اختيار اسمه للستار : فيولاء الاسبانيون أشقاؤنا . ولقد كانوا ينتظرون بفارغ صبر خلاصنا لأن خلاصنا كانت أيضاً خلاصهم . ثم جاء الخلاص : ولم يكن

خلاصهم . وكل ما عشناه في الفرح ، عاشوه هم في الفلق والحياة والنعول . وإذا ما قلبنا صفحة ، انقلبت ذكرياتنا إلى تأنيب ضمير : لقد سفنا أشقامنا . ويتغير الصوت ، ويصبح صوت شخص آخر ، صوت انسان قتلناه . صوت ما يزال على قيد الحياة ، برن للمرة الأولى في آذاننا ، اصاحبه فكل شيء يدل على انه مات . مات في اليأس : ترى أما يزال في مقدورك ان تفهموا ما تعنيه هذه الكلمات ؟ ليس المسوت بشيء ذي بال ، لكن الموت في العار ، في الحقد ، في الرعب ، في الندم على ساعة الولادة ؟ انه الشر الجلدري ، ولا تحسبوا ان النصر ، مما كان ، يستطيع ان يعوه . وحتى لو حررة اسبانيا ، وبجنتنا عن هرمانوس ورفاقه من برشلونة الى مالانغا ، فعبثاً : لقد اختلوا . واسبانيا فارغة منهم كما كان مطلقاً ذلك الشارع الليلي . وما عاد هناك شيء يصلح ، فكلمات الكتاب الأخيرة تقول : « هذا ما فعلوه بنسباً جميعاً ، جميع اولئك الأندال مجتمعين ، الذين اطابت والقصان الزرق » . انها الكلمات الأخيرة لرجل يحتضر ، وان يكون في وسعنا ان تبدل فيها حرفاً واحداً . لقد فلت الاوان .

لكن من الواجب مع ذلك ان نسموها ، صرخة نحيبكم تلك ، الصرخة التي تسبق بثانية واحدة الذبحة الأخيرة : صرخة نهاية الأمل . ان هذا الصوت لم يصمت منذ عشرين سنة : كانت صوت ضحايا الألمان ، ثم النمساويين ، ثم الاسبانيين ، ثم التشيكين ، ثم البولونيين : ولد ماوا على التوالي ، وكانوا كلما سقطوا جاء آخرون ، ورفعوا الصوت ، وراحوا يصرخون بدورهم . أما نحن فكنا نسد آذاننا ، والكتاب الآن امامنا ، وآخر الصارخين قد مات : تبقى كلمات مطبوعة . ويبلغني ان تقرأوها حتى تلفوا كيف يكون الصراخ بنهاية الأمل ، لأن مورداً سياتي قريباً . ويمدها لن يوجد أحد ليصرخ . كما لن يوجد أحد ليصعد أذنيه .

(مقدمة « نهاية الأمل » لجوان هرمانوس)

باريس - منشورات جولييار ١٩٥٠ .

الشيوعية والسلام

حين كانت قوات الأمن تهاجم عمال الشاجم ، راحت الصحافة البيئية لتشر بيانات النصر : الأمر الذي جعلني اعتقد ان الفيغارو^(١) لا تحب العمال . لكنني كنت مخطئا . وعلى ان أقدم اعتذاراتي للجميع ولا سيما الى السيد روبينه . ذلك لأن السيد روبينه يقدم ، أولئك العمال، وهو لا يريد ان يعترف بذلك ، من قبيل الحياة على ما افترض . لكن بعد مشاجرة مصانع رينو ، غير أخيراً عن حوافه الجدية . ولقد أهشني في البدء ، أقر بذلك ، ان أقرأ العنوان التالي بالأحرف الكبيرة : « انتصار عمالي » . ذلك اني رحمت أنسامل : على من أمكن للطبقة العاملة ان تحقق هذا النصر ، إن لم يكن على أرباب العمل وعلى الحرس للتفيل ، أي على قراء الفيغارو ؟ لكن يبدو اني لم أفهم من الأمر شيئاً : كلا ، ان البروليتاريا لم تقهر الشرطة . ولا البورجوازية . إنما انتصرت على الحزب الشيوعي – المنظمة السياسية الوحيدة التي نقلها في الجمعية الوطنية – وعلى الاتحاد العام للشغل^(٢) ، أكبر وأقدم اتحاداتها النقابية . وباختصار ، لقد سلمت البروليتاريا ، وألقت سلاحها ، ونسبة جهد أشير منتظر منها : فلتحل نقاباتها ، ولتصوت لمستقلين في الانتخابات الفرعية ، وعندنا محور أجل نصر : النصر الذي يحرزه الانسان على ذاته . أجل ، هكذا يكونون محبوبين ، العمال :

١ - أكبر الصحف البيئية الفرنسية . « م.م. »

٢ - في فرنسا عدة اتحادات عمالية ، والاتحاد العام للشغل هو الاتحاد اليساري للتركيبي منها . « م.م. »

بسلامة ، عزل الأيدي ، ملتزمي الأذرع . وما كلف أجمل الشعب في
« فوري » في ١ أيار ١٩٩١ : لا كتابي صدام ، ولا تطبات شبه عسكرية ،
إنما أناس في الشارع ، أناس كثيرون : دوفسا نظام ، أطفال ، شبان ، صبية
لسك بعض عم . ولقد أمكن لجنود القادة شامري ان يسدوا بلا عجلة وان
بظفروا يصبوا .

ولعل هذه الأيام الرعدة تعود : وإلى أنهم ان ينزء البعض أنفسهم على
ذلك : لأن هجرة فوري لتشي بالتأكيد إلى ذلك الصنف من التشبيلات الذي
يسميه السيد موروك ، فاضحاً لكن بالمعنى الجيد . لكن ما يتجاوز طاقات
فهيم هو السرور الغني الذي يغال عليه بعض رجال « اليسار » وبعض صحفه .
يا لم من مساكين : ففسد نفع الحزب الشيوعي مرة أخرى في ضربته : كلوا
محبونه ، ففركوه على ردم ، فططخهم بالبراز ، فباتوا يفضونه . مسألة مواطن .
انتي التي تلمي بهم أحياناً ، هؤلاء المتبعدين . ان ابلسامتهم ما تزال عذبة لكن
نظرتهم شاردة بعض الشيء : لقد ضرب تناقض زماننا خيامه فيهم . كيف
يكنكم ان تؤمنوا في ان واحد بالرسالة التاريخية للبروليتاريا وبخيانة الحزب
الشيوعي ؟ إذا كنتم تلاحظون انها تصوت له ؟ لكنهم يتفكرون أمرهم مع ذلك ،
وإن بشقة . وكل منهم يحتاج ، في فترة زمنية تطول او تقصر ، المراحل الهتمة
الأربع . المرحلة الأولى : « الحزب الشيوعي خطيء ، أجل ، لكن لا يمكنني
على كل الأحوال ان أعادي البروليتاريا » . والمرحلة الثانية : « الطبقة العاملة
هي موضع حيي العائم ، لكن لا بد من الاعتراف على كل الأحوال بأنها ليست
بصيرة بالقدر المطلوب . أنظروا إلى الشيعة الاثان : لقد أخذوا بتدجيل هتلر » .
والمرحلة الثالثة : « لم تعد الطبقة العاملة تنسأل اهلامي منذ ان أخذت موقف
التسامح غير الساطع من مسكرات الاعتقال السوفياتية » . والمرحلة الرابعة
والأخيرة : رؤيا يوحنا : « سنعد لك تحالفاً مع الولايات المتحدة . قف .
متصرف لك روسيا بالثواب القوية . قف . سلتنق لسك جميع الشيوعيين .
قف . وسنهي لك فوق الانقراض الاشتراكية الأمية ، البيروقراطية ، الاصلاحية

الحقة ، لا مجال للشك : ان أجل ظفر منحرفه الطبقة العامة ، انما منحرفه لها
 القوات الاميركية على قوات الاتحاد السوفياتي . لكن حتى يمررنا لمره على انت
 يقول ذلك علناً وبصوت جمهوري ، فلا بد ان يكون خائفاً مثلاً بالته ، او ان
 يكون الغم قد أطاش بصوابه ، والشبه واحد في آخر الامر . لذلك فسوف
 يأخذون ، بصورة عامة ، موقفاً وسطاً ، وسوف يوجهون الانتقادات اللاذعة
 في الصالونات الرجعية حتى يروا العدو حسن قرب أكثر . او هم سيوازنون بين
 القادير بدقة بالغة : سيكولون مع المنود الصيليين والجمهوريين الاسبانيين ،
 وضد الصيليين واليونانيين . مع لينين ، ذلك القيروالي الكبير ، وضد ستالين
 المستبد . وهذا شيء لا يمكن ان تقوم له قائمة ، وهم يعرفون ذلك ويريدون
 بصوت خافت : « لو ان الطبقة العامة للمعونة تلك للفر ولو مرة واحدة التخلي
 عن الحزب الشيوعي ، ، غدوا ، على سبيل المثال ، السيد آلان ، التي اعرفه
 معرفة جيدة : انه ليس بخائن ، ولا حتى برجل سيء . لكن الشيوعيين عاملوه
 وفق طريقة شارل بوايه في فيلم ، ضوء الغاز¹ » : الطريقة التي تقوم على إفتتاح
 الطامع للتجربة بأنه مهنون ونسبر عن طريق حيل مكررة . وفي مدى ثلاثة
 اعوام من هذه المعالجة ، يكون السيد آلان قد اقتنع الى أكثر من النصف .
 واليك ما كتبه ، في ٢٩ أيار ، في « فران - ثيرور » : « إن الاعتياج ضد كل ما
 هو اميركي ، قد أخذ من الآن فصاعداً شكل فراسة مبهوسة وإجرامية .
 ان المرء ملء الحق في انتقاد السياسة الاميركية ، إذا ما رأى ذلك راجياً .
 لكن هل لنا الحق في ان نظهر ، بمختلف الوسائل ، بسدأ من الافتراء وحتى
 التخريب ، اننا ما عدنا نقبل حتى بأن يكون الى جانبنا رجال وحلفاء لواجبة
 عدوان مختل . . . هل لنا الحق في ان لنذبح الى الشارع برجال ونساء واطفال
 حول شعارات تذكر بالمتصيرية لا أكثر ولا أقل ؟ إن المسألة لم تعد حتى مسألة
 شيوعية ، انما هيض نزعة فرعية روسية . . . لكل ما لا يتقدم روسيا ستالين . . .

١ - فيلم مشهور يحمل فيه شارل بوايه عن طريق حيل مضطعة ان يجان زوجته الغريب

وكل ما هو مع الحرية كما هي ما زال موجودة فيها وراء الستار الحديثي ، كل هذا يجب ان يعدم من الوجود قبل ان يباد ويستأصل

هل لاحظتم : « إذا ما رأى ذلك واجباً ، ألا كم في هذه الكلمات المحس من براعة وتضمين ، وما اعظم استعداد الإنسان كي يموت عسناً طيبة قلب من أجل اللغة والثقافة اللتين تسمحان بنقل هذه التعبيرات المرهفة الدقيقة ، إذا ما رأى ذلك واجباً : إن كل ما في هذه الكلمات يدل على انها تريد فقط ان تقول : « إذا كان هذا رأيكم » . لكن ينبغي ألا ننسى الاشياء الطفيف اللربط بتعبير : « ما دمتم قد استحضتم ان لزاموني من غير ان تأخذوا رأيي » . أهميتهم إذن : انتقدوا خلفاءكم الأمر كان اذا بدا لكم ذلك واجباً . اما السيد آلان فير لا يرى ذلك واجباً ، وإذا كان يترك لكم الحرية ، إلا انه يحذركم خلسة من انكم ستنتكبون حماقات . والأسفاه ! التي تخشى ان تضيع هذه الحذافات سدى : فالأمير كان الذين يقرأون المقال لم يوشهم بعد التعليم الاساسي لتدركه كما يجب . على كل حال ، انهم حلفاؤنا : وهذا شيء يقطع فيه السيد آلان جازماً . وهو على حقيق بالأصل ، على مطلق الحق : فالحكومة الفرنسية - أي حكومة في الحقيقة؟ - قد وقعت على معاهدة الحلف الأطلسي . وخلاصة الكلام ان العامل يتمتع بحريات ديمقراطية : انه يستطيع ان يفكر ، ان يتكلم ، ان يصوت ؟ إذن ؟ ما حاجته الى النزول الى الشوارع ليشتاجر ، كالرهاب ؟ أه ! انه الساتليني الذي يحرصه ! ذلك الساتليني ، النافس على الشر ، المرحض الأزلي ، الروسي اليوم ، الألماني بالأمس ، النازي الذهب الانكليزي عام ١٧٨٩ ، والذهب الروسي عام ١٨٤٠ ، المزيج نازر الاشياء الجماهيري ، والمستغل هذا الاستياء ليدفع بالجماهير الى السياسة . وهذه الجماهير ، التي ألحبت عصبيتها خطاباته الماكرة ، تخرج على الشرعية وتقع أول ضحية لعنفها . انه هو الذي حث الرعاع ، نحن نعرف ذلك اليوم ، على مهاجمة الباستيل ، هو الذي استغل غضبية بعض العبيد السود الذين ربما عوقبوا بدماراة أكبر مما ينبغي ، ليجعلنا نغمر سان دو مانغ^(١) ،

١ - اسم آخر لجزيرة هايتي .

وهو الذي مسوكت مؤامرة « الرقياء الأربعة »¹¹ ، وإمام حزبان ١٩٤٨ ،
والاضرابات التي لا يحصى لها عدد في أواخر القرن ، وأخيراً عصيانات عام
١٩١٧ . كيف السبيل إلى إحباط حيلة ؟ كيف السبيل إلى مثل يده ؟ إن السيد
آلان يقول لنا ذلك : « لو كان في وسع ديموقراطية اجتماعية جريئة أن تعرف
كيف تتفرغ من التالبيين احتكاك الدفاع عن الشقبة ، لما وصلت بنا الأمور
إلى ما وصلت بنا إليه اليوم » . وهذا ما لا يحدد شيئا : فمئة وستين
وستين عاماً لم يتبدل لا الماء ولا الدواء . وجرأة السيد آلان الديموقراطية
تذكرنا من بعض الوجوه والتلقية الحفرة التي تؤدي بها الكورنت دي مورني
الذي كتب منذ كانون الثاني ١٨٩٨ في « مجلة العالمين » : « إن الشيوعية تنقسم
بصفتها أساس المجتمعات والحكومات . فهبل في وسع تنازلات معتدلة ،
وإصلاحات ذكية ، ودراسة دقيقة المسائل المالية والاجتماعية ، وغيرة الطبقات
الغنية الوردية على الطبقات الفقيرة ، ومقارسة شجاعة للصفا ، أن تكفي على
الشروع التي تهددها ؟ هذا هو السؤال الحقيقي » .

قبلنا بالديموقراطية الاجتماعية الجريئة : بتنازلات معتدلة لصالح النقابات ،
بقبرة أرباب العمل الوردية على الشقبة ، بالمقاومة الجريئة تجاه الصفا الانفصاليين .
لكن أين هي عناصر هذه الديموقراطية ؟ أين الجهاز السياسي الذي سيطبق هذا
البرنامج ؟ أين الغالبية التي ستعده إلى سدة الحكم ؟ إن السيد آلان ليس يظن :
أنه يعرف معرفة حقة أنه لا يبد من مرور سنوات قبل أن تشكل جماعة سياسية
من الوصول إلى ما فيه الكفاية من القوة ليصبح لها تمثيلها في الجمعية الوطنية .
والحال أنه مقتنع بأن الحرب واقعة غداً ، الحرب التي سيثيرها الروس ،
والحرب الحاضرة إذا لم توجد وسيلة لتحرير الجماهير منذ اليوم من سيطرة الحزب
الشيوعي . والسيد آلان المسكين ، أنه يعرف الشيوعيين منذ ثلاثين عاماً
ويدعم قاعاً أنهم لن يتخلوا منها بكون الثمن . فلهذا فإن بما كتبه العقيلة الفطنة

١١ - هم الرقياء الأربعة من حامية لارونيل الذين اتهموا بالتآمر واحدموا عام ١٨٩٢ .

تتطلب أحياناً من لقاء نفسها في رأسه ويقبول في نفسه : مسا هام ه الحزب الديمقراطي الاجتماعي الجري ه ه لم يصل بعد إلى السلطة ، أفلا يتوجب الاعتراف بأن الحزب الشيوعي هو الممثل الوحيد الممكن ، في الوقت الراهن ، للناخبين العمال ! وأحب ان أقول لكم ان نوم السيد آلان يصبح خفيفاً في مثل تلك الأيام ! ذلك لأنه منسحب إلى جماعة واسعة الانتشار بما فيه الكفاية هي بالنسبة إلى الحرب القادمة ما كتته رابطة المحاربين القدماء بالنسبة إلى حرب ١٩١٤ : « رابطة معدومي المستقبل » . كثيراً ما دعوني إلى مأدبهم الكئيبي لم استطيع ان آخذ على عاتقي الذعاب إليها ومشاظرتهم مرحوسم الرجولي والجنائزي . كانوا يقولون : « تعال إذن ، فأنت منا ! » . لكن إذا ما اندلعت الحرب القادمة ، فإن لدي أكثر من سبب للاقتداء بأننا سنكفي فيها نحن جميعاً ولن أضيع وقتي في إعداد الحيوانات العزيرة علي .

وأغبر آياتي يوم ٤ حزيران وكأبه يوم الحلاص : فلسفة الصريين ٢) ، وجمال السيد آلان ، ويشعر بأن الحياة تدب فيه من جديد . ٢) ! إذن فقد فهم العامل أخيراً ، وشم من الكد والعناء لمقعة الاتحاد السوفياتي ، وبرهن على عدم ثقتة بالحزب الذي كان يريد ان يخرجه على المؤسسات الجمهورية . وهذا العامل ، الذي شبع من العنف ، يعود إلى حديقته الصغيرة في الضاحية ، إلى وداعة أخلاقه التي طالما تعنى بها البعض . وسرعان ما يتقدم الجميع عارضين عليه توجيهه وإرشاده . و « القوة العالية »^{١١} تفتح له ذراعها ، ويبدأ السيد آلان بالسؤال جدياً عما إذا كان يستطيع ان يرضه ال « حزبه الديمقراطي الاجتماعي الجري » .

أيها الأطفال الصبيحون ، ايها الجرفان العذبة العزيرة ، انكم التسمون إلى الحرب ! تستطيعون ان تصدقوني . انه جرد ذيق ذاك الذي يتماطلكم . انكم تصعون إلى الحرب ، وستجرونا معكم إليها . ولأمبالاة العمال لا تعرقل الانزلاق

١ - منظمة خاضعة لتوجيه الحزب الاشتراكي الفرنسي ، منشقة عن « الاتحاد العام للشغل » .
٢٠٢ - ٢٠٣ .

نحو الجزيرة : يسأل تعجب به . وإذا كانت نهائية ، تستطيعون إذن ان تسحوا احديكم . فلكنة ما فنتم عن قبل الحزب الشيوعي ، اصبح نظركم حياً . واطالما شكوتم من أن الحزب الشيوعي ، يحسّر الدفاع عن الشيعة ، حتى انتهى بكم الأمر الى الاعتقاد بأن هذا الامتياز جاءه صدفة . انه ، على مسا تقولون ، حزب المشهورين والقتلة والكذبة ، انه يبحث على الحقد ، وحيه غليظة خشنة الى حد ان صحتكم لا تجد مثقة في إعياطها كل صباح . إذن فلا بد ان البروليتاريا كلها مجرمة وكاذبة ومهترة . وإلا كيف نفسر انها مسا تزال شيوعية ؟ انفس ستالين ، من الجائز ؟ لو انه كان أقصر قليلاً ؟ ...

ان الواجب يلغضي بدعوة هذه النفوس المشطرية إلى الاحتشام ، حتى ولو اضطررنا الى تقسيم اعطاشنا الجبان ، الى تذكريها ببعض الحقائق الزعجة ، ومنها : انه لا يمكن للمرء ان يحارب الطبقة العاملة من غير ان يصبح عدو البشر وعدو نفسه ، وانه اذا ما حلا للحزب الشيوعي ، وعندما تكونون اتم عاجزين حتى عن تحريك اصبعكم الصغير ، فإن الطبقة العاملة ستكون ضدكم . وانه لا يد مع ذلك من الاحتفاظ بصحو الفكر في الوقت نفسه لأن الغضب والحقد وربما الحروف والبلاتينات يمكن أن تدفع بكم بين لينة وشحاه الى احضان الحياة . وانه لا ينبغي البتة أخيراً الاعتناء على تصفية الحزب الشيوعي : صحيح ان البروليتاريا حرة منه بعض الشيء ، في هذه الآونة ، لكنها مسألة صغيرة بسيطة وسنظل بينها ، ولقد أخذت اللجنة المركزية درساً منها منذ الآن . هذه هي حقيقة الموقف : لا اتم تستطيعون شيئاً ، ولا أنا . وإذا ما وجدوها قامية أكثر مما ينبغي ، فاقنعوا الفاز او اسطادوا بالنارة . لكن لا تبدأوا بالتلاعب والفن وإلا انتهى بكم الأمر ، كما حدث لشخص أعرفه ، الى الدعوة إلى الحرب في « قاعة كارنيجي » ، وإلى الثورة المحترز الاميركان انفسهم . حين علمت بالمطاهرة ضد ريديوي¹¹ ، أظهرتم لنا استنكاراً لا حدود له : ولقد جعتم في استنكاركم

١ - جيفال اميركي - قائد قوات الأمم المتحدة في كوريا بين ١٩٥١ و ١٩٥٢ .

كل شيء ، كل شيء على الإطلاق ! جميع العيوب الشيوعية التي لا تطاق :
الاشتراكية ، العنف ، وذلك القوس الضار في تعبئة الشغية التمتع الى التناجات
حول شعارات سياسية . وإني لأصارعكم بأنني أتمنى ان تكونوا قد لجأتم إلى
القتل . فذلك الرذيلة المضال التي تأخذوتها على الحزب الشيوعي ، أساءل أنا إن
لم تكن بكل بساطة طبيعة البروليتاريا الخاصة .

ان الواقع هنا : المظاهرة ، الأضراب الفاشل الذي تلاها ، الانتقادات
الفرعية في معامل رينسو ثم في الجمعية الوطنية . خطوط مشوشة بعض الشيء ،
متناقضة ظاهرياً . لا أهمية لهذا : فقدعنا تتكلم لعلها ستقول لكم ان كنتم
خونة او مجرد جردان ديفة ⁽¹⁾ . ستقول لكم ، بالفاظ أخرى ، إلى أي حد
ينبغي ان نعتبر الحزب الشيوعي التعبير الضروري عن الطبقة العاملة ، وإلى
أي حد ينبغي ان نعتبره تعبيراً دقيقاً عنها .

٦ - تظاهرة ٢٨ ايلول .

أ - الكد والعناء لمنفعة الاتحاد السوفياتي .

لقد سئم العامل من كونه دمية في يد موسكو . لقد رفض أن يشترك في
التظاهرة لأنه يستهين مبدأها ، ما أدراكم بذلك ؟ هل سمعتموه بأذانتكم
يشكك ؟ انا نحن الذين نرى في كل مكان يد موسكو . وأنا لا أقول لنا دوماً
على خطأ . لكن العامل ليس مجبولاً من طبيقتنا . انه مفسر كبير ، شئت
البورجوازي ، لكن ماويته يمكن ماويقتنا : فهو لسا يرى ذهب أمير كاخلف
حركتنا كافة . والقول بأنه العرك انهم يستغلونه كقطعة ، لهذا معناه أننا نقرض
ان نظام تفسيرنا قد حل محل نظامه هو . فهل العرك السيد روبينه انه كانت
دمية في يد الولايات المتحدة ؟ والسيد الثالث ؟ ان الحزب الشيوعي الفرنسي لم

١ - الجرة الذي لم يكن . لكن الحزب والتي من انه كان سيقدم على ذلك لو سمحت الفرصة
وإختصار . انها كلمة تشير الى هذا الصنف من الأفراد - الواقع الانتشار مع الأسف في جمعتنا :
صنف القرب الذي لا يمكن أن يؤخذ عليه شيء .

يخف قط على كل حال انه يبني سياسته على سياسة عامة ترمس تطبيقاتها في الكومنترون تم في الكونغرس^(١١). وفي الموضوعات التي صدق عليها المؤتمر العالمي الثالث للأمية الثالثة نقرأ ان «الحزب بجموعه هو تحت قيادة الاممية الشيوعية». وإن «قرارات الاممية الشيوعية ملزمة للحزب ولكل عضو من اعضائه». والحال انه في ذلك الزمان (١٩٣١) كان من بين الأعضاء الحصة في «رئاسة اللجنة التنفيذية» ثلاثة روسيين، وألماني واحد، ومجري واحد. وهذا لم ينع بعد مؤتمر لوز^(١٢) ١٣٠٠٠٠٠ اشتراكي فرنسي من تشكيل الحزب الشيوعي، بينما بقي ٣٠٠٠٠٠ مع بلوم. وعلى كل، فإن الاختلافات العميقة التي تفصل الحزب الشيوعي الإيطالي عن الحزب الشيوعي الفرنسي تبين ان مبادئة واسعة النطاق متروكة للقادة المحليين. أنتم زعمون ان هذه السياسة تخدم مصالح الاتحاد السوفياتي وحده. وما أسهل مثل هذا الزعم عليكم. ولا بد بالعمل من ان ترى ان الاممية الثالثة ولدت للحاجة الى الهبة والحزم. فمثل حركة ١٩١٤ السلية، وعجز العمال، والتحالف الزعماء الاشتراكيين مع حكومة الاتحاد القومي البورجوازية، جعلت المناضلين يبلون نحو سياسة الحزم. ولم تكن مؤتمرات الأممية الثانية وغير هيئات أكاديمية تنتهي بقرارات لا قيمة لها، وعلى جميع المستويات كانت «الشعبة الفرنسية من الاممية العالمية^(١٣)» تعني الفوضى. والحال ان منظم المناضلين كانوا مقتنعين بشأن «الصراع الطبقي قد دخل في مرحلة الحرب الأهلية». إذن قلند كانوا راغبين في تكوين حزب جديد يكون بمثابة سلاح، هبة، فعالية، تسلسل: هذا ما مطلوبه من الاممية الثالثة. ولا ريب

١ - الكومنترون: المركز القيادي للحركة الشيوعية الاممية جرى حله عام ١٩٤٣ واستبدل عام ١٩٤٧ بالكونغرس وهو «مكتب اعلام شيوعي» غير محدد المركز.
٢ - وقد عقد عام ١٩٤٠ ووقع فيه الانشقاق بين الشيوعيين والاشتراكيين الفرنسيين.
٣ - «م.م»
٤ - هو اسم الحزب الاشتراكي الفرنسي يوم تأسيسه عام ١٩٠٥. وتبعد بقي محافظاً على اسمه هذا حتى اليوم بينما انشق عنه الشيوعيون في مؤتمر نور ليشكلوا الحزب الشيوعي.
٥ - «م.م»

في أنهم كانوا يؤثرون ان يقيموا تطيقات الاجانب الذين قهروا بروجوازية بلادهم على ان يطيعوا فرنسيين تعاونوا مع البورجوازية الفرنسية . وما كان يتناه اثثة والتسلازون ألف منتسب الى الحزب الشيوعي ، وما حقلوه هو المركزية الديمقراطية ، وهي نوع من تعبئة شاملة ودائمة تكفل لكل فرد منهم أقصى حد ممكن من التعالية . ومنذ ذلك العهد بدأ القادة يردون عن أنفسهم الماخذين الذين سيوجهان اليهم فيما بعد باستمرار ؛ ويجب ان تم المركزية بصورة تكون معها بالنسبة الى اعضاء الحزب بمثابة تدعيم ... لنشاطهم ... وإلا فسوف يبدو للجماهير كجهد بيروقراطية حزبية ؛ و ه الصراخ بصدده دكتاتورية موسكو ليس إلا وسيلة لتسليية مبتذلة^{١١١} . بيد ان الجهاز الذي تم تصوره على هذا الشكل هو ، باعينه ، ملتبس . ذلك ان العمل العمالي اذا ما غطط له ووجهه على المستوى الدولي حزب مركزي ، فإن شعاراته مقدر في هذا القطاع العمل او ذلك ، مما يمكن بالأصل هدفها ، وكأنها أوامر مجردة . وسوف تعامل كل بوليباريا حليفة وكأنها وسيلة لتلك الغاية غير المشروطة التي هي التسوية العالمية ، ونظراً الى عدم توفر معرفة دقيقة بالأحداث كافة - وهي معرفة غير ممكنة إلا للفرخ وبعد تراجع زمني - فسكان الثقة هي وحدها التي تتضمن البروليتاريا انها لم تقع ضحية العيادما وان التضحيات التي ارتضاها كانت مشروعة . وكما هي الحال دوماً فإن الوقائع لا نقول نعم او لا ؛ فيعبد بيول هاربر طلب الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة من اعضاءه السود ان يقفوا خلفهم المعادية للعنصرية ؛ إذ لم يكن ثمة من فائدة من تقضية الدعابة النازية . وكان كثير يومت من السود قد دخلوا الى الحزب لأنه الوحيد الذي كان يدافع عنهم ؛ فاعتبروا ان الحزب ضحى بهم وتركوه . ولا يمكننا ان نلومهم على ذلك ؛ لكن ماذا كان الهدف النهائي للشعار ؟ هل كان يستهدف مصالح الاتحاد السوفياتي فحسب ام كان يستهدف مصالح أوروبا والعالم ؟ حتى يمكننا ان نثبت في الموضوع ، فلا بد من الاقتراض لولا بأن حرب ١٩٩٠ لم تكن سوى حرب امبريالية . وهذا ما

١ - رجالة الى العمال الألمان والفرنسيين (لينين) .

يعتقده بالفعل الفرونتسكيون ، وهم أوفياء بذلك لشططهم لأنهم ادانوا المقاومة عام ١٩١٦ . لكن المقاومين اليساريين كانوا سيخرجون لو انهم ماشوم . وعلى كل حال ، لا يمكننا ان نجزم في المسألة إلا بعد ان نكون قد حددنا موقفنا بصدده مسائل أوسع بكثير ، ولا سيما مسألة قيمة الثورة الروسية والماركسية .

لقد شهد العالم موقفاً مماثلاً عام ١٩٢٦ . فمُنذ الحرب راح الاشتراكيون الفرنسيون يسعون إلى العودة إلى الزعة السلبية المطلقة التي حافظت على مكائتها في التقاليد الفرنسية بالرغم من فشل ١٩١٤ . وكان لينين يريد ان ييزوا بين الحروب الامبريالية والحروب الثورية . وقد رفض فوضوي اليسار المتطرف ذلك مدة طويلة من الزمن ؛ انهم سلبون إلى النهاية ويطالبون بحقهم في الحثاف ؛ ولتسقط جميع الجيوش ، بما فيها الجيش الأحمر . فمن كانت على حق ؟ ان المسألة تتعلق بالطبع بقيمة الاتحاد السوفياتي بالنسبة إلى الثورة ، اذن بقيمة الثورة في الاتحاد السوفياتي . وتستطيعون ، حسب قناعاكنم ، ان تبينوا ان مطلب لينين يعظم تقليداً عميقاً في الحياة الاشتراكية الفرنسية ، وانه يدخل في العرة والنصب استثناءً اطلاقاً في قلب نظام متلاحم ، او ان الموقف الذي كان يجره زعة ما قبل الحرب السلبية المطلقة قد تجاوزته ثورة أكتوبر على نطاق واسع . وانه ليخيل لنا في مثل هذه الحال اننا خفضنا في واحدة من تلك المناقشات التي لا نهاية لها والتي يتعارض فيها الفلاسفة المتفانون وتلامذة لاروشفوكو : مناقشة تستعرض فيها الأعمال البشرية ويفسرها كل حسب وجهات نظره ، فهذا يفسرها بدوافع غريبة ، وذلك بدوافع مفروضة . وإذا كان هؤلاء المتضامون لا يستطيعون ان يوصلوا إلى اتفاق ، فهذا لأنهم يتنوا قلبياً بالقيمة الانسانية . وإذا كنتم لا تستطيعون ان تتفاهوا مع الشيوعيين ، فهذا لأنكم كونتم لأنفسكم قلبياً رأياً بصدده قيمة التجربة الروسية .

في كلون الثاني ١٩١٨ كتب لينين : « إن جمهورية السوفيت ستظل مثلاً حياً في نظر شعوب جميع البلدان ، وقوة التطفل الثوري لهذا المثال ستكون مدعشة » . وفي آذار ١٩٢٣ : « إن ما يهنا ليس هو ذلك

النصر النهائي المهم للاشتراكية . إن ما يمتنا هو التكتيك الذي يتوجب علينا
 أن نلعبه ، نحن حزب روسيا الشيوعي ، نحن سلطة سوفيات روسيا ، لننفع
 الدول الغربية المتعاضة للثورة من سحقها . إن المشكلة كلها تكمن في هذين
 التصين . وبالفعل ، إن الاشتراكية لا بد بالضرورة أن تنصير في نظر الشيوعي
 الصلب القناعة ، لأن الرأسمالية تجعل موتها في ذاتها . وهذا يعني أن روسيا
 ليست الطريق الأوحده للوصول إلى المخرج النهائي . بل من الممكن أن تختفي هي
 التي ولدت من التناحرات التي سميت حرب ١٩١٤ ، لكن التناحرات سلبت من
 بعدها وسيتهي الأمر بالأمم الرأسمالية إلى الأبدان . ومن هذه الزاوية المحددة ،
 ليس الحفاظ على الاتحاد السوفياتي شرطاً لازماً للثورة العالمية . لكن مثل هذه
 الاعتبارات ليست ثوروية : فالإتحاد السوفياتي ، من الزاوية التاريخية ، هو
 فرصة البروليتاريات ، مثالها ، ومصدره ، قوة التطفل الثوري . وعلاوة على
 ذلك فإنه في حد ذاته قيمة تاريخية يتوجب الدفاع عنها ، أول دولة ، وحتمس
 تباشير الاشتراكية ، وإن كانت بعيدة عن تحقيقها بعد . ولهذين السببين يتوجب
 على الثوري الذي يعيش في عصرنا والذي تكمن مهمته في الإعداد للثورة بالوسائل
 التي في متناوله وفي الشرط التاريخي المحدد الذي يعيش فيه ، يتوجب عليه أن يربط
 بصورة غير قابلة للانفصام بين قضية الاتحاد السوفياتي وقضية البروليتاريات من غير أن
 يلبس في الأعمال المهمة التي ستعيد به في النهاية عن العمل . هذا على الأقل ما كان يعتقد
 لينين وما يتجلى بوضوح من التصين الثوريين . لكن الاتحاد السوفياتي يبدو ، من
 ناحية أخرى ، وكأنه الفرصة التاريخية للثورة لا شرطها اللازم (بالمعنى
 الرياضي) . يبدو إذن ، في كل الحالات ، أنه كان يوسع أن يكون غير ما هو
 عليه من غير أن يتعرض مستقبل الثورة مع ذلك للخطر . كأن يتطلب على سبيل
 المثال تصحيحات أقل في الديوقراطيات الشرقية . وكما ازداد وضعه خطورة ،
 ازدادت بالنسبة إليه ضرورة المساعدة التي سيطلبها من البروليتاريات الأوروبية .
 لكن كما ازدادت مطالبته فسوة ، لنجد أكثر فأكثر نحو أن يصبح في نظر
 الديوقراطيات الشعبية والبروليتاريات مجرد أمة خاصة . إذن ، وفي أفضل

الأحوال ، لن يكون أبداً التوحيد بين الاتحاد السوفياني والقضية الثورية بأمراً ،
 ويستطيع دوماً المناهضون للشيوعية ان يبينوا للعامل الفرنسي انه ، يفرج
 الكسداء من قنار لشعبة موسكو ، . لكنهم بالتقابل لن يستطيعوا ان يبينوا
 البرهان على ذلك إلا في حالة واحدة ، اذا كان يقومون ان يثبتوا ان القسامة
 السوفيانيين ما عادوا يؤمنون بالثورة الروسية او انهم يعتقدون بأن التجربة
 سيكون مصيرها القتل . ويدهي انه حتى لو كان هذا صحيحاً ، وهذا ما أشك
 فيه كثيراً ، فإن البرهان عليه لن يكون ممكناً اليوم ¹¹ . وفيما عدا هذه
 القضية ، وفي أي فرضية أخرى ، يمكن للكتب السياسي ان يخطئ ، ان
 يسير في غير الطريق السليم ، ان يفرغ اخطاء مينة (الثورة بحسنة لكن الاتحاد
 السوفياني يمكن ان يخطئ) ، إلا انه مهما تمسك فلن يضحى بالعامل لحساب
 الأمة الروسية .

وفي مظاهرة 28 أيار نستطيع ان نجد مثلاً صادفاً عن الخلاف في الرأي
 الذي يعارض بصورة لا توفيق معها بين المناهضين للشيوعية وبين الشيوعيين .
 فكلا الطرفين متعلقان على التجربة لأن مواقفها محددة مسبقاً . لكن الأولين ،
 الحاسنين بالنم المراق ، لم يروا في المظاهرة سوى نوع من عنف وحشي وحرشي ،
 كما أمكن للآخرين ان يحكموا عليها بأبها خرقاء ولم تجرء في وقتها : غير انها
 تظل في نظرم إحدى لحظات لعبة الشطرنج الكبرى التي تلعبها الجيوليتاريا ضد
 الرأسمالية الدولية .

ب - موسكو تريد الحرب

الشبكة الخلفية ، على كل الاحوال ، ليست هنا ، واولئك الذين يتحدثون
 عن موسكو انما يريدون ان يضلعتنا . ذلك انه من المؤكد انسه ليس الاتحاد
 السوفياني الذي أمر بهذه المظاهرة . الا لا أنكر ان الأحزاب القومية استلهمه
 لكن بصورة بالغة العمومية . لقد كتب بيرو ¹² ، لندن عودته من موسكو ،

١ - سأعود ان هذا الموضوع في القسم الثاني .

٢ - انه هو الذي سيوجه إليه ، بالفعل ، نفس النقد والاذانة في تقرير فابريون .

مطلقاً يعلن فيه قطعية الحزب الشيوعي مع «البورجوازية التي تسم البلاد لاستعمار المحتل الجديد» . لكن حتى لو افترضنا ان القتل أملي عليه - الشيء الذي يبدو لي أن فيه تبسيطاً مبالغاً فيه للأمر- فإن الأفعال التي يعلن عنها أخطر بكثير من مجرد تظاهرة بسيطة حتى لو رافقها شجار . والحقي ان المظاهرة انما جرى تقريرها مع سائر الأمور الجارية من قبل المكتب السياسي ولحمت مسؤوليته .

وبالواقع ، ما هدفها ؟ ذلك ان الصحافة تتكلم عن اضطرابات وقروض وحقد ، لكن من غير ان تقدم شيئاً لكل هذه الضجة . ان مناهض الشيوعية يلتفت حول سداجتي ويقول : « هدفها ؟ لكن هل يعنى عن الأبخاز ؟ انه الأعداد للحرب ! » . بدعي ! كيف لم يخطر لي ذلك : إن الحزب الشيوعي وأنصار السلام يدعون سكان باريس الى التظاهر ضد الحرب : وهذا دليل باهر يعنى الأبخاز على ان الاتحاد السوفياتي يريد ان يهاجمنا . معمر للأبخاز ، بالفعل ، بالنسبة الى من يأخذ بنذهب وزرانا : إذا كنت تريد السلم ففيه الحرب ، ومن اصول المنطق ان قلب الآية بعد ذلك وتقول : إذا كنت تريد الحرب ، ففيه السلم . ومنذ توقيع معاهدة الحلف الأطلسي ، أصبحت صور دعوى الريف وهدونه مرتبطة بشهد بزة عسكرية ، كما ان لقاء عابراً يبدأها ما يكون مغفوله بالنسبة الى اصحاب الأمزجة العصبية كدعول شراب مسكتين . وبالقابل فسان الذي مشبه لأنه لا يرتدي البزة العسكرية . أفلا يريد السلم ؟ بالضبط ، انه يطالب به بصوت عالٍ : لا مجال للشك ان « اله مشاغب . وواضح انه اختار هندايم ليفهم لأنظاراتنا صورة زرع السلاح الشبهة لهم . ودعواته الى تأليف القلوب ليس لها من هدف سوى تحريب الدفاع . أتذكرون حرجنا حين كانت الحرب الباردة تترك لنا ، من حين الى آخر ، بعض الراحة ؟ فقد كنا تسامل : ما وراء الاكمة ؟ والأمس أيضاً ، استولى القلق على الجزائر كلارك عندما رأى ان القتال قد ترقف في كوريا . ولم يعد اطمئنانه اليه إلا بعد خمس عمليات قصف جوي شديد . وهكذا فإن سمنا غريباً ينح من حين لآخر ترتعد له أوصال العالم ، والإنسان الذي يريد السلم ، سواء أكان شوبياً أم لا ، يظل مرتبطاً في نظرتنا

بشاعر الضيق والمزج هذه : انه يعمل بالضرورة لحساب العدو. فكيف يكون الأمر اذا كان سلوكه يستلهم العنف الذي يرفضه ؟ واني لأقر بأن صوت الحزب الشيوعي جهوري : فقد صاح بإرادته السلم بصوت عالٍ للغاية حتى بات كل إنسان يعتقد ان ساعته الأخيرة قد أقرت .

لكن انتم ؟ يا من تلعبون دور الساحطين المستهجين ، هل تفتنون شيئاً آخر ؟ ألا ترحمون انتم أيضاً انكم راغبون في السلام ؟ والحال اني ابحث عن الفصان زيتونكم فلا أجد غير القتابل . انكم تقولون انكم تظهرون قوتكم حتى لا تضطروا ال استخدامها ؟ لكن إظهار القوة هو الأساس فعل عتف . انكم تفتنون بذاذفات قتابلكم حياء إفريقيا لترضخوا لأوامركم مليكاً زنجياً . وهذا العتف الأبيض أدهى من الآخر : إن اللبك سيطأطئه الرأس بدون ان تطلقوا طلقة بنقوية واحدة لكنكم تكونون قد حطمت ارادته بالأرهاب . وانظروا على كل حال ال نتيجة تهديداتكم السلفية جداً : انها تنتج ردوداً سلفية جداً هي بشابة مجازر . وانتم تلتشرون نتائج تجاربكم القوية وتلباهون بقدرتكم على محو موسكو في مدى أربع وعشرين ساعة : لصالح السلام ، بالتأكيد ، والتنشيط حمة المعتدي المتوقع . لكن الحكومة السوفياتية حريصة هي الأخرى على تنشيط حمة المعتدي : فانسقط طائرة سويدية لتثبت ان مجالها الجوي غير قابل للاختراق . من عدوان مشيط ال عدوان مشيط ، في اليونان ، في برلين ، في كوريا ، في باريس بالذات ، ورجال يموتون يوماً . وهذا هو سلامكم : السلام عن طريق الحرف . ولو كان الاتحاد السوفياتي خائفاً مثلكم ، لكان سلامكم قد انقلب حرباً .

ذلك أن الاتحاد السوفياتي يريد السلام وهو يبرهن على إرادته هذه يوماً . ان حلفاءكم الأميركيان يرددون بأنه لا يمكن تجنب الصدام إلا عن طريق المفالاة في التسلسل . « ان يعود الانحداء السوفياتي يلقنا حين نصبح أقوى منه » . أقوى منه : أي قاضين على سطحه إذا ما نتحج . لتفقرهن بأنكم وصلت ال هذه الدرجة من القوة: لمن سيقرر انه نتحج ! ما ستكون حدود صبركم ! أميتوجب

أن يغزو بلدًا أجنبيًا أم يكفي أن تمتلك دولة ذممة له أحد الكرادلة ؟ إن الحكومة الأميركية تؤكد أنها لن تهاجم إذا لم يكن هناك داعٍ جليل إلى ذلك. ويردي لو أسدقها . لكن الروس ؟ كيف يريدون أن يصدقوها ؟ كيف يتفنون بوعود حكومة ديموقراطية عاجزة حتى عن إيقاف تحركات جنرالاتها ؟ وقد تخلي مكانها ، في مدى ستة أشهر ، لحكومة جمهورية ؟ انني لا أشك ، بالطبع ، بصفاء النيات الأميركية ، لكنني أعرف مع الأسف ان تغيراً في الطاقة العسكرية يؤدي بالضرورة إلى تغير في العقول. وليس قلة من حاجة إلى الفجوة إلى التحالفات الماركسية لتعرف ان السياسة الخارجية لأي أمة كانت تتعد بتسلحها : إن عهدنا ما يزال قريباً بذلك الزمان المأسوف عليه الذي كان فيه الأميركيان ينفذون الحرب لأنه لم تكن لديهم مدافع . والحال انكم تزعمون ان القيادة السوفييتية وحوش لا تأبه بالحياة الانسانية وقادرة على إشعال نار الحرب بقطعة أصابعها . إذن فلماذا لا يهاجمون ؟ لماذا لا يهاجمون طالما ان الفرصة ما تزال سانحة ، وطالما ان مطارداتهم متوقفة على مطاردات العدو ، وطالما ان جيوشهم لا تحتاج إلى أكثر من غائبة أيام لاجتياح أوروبا ؟ تقولون : « لأنهم يخافون من قنابلنا الذرية » فهمت : انهم ينتظرون إذن أن يتضاعف مخزوننا ثلاث مرات وان يصبح الجيش الاطلسي على أهبة الاستعداد . ياله من حساب مدعش ! الاتحاد السوفييتي يريد دخول الحرب ، وإذا فأشرفت ثلاثة أبحرام فسوف يتجرها ، وهو لا يدخلها في الوقت الذي ما يزال فيه يوسع ان برمجها . إذن فلا بد ان الناس هناك عمالين . اللهم إلا إذا كانوا بكل بساطة يريدون السلام .

السلام ؟ اني أراكم تحبسون بلشامة : هذا عبايد آخر ، إنسان يؤمن بالاب فويل . حسناً : أما أنتم فواقعيون . في حرب ١٩٤٠ كانت اسم الواقعي يطلق على الفرنسيين الذين يتعاونون مع الجيش الألماني . والواقعي اليوم هو الفرنسي الذي يؤمن بأن الاتحاد السوفييتي هو الشيطان والذي ينتجى ، صارخاً في تنورة أميركا . إذن فأنتم تعرفون ان أعضاء المكتب السياسي كلاب مستكلمة . ومن

قال لكم ذلك ؟ ما أدلتكم ؟ انني أختار أرهف وأندم مقلبي السبقارو ، السيد
 ويون آرون ، وأقرأ ما يلي : « يحلو للحمائد ... ان يتخيل اتحاداً سوفياتياً
 يقف موقف الدفاع المحض ، لتقلبه الاستعدادات الأميركية ، ولا يرغب إلا في
 حماية أمنه . ويكفي ان نتذكر الدبلوماسية التي انتهجها الاتحاد السوفياتي بين
 ١٩٤٣ و ١٩٤٧ ، في الوقت الذي كان فيه الغربيون يضاعفون جهود التعاون ،
 حتى تفهم الزعم الذي يقوم عليه موقف الحمائد ^{١١} » . لقد انقبضتم ببلا شك الى
 هذه الكلفة : « يكفي » . هذا هو نوع الحجج التي يعارضونها بها . وإلي لأعتقد
 جداً ان آرون لا يتكلم جدياً : ذلك انني قد حاولت كثيراً ، كما يدعوني ، ان
 أتأمل في « الدبلوماسية ، السوفياتية » ، فلم أتوصل إلى التحرر من أوهامي .
 وهذه الدبلوماسية ليست بجماعة ، بل هي قطة ، لا رادع لها من ضمير ، وتوحي
 بالرغبة والحقد . وواضح ان الاتحاد السوفياتي ، الذي لم تتوفر لديه ببلا شك
 المعلومات الكاملة ، لم ينظر بعين الجهد الى جهود الأوروبيين للتعاون . انه يراهن
 في كل مرة يمكنه ذلك ، وحيناً يجازف بزيادة حدة التوتر الدولي الى حشد
 خطر ^{١٢} . كلا : اني لن أمتح الاتحاد السوفياتي جائزة فضيلة . لكنه كان غير
 قابل للتفهم في أوروبا ، ولم تكن إعادة التسليح الأميركي - بإعتراف آرون - قد
 بدأت ومع ذلك لم تبدر عنه قط بأدنى يمكن ان تؤدي الى اندلاع الحرب . ثم
 ان الحزب الشيوعي كان يتعاون مع الأحزاب البورجوازية في ديمقراطيات
 الغرب وكان شعاره : الانتاج . واذا كنتم تهتمون بالاتحاد السوفياتي بأنه « حرب »
 بدءاً من عام ١٩٤٧ ، إعادة بناء أوروبا ، فاعترفوا على الأقل بأنه كان يبحث
 عليه قبيل ذلك . واذا كنتم تزعمون في هذا التنظير برهاناً على نيته الحربية ،
 اذن ، وأكراماً للمنطق ، اعتبروا استطرافية مارسيل بول برهاناً على نيته
 السلمية .

يقبل إلي ، على العكس ، ان الموقف الراهن للاتحاد السوفياتي ، « وورده »

١ - آرون ، « مجربنا الأوروبي » - مجلة « يرف » - حزيران ١٩٤٤ .

٢ - افكار عن الأخص بقضية ايران .

والمعنى المزوج لديوماسيت ، قد جرى تجديدها بصورة مثل قبل ثلاثين عاماً
في مقال لينين في البرلندا في ٢ آذار ١٩٢٣ (المجلات الكاملة - المجلد الثاني -
ص ١٠٤١) .

« ... لن يكون سهلاً علينا ان نضمن حتى الانتصار الثورة الاشتراكية في
البلدان الأكثر تقدماً ... ان نظام العلاقات الدولية قد بلغ الآن في أوروبا درجة
اصبحت معها إحدى الدول - ألمانيا - مستعبدة من قِبل الدول المتصرة . ثم
ان مجموعة من الدول ، ونحدد بأنها من أقدم دول الغرب ، تجد نفسها على إثر
انتصارها ، في شروط تستطيع معها الاستفادة من هذا الانتصار لتقوم بسلسلة
من التنازلات لصالح طبقاتها المضطَّهدة ، وهي تنازلات ، على تواضعها ، تؤخر
الحركة الثورية في هذه البلدان وتخلق شبه سلم اجتماعي . »

« وفي الوقت نفسه فإن مجموعة كاملة من البلدان - الشرق والهند والصين -
قد وجدت نفسها "مُلقى" بها نهائياً خارج لتأليدها نتيجة الحرب الامبريالية
الآخيرة على وجه التحديد . ولقد التحد تطورها نهائياً في طريق الرأسمالية
الأوروبية العام . وفي هذه البلدان بدأ الاختار الذي يشغل بال أوروبا بأسرها .
وواضح الآن بالنسبة الى العالم قاطبة انها اندفعت في طريق للتطور لا يمكن ان
يتخلف عن ايقاع مجموع الرأسمال العالمي في ازمة . »

« نحن نلف اذن في الساعة الزامنة امام هذا السؤال: هل تستطيع الصعود
بإنتاجنا الفلاحي الصغير ، الصغير للغاية ، وبمخافة الحراب التي يشكو منها بلدنا ،
الى ان نتجز البلدان الرأسمالية في أوروبا الغربية تطورها نحو الاشتراكية ؟
لكنها لا تتجز تطورها كما كنا نعتقد في السابق . انها ستنجزه ، لا عن طريق
« نضج » منتظم للاشتراكية فيها ، بل عن طريق استقلال دول معينة من قِبل
دول معينة اخرى ، عن طريق استقلال اول دولة مقبورة في الحرب الامبريالية ،
بالاضافة الى استقلال الشرق كله ... لقد دخل الشرق ... نهائياً في مدار
الحركة الثورية العالمية . »

« ما التكتيك الذي يفرضه هذا الوضع على بلادنا ؟ انه بالطبع التكتيك

الثاني : إن علينا أن ندلل على أكبر قدر ممكن من القنطة والحذر حتى يمكننا ان نحفظ بحمكتنا العربي ، وان نبقي تحت سلطته وقيادته طبقنا العنصرية الصغيرة ، الصغيرة للغاية ... وما هو في غير مصلحتنا ان الاميراليين تمكنوا من شق العالم الى كتلتين . وهذا الشق يتعقد بفعل ان ألمانيا ، ذلك البلد الذي بلغ درجة متقدمة فعلاً من الثقافة الرأسمالية ، لن يتمكنها ان تعاد النهوض اليوم إلا بصعوبة ... ومن جهة أخرى فبلدان الشرق بأمره ... يجد نفسه في شروط لا يمكن فيها للفواء الفيزيائية والمادية ان تصمد البتة للمقارنة مع القوى الفيزيائية والمادية والعسكرية لأي دولة معها تكن صغيرة من دول أوروبا الغربية .

• فهل نستطيع ان تتلافى الصدام القادم مع هذه البلدان الامبريالية ؟ هل نستطيع ان نأمل بأن التناحرات والتراعات الداخلية بين بلدان الغرب الامبريالية المزدعرة وبين بلدان الشرق الامبريالية المزدعرة ستترك لنا هدنة للمرة الثانية ؟ كما فعلت في المرة الأولى حين فشلت الحملة الصليبية التي قامت بها الثورة المناهضة الغربية لمساعدة الثورة المناهضة الروسية بتفصيل التناقضات القائمة في معسكر المناهضين للثورة ؟ ...

• يجيل إلي انه يتوجب ان نجيب على هذا السؤال آتفين بعين الاعتبار ان الحل يتوقف هنا على عدد كبير للغاية من العوامل ، وأن ما يسح لنا بعد كل شيء بالتنبؤ بنتيجة الصراع هو ان الغالبية الساحقة من سكان المعمورة تتلقها وتربها للنضال الرأسمالية نفسها .

• ان نتيجة الصراع تتوقف في النهاية على كون روسيا والمهند والصين التي تشكل الغالبية الساحقة من سكان الكرة الأرضية ... ومن هذه الزاوية لا يمكن ان يخامرنا ظن من شك بصدد النتيجة النهائية ...

• لكن ما يمننا ليس هو البتة هذا الانتصار الحتم للاشتراكية . ان ما يمننا هو التكتيك الواجب اتباعه لتبع الدول الغربية المناهضة للثورة من سطنا . وحتى يمكننا ان نستر في الوجود الى يوم ينشب فيه الصدام العسكري بين الغرب الامبريالي المناهض للثورة والشرق الثوري القومي النزعاً بين أكثر بلدان

العالم لدينا والبدان للتأخرة كبدان الشرق التي تثلل مع ذلك العالمية - فلا بد ان يتاح الوقت لهذه العالمية كي تتحضر . ونحن ايضاً نفتقر الى المدنية حتى نتقل مباشرة الى الاشتراكية بالرغم من ان تبشيرها السياسية متوفرة لدينا

(ويبلغ ذلك مخطط إجمالي لاقتصاد الاتحاد السوفياتي الداخلي) .

فما الذي نفع منذ ان كتب هذا النص للتحير للاعجاب بما فيه من صحو فحصر ؟

- لقد تصنّع الاتحاد السوفياتي ، لكن الجهود الضخم للولايات المتحدة الاميركية تهدف الى الإبقاء على التفاوت بين إنتاج الغرب وإنتاج الشرق .

- لقد انتهت الحركة التنويرية الصينية الى ثورة . لكن تصنّع الصين لم يبدأ . وقد بقيت الهند خارج الحركة : ومن الممكن ان تولد فيها بين يوم وآخر نزاعات سيستفيد منها الاتحاد السوفياتي . لكن الأمور لم تصل الى هذا الحد بعد .

- لا يتكنا في ١٩٥٢ ان نتحدث عن « الأزهار » كما كانت الحال بعد ١٩١٨ . ولا عن السلم الاجتماعي . لكن الطبقة العاملة في مرحلة جزر والحكومات البورجوازية مصممة على قمع الانضغاطات الاجتماعية بجميع الوسائل . والعمل المركزي للامبريالية الاميركية يمنع مؤقتاً النزاعات القومية والديولية من التفاقم . ويبدو ان الروس اعتدوا على لزمة اقتصادية في الولايات المتحدة الاميركية ، لم تنشب بعد .

وبصورة إجمالية فإن تفاوتاً حقيقياً ما يزال قائماً بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية . وبالرغم من أن الولايات المتحدة الاميركية والصين هما في حالة حرب عملياً ، الا ان هذه الحربيين يد ما يزال متخطلاً لغاية اقتصادية وبين أكثر الدول الرأسمالية « مدنية » لا تشبه في شيء تلك الحرب التي نلها بها لينين والتي كان ينتظر ان تنزل ضربات حاسمة بالرأسمالية . وبكلمة واحدة ، اذا ما حاولنا ان تصور ، بالرجوع الى هذا المقال ، ما يمكن توقعه ان يكتبه اليوم عن السياسة

التي يتوجب على الاتحاد السوفييتي انتهاجها ، لبدأ لنا جلياً انه سيكرر المجلس
الاساسية فيها : « علينا ان ندلل على أكبر قدر ممكن من القفظة والحذر ...
هل نستطيع ان نتلافى الصدام القادم مع البلدان الامبريالية ؟ هل نستطيع ان
نأمل بأن تناحراهما سنترك لها هدنة لفترة الثالثة ؟ ... ان الطل يتوقف على قدر
كبير للقاية من العوامل بصورة لا يمكننا معها التلبؤ بشي لكن لا مجال
لشك في نتيجة الصراع » .

ولا انصور ان مثاليين اتبع سياسة أخرى . فنحن نرى أولاً الحكومة
السوفييتية تحترق عصبية الأمم ، تلك الاداة في يد الامبريالية البورجوازية ، ثم
من اللحظة التي بدأت فيها اليابان و ألمانيا المتفوية تطلقان بالها أخذت تقرب من
عصبية الأمم ، وتنادي في جنيف بنظرية السلم غير القابل للانقسام ، وتقف
يحياتب الأمم « المحافظة » ضد الأمم « البروليتارية » . كان ذلك في العصر الذي
صرح فيه مثاليين : « نحن لا نطمح في بوسة واحدة من أراضي الغير ولن نسبح
لأحد بالاستيلاء على بوسة واحدة من أراضينا » . بسبل ان الاتحاد السوفييتي
سيذهب الى حشد توقيع اتفاقية معونة متبادلة مع فرنسا . وحتى مؤتمر
ميونيخ¹⁹ ، سيلعب لعبة التفاوض اطيات « مكثفياً بتوصيتها بالزيد من الحزم .
وموقف الحزب الشيوعي الفرنسي ، منطورياً اليه من خلال صلته بالسياسة
الخارجية للاتحاد السوفييتي ، بالغ الدلالة . فيين ١٩٣٨ و ١٩٣٠ ، بسى برنامجه
النضالي ، طشيتيه من اندفاع الدول الرأسمالية في هجوم على روسيا السوفييتية ،
ضد الحرب الامبريالية ، وحده التدابير الرئيسية الواجب تنفيذها في حالة نشوب
القتال . ويدهأ من ١٩٣٥ وحتى ١٩٣٨ ، واصام تهديد القاشية الداخلي
والخارجي ، فكر وتدل فكرة وحدة العمل مع الاشتراكيين . وتحسن لعرف
خطية الاتحاد السوفييتي وتطهيره بعد ميونيخ ، و « محاولات رجعيي السكتلرا
وروما للاتحاد مع فاشي ألمانيا وايطاليا على حساب الاتحاد السوفييتي » . ومن

١ - المؤتمر الذي عقد في ايلول ١٩٣٥ ، وضم رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وألمانيا
وايطاليا ، وقرع على تشكيل كورنوبواكيا للتعاون عن جزء من أراضيها لألمانيا .

يؤكد ان الاتحاد السوفياتي قد خشي من التطويق والحرب : وعيناً طلبت
 الحكومتان الفرنسية والانكليزية التحالف الروسي بين ١٩٣٨ و ١٩٣٩ امام
 الخطر الوشيك الواقع . ان رية السوفياتيين لن تلقي السلاح : فهم ملتصقون
 بأن ألمانيا على مفرق الطرق ، وبأنها ستهاجم جيوانها في الغرب أو جيرانها في
 الشرق ، وذلك تبعاً لميزان التحالفات . ويوقع ريننروب^{١١} ومولوتوف الخلف
 الألماني - الروسي . ولقد قيل كل شيء حول هذا العمل ، ولا ريب في انه كان
 خالياً من الرقة والمراعاة : لكن من يستطيع ان يتكبر ان روسيا كانت تريد
 ان تحافظ على سلامها امام استحالة المحافظة على سلام العالم ؟ ولم تغير موقفها إلا
 مع هجوم ألمانيا عليها عام ١٩٤١ ، ويستدل من العمليات الأولى ان الجيش
 السوفياتي لم يكن مهتماً قام التوشة للصدمة . وبعد ١٩٤٤ ، ايقظ انهيار ألمانيا
 الصليبية المعادية للسوفييت من جديد . وحسب اول الاتحاد السوفياتي ، يختلف
 الوسائل ويختلف السياسات ، ان يعنى نفسه . وبدءاً من ١٩٤٧ ، ابعدت
 الأحزاب الشيوعية الأوروبية عن المراكز القيادية . وكان تصلب سوفيياتي جديد .
 لقد بحثت طويلاً ولم أجد خلال العقود الثلاثة الأخيرة أي ارادة هدوانية لدى
 الروس . افا وجدت أمة مرابطة محاصرة ، ما تزال تذكر تدخل الحلفاء عام
 ١٩١٨ وما تبع ذلك من فرض حجر صحي عليها ، أمة ستؤثر أي شيء كانت
 على الاسحاق ، حتى ولو حرباً عالية ، لكنها تسمى بجميع الوسائل التي فوه
 هذه الحرب ، أمة غشنة ، أجل ، ومتعالية وغضوبية وشريرة عندما تدعو
 الحاجة : لكن ابن العجب ؟ ذلك انه افا كان صحيحاً ان الأحزاب الثورية
 بتبعيتها لها لا تسام البتة تقريباً في تهدئة روح الناس ، إلا ان الشنائم التي تفرغ
 فيها هذه الأحزاب في الديموقراطيات البورجوازية ، وقمعها سياسياً ، وسياسة
 الزعماء الشيوعيين في البلدان الناشئة ، لا تشمل من شيء سوى انها تزيد في حدة
 التوتر . ذلك ان ما يبغضه البورجوازيون في الشيوعيين هو الاتحاد السوفياتي

١ - دور خارجية ألمانيا بين ١٩٣٨ و ١٩٤٥ ، حكمت عليه هيئة نورمبرغ بالإعدام
 (١٩٤٣ - ١٩٤٦) . ٥٢٥٥ .

وما يفتنونه في الاتحاد السوفياتي هم الشيوعيون . وما لا مجال للشك فيه ، على كل الأحوال ، هو ان تسلط فكرة العدوان الروسي علينا يتجاوب بدقة مع تسلط فكرة التطويق على الروس .

لكن على بينة من أمرنا : اذا فقد الاتحاد السوفياتي ذات يوم كل أمل في تجنب الحرب ، فسوف يقول بنفسه اطلاق شرارتها الاولى . ومن يمكنه في مثل هذه الحال ان يلومه ؟ لكن قاعدته لا يفلتون انقساماً عن قاعدتنا . فنته عام ١٩٤٦ بات مولوتوف يؤمن بجمية الحرب . لكن المسألة اليسوفوسلافية دلت على انه لم يقنع زملائه قام الاقتناع ، وكان بعضهم ، على ما يبدو ، يفكر بأن الصدام يمكن ارجاؤه الى يوم تلتشب أزمة حاسمة بزعر اركان العالم الغربي . المفاوضات الالمانية ، التحفظات الانكليزية ، تقلبات الرأي العام في فرنسا واطاليا ، تورط الاميركان في كوريا ، اضطراب العالم العربي ، حرب القيبث - منه : هذه وغيرها اوراق ما يزال بالامكان القامرة عليها . وكان هذا التصور او ذاك يفرض نفسه ، تبعاً للموقف الدولي ، وربما ايضاً تبعاً لميزان القوى داخل المكتب السياسي ، لكن تصور الالفية كان هو ما يعدل من كفته .

وقد انعكس هذا التراجع في سياسة الحزب الشيوعي ، واتا في هذا الشارع بقضي ان نضع نظاهرة ٢٨ أيار . فكثيراً ما ربطت هذه التطاهرة بالقتال الذي نشره بيبو بعد سفره الى الاتحاد السوفياتي . والحال ان هذا القتال ، وكما يستين ذلك جيل مارفينه في « الأوبسرفاتور » ، يعلن عن عودة الى خط ١٩٥٠ أكثر مما يشكل ، المعطافاً ، في سياسة الحزب . ففي عام ١٩٥٠ ، في المؤتمر السابع للحزب ، وقف توريي^{١١} يقضح « الحكومات التمرشة^{١٢} التي وهبت نفسها للرأسماليين الاميركان ... و... التي تلجأ في حربها على الطبقة العاملة الى طرائق

١ - موريس توريي ، الأمين لعصام الحزب الشيوعي الفرنسي بين ١٩٣٠ و ١٩٦٥

٢ - ص ٢٥

(١٩٦٥ - ١٩٦٥) .

٣ - ص ٢٥

٤ - نسبة الى مارشال الاميريكي ومشروعه المعروف .

الاجتياح والارهاب . وفي ايلول ١٩٥٦ صرح جاك ديكلو ، على العكس ،
في مجلة اللجنة المركزية : « ان ارباب العمل والعمال يمكنهم ان يلتقوا في المعركة
نفسهم من اجل انقاذ الاستقلال الفرنسي » . وفي ايار ١٩٥٢ عاد بيديو الى موضوعات
تورين : « ان الدفاع عن الصناعة الفرنسية لا يمكن ان يتحقق ضمن نطاق
« التحالف قومي » بين العمال والطبقات المتوسطة والصناعيين » . وهكذا رجع
الحزب الى تصليب ١٩٥٠ ليعود بعد شهر واحد ، مع تقرير فاجون الى اللجنة
المركزية (١٩ حزيران ١٩٥٢) ، الى الجهاد ديكلو : ان طبقة ارباب العمل
ليست متجانسة ، وان كثير من الصناعيين الفرنسيين مهددون بالانحلال نتيجة
سياسة التسليح . ولقد أسيء فهم مقال بيديو ، ولا يسد من التخلي عن التعصب
الذهني ، أو مسد اليد الى الجماهير الفلاحية والى الطبقات المتوسطة وإلى المثقفين
والى « من يشكون من ارباب العمل من السيطرة الاميركية » . والتسارح هذه
المررة أسرع وأوسع نطاقاً : لقد غالى بيديو أكثر من تورين ، وفاجون يقالي أكثر
من ديكلو . ويبدو ان النوايا قد طاشت صوابه . ولقد قيل ان تناوياته كانت
تتجاوب مع ايقاع الموقف الدولي . لكن هذا غير صحيح مئة بالمئة : فصحيح
ان تورين صرح عام ١٩٥٠ بشأن « السلم معلق بشعرة واحدة ليس إلا » لكن
حرب كوريا لم تكن قد اندلعت بعد (هل كان يعرف انها قريبة ؟) وتجديد
التسليح الاميركي يرجع تاريخه الى العام التالي ، وفي ايلول ١٩٥٦ لوحظ بعض
الانفراج بالنسبة الى شهر كانون الثاني ، بيد ان الاخطار نفسها ما تزال تثقل على
العالم : فقد تم تقرير انعاده تسليح المانيا ، ومفاوضات الصلح في كوريا تسير
سجراً بطيئاً للغاية ، وفوز المحافظين في الانتخابات الانكليزية مؤكداً ، ومؤقر
لوثاوا على وشك الافتتاح . اما التارجمان الاخير ان فقد حداً في نفس الجو
الثور الهدد ، وهذه المفاجأة المسرحية المزروجة لم تتوافق بأي تعديل محسوس
في الموقف السوفيياتي الذي ظل ملتصقاً بسياسته الكفافية . إلا اننا لا نجد شيئاً
مثالاً لهذا في ايطاليا بالنسبة الى الفترة نفسها ، وانه لما يسرع الانتباه ان

تولياني^{١١١} ، بعد بضعة أيام من نشر مقال بيبيو ، قد اقترح على دي غاسبري^{١١٢} عن طريق نيني^{١١٣} جبهة مشتركة ضد اليمينيين والقاشيين الجدد . وهذا وحده يكفي لاستبعاد فكرة وجود اوركسيرا واحسدة لتولي التنسيق بين الحركات الشيوعية القومية^{١١٤} . إن تاراجحات السياسة الشيوعية في فرنسا هي خاصية الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يقصد ، لأسباب سأشرحها فيما بعد ، التنازلات الروسية مع تومسما ؛ وبقية هذه التاراجحات وشدها واتساعها تتعلق بثلاثة عوامل هي الأقل : الطرف الدولي ، الحياة الداخلية للمكتب السياسي ، الحياة الداخلية للجنة المركزية الفرنسية . ولقد تم تقرير مظاهرة ٢٨ أيار في جو من التشاؤم . كانت جهداً أخيراً في سبيل السلم . لكن الحزب كان قد كف عن الأيمان بالسلم ، وهذا ما يفسر ارامة الفشل والوجه إلى العنف . ارت الحزب الشيوعي بتوقيع الأسوأ دوماً ، ففي عام ١٩٢٧ قال ستالين : « ما من بلد رأسمالي يمكن ان يمازف بحرب واسعة النطاق إن لم يكن مطمئناً إلى مؤخرته سلفاً ، وقيل ان يكون قد فهم عماله وقع مستعمراته ، . ولما اقتنع الحزب بأنه سيحل ، يبدأ يفكر بالعودة إلى العمل السري . وتقرر قاجون بلخ صراحة إلى هذه الزعة الأنظمة ، فقد قال : « على جميع نشاطات الحزب ان تستمر علناً في عملها الجماهيري ، وكأنه أراد بذلك ان يطمئن المضالين وان يستتكر في الوقت نفسه الاستنتاجات المتسرة أكثر مما ينبغي . وحسب قرار المكتب السياسي للمظاهرة ، لم يكن حجة كثير أألا يشارك فيها سكان باريس ، لأنه يعلم سلفاً ان

١ - بليرو تولياني : الأمين العام السابق الحزب الشيوعي الإيطالي ، توفي في اواسط عام ١٩٦٤ .

٢ - سياسي إيطالي ، رئيس الديمقراطية للشيوعية ، ورئيس الوزراء بين ١٩٤٥ و ١٩٥٥ .

٣ - بيلو لينو : الأمين العام الحزب الاشتراكي الإيطالي .

٤ - في خطابه في شهر حزيران ، وبخطة مهاجمة دي غاسبري ، قرع تولياني بقية الحزب الشيوعي الفرنسي ، وقال ما خلاصته : « لنا الجبهة إلى هذا الحد ، . لقد حشدتم شرطتسك وفوانسك في شوارع باريس لكننا لم نفع في الفع ولم نرد على استغزواؤكم » . ومن السيل أن نستنتج من هذا الكلام رأيه في مظاهرة ٢٨ أيار .

الأمر لن ينفذ^{١١١} . وقد قال بيير تيسو في « فرانس سوار^{١١٢} » : « كانت المظاهرة عبارة عن عمل منسق قام به فدائيون سائرون ، تنفيذاً للأوامر ، إلى معركة خاسرة سلفاً » . معركة خاسرة سلفاً : هذا صحيح ، فقد كان لا مفر من فشل المظاهرة . لكن من الصحيح أيضاً أن انتصارات البروليتاريا طويستة الأمد وتولد في غالب الأحيان من معارك خاسرة حينياً . وما لا نستطيع البدء تقريباً أن نقيمه ، نحن البورجوازيين الذين لا يريدون أن يحتفظوا إلا بقسري أنصاف انتصاراتهم ، هو صبر العامل الطويل وذلك المزيج من القدرة والبيأس والشجاعة الذي يعمد أحياناً ، تحت ضغط وضع لا يطاق ، يدخل معركة هو شبه واثق من أنه سيقهر فيها . إن الحزب الشيوعي بتقريره ذلك « اليوم » العيش بالرغم من عدم وجود أي فرصة للتراجع ، إذا كان يستلهم رغباً عن كل شيء ، التقاليد العمالية .

لكنه كان يعبر على الأخص عن نزعة الجماهير السامية المتأصلة ، وانتهمكذبون متعصبين حين تهنون العامل الفرنسي على أنه رفض تجنيده خدمة مصالح ليست هي مصالحه . إن واحداً من العمق وأبسط مشاعر البروليتاريا ، إن واحداً من المصطيات البائسة لوعيها الطبقي ، هو فهمها لنفسها على أنها ذلك الوجود اللغوي به في الكتل الاجتماعية من غير ما علاقة تضامن معه . أنها غير متديجة بالمجتمع ، بل هي تلقى بجانبه ، في شبه انفصال يفرض عليها وينتهي بها الأمر إلى المطالبة بمسه . وفي فترات التوتر الدولي ، تفرغى روابطها الاجتماعية أكثر أيضاً ، في الوقت الذي تتوق فيه في أي مكان آخر . فكيف يمكنها أن تضع نفسها على مستوى التوتر النفسي والاجتماعي البورجوازية الصغيرة التي تحيط بها ؟ إن هذا

١ - وكيف يمكنه أن يكون على غير ذلك حطاً له . كما يقول دوفرجيه ، « يتبع منهاجاً عملياً يسمح له ... بعرفة تقاليد مشاعر الجماهير » ؟ يسأل إن السورلين الحقيين لا يقدمون مسودات حطلة إلى السورلين التركيزيين . هذا ممكن ، لكن الخليفة في مثل هذه الحال متصرف لكنها لن تبقى كليا .

٢ - من كتابات الصحف الجينية الفرنسية .

الطلاق بين انعدام المبالاة وبين الاحتياج العام يجعلها قبل نحو النزعة السلبية . والنزعة السلبية هي أولاً وبالتقابل اعادة تركيز النزعة العمالية وسط مجتمع استغلالي ، ثم تصبح ، بعد ذلك فحسب ، إعلاناً عن التضامن مع الطبقة العاملة في الأمة العدو . وفي الوقت الذي تسقط فيه سائر الطبقات لتضامها الخاص في الجانب الآخر من الحدود ، مغيرة اسمه وكصورة شيطانية عن المجتمع ، يسقط العامل ذاته امام نفسه ومن غير أن يبدل الاسم ، لأن تقيده لذاته هو طبقة بلاده البورجوازية بالذات . وعلى هذا فإن الموقف الأبسط والأقرب من العنوية ، هو الموقف الذي يعبر على الفضل صورة عن مشاعره ، هو النزعة الأنيمية . ولعل اولئك الذين تقدمت بهم السن من العمال ما يزالون يذكرون النداء الذي وجهته عام ١٩٠٦ اللجنة الاتحادية للاتحاد العام للشغل : « حارب على الحروب . ايها العمال ... ان الحرب قد تثشب لأبسط حادث . والصحافة تعلم هذه الأشياء ... وتلزم الصمت مع ذلك . هذا لأنهم يريدون ان يرغوا الشعب على ان يسير » متذرعين بالشرف القومي وبمجنونة الحرب ما دامت دفاعية . والحال ان الشعب لا يريد الحرب ... وليس للطبقة العاملة اي مصلحة في الحرب . فهي وحدها التي تتحمل تكاليفها كافة - وتدفعها من عملها ودعما . اذن فعليها تقع مهمة ان تقول بأعلى صوتها انها تريد السلم . »

ولقد رأينا كيف ان تحول الثورة الروسية الى أمة تسد عقبة الأمور بعض الشيء . والحزب الشيوعي ، بطلبه الى البروليتاريا ان تدخل استثناء على مواقفها المعادي للنزعة العسكرية ، قد خلق تناقضاً سينتهي به الأمر الى تشويش كل شيء ، وإلى حرمان الشعور العفوي من تعبيره . ومنذ ١٩٢٨ وجدت رغبة في استغلال القوة المقدسة لبعض الكلمات وبعض المرافق لصالح الاتحاد السوفياتي . وبدلاً من ان يشرحوا العامل وروابطه كتضامن واقعي وغير القابل للانقسام التي تربطه بالاتحاد السوفياتي ، جندوا من الاتحاد السوفياتي الوطن الاشتراكي العامل ، ومن العامل جندي الاتحاد السوفياتي المحارب من وراء الخطوط . وفي الوقت نفسه تقدمت وتطورت اساليب التضال ضد الحرب واخذت بالتالي شكلاً عسكرياً :

وعكذا أراد الحزب الشيوعي ، وقد أخذ درساً من فشل ١٩١٤ ، ان يستبدل اسلوب ، الاحزاب العمام ، المشهور والنهيم ، بأسلوب التخريب والدعاية الازمائية واللائشرية ، الخ . وعند ١٩٢٨ - ١٩٣٠ بدت الحيرة على الطبقة العاملة وفشل ، اليوم الاحمر الدولي ضد الحرب (١ آب ١٩٢٩) فشلاً فريعاً شديداً بفشل ٢٨ أيار ١٩٥٢ . واليوم ، وكما كان متوقفاً ، تفرق المذهب الاممي الذي يفترض اصطفاً لأعضاء للجماهير (انها بجانب بعضها البعض ، تفصلها الحدود ، وليست القيادة لأحد ، وهيئات مثلها برلمانية) تحت تأثير المركزية . وللمادة ٥٧ ، موضوعة ابول ١٩٢١ ، : اللجنة القائمة للحزب مسؤولة أمام مؤتمر الحرب ، امام قيادة الاممية الشيوعية ، يمكن ان تفرجم ومزبا الى هذه الجهة ، العامل وطنان ، وطنه وجمهورية السوفييتات الروسية . والحقيقة ان ظهور الأوطان اكل وأنجز عملية الانفصال الاقني . وأصبح الحزب الشيوعي على المستوى الدولي ، تنظيماً لا يقل قوة عنه في كل بلد على حدة ، ان الأمم شأن اطلاقاً لن تتصل فيما بينها إلا عن طريق اهل حلقات التسلسل . لكن مصلحة البروليتاريا ومصصلحة الاتحاد السوفييتي تظل واحدة بالرغم من هذه الحواجز الفاصلة المهادفة الى توثيق الأواصر وتدعيم هيبة السلطة المركزية ، وبذلك تم التخلي عن صحيح غريقبوله التي كان لها اعطى الوقع في قلوب الثقائمين . (الدفاع عن أرض الوطن ؟ لست أرى مانعاً لكن بشرط ان يكون الدفاع مائلاً طمء الأرض ، تحقيقاً عن الحركة الاشتراكية ، آب ١٩٥٥) . لكن ينبغي ان نعترف ايضاً بأن الدعاية الجديدة تهدف الى تحرير العامل ، والى تزويده على القود يوسية للخروج من فائسه وبصلة تجاوز مع الآخر - لكن مع الأسف تحت شكل الأمر الكفاقي والواجب العسكري . والقصة المستعمة هي نفسها عسكرية : ، ان يوم ١٩٢٩ فاك سيكون بداية انتقال البروليتاريا الى الهجوم المضاد على الجبهة الدولية لكن خلف لغة البلاغات هذه ، وبكلمات مقتبسة من دعاية دعاء القومية ، استمر فرج من حديث صاحب بيتي بروليتاريا لبنت متمسكة بالزعة السلية - بكل بساطة لأن وضعها يفرض عليها ذلك -

وبين متناضلين لبثوا متمسكين هم أيضاً على الأرجح بهذه النزعة من خلف جهازهم الأيديولوجي واللفظي . وباعتصار ، إن هذا احد اعراض ، حيلة القسار ، الخطيرة باعتبارها ظاهرة موليصة : فلا اتصال يقوم عن طريق اللغة ، لكن الملائك والتواتر تستخدم ضد هذه اللغة كلمات تكذب ، غير أنها تتفاهم ضمناً لتعبير عن الحقيقة . انهم يعدون التفاضلين القدامى عن هجوم البروليتاريا المضاد فيسمع هؤلاء صوتاً قديماً صادراً قبل 1914 يمس في آذانهم : « ايها الشيعة ... في فرنسا كما في ألمانيا ، التفاهم الفكري كامل حول هذه النقطة : ان بروليتاريا كلا البلدين ترفض ان تخوض الحرب . ان فلير لهم كل منا حكومته ، ويمتسكاً المشترك والتواقت ، على أخذ ارادتنا بعين الاعتبار ، . وبعنى ما ، كان هدف مظاهرة 28 أيار - التي كانت من تدبير متناضلين متعربين أكثر مما كانت مظاهرة علوية - ان تعطى الجماهير تصوراً مأساوياً عن صيواتها العميقة ، كما أن التشبيل « المجازي ، في المأساة اليونانية ينعكس ، على حد رأي نيتشه ، أعمق فرائز الجوقة .

وخلصة القول انسه يتوجب على سادتنا الرجاء ان يلتفتوا بهذا : ان البروليتاريا ليس لها من داع الى القتال . انكم تشرحون برماً للعامل ان الاتحاد السوفياتي قد خان الثورة . وهذا ما يدعته ، لأنه ما كان يظن ان هذا يمكن ان يسببه لكم هذا القدر من الألم . وحرصاً على الايجاز اقول انه لا يصدق كلمة واحدة مما تقولونه . فاليفارو حين نشر شائعات مطبوعة عن السفارة الرومانية ، فإن ما تبشره يسلي حتماً عجائز علية المجتمع ، لكن هذا لأن علية المجتمع يحين الخدم والفرشين . اما العمال فلا يحضونهم عباً خاصاً . وحتى لو شامت الصدف المتأخرة ان يكون هناك عامل يقرأ بانتظام هذه الصحيفة ، ورك نفسه بفتح باحيانة السوفياتية ، فربما سيكون هذا سبباً كيبلاً يفتل في صفوف الجيش الأحمر ، لكنه لن يكون بالتأكيد سبباً ليعاقل ضده . لكنكم ستقولون : يسلي اكي يجرم البروليتاريا الروسية التعمية الخط . حسناً . لكني أشعر في مثل هذه الحال ان دعائيتكم لا تضح بعد ، ولا اعتقد انكم ستجنونون

الكثير من الناس اذا طلبتم اليهم ان يستأنفوا الصليبية المعادية لبلانشة التي كان يعظ بها هتلر وان يلقوا الى جانب لشان كاي شيك ضد صيني ماوتسي تونغ ، والى جانب سينغمان ري ضد الشعب الكوري بأسره ، والى جانب قنسة بيوليانيس ضد آباء وأخوة منفي ماكرونيوسوس ، والى جانب أوليفارشية من المعمرين ضد التونسيين والمدشقرين والقيتامين .

لقد امرتكم ، على ما اعتقد ، ان هذه مطالب كثيرة ، وراجعتم عن التشويق والتلفين للشهجي . وحين ترهبون ، لثيرة ذمتكم ، في انتاج بعض اسباب يمكن الفرء بدافع منها ان يموت من أجل الولايات المتحدة ، تنطقون معارض قنسة ومعارضات وحفلات موسيقية ، وباختصار تخوضون ما أصبح يسمى منذ بعض الوقت « حرباً ثقافية » . لكنكم تحرضون على مضاعفة أسعار الدخول : لتأكدوا ، على الأقل ، من انه لن يندس بيشكم غريب . أو تزهون بين باريس ولندن ورولين سفوداً علق عليه عدد من التلفين الشاحبين والناعمين كآلات صفيرات يلفين الأشيد تعلقها على مقاعد الدراسة الابتدائية حول الثقافة والحربة . لكن من تريدون ان تفتح هذه الأوركسترا النسائية باستثناء جمهور مهبط الطويات ؟ ان الثقافة لتتوت موتاً أكيداً حين يشرح الكتاب بالدفاع عنها بدلاً من ان يستعوهها . أما العامل فهو على كل الأحوال لا يبالي بها . وحتى يتم بها فلا بد أولاً من ان فتح له ، ولا بد ثانياً من ان تحدثه عما يهمه . ان منضدة الصفائح التي تعمل في مصفاة ما ، تشرف عادة على مجموعة من أربع آلات ، وكل آلة ثلاثين صفيحة في دقيقتين ونصف . والصفيحة تزن ثلاثة غرام . وهكذا فإن العمارة تتقل ستة كيلو كل دقيقتين ، أي حوالي عشرين طنّاً يومياً . فاذهبوا إذن لتطلبوا منها ابنها أو زوجها ، واترحوا لها ان ذلك من أجل تحرير منضدات الصفائح ، السوفياتيات المسكينات المحرومات من حق التعبير عن رأيهن في الرسم التجريدي أو في نظريات لينسكو⁽¹⁾ . أهموها ان الولايات

١ - عالم سوفياتي يولوجي اثرت نظرياته جدلاً كثيراً ، وقد تم عزله مؤخرأ من منصبه كرئيس لأكاديمية العلوم الزراعية . ١٩٥٥ .

المتحدة ستصنع قنبلة هيدروجينية وهي، خلسة للبول اسبانيا في الأمم المتحدة
 من أجل ان تتاح الامكانية له منضدات الصداق ، في الديموقراطيات الغربية
 للاستمرار في التفكير والتعبير عن افكارهن باستقلال كامل . لا تخافوا : انها
 لن تضربكم ، فهي أشد تعبا من ان تفكر بذلك . وانما انتم الذين ستتناطون منها
 وستصرفون أسفين وشاكين من ان حسي الحرية قد ضاع في أوروبا . ومع ذلك
 فإنها تعنى هي أيضاً التحرر . لكن الحرية التي تطالب بها لا تشبه في شيء
 حريبتكم . واعتقد انها على استعداد للتخلي بكل طواعية عن حرية التعبير التي
 تشنون بها اجمل التنفي في صالة غاقسو فيها لو حررت من ايقاع الآلات الواخز ،
 من الاعباء التي ليس لإرادتها دخل فيها ، من البرد ، من ديكور المصانع المكتيب ،
 وحتى تشمر بأنها حرة ، أكثر حرية من أي وقت مضى ، يكفيا - مؤقتاً -
 ان يصح في امكانها ، بالنسبة ان الزمن نفسه والأجر نفسه ان تنقل عشرة
 اطنان بدلاً من عشرين . ماذا تنتظرون ؟ لو فعلتم ذلك لكنتم تعرف خدمة
 الثقافة . تقولون انكم لا تستطيعون ، وانه لا بد من الصبر ، وان أحلساد
 منضدات الصداق سيحورم التقدم التكنيكي؟ حسناً : اذا كنتم تريدون الحرب ،
 فانتظروا ان يولدوا . ولا تعتقدوا انكم تلتعنون جدتهم إذ لدعون لها الاجور
 الاميركية المرتفعة وتفرق الحياة المادية في الولايات المتحدة الاميركية . فسادا
 تهما المفارقات الدافقة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية ؟ انها لا
 تعمل في ستالينغراد أو في شيكاغو بل في فرنسا حيث سلم أو حرب . اما انتم ،
 أيها القفلون ، فلشدة خسوفكم من النظام السوفياتي ، تفعلون كل شيء لتدوقوا
 طعمه . ذلك ان هذه الأيام أيام سلم ، والاميركان عندهم والروس في روسيا ،
 لكن غداً حرب ، وسيكون الاميركان في اميركا والروس هم الذين سيكونون
 عندهم . والعمال يعرفون ذلك : فمن اللحظة الأولى للشوب القتال ، سيفقدون
 حتى تلك الاجرة البائسة التي يطلق عليها اسم « الحد الأدنى الحيوي » وهم لا
 مصلحة لهم في ان « يجتاثوا » من قبل أحد ولو من قبل الجيوش الحمراء : انهم
 يريدون الروس في الاتحاد السوفياتي ، والاميركان في الولايات المتحدة الاميركية .

وإذا كانوا لم يكلفوا انفسهم عناء ما يرم ٢٨ أيار ، فهذا لأنهم كانوا يرون - لأسباب سأشرحها فيما بعد- ان اللعبة لا تستحق مثل هذا العناء . لكن الخلاف لم يتطرق قط الى مبدأ المطاهرة . وصدقوا انهم لا يشعرون البتة تجاه ريدوي بمطف خاص ، ولا تجاه أي اميركي آخر . ذلك انكم تعلمون حق العلم ، انهما المجردان النديقة ، والقيارو نفسها بدأت تشك في الأمر : ان الاميركان رجال دعابة مثازون ، لكن غير دعابة يقومون بها انما يقومون بها لصالح الروس .

ج - الحزب الشيوعي والاتحاد العام للشغل يشان العمال بقرضها عليهم تظاهرات سياسية .

لكن هي في حجة جديدة : إن العمال ينحون باللائمة على الحزب الشيوعي لأنه زيف أداتهم الدفاعية الوحيدة حين استخدمها لأموال لم تخلق لها . ولقد دلوا على حسيب السلام وأظهروا المهرضين « العملاء للروس » انهم مصممون على الأبقاء على الانفصال بين ما هو سياسي وما هو اقتصادي .

إذا كنتم تقولون الحق ، فإنيهم يكونون قد قدموا لأرباب العمل أجل هدية : ذلك ان أرباب العمل حريصون على هذا الانفصال ، ربما أكثر من حرص رجال ١٧٨٩ على انفصال السلطات . فبعد أن علنا الطهرانيون التجارة والصناعة ، كان لا بد ، في هذا القطاع ، من استبدال اطق بقانون حديدي : فكان هذا القانون ، باعتباره صارماً ، بعيد البراعة الى المستغلين ، ويبرر باعتباره الجأ النجاح . وكان يمكن إقامة الدليل ، بنضه ، على أن النفي صالح والفقير طالح . وكان هذا القانون قانون العرض والطلب الذي هو بمثابة آية منظمة حقيقية ، تعدل الأسعار ، تسمد بعض المتطلعين الى ان يكونوا باعسة وبعض المتطلعين الى ان يكونوا ثراء . . . تحت على الانتاج في حالة النقص وتنبط عرضه في حالة الفيض والوفرة^{١١} . ولقد سمح بالعودة الى التفاوض ، وبالتالي ارت الحرية متناسبة مع النفع الاجتماعي وارت أفضل ناجر همسو من يبيع بأرخص الأسعار ، وانه بالتالي مصطفى الله والحسن الى الانسانية . وكان القانون ينطبق

١ - ديور موسى « الأجر » - ١٩٥٢ - ص ٤٠ .

على نحو مدعش على العلاقات بين المستخدم والمستخدم : فالعمل بضاعة والأجر ثمنها . ولا أحد يستطيع ان ينحى باللائمة على أرباب العمل : فالأجر هو في كل لحظة ما يمكنه ان يكونه ، لا أكثر ولا أقل ، باعتبار ان التوازن يتم آلياً . وهكذا أصبح ميدان الاقتصاد ميدان الضرورة ، بينما لبث ميدان السياسة ميدان الحرية . وكل شيء يسير على مسأيرهم طالما ان الميدانين منفصلان . ولا مانع عند اللزوم من أن يؤثر الاقتصاد على السياسة ، لكن تدخل السياسة في الاقتصاد يبطل الوجدانات ويشير الاستهجان : فعمل الرجل السياسي يهدف الى إقامة الدليل على ان ميدان الاقتصاد قد لا يكون مستقلاً بذاته ، وأنه يمكن تعديل مجراه بالتأثير على عوامل أخرى . واقترح بعض النظريين إرجاع ما هو سياسي الى ما هو اقتصادي : لكن البيورجوازية أبت ذلك ، فهي لتفصل الفصل والتقسيم . فترق لسد . وجرت العادة بكل بساطة على إطلاق اسم الديماغوجية على كل تنازل تسلّم به السياسة للطبقات الفقيرة من غير ان يتفرغ منها انزاعاً . فالكريم هو ، من حيث المبدأ ، كريم كالمب ، وإن ذلك الإصلاح ، الكرم ظاهرياً وهذا يعني ان كل محاولة لإحلال نظام إنساني محل النظام الميكانيكي مقدر لها الفشل . وليس هناك إلا طريقة واحدة في ان يكون المرء صالحاً : هي ان يتلاءم مع النظام الطبيعي ، ان يخضع للقانون ، أن يعمل الآخر يعمل أكثر ما يمكن وأن يدفع له أقل ما يمكن . وهو يستخدم الانسانية قاطبة إذا ما نتج بأقل تكاليف ممكنة . وهذا الجهد الشكور لتحرير الربح هو أصل تلك النظرية المضحكة : نظرية العظيمة الرهيبة التي نجد هالدي كوفوبيل والدى المتأثرين . فالعامل إذا ما استخدم حفرقة التقاية يخلط بين الاقتصاد والسياسة ، ففى في النهاية على كل الميكانيكا التسامحة . وكل شيء يسير على مسأيرهم إذا ما وقف العمل النفساني على حماية مصالحه . وفي الحقيقة ، لا بد من الاعتراف بأن تواجحات السوق قبل ان تيمس قليلاً الأجر الوسطي مما كانت يسمى بورج في القرن الثامن عشر

والأجر الطبيعي والذي كان تورغوا^{١١} يعرفه بأنه ، وما هو ضروري للعامل ليتموم بأرد حياته ، والنقابة لن تتدخل إلا لتعمل متعاقداً واحداً عمل عدة ، بالتعب . وهي لا تستطيع ان تعدل قوانين الاقتصاد الخالدة . لكنها تتمتع ببعض السلطة لجرد انها تعمل كاحتكار . وهي ساستيبد من هذه السلطة لتدخل بعض التعديل على الأجر الخام ، المتعلق بلعب القوى الاقتصادية وحده ، ولتقريبه مما أمكن من الأجر الطبيعي .

وهكذا فإن الاقتصاد الكلاسيكي يصف ما كان سيحدث لو ان العلاقات بين البشر كانت قابلة كلياً للتشبيه بعلاقات الأشياء فيما بينها . أو هو يقرر ، إذا شئت ، قوانين عالم ، الانسان فيه لاإنساني بالنسبة الى الانسان . والنقابة مقبولة إذا ما أخذت مكانها ، بصفتها حالة خاصة (حالة بائع أوحد وعدة مشترين) ، في إطار هذه القوانين الصارمة . لكنها لن تكون مقبولة إذا كانت تتطوع الى أنسنة هذه القوانين . لكن بالرغم من ان وجهة النظر البورجوازية واضحة بما فيه الكفاية في حد ذاتها ، فإنني أكف عن قهقهة اذا ما حاولت ان انظر الى الأشياء من وجهة نظر العامل الأجير ، فالفايز بين الاقتصادي والسياسي يصبح غامقاً ومبهماً للغاية الى حد أجد معه مشكلة في الايمان بوجوده . وبالأصل لست أفهم ما يقصدونه حين يريدون ان ينتصر العامل على حماية مصالحه . فهل للعامل من مصلحة ؟ يبدو لي بالأحرى ان مصلحة العامل هي أن يكف عن ان يكون عاملاً . وقد قال ماركس : « ان اللمحة الواقعية للبروليتاري هي بالضرورة قلب شروط وجوده » . وإني لأرى من الآن مناهض الشيوعية يهز كتفيه : إذ يبدو اني لست جاداً وان هذه الألعاب اليزنطية قد انشاعت فرنسا عام ١٩٣٩ . حسناً ، لتكون جاداً ، إذن ، ان العامل مصلحة خاصة باعتباره عاملاً ، اي انه يتوجب عليه كهداية ان يقبل بشرطه في مجموعه . وإذا ما فعل ذلك ، أفروا له بحقه في تحسين التفاصيل . وعلى هذا فإن الموضوع البورجوازية (سواء أبحث

١ - اقتصادي فرنسي ، وزير المالية في عهد الملك لويس السادس عشر (١٧٧٧ -

١٧٩١) .

شكل الاقتصاد الكلاسيكي الحشن بعض الشيء أم تحت الشكل الحديث للتعاون الطبقي) تقول إن العامل يجب أن يظل عاملاً، ولا يجب في ذلك طاماً أنه خلق ليكون عاملاً كما خلق رب العمل ليكون رب عمل . والأضراب يكون تحريضاً إذا كانت مطالب الضريين تستوحى لصوراً عن الإنسان . وحسين يصرح رب العمل بأن البروليتاري بروليتاري بالولادة وأنه ينبغي أن يظل كذلك . فبيان لا يتكلم في السياسة : إنما يطرح مبادئ الاقتصاد . أما العامل فإنه ينتقل بالمقابل إلى ميدان السياسة حين يريد أن يلغي البروليتاريا . وكل تاريخ التشريعات العالي يكشف ، لدى المحققين اليورجوزيين ، عن اهتمامهم بتبرير الأضراب الصالحة من الطائفة . ومنذ عام ١٨٧٢ صرح موير ، وهو يدافع أمام الجمعية الوطنية عن مشروع قانون يعاقب على الانتهاك إلى الأمية، بأن هدف المشروع «حماية اللغات العمالية» من كل محاولة إضراب ، لتكون نتيجة تفكير سيء، وأمر ضد النظام الاجتماعي . . . واليوم أيضاً ، وبمسارات مختلفة ، يقضي « مجلس أرباب العمل والعمال المشترك » (قرار ٢٩ آذار ١٩٤٧) من جديد نظرية « الأضراب الخالف للشرع » : « من المناسب تطبيق هذا الحق (حق الأضراب) مع الأخذ بعين الاعتبار المبدأ المطلق القائل إن ممارسة حق من الحقوق يجدها ما يمكن أن ينشأ عنه من شطط ، وإن الحق لا يكون أبداً غير محدود في مجتمع منظم ، وأنه يجب حده الطبيعي في حال غياب تشريع خاص ، في حقوق الغير والجماعية... » . ما أجملها وما أعدلها من كلمات : أفا الشكل الوحيد هو أن « المجتمع المنظم » الذي يعيش فيه العامل والذي يتوجب عليه أن يحترم قوانينه هو على وجه التحديد المجتمع الرأسمالي الذي يضطهد . وعلى هذا فإن القرار اليورجوزي بتحديد حق الأضراب وحدته بالمطالب المهنية وحدها هو بالأصل قرار سياسي ويستند إلى تصور كامل معين عن العالم والإنسان .

حسناً ، حق لو قبلت بهذا التصور ، وحتى لو حددت بالاشتراك مع أرباب العمل مصالح العامل ، فإني لا أتوصل إلى أن أفهم ما هي هذه المصالح . لنفرض أن مصنعا من المصانع وضع في خدمة جهازه منفرد : فصلحة الجهساز هي ألا

يلسد البواب للتفريغ . وبسبب هؤلاء الشغية منساق الى حرب نتيجة سياسة
 غبية : فصلحتهم هي ألا تقع الحرب . وبين المثال الأول والثاني هذين : نسأ
 مجال للحياة الاجتماعية بأسرها . تقولون ان المثال الثاني سياسي الطابع ؟ هل
 هذا مؤكد الى هذا الحد ؟ ففي حالة اشتعال الحرب ، تقدم الطبقة الفلاحية
 و المساعدة البشرية ، وتستفيد بالتقابل من ارتفاع اسعار المنتجات الغذائية .
 وابتعاص ، لينساع منها ليرات من الدم . اما وضع البروليتاريا فعمل المصنعي
 تماماً : يضارها من الحيوانات الانسانية أقل ، ولنا اقتصادياً تنأر . ليس في
 البداية بل فسيماً بعد ، عندما يسبب التضخم القرح الصناعة الثقيلة ومصاعب
 الانطلاق من جديد من مستوى بدائي الأزمات والبطالة . ففي عام ١٩٣٨ كان
 بموج الأجر يساوي ضعفه بموج الضرائب . وفي عام ١٩٥٠ اصبح مجموع
 الضرائب معادلاً لمجموع الأجر . والمعامل ملء الحق في ان يصرح بأن المارك
 العسكرية تسه في مصالحة المادية . بل أكثر من ذلك : اذا صرحتم ان الحرب
 واقعة سياسية ، تكونون قد رفضتم التفسير الأشراكي للحرب والحلقة الجهتية :
 تضخم في الانتاج - بحث عن اسواق - اسطدمات . وانا لا أقول انكم على
 خطأ ولا أن هذه النظرية صحيحة : فلا أهمية لهذا هنا . بل اقول فقط انكم
 تدعون في تعريفكم لاهو سياسي ولما هو غير سياسي احكام قيمة واقتراضات
 وايدولوجية . يقينا ان النظرية الماركسية عن الأزمات الدورية واطروحات
 لينين عن الامبريالية الرأسمالية صحيحة او خاطئة . لكن إقامة الدليل على
 ذلك مسألة تقع على عاتق الاختصاصيين . ومعظم الناس يرفضونها او يقبلون بها
 حتى من غير ان يعرفوها ولا يرب في انهم سيصدقون مشقة وعناء اذا ارادوا ان
 يتناقشوا حولها . ومع ذلك فقد صرح مرهام في شعار طرحه للتصويت في
 مرشيليا عام ١٩٠٤ بأن : كل حرب ليست إلا مؤامرة على الطبقة العاملة ،
 ووسيلة دائية ورهيبة لصرها عن مطالبها ، وردد جميع المؤثرين هذه الصيغة
 من بعده كما لو انهم قاموها . وقد ردد دعاء القومية متبهمين هؤلاء «الأنزاعيين»
 بأنهم مباحون العدو كما لو انهم عارظون بذلك . والحق انها تصور ان عن المعامل

مقابيلان وشتارمان + معاشان وهورمان أكثر منها منكمراً بها . ويبدو ان اي ترفيق بينها مستحيل ، و : الاصلاحية ، وبوجه خاص تصدر على الطالب العمالية حكماً مباحثاً واعتباطياً يبدو غير مبرر بالمره . واستطيع ان لحكم على ذلك بما جرى عام ١٩٠٨ : قتل عامين من هذا التاريخ صوت أحد المؤتمرات على شعار يدعو الى شن حملة « دعائية مناهضة للزعة العسكرية والوطنية » . وقد جاء « نيل » و « وهو نقابي اصلاحي وزعيم الأقلية » بمرح ووجه نظره في مرسيليا : انه ضد النزعة اللاوطنية التي تجمع سياسياً بين المناضلين . وأيد جانليون وجهة النظر ذاتها : ان ألمانيا التي ستلتزم من غير مشقة ستفرض طرامة سيدفع العمال القسط الأعظم منها . اقرت فقد نيل الى الاعتقاد بأن الخطبين سيعلقان كلاهما أنها ضد النزعة اللاعسكرية لأشباب متاملة . لكن لا شيء من هذا على الاطلاق : فالنزعة اللاعسكرية تبقى قائمة « في نظر نيل » في المجال النقابي ، و هادفة الى النضال ضد تدخل الجيش في الاضرابات « . وهذا شيء ان يبدو مجرداً ولا لاجياً بالنسبة الى الذين يتذكرون هـنري فورمي (١٨٩١) والمارتينيك (١٩٠٠) وشالون سور مارن (١٩٠٠) وراون ليتاب (١٩٠٢) وهراتي فيديو وفيلوف سان جورج (١٩٠٨) . كان الواجب يقضي بالنضال ضد الجيش طالما ان الجيش يمثل التمتع . إلا ان هذا لا يبدل من حقيقة ان هذا التفكير لا يستند الى اساس من المنطق :ذلك ان تعريض العسكري على العصيان عمل سياسي . واما كان تيسار النزعة اللاعسكرية قوياً بما فيه الكفاية ، حدد باضعاف الدفاع القومي وتسهيل انتصار ألمانيا وتعريض العمال لدفع تلك القرامة الباهظة التي كان جانليون يريد ان يمنحها العمال .

كلا ، لكن على فناعة من الأمر : ان التقاية ليس لها إلا موقفان متلاحقان . فهي إما ان تقتصر على دعم المطالب المباشرة . وإما ان تدافع عن العمال في جميع قطاعات النشاط القومي . لكن العامل الذي يكتفي بالمطالب الأولية ، لا يسه ان تعرف ان يكون قد اتخذ موقفاً سياسياً : فهو لا يرفض الثورة فحسب ، بل يرفض ايضاً على سبيل المثال ، اضرابات التضامن . انه يسلم لصبره ويخون

الطبقة العامة .

والحقيقة هي انه يستحيل الاقتصاد على المطالب المباشرة؛ ولقد قال ماركس ذلك بوضوح : « ان فضلاً من أجل زيادة الأجر انما هو استمرار التعديلات السابقة . انبه النتيجة المحتملة لتقلبات مسبقة في كمية الانتاج ، في قوة العمل الانتاجية ، في قيمة العمل ، في قيمة النقد ، في اسعاج الر كائنة العمل المضغوط ، في تارجعات أسعار السوق التي تحمي تقلبات العرض والطلب والتي تم تبعساً لمتخلف مراحل الدورة الصناعية . وباختصار ، انما في الوقت نفسه رمود افعال من قبل العمال على الاعمال السابقة للرأسماليين^{١١} . لكن العامل في مثل هذه الحال يتدخل بمدفوعات الأوان و ، في ٩٩ حالة من أصل ١٠٠ لا تكون جهوده لرفع الأجر غير محاولات للحفاظ على القيمة المغطاة للعمل^{١٢} . انتم فحقن يمكن للبروليتاريا ان تحمي نفسها فلا بد ان يكون في وسع النقابة ان تؤثر على الاسباب لا على المسببات . واذما استكثرت عليها حلقها في التأثير على الظروف بكل مستلزماته السياسية والاقتصادية والقومية والدولية ، تكونون قد ضبطت مطالبها إلى مستوى الاندفاعات العمياء ، وجردها من امكانية التوقع والالتقاء الانسانية . انكم تجمعون من العامل معدة جائنة وفقاً بصرخ . وبكلمة واحدة : « إن المهمة الواقعية للنقابة هي بالضرورة ، ان تطالب وتحصل ، على مستوى الشروع ، على حق المساهمة في الإدارة ، وعلى المستوى القومي ، على حق مراقبة النتائج الاقتصادية للسياسة الحكومية . وهذا سواء أكانت اصلاحية ام ثورية ، اني فقط من زاوية مصالح العامل ، باعتباره عاملاً ، .

ذلك ان الواقعة الاقتصادية ، شأن الانسان الاقتصادي ، هي من تصورات العقل . او هي رمز يشكل مطابق الى بعض الأوضاع القصوى التي يمكن فيها للتضطهد ان يعامل المتضطهد كخصامة . فني افريقيا الغربية الفرنسية على سبيل المثال ، تطلق العنصرية وغياب النقابية السوداء بروليتارياً عرضاً وطنياً^{١٣} رغم

١ - ٢ - ماركس ، الأجر - الاسعار والأرباح .

على الحياة في جميع الميادين في مستوى أدنى من مستوى الأبيض الأقل حظاً^{١١}. ومن هنا فإن « تعويض العمل يشبه عملياً إلى أن يكون عدداً يقاوم العرض والطلب^{١٢} ». وبشعبه آخر « ان الأيديولوجية العرقية تسمح بالهبوط بالعامل الوطني إلى مستوى الواقعة الاقتصادية الحالية . لكن ليس فامساً : فلأسباب يمكن تخمينها يحدث السلطة الإدارية ان تحدد نسبة الحسد الأدنى من الأجر . وهكذا تتشاطر عبئاً الضرورة السياسية (بينهاها التعتية الاقتصادية) وعقيدة الأنايية^{١٣} السياسية (المزيول - البيروقراطية) لتحدد مستوى الحياة الذي تقدران انه « عامل » و « كلفة » بالنسبة إلى زبني . والحال ان الاقتصاديين البورجوازيين « في المزيول » قد عدلوا عن إقامة نظرية الأجر على قانون العرض والطلب . كتب موسى : « ليس العمل بضاعة . وليس الأجر سعراً يتكيف حسب السوق ... ومن المستحيل ان تؤكد ان هناك علاقة بين أجر عامل وإنتاجه » بين المستوى المسام للأجور والاستخدام والإنتاج والأسعار والتقد الخ « . انهم يعتبرون اليوم ان مشكلة الأجور قد اصبحت مشكلة تتعلق بتوزيع الدخل القومي بين الأشخاص والفئات الاجتماعية . ومن سيحدد النسبة مجموع معدل من العوامل تدخل فيه التصورات الاجتماعية والقيم والأيديولوجيات^{١٤}

١ - التصريحات العالمية موزعة كما يلي :

- ١ - الأوربيين : الولد الأول ١٩٥٥ ، الولد الثاني ١٩٥٠ ، الخ ، الولد السادس ١٩٥٠ فرنكل
- الامارقة : الولد الأول ١٩٥٧ ، الولد الثاني ١٩٧٥ ، الخ ، الولد السادس ١٩٧ فرنكل
- والفرنسيين تصريحات في مختلف انواع المطومات . أمسا السود تليس غم من تعويض إلى في الحالات التي يقع فيها الحادث نتيجة انفجار أو آلة « تحركها قوة غير قوة البشر أو الحيوانات » . والحصول على كسافر واحد من الخبز الأبيض يشطر العامل اليانغ في ما كثر إلى العمل ١٩٧ ساعة ، بيتا يعمل العامل الباريسي « ٢٥ دقيقة ، والحصول على ريشة واحدة يعمل أسود ما كثر ٥٩ دقيقة بيتا يعمل الباريسي ١٦ دقيقة .
- ٢ - ويلج لب : « قيمة عمل الأجراء الامارقة » في « العمل في أفريقيا السوداء » - مجلة « الحضور الأفريقي » - العدد ١٥ - ص ٢٥٢ .
- ٣ - كل نظام يدرسه انه يرعى مصالح الأفرين وبسطي نفسه والثاني نوعاً من سلطة اومسة عليهم .

٢٠٥

وعلاقات القوة بين الفئات والمعطيات الاقتصادية الصرف . كتب موسى : « ان الأجر هو مساهمة ، أكثر منه سعراً ، في محصلة عامسة يستحيل فيها تحديد الاسعار الفردية للمناصر التي يمكن فصلها عن هذا العامل او فائد . اوربسا هو جزء ملتصع بشبه الضريبة في نقط التقاطعه ونسبه . او هو ايضاً للثورة الذي يفدي الحاجات الفردية والعائلية . واذ كان هذا هو الواقع فإن مشكلة الأجور تصبح مشكلة علاقات الساية وبسيكولوجيا وميزان قوى : وبكلمة واحدة مشكلة سياسية تحدها ايدولوجيات ومعتقدات متعلقة بالمعادلة والاتصاف والتسلسل الاجتماعي^{١١١} » . ورتق قلوب الاقتصاديين ، ويقول احدهم : « لقد انتقلنا من الحياة الى الذهب الانساني » . ويقول آخر : « انتقلنا من الاقتصاد الموضوعي الى الاقتصاد المعياري السياسي » . فما الذي حدث لكل ما حدث هو ان البروليتاريا دخلت في الجنس البشري بطريق الاقتحام . فتحق عام ١٨٤٨ لم يكن عامل العمل ، الموزول ، ناشجاً لامتحان قوة . الخن فهو حيوان . وعلاقته بأرباب العمل نتجه الى أن تكون محض صفة اقتصادية . وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كونت البروليتاريا نفسها كقوة اجتماعية مستقلة . وعلم الفور اعترفت البروجوازية للمال بكرامة الانسان . وبدءاً من هنا وقع اللذهب الانساني الذي كانت حضوراً به الى أبعد الحدود في التناقض : إن العامل انسان لأنه يضيف ، لكن النظام الاجتماعي يتطلب الابداء عليه في شرطه الحيواني . وأصبح التناقض الذي تميته البروليتاريا وبرز تحت تناقض الفكر البروجوازي . وراح كل يقترح حله . وراح كل ، باسم أحسد المذاهب الانسانية التي أخذت تتكاثر بسرعة (اصلاحية ، تعاون طبقات ، نقابية مهنية ، اشتراكية مسيحية) الخ) ، يبحث عن التدابير التي تيسر للجموع البروجوازي يضم بروليتاريتيه . كانت المشكلة بسيطة لكن صعبة الحل : فما الشروط التي ينبغي ان تتوفر في خلق له ظاهراً من انسانية حتى تستطيع ان تعطيه صفة انسان وان تعامله في الوقت نفسه كحيوان ؟ والحل لا يوجد بعد . وهكذا فإن هؤلاء البشر ، يجرد

١ - موسى ، الأجور - ص ١٢٤ .

حضورهم الصامت والتهديد المادي، الذي يوجه نظامهم الصارم المريض الى النظام القائم ، يطهرون على حين غرة وكأنهم مجتمع في المجتمع ، ويشيرون الاضطرابات في الفردوس ويفجرون المذهب الانساني : انه فعل سياسي ، آكيس كذلك ، بل لعظم الافعال منذ عام ١٧٨٩ . وليس لغة صعبة في ان نفهم ان كل عمل مشترك يقوم به المشطهدون ، حتى لو كان محصوراً في حدود المطالبة الهنية ليس إلا ، هو بذاته ، وكأ لو انه حدث من لطف معين يحدث في مجتمع معين ، عمل سياسي : ذلك انه يكشف عن درجة تلاحم القوى العمالية ومناخها العنوي وقوة واتساع حركة المطالبة ، وهذه القوة ملتزم وتزيد برغبة نفسها أو ستناقض ، والروابط التي تربط بين العمال المنقسمين الى التعاقبات متوثق او متفراخ ، والعلاقة بين أرباب العمل والعمال الأجراء ستتطور في هذا الاتجاه او ذلك ، وذلك تبعاً لنتيجة الصراع . والعمال على أتم وعي هذه العلاقة العميقة التي تربطهم بالطبقة العاملة بأسرها والتي تقوِّمهم على الطبقة البورجوازية . وعلى هذا فإن الاضراب ، مهما يكن موضوعه ، هو دوماً شيء أكثر من مجرد اضراب ومباراة . إن رابطة عمالية كبيرة لا تقتصر على مواجهة ارباب الصناعة : انما هي تهتم ايضاً بالمستهلكين ، بالجمهور . وهي تهدف الى إشغاله في لعبتها ، وتحرس على ألا تكون غير شعبية ، وعلى ان تجعله يقدر اهميتها في الاقتصاد القومي ، وعلى دفع الرأي العام الى الضغط على ارباب العمل . وفي غالب الأحيان لا يكون تحسين شروط الحياة هدفاً في ذاته للعمل النقابي : انما الانتصار مطلوب من اجل الخطوة ، من أجل الحفاظ على المنقسمين ، ومن اجل زيادة عددهم . أما الضرب نفسه فإن المسألة بالنسبة اليه تتجاوز على كل الأحوال مصلحته البائترة وهي شيء آخر غير هذه المصلحة : ان ما يسيره ليس هو الحرج ولا البؤس بقدر ما هو الغضب والحاجة الى التأكيد بأنه إنسان في وجه اولئك الذين يعاملونه كشيء . ولتقل ان النقابية هي طريقة في ان يكون العامل انساناً .

والنقابية ، موضوعياً ، سياسة . فهي تتولج بنفسها كلية الواقعية العمالية .

والتعهدات التي تفرض عليها يرجع مصدرها بلا استثناء الى فكرتها السياسية
 السبقة . فواضح مشدداً ان الاصلاحي خجول ، محافظ ، منجذب سراً الى
 البورجوازية ، فالحدود التي يضعها للعمل النقابي لا بد ان تكون ناجحة عين
 مساومات سرية طالما انها لا تستطيع في أي حال من الاحوال ان تجد تفسيرها
 في الموقف الموضوعي . وواضح ان ابتعاد نبيل عن كل تطاهرة متاهضة للفرقة
 الوطنية فكان جذوره في شوقية غير معترف بها . لكن ينبغي ان نضيف ان
 المناهضين النقابيين وعوا دعواً اهمية النقابة السياسية . بقينا ، لقد اظهروا رغبة
 تجاه الأحزاب في ايام النقابية - الفوضوية البطولية ، لكنهم افكروا عدوانيين
 يد شومر معارضة عنيفة للبورجوازية . ويقول لنا غرضيولة انهم « يريدون
 بشراسة ان يتقدم عمل » . وهم يريدون ذلك على وجه التحديد لأن « الرجعيين
 والاجتماعيين » هم من طينة واحدة في نظرم . انهم سيفهمون بالضرورة بأنفسهم
 ولقد دعا المؤتمر نفسه عام ١٩٨٨ العمال الى « الانفصال عن السياسيين » الذين
 يخدعونهم ، والى وضع أعماطهم في الاضراب العام الذي « يستطيع هو وحده
 ان يتقدم الى تحررهم » . ويمكننا فيما بعد ان نلاحظ في قلب « الاتحاد العام
 للشغل » بعض التناوب بين الاصلاحية والتناحية الثورية . لكن المناهضين من كلا
 الفئتين منقادان على تطور العمل النقابي في جميع الاتجاهات . ان العامل ، في نظر
 الثوري ، هو بعد ذاته التناقض الأكبر للمجتمع البورجوازي ، وهو تقي نظام
 الملكية . وسيكون لمطالباته هدف مزدوج : فهي ستحسن وضعه في حال
 تحطيمها مؤدية في الوقت نفسه الى زهزعة النظام الرأسمالي تدريجياً . وسيأتي
 الاضراب العام ليقوضه نهائياً . والاصلاحي لنا ينشد في الحقيقة الهدف النهائي
 نفسه لكن عن طريق تقدم متصل . وعلى كل الاحوال سيكون « في كل مكان
 تطرح فيه مصالح العمال على بساط البحث » وسيطالب « بالمساعدة المباشرة وعلى
 جميع المستويات في الواقع الاقتصادي » .

ولقد كان كلا الاجتماعيين سيوافقان بلا تحفظ على برنامج الاتحاد العام للشغل
 المسمى « برنامج ١٩٦٩ » ، والذي جاء فيه : « ان الشرط الاساسي لنيل تجربة

الخطوة الأولى للتحديث والتجويد وتجربة ما طرأ بعد تدخل مشروع مارشال .. ينبغي ان توضح الاتفاقات العسكرية المعقودة بين الكتلة الغربية * ان تعيد العلاقات بين الدول الى حالتها الطبيعية * ان تطالب بدفع التعويضات لينا ... والى غير ذلك من المستلزمات التي تشرط تطبيق البرنامج الاقتصادي النهوض بالبلاد اقتصادياً واجتماعياً * هذا التطبيق الذي يشرط بدوره تحقيقها الكامل ... * .

ذلك ان حقدكم على الشيوعية * أيتها الجردان البهيفة المزودة * قد أساءكم انها متعلقة بالنسبة إلى حملات الإفارة في ذلك العصر . فبين ١٩٠٥ و ١٩١٠ كانت أبناؤكم يعيشون في خوف دائم من اهتزاز قلب الأوضاع بالقوة . ومع اقتراب يوم ١ أيار ١٩٠٦ طارت رؤوس أموالهم الى حيث قطع رؤوس أموالكم اليوم . ولم يمد الذهب والثقة إلا بعد اختراع مؤامرة وإلقاء القبض على عدد من النقابيين . ان شيوعينا قوميو النزعة * لا قدوا ذلك . إنهم ضد سياسة معينة لكنهم ليسوا ضد الدفاع القومي . إننا نحكم بالسجن خمس سنوات على هنري مارشال * لتوزيعه منشورات تفضح حرب الفيتنام وقيامها الذي * لكنه لم يجرس الجنود على المصيان . وعلى العكس من ذلك كانت الدعاية المناهضة للنزعة العسكرية يومية . لقد علا صياح كثير لأن بعض قادة الحزب الشيوعي صرحوا علناً بأن البروليتاريا لن تقاتل ضد الاتحاد السوفياتي . لكن النقابيين الفرنسيين سبق لهم أن صرحوا علناً هم أيضاً * وكل ظنهم أنهم على اتفاق مع العمال الألمان * وأغفوا البلاد فاطمة عن طريق الاعلانات التي لسفوها على الجدران * انهم سيلجؤون الى الاضراب العام لمنع الحرب . وإذا ما افترضنا اللحظة واحدة * بالرغم من أن هذا النوع من التوهم لا قيمة له * ان قريفيوله ومرهام وجدنا نفسيهما في موقف مماثل لوقتنا * فلن يكون لة مجال للشك في أنها كذا سيجران المؤثر الاقتصادي الى إدانة كل صليبية معادية للسوفييت سلفاً . وهكذا * حين تتكلم صحفنا الصالحة يحنن عن عصر ذهبي كانت النقابات تقدم فيه لأرباب العمل مطالبها كما لو أنها تهنئهم بعيد رأس السنة * فلما هي لحلم . إنها تريد ان تذر الرصاص في العيون حول واداة الاستقلال التي لا تتيب أبداً عن أنظار المتأصلين النقابيين . إن النقابية *

في نظر هذه الصحف ، سلاح أعطاه أرباب العمل بله إرادتهم العمال حتى يمكن المناقشات ان تدور في جو من المساواة . لكن العمال يفعلون جيداً ان منظماتهم قد منعت وحوريت . ويعلمون أن هدف النقابة الاول ، سواء بمساعدة الحزب الشيوعي أم بدونها ، هو ، تغيير العالم . وسوء التقام الطاهري هذا هو الذي يضي على الواقعة النقابية التباسا . لكن ارباب العمل لا يندفعون بها ، وهم يعرفون كيف يعرفون لحين متباينين . فعين لتظاهر منظمات الطبقة العامة بمعارضة إعادة التسليح او سياسة الحرب ، يقطنون حواجيمهم ، وأخذون سباه الدعشة المثألة . ويقولون : « كيف ؟ أهكذا تشكروفتنا ؟ ليس لسياسة من دخل في النقابة ، لكن حين يفلتهم او يجرهم إضراب ها ، وحتى لو كانت اقتصادياً صرفاً ، فإننا باسم السياسة يزعمون أنهم يحطون به . ففي عام ١٩١٠ ، توقف عمال السكك الحديدية عن العمل وأمر برين^{١١} باعتقال لجنة الاضراب . وحين استجوب من قبل الاشرافيين صرح بقوله : « ثمة حتى يعلم على الحقوق كافة ، انه حتى مجتمع قومي في أن يعيش في استقلاله وعزته . والحال انه مسا من بلد يستطيع ان يظل مفتوح الحدود . كلا ، هذا غير ممكن ... ولو توجب علي أن ألتجأ الى اللامرعية لأحافظ على الامن لسأرددت . » وهكذا أرسيت أسس التبدأ : إن أي إضراب يمكن ان يمنع باسم مصالح عليا . ولا يحق للنقابات ان تقاوم الحرب . لكن من الممكن باسم ضرورات الحرب أن تلغى النقابات . وفي ١٣ كانون الثاني ١٩١٥ صرح مييوران^{١٢} أمام مشعوبي « المعادن » : « لم تعد هناك حقوق عمالية ، لم تعد هناك قوانين ابيتالية ، لم يعد هناك غير الحرب . » وهكذا ألغيت الحقوق النقابية باسم حرب لم يكن للنقابات حتى في

١ - أوسيليد برين ، سياسي فرنسي ، رأس الوزارة إسمي عشرة مرة (١٨٦٦ - ١٩٣٢) .
 ٢ - تين مييوران ، سياسي فرنسي اشتراكي ديموقراطي وزير الخريصة بين ١٩١٥ - ١٩١٥ ، ثم رأس الجمهورية (١٩٢٠ - ١٩٢٤) واستقال أمام معارضة « كورتل اليسار » (١٩١٩ - ١٩٢٤) .

آلاف التضيقات والحدود المصطنعة الواقعية التي تجعل من البروليتاريين أرقاء
مأجورين .^{١٠}

بين عامي ١٩١١ و ١٩١٧ ساعد الحزب الشيوعي الطبقة البورجوازية على
إعادة بناء جهاز دولتها ؛ وذلك لأنه كان يفكر باستخدام البرلمانية للاستيلاء على
السلطة ، ومن ثم ليحولها . لكنه لبث وفياً للمذهب الميخيني القائل ان قسوة
الطبقة العاملة لا تتجلى حقاً إلا على صعيد صراع الطبقات . ومنذ عام ١٩١٦
وجد نفسه ممزقاً بين سياسة البرلمانية والماركس الاجتياحية ؛ فقد كان وزيراً في
الدولة البورجوازية يبدون وكأنهم يحض رهائن ، وفي داخل الحزب ظهر من
جديد ، تحت شكل ثور متزايد بين ثوابه ومناضليه ، الصراع بين الطبقات
المالكة والبروليتاريا . وبعد اقتضائه عن الحكم ، سقط جهاز الدولة بأسره في
أيدي البورجوازية التي استبدت الشيوعيين في جميع المناصب الحساسة
بصناعتها . واصبح مجموع المؤسسات الجمهورية يعمل ضد الحزب . ومن هنا فإن
الحزب سيكون زحمان الارادة الشعبية على صعيد آخر ، صعيد تطاهرات
الشارع .

هذا على الأقل ما سيصيب به الشيوعي . لكن هذا الجواب لن يفتح السيد
ثيتو بقدر ما ان سؤالا لم يبلبل أفكار السيد فاجون . وسوف أحاول ان أعرض
الرفاق بعيداً عن كل روح مذهبية ، ان آيين بكل بساطة أنه يحق للعاقل اليوم ،
إذا ما صوت للشيوعيين ، ان يعتبر صوته لاغياً .

سأذكركم عابراً بما صنعتم منه ؛ مواطناً من الدرجة الثانية . فلما كان يقرر
التصويت الحزب الشيوعي ، حتى تعرض صوته لأخطاط غمامض قضائت
بالتالي قدرته الانتخابية عن قدرة صوت جاره . فلإرسال ١٠٣ شويهييين
الى البرلمان ، يلزم ٥ ملايين صوت كصوته . ولإرسال ١٠٤ اشتراكيين لا يلزم
سوى ٢٠٧٥٠٠٠٠٠ صوت ، ولإرسال ٩٥ نائياً من الحركة الجمهورية الشعبية ،
يكفي ٢٠٣٠٠٠٠٠٠ صوت^{١١} . والحزب الشيوعي بخسراته ١٠٠٠٠٠٠ صوت

١٠ - معروف ان القانون الانتخابي الفرنسي موزع تدور لدى الحزبيين. والتفاهت الذي

عشر ٧٩ مقعداً ، أما الحزب الاشتراكي فيربح خمسة مقاعد بخساره ٦٠٠,٠٠٠ صوت . وبالإجمال - بالإجمال تماماً - يساوي صوت عامل المرفأ نصف صوت القنصلت ، أو نصف صوت صهره ، مكروير البلدية . ويتبقي أن نعرف بأن حزب « تجمع الشعب الفرنسي »^(١) « مكروه النظر هو الآخر . لكنه بـ ٩٠٠,٠٠٠ صوت أقل من الحزب الشيوعي فال ٦٥ مقعداً زيادة عليه ؛ وليست هذه بالصفة الكبيرة الحسارة . لقد نفذت العملية ببراعة ضد الحزبين المتطرفين ؛ لكن أحدهما أكثر تطرفاً من الآخر . ويقول عامل المرفأ : « إذن فأنا إنسان دون ؟ » . أجل ؛ انه « ضعيف العقل سياسياً » والصدفة وحدها هي التي شامت ان يكون عامل « أوامه أوامر » : السألة شرعية « وليس ثمة ما يقال . إن لا بد ، أليس كذلك ، من وجود قانون انتخابي ؟ ثم لم يكن على الحزب الشيوعي ، بعد كل شيء ، إلا ان يتحالف مع غيره . والبيان الانتخابي لقرن « الحركة الجمهورية الشعبية » يعلن بجملاء : « أولئك الذين يرفضون احترام القواعد الديمقراطية كما يرفضون احترام مختلف الأسر السياسية يستطيعون أنفسهم بأيديهم من هذا الاتحاد ويتحملون وحدهم مسؤولية ذلك » . واختصاراً ، إذا كان هناك شخص « حرمان » ، ففرحى له ؛ لكن مع من كنتم تريدون أن يتحالف الحزب الشيوعي ؟ أمع الحركة الجمهورية الشعبية ؟ أمع تجمع اليساريين الجمهوريين^(٢) ؟ أما بصدده التقارب مع الحزب الاشتراكي « الشعب الفرنسية من الأمية العمالية » فإن السيد غي موليه قد قطع الطريق بحزم : مع حزب شيوعي فرنسي ، وحسبة محل . وعلى الفور . أممع الحزب الروسي ، فينأناً ! والخلاصة أنها سبعة ناجحة : فلي إطار مؤسسات الديمقراطية العمالية تم

(١) يتكلم عنه سارتر بين عدد الحزب وبين عدد الأصوات التي بلغها يرجع الى الطريقة التي طبقها هذا القانون في تقصير الدوائر الانتخابية وفي تفرق النتائج على أساس القوائم لا على أساس الأصوات الانتخابية . - ٢٠٠٥ -

١ - هو الحزب الشيوعي . - ٢٠٠٥ -
 ٢ - هو التجمع الناتج عن التمازج الحزب الراديكالي مع عدد من الأحزاب الصغيرة . - ٢٠٠٥ -

الافتراق على قانون غير ديمقراطي يستهدف بصراحة حزباً محدداً ، واني لأقولها لكم فيها بيتنا ؛ هذا عمل كان يجب ان يقابل بالزول الى الشارع وتخطيم بعض التواجيات وبعض الوجوه . فنته قرن واحد بالضبط ، ٣٦ أيار ١٨٥٠ ، تم الاحتفال على عمال الموانئ ، برمذاك بتركيبة مماثلة . لم يلق الانتخاب العام ، كلا ؛ بل اشترط فقط ان يكون الناخب مقيماً في دائرته منذ ثلاثة أعوام ، ولما كان العمال قد تنفروا كثيراً ، بحثاً عن عمل ، في أعوام أزمة ١٨٤٧-١٨٤٩ ، فقد كانت نتيجة هذا التدبير حرمان البروليتاريا الصناعية من حقها الانتخابي . وبخبرة فلم تم القاء ٣٦٠٠٠,٠٠٠ ناخب . وأسلوب ١٩٥١ أكثر تطوراً بكثير ؛ فقد تم إقصاء ٢,٥٠٠,٠٠٠ ناخب لأن انتخاب ١٠٣ نواب يتطلب ٥ ملايين صوت شيوعي . وكل ما هنالك انه ما من أحد يعرف من الذين ستعبر ووقتهم يمشاء من بين هؤلاء الملايين الخسة . ومن بين كل ناخبين شيوعيين ، يسقط دوماً صوت أحدهما ، لكن لا يدري أيها . ثم ان البروليتاريا غير مسانة بصورة جلفة عن طريق صفات خارجية ؛ ان الحزب الشيوعي يسمى نفسه بنفسه على أنه حزب الأثرياء إذ يرفض ان يتحالف بالناخب يسمى نفسه بنفسه بروليتارياً إذ يصوت للشيوعيين .

لكن عامل المرفق يحتفظ بشيء من الأمل . فالحزب الشيوعي بعد كل شيء هو حزب فرنسا الأول . ولعل نوابه الـ١٣ والثلاثة سيؤدون عملاً طيباً . يقيناً ، انهم لن يدخلوا ابدأ في ائتلاف حكومي . لكن للمعارضة دوراً طبعه ؛ انها تثبت ، تحت حق الاحتدال او المحرض ، انها تؤثر . ولعلها ستجعب الحكومة على ان تقول لا لواشنطن احياناً . والمؤسف ان حال المعارضة كحال اعضاء الحزب الشيوعي ؛ ففي البرلمان معارضانها اعداها لها حساباً والأخرى لا حساب لها . ان ه لجمع الشعب الفرنسي ه يؤثر عن بعد - على السياسة في الهند الصينية على سبيل المثال - والحزب الشيوعي لا يؤثر . واصوات نوابه مجردة عملياً ؛ ان الحكومة لتدخلها كمدد سالب ثابت في حساب غالبيتها . انها تقدم بعض الشيء القوية البرلمانية ، ولا بد من اخذ الاحتياطات قبل طرح المسألة لتفنة ، لكن هذا

كل شيء : فبدلاً من أن يلعب إيطالنا البيليار الكلاسيكي يلعبون البيليار الحديث
 المسمى بالترافكت . وهكذا فحين يلوم السيد بروك ديكلو على لجونه الى التعريض
 بدلاً من أن يعرض رأيه في فيرمانه ، ونحن يملن السيد بولي جهاراً في (الأورور) :
 إن كل مواطن فرنسي له الحق في اقتناع الآخرين ، اعتقد انها افكار بريدان انت
 بضحك . وإلا فليقولوا لي مع من يستطيع حاك ديكلو ان يتناقش في الجمعية
 الوطنية ! تصوروا ان وحياً جلفياً يجعل برتقي اللب . انه يخطف ، يتعمس ،
 ياجم ، يسيل دموع اللسار . ثم ماذا ؟ انه سيحني تصديق الصارح الرقيب
 وشئام خصومه الأكثر رغبة ايضاً . أم يس اذن لو نظر قلوب النواب ؟ كلا ، ولا
 واحد : لهم لا يصقون . لقد حدث في التاريخ فيرمان في ان أسقط خطاب احد
 المعارضين وزيراً . لكن هذا لأن الاعتقاد كان ما يزال صالحاً بأثر المعارض
 يمكن ان يتطرق بالحق . اما اليوم فعروف أن المعارض كذاب : علماً انه
 شيوعي ، لا اكثر ! إن أكبر حزب في فرنسا مفسول عن سائر الأحزاب بمجاز
 غير منظور . ونواب البروليتاريا لا يتخفون أبداً عن الادلاء برأيهم بصدق
 المسألة المعروفة ، لكن المسألة لا تعد ان تكون اكثر من مسألة طمس عرض .
 ونحن هذا فإن احد عاملي المرفأ الذين يتزهدان معاً على أوصفة المارق لا حق له في
 التصويت ، والآخر قد صوت على لا شيء . قبل تعتقدون ان الحزب الشيوعي
 كان بعيداً عن التعبير عن رأي ناخبيه عندما أعلن بصورة إجماعية ، غداً
 الانتخابات ، عن مظاهرة ٢٨ أيار بقوله : « هل الحزب ان يلجسأ الى الشكل
 الخرى في المعسل لا مفر من الجوء اليها لفضال ضد الحالية رجعية شرسة » .
 وقد قررت الحالية ، لتعاقب نواب الدرجة الثمانية هؤلاء ، ان تحرمهم من
 حصانهم الترابية .

لكن صاحبنا عامل المرفأ لم ينته بعد . فقبل خسة عشر عاماً ، كان ما يزال
 يوسد ان يأمل بأن حكومته ، بفعل التناقض استقلال او كبرياء مساسية ،
 شككف عن السير في ركاب الانكليز . اما اليوم فهو يعرف بصورة قاطعة ان
 « استمرارية سياستنا » هي استمرارية العبودية الزائدة . ونحن لا نظهر الحزم

إلا مع المدفوعين والتونيين . فهل نحن مباحون ؟ كلا ، ولا حتى هنا : فالأمر أدهى وأكفى . لقد تمكن منا الأمير كان واشفرونا مقابل لأشبهه . لإفقا ما تذكر عامل الرقأ في هذه الأونة عبارة لينين : « في الدولة البورجوازية الأكثر ديموقراطية تصطبم الجماهير المضطهدة في كل مرة بتناقض صارخ بين السواة الشكلية التي تنادي بها « ديموقراطية » الرأسماليين ، وبين آلاف التضيقات والحدود المصطنعة الواقعية التي تجعل من البروليتاريين أرقاء مأجورين » ، وإذا ما قال في نفسه عند ذاك : « ان لينين ، مرة أخرى ، على حق » ، فقل من سطلع مسؤولية القلطة ، يا أسرة بينش وبينو ولاسي وبيناي وأنسابهم الكبيرة ؟ ذوات يوم سأخذ الملل والضجر ، وكذلك رقيقه . وبدلاً من ان يفرغا الرشايات الأميركية ، سيطفغان بها إلى الماء . وسوف يقول لهم رجال الشرطة الذين سيقتلونهم : « يا عصابة الأسمال ! إذا كنتم ضد الخلف الاطلسي ، فلماذا لم تقولوا ذلك ، بدلاً من ان تلتقوا العتاد ؟ ان الناس جميعاً احرار » في بلدنا . ولناس جميعاً حق الانتخاب .

د - « الحزب الشيوعي يحرم العمال الى طريق اللاشعرية والعنف » .

كانت مظاهرة ٢٥ أيار مظاهرة غير مشروعة عن سبق تعمد وبشكل وقاحة ؛ يأتي تعال أورا ان يطفوا الاقن بها ل فقي يوم الاربعاء ٢٧ أيار أرسلت مديرية الشرطة الى الصحف بالبيان التالي : « لما لم يتقدم اي طلب سماح ، فإن كل تجمع في الطرق العامة يظل ممنوعاً » . وفي الوقت نفسه كانت الحزب الشيوعي يدعو بكل اطمئنان الباريسييين ، عن طريق اعلانات الجدران ، الى « ان يطبوا جماعياً نداه مجلس السلم » .

أقول ان هذا الأزمراء الصريح بالقانون لا يشير قلبي البتة تقريباً ؟ ان هذا الاقرار اذا ماقرأه بعض المتكبرين المحترمين في الولايات المتحدة ، فارت له اعصابهم . « ضعف الوعي الديموقراطي لدى المثقفين الأوروبيين » ؛ هكذا سيخضعونه . بيد انهم سيواجهون بعض الحرج اذا ما طلبوا من المثقفين الفرنسيين ان يدهشوا لتصرفات الحزب الشيوعي غير المشروعة ، في الوقت الذي طالبت

فيها الامة الثالثة ، منذ عام ١٩٢٠ في ، بيان ٢٦ قور الوجه الى اعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي ، ، بأن ، قارن الضعيفة بصفة غير مشروعة حيث تراجعها المصائب نتيجة قوانين استثنائية ، . ويضيف النص : ، ورفض ذلك سيكون بمثابة خيانة للقواجب الثوري ، . والاشراكيون آنذاك لم تحفظه لا الكلمة ولا المضمون ، ولقد قام ليون بلوم بتعيين مدير للفضول في هذا الموضوع في مؤتمر نور : ، ديفناً ، ليس هناك اشتراكي واحد يقبل بأن يجلس نفسه في الشرعية... لكن اللاشعرية شيء والعمل السري شيء آخر^(١) ، . ونحن الآن لا ارى من مشكلة : حزب من الاحزاب يصرح بأنه سيلجأ الى اللاشعرية اذا لزم الأمر . وتغزله الديمقراطية ذلك باسم حرية الفكر . وينظم هذا الحزب مظاهرة متنوعة : فيعارضها البوليس بالقوة ويقف المظاهرين الذين يقاومونه . هذا كله شيء طبيعي ، السيد كاشان لم يكن قد ولد بعد حين وقع أول صدام بين المظاهرين وبين شرطة الجمهورية الثانية . وبالغابيل سوف يصعب عليهم ان يدفعوا في ال إعلان اسفي بكل طيب نية على لاشعرية المظاهرة الشيوعية من غير ان أفضح في الوقت نفسه اعجابية القمع التي لا تقل استرخاء للانظار عن هذه اللاشعرية . فما الذي يدور اعتقاد ديكيو ؟ أجرمه المشهود بتأمره على أمن الدولة ؟ ان هذا شيء لا وجود له . وعلى فرض انه معقول ، فكيف يمكن ان يكون هناك جرم مشهود بعد ساعتين من المظاهرة ؟ أحمل أسلحة مخطورة اذن ؟ ياله من اعتراف : نائب يحمل في سيارته مقعدة ومسدساً ، ولهذا اللجنة لوقفونه بالرغم من حصانته النيابية وترجمون به في السجن ولثبوتونه فيه حتى من غير أن تفكروا باطلاق سراحه مؤقتاً ؟ كفى ، دعوكم من هذه الأضاليل اللند اوقدم السيد ديكيو لأنه كان يقوم بهام الامين العام للحزب ولأن الحزب نظم المظاهرة : لقد نكلت الحكومة عن جميع الاحتياطات التي اتخذها منذ قرنت

١ - من سوء الحظ ان اللاشعرية لا يمكن ان تقوم لما قاله اذا لم تتخذ القرارات في السر . وعلى كل الاحوال ، وفي الحالة التي نجحنا هنا ، لم تقم اللاشعرية على السرية ، بسبل كانت على العكس علنية ، متصرفة .

ونصف قرن لفضاء ورجال القانون ليضفوا صفة عقلانية على النار العمام ، ورجعت الى أحسن وأغلظ مفهوم عن المسؤولية ، واهتمها التقليل بتبرير أفعالها يمت على التعلق أكثر أيضاً . كلا ، ليس هو الشئ العربي الذي نفسه نطقه بالجمهورية ، بل هو المجتمع بأسره . وأن يؤكد الحزب الشيوعي نفسه ثلاثين عاماً ازدهاره بالشرعية البورجوازية وأن يفعل ذلك من غير ما عقاب ، فهذا ما يبرهن على قوة مؤسساتنا . ومباح لَكُمْ ، حسبما يحلو لَكُمْ ، ان تجدوا في ذلك فرصة لإبداء إعجابكم بمظمة الديمقراطية أو لنضح لتناقضاتها . وأن يلبس السيد بِنَاقِي شيء من القنطرة بالمؤسسات الجمهورية وأن يحازف بإتلافها ، فليس في هذا ضرر عظيم : فهذا السيد ليس بشخص ذي أهمية ، ولم تقض على شهرته اسابيع قليلة ، وسوف يرسم الجهاز الحكومي بعد ان يرجع ، كما كان ، مقبوراً . لكن أن تكون فرنسا قد فاجأت رئيس وزاريتها في الجرم للشهود وهو ينتهك القانون ولم تنتهض مع ذلك ، فهذا دليل على ان الجمهورية متدهورة الصحة الى درجة خطيرة . وبما للحجج التي تحتلق لتبرير ذلك الاعتقال ، انظروا الى السيدين روبينه وريسون¹ : لقد شرح السيد مورجيه² بكل هدوء في صحيفة « لوموند » أنه قد لا يكون هناك من داع للإسراع في حيل الحزب الشيوعي . وعلى إثر ذلك ، قد صبر هذين السيدين وانفضا عليه بعضاته : « مؤامرة ! أي مؤامرة ؟ » إن الحزب الشيوعي بأسره مؤامرة ! وهو يتباهى بذلك منذ ثلاثين عاماً ! فما تريد أصغر من ذلك ؟ . قد تقولون : « لكن هاتين الشخصيتين الكبيرتين مطالباتان بالتهباج سياسة معادية للديمقراطية ، هجومية . ليكن . لكن السيد مورجيه ، كما أظننا في مقال جديد ، قد تلقى عدداً كبيراً جداً من الأجوبة مثبت ان الرأي العام لدى قراء « لوموند » الراضين معادوا كلياً للديمقراطية . « هم تشكروا لا تقع الحكومة من تنفيذ سياستها : فهي تخلصنا من ديكتاتورها : « يجب ان

١ - بيير ريسون ، رئيس تحرير صحيفة الديماركو .

٢ - موريس مورجيه ، من كبار المحققين الفرنسيين ، وسطي الأقدام .

يدفع الزعماء الثمن كما تدفع جماهيرهم . . . أو أيضاً : « لقد كان بينناي على حثي
 طالما ان الشيوعيين لم يشعروا . . . أو : « ليس هناك لا شرعية تجاه الممارسين
 على القانون . . . والحق ان السيد موفرجيه لا يذكر الأجوبة هذه الألفاظ : إنما
 أنا الذي حررها ، لأنها وجهت إلي ولأنني تعرفتها في مقاله عاراً . إنما تحطير
 صادم للحزب الشيوعي : فهذا كله يثبت أنه بث الشعر في قلب البورجوازية
 الصغيرة والطبقات المتوسطة . وبالفعل ، ان التفكير السائد لدى هذه الطبقات
 هو ان أرباب الصناعة لا يبالون بالحريات الديمقراطية : مادام تريدون أن
 يتفعلوا بحرية الفكر ؟ إنهم لا يشتمون بها ، حين تتوفر لهم ، أكثر مما تشتمع
 بها متشددة صفائح في مصفاة : بل هم يستأجرون موهجين ليشتعوا
 بها بدلاً منهم . ان الحرية التي يطلبونها ، الحرية الوحيدة ، هي حرية
 توجيه معارك الانتاج حسبما يحلو لهم : إنما تدعى الليبرالية . وميزة بينناي
 على ويقول في نظرم هو انه يود الحريات من غير ان يمس الليبرالية بأفني ،
 في حين ان الديمقليين ، إذامما صدقنا السيد فالون ، يفكرون ، يفكرون
 « باستبدال الاقتصاد الأحمي باقتصاد واجر . . . وبين البورجوازية
 الكبيرة التي تطالب بالقدرة العينية على التصرف والتملك والبيع والشراء
 التي تطالب قبل كل شيء بالحق في الحياة ، تنف البورجوازية الصغيرة
 وحدها لتدافع عادة عن حريات ديمقراطياتنا الشكلية : بينما ، إن
 هذه الحريات ملية وتعددية ، تفصل البشر أكثر مما توحد بينهم ، لكنها هذا
 السبب على وجه التعديد تحمي النظام القائم وتسمح ببعض التلذذ ، وتوجد زرعاً
 من التفاوت داخل مجتمع يزده اندماجاً يوماً بعد يوم . انها البورجوازية الصغيرة
 التي عجلت بتقرير مبدأ الانتخاب العام ، وهي التي اعطت ، في غالبيتها ،
 الجمهورية الثانية إطارا المعارضة ، وأعطت الحزب الراديكالي والراديكالي -
 الاشتراكي جهازها بعد عام ١٩٤٠ . لقد صنعت هذه الطبقة الجمهورية ، وهذا
 هي المؤسسات الجمهورية تنصب على جمع وبصر منها ، ومع ذلك تلزم الصمت .
 فهل هي خائفة الى هذا الحد ؟ سوف تعود الى هذا الموضوع . لكن مما يبدو

واضحاً ، على كل حال ، هو ان النظام الديموقراطي لم يعد اليوم سوى واجهة ، ان جميع المارك الحقيعية تدور خارجاً عنه . ودورجيه ، في مقاله الأخير ، يحسن طرح المسألة : بلغة الاحصائيات . فهو يقول لنا ان الحزب الشيوعي عندما يحصل على خمس أو ربع الهيئة الناخبة ، يظل في وضع خصومه ألا ينجزوا الى الفاشية ، بالرغم من أن الحياة في ظل الجمهورية تصبح حياة تقدير . لكنه إذا ما جمع من ٥٠ الى ٥٩٪ من الأصوات ، قد لا يبال للابقاء على الديموقراطية وتصبح المسألة مسألة اختيار الأنظمة التي ستتوهمها . والحزب الشيوعي في فرنسا يتمتع بغالبية الأصوات العمالية : إذن فطبيعة النظام السياسي تتعلق فقط بالأهمية التي تستطيع منظمات البروليتاريا ان تأخذها في حياة الأمة . انها لعبة برودج ذات «مناطق خطيرة» : إذا ما تجاوز حد معين كانت الرجعية والفاشية . لكن إذا ما تم اجتياز «النطقة الخطرة» بسرعة ، استلمت الأحزاب العمالية السلطة وشكلت «ديموقراطية شعبية» . ان ما عيشه اللاشعري ، ككارني ، لا يس جهز المشكلة . وكل ما هنالك اننا نلغ عند عتبة النطقة الخطرة ، وهذه المناوشات حول الشرعية القديمة هي في الوقت نفسه اولى بشائر شرعية جديدة سواء اقامت على سيادة الجماهير ام الأعيان ام الحزب .

والواقع المستتر تحت تلك الاستنكارات هو صراع الطبقات . ولو كنتم تهمتم ذلك ، فلربما وجدتم بعض المخرج في تأنيب الحزب الشيوعي على عنفه ولا شرعية تصرفاته : ان كل عنف يأتي اليوم ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، من البروليتاريا التي ترجع لنا ما اعطيناها اياه . ان جميع الحقوق العمالية ، بما فيها الحقوق «الممنوحة بحرية» ، قد توجب على البروليتاريا ان تنازعها انتزاعاً بفضل نضال شاق . وهذه الحقوق تبدو وكأنها حديثة نعمة وسط الحقوق الخاصة بالفئة البروجوازي . كما ان الحجر يفرض عليها ، والحقوقيون يتكلمون بحذر عن حق الاضراب بالرغم من ان دستور ١٩٤٦ يقره بصراحة . علام تريدون ان تقيموه؟ أعلى سمو الطبيعة البشرية ؟ في مثل هذه الحالة سيكون حسراً لا طائل تحت . أعلى الحرية ؟ لكن القسرب يمارس إكراهياً . أعلى المساواة إذن ؟ لكنه ، على

العكس ، اعتراف ضمنى بالامساك . ، إن من حق الاضراب ، من حيث تعريفه بالذات ، ان يؤذي . انه سلاح اكثر منه حقاً . ، أنتظرون انتم بعض الناس الحق في ابداء غيرهم ؟ ، انه حق الدفاع الشرع مطبقاً على جماعة . ، العدد اثنان عدوان ؟ إن مجتمعنا لا يستطيع ان يمر الاضراب قبل ان يعترف اولاً وجهاً بأنه مجتمع الظهادي . ، منذ نصف قرن من الزمن وتطرح حتى الاضراب مطروح باستمرار على بساط البحث بنسابة كل موجة جديدة من النزاعات الاجتماعية . ، بالعدالة انهم يعترفون بهذه الممارسة حتى يتكتموا لتقنينها ولتحديدتها بصورة افضل . وفي النهاية يعترف احد المحققين متهدأ بأن واقعة الاضراب ظاهرة من نوع الانتحارات البركانية ... عصبية بطبيعتها على أغلظ مكانها في نظام قواعد الحق . ، يا لها من وظيفة غريبة يؤديها العامل : انه منبع غير مشروع للتشريع . في ايار ١٩٣٩ صرح بقوم : ، اني لا اعتبر احتلال المصانع شيئاً مشروعاً ... فهو لا يتفق مع قواعد ومبادئ القانون المدني الفرنسي . ، والواقع انه مساس بحق الملكية . وهذا مسأره عليه توزيع بقول شديد : ، يقولون : لا شرعية اكلاً القامي شرعية جديدة تتكون . ، بيد أنه يمكن الاعتراض بأن هذه الشرعية الجديدة ليست قابلة للتصور في اي نظام لها تلفض البدأ الاساسي للمجتمع البورجوازي ، وفي المجتمع الاشتراكي لسن يكون لها من مبرر للوجود . إن هذه الشرعية ، اللاعقلانية ، المصادفة بعجة على الممارسة العالية ، لا معنى لها إلا في عالمنا الانتقالي والمتناقض . انها صورة العامل بالذات ، هي ذاته والمجتمع ، ووظيفتها الواقعية ان تسد النظام القائم الذي يسقطه يهدمها شرط وجوده الخاص كبروليتاري . لكن العامل ، حين لا يفكر بالتوقف عن العمل ، يعرف أنه يستطيع ان يعطى الاضراب ويعرف ان هذا التهديد الدائم يؤثر على الاجور بصفة عنصر معدل ومنظم . انه هو نفسه هذا التهديد وهو يشعر بعنفه : فلي مجتمع قائم على الانتهاكات ظلم فائق يريد ان يكون العنف من صنع المظالمه اولاً . ولستكم سيكون كل شيء واضحاً لو كان في الامكان الاعتماد على عدالة المظالمين الخاصة في محاربة المظالم . لكن

المضطهد هادي، وقوي، ويضع قوته في خدمة القانون. وإذا ما قتل، فعل ذلك شرعياً. والقوانين هو الذي يسنها. ثم إن البورجوازية، كما تبين ذلك الجواز، قد «خلقت البروليتاريا»، دونما تدخل سحري من جانب العنف، وبطرق اقتصادية خالصة. «ويضيف: «حتى لو افترضنا بأن كل ملكية فردية تقو في أصلها على عمل شخصي للمالك وبأنه لم يجر من تبادل قط، خلال التطور اللاحق لجرى الأمور، إلا بين قيم متعادلة» غير أن هذا لا يمنع أن التطور التدريجي للانتاج والتبادل يقودنا بالضرورة إلى التمتع الزاهن من الانتاج الرأسمالي، وإلى حكر وسائل الانتاج وأسباب العيشة بين طبقة قليلة العدد، وإلى النزول بمستوى الطبقة الأخرى، التي تشكل الغالبية الساحقة، إلى مستوى البروليتاريين المحرومين من الملكية». «وباختصار» إن العامل مهدد بأن يقع ضحية الخداع. أنه مضطهد، ومهزق بالعمل. ومع ذلك، «إذا ما عاد يفكره، إلى تسلسل الأسباب، لم يجد إلا سرقاً ولا إكراهاً: فقد تم كل شيء برفق وخلسة. يسأل أكثر من ذلك: لقد قبل من تلقاء نفسه بشرطه، وعمل الأقل لفترة من الزمن: «طالما أن نطقاً معيناً من الانتاج ما يزال في مرحلة صعود وتطور، فإن من يشعرون بنمط التوزيع المقابل له هم انقسم الذين يطالبون به. وهذا هو تاريخ العمال الانكليز في أيام ولادة الصناعة الكبيرة». «وحين تأتي الأزمة ويبدو نمط التوزيع ظالماً على حين فجأة، فمن يكون المسؤول؟ إن العامل، «مهما أدخل في تأمل ماضيه، يجد نفسه منخرطاً من البدء في مجتمع له قاتونه وفقه، وله حكومته ومقومه من العدل والظلم، والأخطر من ذلك أيضاً أنه يضاطره ايدولوجيته غفياً»^{١١}. انهم يفرضون عليه مصيراً وحدوياً، ويجعلونه بهام جزئية ونصف آلية يفلت منه معناها وقانونها، وبأمراض مهنية. وهم يشطون همة، بالتمب والبؤس وبارغافه على أن يكرر ألف مرة في اليوم حركة واحدة، عن ممارسة صفاته الإنسانية، ويجيسونه في عالم التكرار لتفه العدم المعنى.

١ - «التطور الطبوي للحركة العمالية يؤدي بسرعة إلى إلحاقها بالأيديولوجية البورجوازية» (لينين، «ما العمل»، ١٧ - للوفات - طبعة موسكو - ١٩١٥ - المجلد ١ - ص ٢٠٦).

ورويداً وريداً يصبح شيئاً . لكنه حين يفشل عن المسؤولين ، لا يجد أحداً ، كل شيء عدل ، وحقه مستوفى . لقد رفض كثير من العمال الأميركيين عام ١٩٣٠ الأكتئاب في صناديق البطالة التي تم اوجعها بسرعة : فقد كانوا خجولين من بطالتهم ويظنون انهم مذنبون . اما العامل الأوروبي ، الاكثر بقلقة فيعيش في الالتباس هذا الوضع الذي لا يطاق ، وهو بالتأكيد يرفضه بشكل ما في طاقته من قوة ، لكنه يقبل به رهنياً عنه لأنه ولد فيه وبقدر ما يكون هدفه تحسينه ليس إلا . ان العامل نصف القنص يهد نفسه ليكتسب مثل ما يكتسبه العامل القنص ، اي ليعوض بالتساوي عن التفاوت الهين ويشعر بأنه انسان ، لكنه لا يتوصل الى ذلك إلا اذا اشتط في تشيؤه . ولعل سيفضل العمل الجزأ ، وسيضن بدعمه على الشعة القنصية التي قد تحاول تحديد ايقاع العمل او تنظيمه . وحين يجد نفسه وجهاً لوجه مع عمله ، منبهك القوى ، خاضعاً لقوانين آتية من الخارج ، يصطدم رفضه العنوي ، غير المعبر عنه لكن الدائم المستمر ، لأن يكون مجرد قطعة في آلة ، يصطدم رفضه هذا بإرادته الحقاط على نط في الانتاج يدير عليه قدراً أكبر من الدخل . والحلاصة انه لا يعرف في البداية إن كان مسؤولاً عن هذا المجتمع الذي ولد فيه والذي يتخلى من المؤسسات التي تحميه والذي يقتصر الى الكلمة القادرة على نسبة الضرر الذي ألحقه به . وتتحمل الطبقات الأخرى بشجاعة يؤسه وتشرح له ان هذا البؤس ضروري لتوازن الجماعي . وهو موضع رعاية الدولة التي تقدم له أجراً إنسانياً ولعويضات . لكنه لا يستطيع مع ذلك ان يقتنع بأنه متضامن كلياً مع مجتمع يصدر يوماً ، وسراً ، أحكاماً بالمرث لدواقع اقتصادية ، ويترك اثنين من اولاده الفقير يوفان في حبيبل ولد واحد من اولاد القني (١) . انه

١ - نسبة الوفيات الامتداد في عام ١٩٣٩ :

نسبة الوفيات بين ١٠٠٠ طفل ولدا احياء .

ولم يملوا تماماً واحداً من العمر .

أ - فيوجواوينة الكبيرة ، كبار الموظفين ١٢٦١٥
الحكام .

ب - المزارعون ، المستعمون ، الموظفون ١٥٠٠٠

يريد ، هو نصف المتواطئ ونصف الضحية ، هو التضامن والشهد ، ما لا يريد ، ويرفض بكل جسمه ما يقبل به بكل ما فيه من ارادة الحياة . انه يفت ذلك المسخ الذي حوّلته اليه المكتنزة ، لكنه يعرف مع ذلك انه لا يستطيع ان يكون غير ما هو عليه اذا لم يغير العالم . والتناقض لا يكن فيه هو وحده ، الفساحه يفرض عليه فرضاً ، والانتساج الكثيف يتطلب ان يكون متناقضاً . انسان وميكانيكي معاً : لهذا فانهم لا يلجأون الى شذماته إلا عندما يكون بنسائه آلة موجهة اوتوماتيكياً امرأ بالغ الصعوبة او كبير الكلفة . كما ان تقدم الآلية لا سيغني عن الحاجة اليه . وهكذا يطالبونه بإضافة نوع من التيقظ المبهم الى توازنه الفكري ، وبأن يكون حاضرأ وغائباً معاً . انسان الى حد معين فقط : ذلك ان الصناعيين لن يحدوا حرجاً في ان يقولوا لكم ان التطلع العمام يضر بمروده العامل نصف المخلص ومع ذلك لا يمكن بعد استبدال عقلية البشريين بخلايا فوق – كهربائية . وعلى هذا ، ليس العنف الأول هو الاضطهاد لأن هذا الاضطهاد يخطاط بالفعل مع العدالة والنظام . انه الاضطهاد المستعطن ، الاضطهاد المعاش كصراع داخلي ، كإكراه يمارسه نصف ذاته على النصف الآخر . العنف الأول هو العنف الذي يمارسه العامل على ذاته ويقدر ما يجعل من نفسه عاملاً . ان جوع العساطل عن العمل وقلته لا يكونان في البداية عنقاً مكابداً منه . وهما يصبحان كذلك حين يأخذهما على عاتقه ويتواطأ معها ليؤتم نفسه على القبول بعمل أجره دون التعرفه التقابلية . ليفرض ان رب عمل يحساجة الى ضاربة على الآلة الكاتبة ، وأن البلاد تفر بأزمة : فتتقدم ثلاثون فتاة على نفس الدرجة من الكفاءة وهن يحملن نفس الشهادات . ويستدعيهن جميعاً معاً ويسألهن أن يذكرن

= القوسيون ، صغار التجار

ج - الصناع ، العمال المخلصون [٤٤٠٤]

د - العمال الصغار المخلصين [٤٤٠٤]

هـ - العمال غير المخلصين [٦٠٠٤]

٦ - قتلح هذا المصطلح كقابل لفظة (Cybernetique) وهو علم حديث يدرس علاقة

الانسان بالآلة ، وآليات الاتصال والرقابة لدى الكائنات الحية وفي الآلات . ص ٥٠ ، ص ٥١

التعويض الذي يرغب فيه . . . وأذنك تبدأ مناقصات رهيبة : ان رب العمل -
 في الظاهر - لم يفعل من شيء سوى انه ترك قانون العرض والطلب يباشر عمله .
 لكن كل ضاربة آلة كاتبة ، يطلبها أقل الأجور ارتفاعاً ، تمارس العنف على
 الآخرين وعلى ذاتها ، وتساهم في جو من المهانة ، في تحفيض مستوى حياة
 الطبقة العاملة أكثر ايضاً . واخيراً سيتم استخدام تلك التي ستطلب - نظراً إلى
 انها تستطيع بدخول آخر طفيف (نفقة أرملة - او فتاة تعيش مع أسرتها)
 تعويضاً هو دون الحد الأدنى الحيوي ، اي تلك التي ستبارس على ذاتها وعلى
 الآخرين العمل الخدم الذي مساكن لبشرى عن موارثه بنفسه . أن يكون
 الانسان عاملاً ، فهذا معناه ان يرغم نفسه على ان يكون كذلك بحمد الشرط
 العمالي شرطاً زاد قسوة الحياة فيه أكثر فأكثر بالنسبة إلى ذاته وبالنسبة إلى
 الجميع . والبعض يتظاهر بالاعتقاد بأن العنف يولد على حين غرة لحظة العصيان
 او الاضراب . لكن هذا غير صحيح . وكل ما هناك انه يبرز الى الخارج
 في فترات الأزمة . ويمكن التناقض : كان العامل يرفض في ذاته الانساني يرم
 كان مستقلاً للوداعة ، اما الآن ، وقد ترد ، فإنه يرفض للانساني . وهذا
 الرفض هو في حد ذاته مذهب انساني ، وينطوي على تطلب عدالة جديدة .
 لكن طالما ان الاضطراب ليس جبرية متطورة ، وطالما ان ايديولوجية الطبقة
 السائدة تحدد المعدل والظلم ، وطالما انه لن يتمكن الحصول على شيء ما لم يحطم
 بالوة النظام القديس ، فإن توكيد العامل لواقعه الانساني يقبدي لعينه كتظاهرة
 عنف . وبالاصل ما يكاد يرفع أصبعه ، حتى يجهد المجتمع قواه البوليسية ، ويغير
 الديكور من حوله ، ويهيء له عنقه ، وبضطره ان ان يدفع بهذا العنف الى
 أقصى مدى له . ان على استيائه ان يتحول إلى إضراب ، وإضرابه إلى مشاجرة
 والمشاجرة إلى جناية قتل . وبعد ان يكون قد وقع في الفخ ، وعندما سيحاول
 يذهب كيف قامته المطالبة السياسية بحقوقه كإنسان الى ان يضرب ويتسلسل
 اناساً آخرين ، يبدأ الفخ . ولن تكون العودة إلى الهدوء سكونية بل عودة إلى
 العنف الأولي . ويعاود التناقض الأصلي الظهور لكن بعد ان يكون تعق

واحتد : فقد ذاق الحسرت عنف المجتمع المضاد ، وهو ما يزال يؤثر فيه ، فيرد عليه بشعورين متناقضين ، الخوف والحقد . ولقد اكتشف في الوقت نفسه ذاته وهو يعرف الآن ان العنف هو قانون علة . بيد ان البورجوازية تتأمل بتخوف وتقفز هذا الانفعال المباحث الذي يعكس لها ، بكلمة واحدة ، الاستطهاد الذي تمارسه . ويحتمل هذه الطبقة السياسية للغاية والتنددية للغاية ان العنف يضيغ من الضطربة بالذات وأن سببه يمكن في مجيئه . ويصح التعامل في نظرها العنف الذي لا يسير له محور والذي تحول إلى موضوع. والتعامل لا يجعل ذلك ، ويعرف انه يخيف البورجوازيين ، ويدافع من رد فعل جديد على الشخصية الاسطورية التي تلعب اليه بطالب باعتزاز بهذا العنف الذي يؤخذ عليه . لقد كان هدف هذه الملاحظات أن تظهر التماس الشرط المعالي : فذلك ان البروليتاريا خاضعة لحكم حق تاريخي غير موجود بيد وقد لا يوجد أبداً . وعنها ، إذا ما نظرنا اليه من وجهة نظر مجتمع قادم سيرى النور بفضل جهودها ، هو مذهب انساني انجيلي⁽¹⁾ . اما إذا نظرنا اليه من زاوية مجتمعا الراهن ، فهو جزئياً حق (اضطراب) وجزئياً جريمة . والواقع ان الذهب الانساني والعنف مظهران غير قابلين للفصل من مظاهر جهوده لتجاوز شرطه كضطربة .

* * *

ان الجرفان الذهب ذات طبيعة رقيقة حسية والعنف يشير التمزازها: وهل في هذا ما يدعته طالما انها بورجوازية ؟ والشكل هو انت فيها ميلاً ملحوظاً الى الطبقة العاملة . وحتى تخرج من التناقض ، اختارعت أسطورة الأم المعالي : لتسد ظهر العنف في العالم مع ظهور الأمية الثالثة . باله من تزوير غريب : فذلك ان الشيء البديهي والسلم يسه في النهاية هو أن العنف المعالي يشكل قوام الحزب الشيوعي وقوله بالذات . فقد التقط الحزب هذا العنف ، وهو يتغذى به ، وإذا

١ - وليس وسيلة لإيقاع اللعاب الانساني . ولا عسق شرطاً لازماً . لكنه هذا اللعاب الانساني نفسه من حيث انه يؤكد نفسه ضد « القليل » .

كان النادة مبهومين من قبل العمال فهذا لأنهم يشكلون لغتهم . بينما ، ان هذا العنف يفقد ، مع الحزب ، صفته كقوة مباشرة : انه يصبح ، متوسطاً ، واعياً ، ويتحدد بصورة ذاتية . والحزب الشيوعي إما هو الإرادة المعلن عنها ، المؤقتة¹³ . وليس في هذا من خطورة : فحق لو وجد شيء من التفاوت بين إعلان العنف وبين العنف الأصلي الذي يتبثق منه هذا الإعلان ، فإن هذا لن يتبع مع ذلك الطبقة العاملة من أن تتعرف نفسها في الخبرات القوة التي يجرها الحزب باسمها .



ماذا أردت ان أثبت ؟ ان تظاهرة 28 أيار كانت بارعة ، ناجحة جدوة بالثناء ، بالرة . بل أردت فقط ان أثبت انها تحمل مكانها في إطار التظاهرات الشعبية . تقولون : لو أنهم حلوا الحزب الشيوعي ، لكننا وعدنا ، يساراً حقيقياً ، مكاناً ، يساراً أيضاً ، جامعاً ، مستعداً للتمييز والاحتفظات الناعمة ، بحساب الرأسمالية ويتصف الأشخاص الذين لا يرفضون العنف لكنهم لا يستخدمونه إلا كوسيلة أخيرة ، ويؤجج في الوقت نفسه حماسة البروليتاريين الكريمة ويحميهم عند اللزم من سطوهم . إنه ، واهم الحق ، برنامج جيد بالاعتجاب : كل ما هنالك ان هذا اليسار إذا ما خلطه لكم ضربة عصا سحرية (فالألا أتصور كيف يتكلم الحاصل عليه بغير هذه الطريقة) ، لا أعطيه أنا سوى ثلثة أيام لينتج : وآتذاك متجدون بعضاً من أعضائه في كتلة البرلمان الاشتراكية أو في أسرة تحرير ، فرانس - فيرور ، بينما سيتظاهر السابقون في الشوارع ضد ريدوي .

تقولون : إن مهاجمتك جميلة للغاية . لكن فيها نقطة ضعف واحدة باعتبار ان الطبقة العاملة لم تزج نفسها في 28 أيار وان التظاهرة الجماهيرية جرت بدون جماهير . وتضعك الجردان العفصة . حسناً . فلترجع الى الوراء وقرأ .

١ - من الانوم . والأتمة لبريد ينظر إليه خطأ ط أنه واقع . د . م . د .

لقد نظم الحزب الشيوعي تطاهرين في ٢٨ أيار و ٤ حزيران . فإذا كانت ينتظر منها ؟ وما كانت دلالتها الحقيقية ؟ وإذا كان صحيحاً أنها فشلنا فشلاً ذريعاً ، فما الذي أفسدها ؟ وأي معنى ينبغي أن نعطيها هذه الفريضة المزعومة ؟ وما ستكون نتائجها ؟ وإذا تبين أن هذه النتائج شؤم على الطبقة العاملة ، على المجتمع الفرنسي بأسره ، وعلى السلم ، فهل هناك من وسيلة لتلافي ذلك ؟ هذه الأسئلة للمقاربة هي التي أود لو أحاول أن أفصل بينها وأجد الجواب لها .

ماذا كان في وسع الحزب الشيوعي أن ينتظر من ٢٨ أيار ؟ وحتى يكون رجال الشرطة متحيزين بأعداد كبيرة ، فعم يمكن للصراع أن تعلن الهم إلا عن هوأها^١ بكل معاني هذه الكلمة ؟ وطالما أن السلطة تحظر التطاهر ، فكيف السبيل إلى أن تتطاهر الجماهير الهم إلا إذا استولت على السلطة ؟ لقد حدث أن دلع السخط بالباريسيين إلى الشوارع ، فكافوا يسعون ويستولون على أحد المباني أثناء مروعهم ، ولقد وضعت ثورة شباط^٢ الحكم بين يدي بورجوازية أطاش الحزف بصوابها ، أما اليوم فقد اتخذت التباير لتجنب التطورات غير التوقفة ، لقد بلغت الحياة السياسية درجة من الجدبة لم يعد يستطيع معها حزب من الأحزاب أن يسمع لنفسه بأن تحمله الأحداث إلى السلطة ، ولما عنه . إن أسمى ما يمكن لمطاهرة شوارع في عام ١٩٥٢ أن نعطيها هو علامة قرء - بشرط أن يكون هناك اتفاق مسبق على ذلك - لا أن تعجره من حيث لا يدري أحد .

إن هذه المسيرات المنقطعة ، الواقعة دوماً في منتصف الطريق بين الفتنة والاحتفال ، بين الاستشهاد والتجدي ، استعصي العتف لكن لتتجمد وتعاين منه ، أنها مسالك فاشلة ، حركات تريد لنفسها غير مجدبة ، وعدم جدواها بالذات

١ - Passions . ومن معانيها اقوى والمناطة الشديدة والغامة والمطاب . الخ . ص ٢٠٥ .

٢ - هي ثورة شباط ١٩٤٨ التي أطاحت بلكية لوي - فيليب وأدت إلى قيام الجمهورية الثانية . ص ٢٠٥ .

شهادة . انها تظهر للجماهير طاقاتها الهائلة وعجزها المؤقت . وهذه الحفلات الصاخبة إذ ترهبها من عمل التنظيم الصابر تجعلها تفدرك ضرورته . وباختصار ، مسرح الشارع ، الذي كان يقمناه آنذاك¹¹ : إن دور السكان الباريسيين يؤديه عادة السكان الباريسيون انفسهم الذين يأخذون على عاتقهم ان يستعرضوا امام النظارهم مصيرهم الماجد وبخاصة عذوبته الضائعة . إن كل شيء بعد كذا يتوهوا انهم ما يزالون تلك الجموع السخيفة القدم التي سارت وقاومت في ساحاتها طوال القرن الماضي . وانهم كذلك بالفعل فيما عدا أن المتظاهرين مدحورون سلفاً ومنظفون ومسيرون ، وانه يحظر عليهم ان يسوا زجاج الواجهات وان يستولوا على أي شيء حتى ولو كان الباستيل .

انه لمن الضروري ان تنتهي المظاهرة المحطورة بفشل : لكن هذا لا يعني انه يتوجب عليها أيضاً ان تبدأ من هنا . والحال ان التنظيم كانوا يتوقعون هزيمة مرعبة لا هزيمة رمزية على الاطلاق : كانوا يعرفون ان الجماهير لن تجتم لها عناء ولن تتحرك . كانوا يعرفون ذلك : فالصحافة ، من صحف ومجلات منظمات اليمين الكبرى الى جرائد المعارضة العمالية ، تنوء وتعلق ، منذ عامين ، على « فتور همه العمالي » ، فكيف يمكن للكتيب السياسي ان يكون هو الوحيد الذي لم ينته الى ذلك ؟ تصفحوا دفتر جاك ديكلوا¹² : انه ، بالطبع ، غير واضح العبارات ، لكنكم ستفرون كلمة « اشرحوا » تتكرر مئة مرة : اشرحوا لعمال مرفأ مرسيليا ... اشرحوا للشعبية ... لم تشرحوا بما فيه الكفاية ... وستشعرون بتعاطف الفلق والرضية في « تأجيج المعركة » ضد بعض ترددات الرأي العام العمالي ولا حظوا كيف انهم يرجعون دوماً الى نفس الاهتمامات والى نفس المواضيع : إن هؤلاء الناس واعون قانماً لمصاعبهم . ستقولون : لم اقترب يدعون الباريسيين في هذه الظروف وفي هذا الوقت الى تظاهرة سياسية ؟

١ - انظر في آنف : مثل وشاعر وكاتب فرنسي معاصر .

١١ - ١٩٦٥ .

٢ - عندما احتفل ديكلوا بصومته منه أوراقه الخاصة نشرت باعتبارها « وثائق من

المؤامرة » .

وسأجيبكم : لأنهم كانوا عرضيين على ذلك . لنفترض ان لجنة استقالات أعلنت عن موكب قبل زمن طويل من مواعده : انها ولا شك ستجد مشتة وحرجاً في الاعلان عن إلقائه حتى ولو فسد الطقس . والحال ان المطاهرة ضد ريدوي قد جرى الاعلان عنها من شهر طويلة : وعلى وجه التحديد منذ يوم المطاهرة ضد ايزنهاور . فيوم احتج الحزب على هذا الجزال ، تمهد خنياً بأن يحتج على جميع خلفائه . إن حزياً جماعياً لا يستطيع ان يكتفي بالمشارة الرأي العام : بل عليه ان يعنى ميوله المتزدة وان يوضحها وان يبرزها للنور . وعليه أخيراً ان يحكمها الجمهور : وهل هناك من جهاز إرمان خير من الجماهير نفسها ؟ انسه سيرها ان ان تكون بنفسها تصوراً موضوعياً عن ارادتها ، والى ان تضعها جميعاً في الفعل لتجاوزها وتسوقها الى أبعاد أيضاً . وإذا كان السكان الباريسيون ضد الحلف الاطلسي ، فلا بد ان يموا هذا العداء : والحال ان عملاً خنياً فيه مخاطرة هو وحده الذي يستطيع ان يجعلهم يمونه . الباريسيون ليسوا على قدر كبير من الحماسة في هذه الآونة ؟ اذن فهذا سبب إضافي لتقرر المطاهرة الشعبية . إن صفة حزب من الأحزاب بالجماهير ، شأنها شأن كل علاقة واقعية ، صفة ملتبسة : فهو من جهة أولى يقتدي بها ويلتقي أثرها ، ومن جهة ثانية « ينظمها » ويحاول « تربيتها » . ولما لم يكن المطلوب تغييرها بل مساعدتها على ان تصح ما هي عليه ، فإنه يكون تعبيرها ومثالها في آن واحد . وحسين يتوجه إليها في بيانه « يستخدم نارة صيغة الأمر » وطوراً صيغة المستقبل ، وطوراً آخر صيغة الحاضر ليشير الى الواقع نفسه ، الى الحركة التي هي واقعة وقيمة معاً : « سينتدكر الشقية الفرنسيون ... الجماهير الكلاحة لن تخدع بهذه الشاوره المشوذة ... انها العمال ، طالبوا بتحرير » الخ . إن ما يشه لأنظارها انما هي مطامها ، ميوها ، ارادتها ، لكن بعدد ان يكون قد حتمها ، أي دفعها الى أعلى مستوى من القاعلية . وارة لتبسمه وطوراً تجره ، لكن من الممكن أيضاً ان تظل في المؤخرة . لكن لا اهمية لهذا : فهو اذا كان والناس من ان يتكلم باسمها ، واذا كان يرى ان حادثاً عرضياً ما هو وحده الذي ينشأ من

ان تتبعه ، فإنه يفتد السير الى الأمام ؛ انه يعمل من أجلها وبإسمها ، ان الجماهير محل وهوى معاً ؛ صحيح انها ستغير العالم في النهاية ، لكن العالم يحفظها في الوقت الراهن . ان اندفاعها يمكن ان يكون غير قابل للقدرة أحياناً ، لكن البرد والجوع والقمع البوليسي قد يتمكن منها لبعض الوقت ؛ اما الحزب فهو محل محض ، عليه ان يتقدم أو يتخلفي . انه قوة العمال الذين اشرفوا على الإنكسار وأعمل الذين استولوا عليهم اليأس . ولقد كان الفراغ عن مظاهرة ٢٨ أيار يعني « خطورة التي وراءه » ؛ ما كان يستطيع ان يأخذ بعين الاعتبار لعب العمال بدون ان يعارف بزمامته ويدفعهم الى الاستسلام . ولعل المكتب السياسي فهم من تلك اللحظة ان عليه ان يقصر تكتيكه ؛ لكن هذا لم يكن ممكناً ، في جميع الأحوال ، إلا بعد المظاهرة . إن الجماهير لن تعرف لديها ؛ بل هي ستظاهر عسن طريق الشخص وسطاء . وسوف تم تغطية لخافها بعنف المشاجرات ، وسوف يظهر لها عملها كما كان يجب ان يكون . وسوف يُعهد الى فرق متخصصة بأن تنفذ امامها حركات العنف ، وسوف ترى هي عطفها الذاتي حياً ومثلاً عنها ، وسوف تشهد من ضواحيها قتال المتظاهرين ضد الشرطة كرمز سهيل اصراع الطبقات .

والخلاصة ؛ ماذا كان يريد الحزب حين أرسل مناضليه ليحاصروا ساحة الجمهورية ؟ الاستيلاء على السلطة ؟ اغتطاف ريدوي ؟ إسقاط الوزارة ؟ لا شيء من هذا كله ؛ كان يريد ان يجعل موقفاً ليس إلا . ويمَ كان يعارف ؟ إذا جرت الأمور كما هو معتاد ، وسوف تعلق الصحافة البورجوازية على الأحداث دونما حماسة وسوف يعود كل شيء الى نظامه السابق . ان السيد بيتاني^(١) لا يلهم المسألة على هذا النحو . أمر يؤمن إذن بالجمامرة ؟ أتصورون ان كل ما هنالك أنه يخلو حلو أو تلك الوزراء الضخمة الذين أطلقوا الأمة بلا مجر حق يسيطروا أنفسهم بلا مشقة بمسألة الجهد نظراً الى أنهم أعادوا

١ - الطوان بيتاني ، رئيس الوزارة الفرنسية عام ١٩٥٢ . ص ٥٥ .

الطمانينة إليها . فعن رُوح الحكومة له القرص " ، تلجأ الى وسيلة كلاسيكية : انها تحرف لصالحها دعاية المناقش . أنظروا كيف تزجج المناقشة وكيف تمه بجعرفة على الجهادلات بينما مسرحية قايان بلا مبرر . وهذا الجرم من المنف قدس خلقه أشخاص غامضون راحوا بقباعلون مع المثالين الضربات على الطريقة الأميركية . وسرعان ما يدور المجلس بأن الوزير قد استلم لفظ السفارة الأميركية : أسلوب اعلاقي متمسك . فزبان و القرص و القادمون يمبون ان يحدوا اصبح الله في كل شيء . وحتى في التفاصيل : إذا كانت الولايات المتحدة قد تازلت ، في مثل هذه الظروف الناقية ، لتحمينا من تساعنا الجرم ، فإذا ستعمل إذن في الظروف الجلية ؟ وكان الانفعال قد أخذ يسكن روجه حين جاءت زيارة ريدوي لتقدم موضوع الحقبة الاعلانية الثانية . وقد بدت هذه الحقبة باعتقال أندريه سليل ، والمكر في الموضوع هو ان اعتقاله كان اعنياطياً بصورة لا تدع مجالاً للشك : ان البورجوازية الفرنسية الكبيرة نفتت الجمهورية وترتاب في القاشية ، لكنها مولعة بالتمصف الاعنياطي الذي يبدو لها اوستقراطياً والذي يقدم لها في آن واحد صورة الفوضى التي تمنع حيا وصورة الحقبة التي تحلم في ان تكون لها في نظر الآخرين . إنها ترفع رأسها وتلساقل بتروا إن لم تكن قد وضعت بعدها على ذلك الطائر النادر : شخص لبيير الي حديدي القبضه . وبأني يوم المظاهرة . وينظم السيد بايو والحكومة الوجب : فذاك يؤكد أن الجماهير ان تتحرك ، وهذه تؤكد أنها على طريق مؤامرة لدعونا الى قياس مدى أهميتها بعدد رجال الشرطة المكلفين بسمها . وهدف المتآمرين ؟ كيف تريدون ان يعرف طالما ان تيقظ الوزارة قد أحبط مشاريعهم ؟ وينتم الحظ للسيد بيناي . فكل شيء يتقدمه ، يا في ذلك الدم السلوك . فرجال الشرطة قد أطلقوا النار ، كما هو معروف ، في الهواء . وقد اصطدمت رصاصة في السماء وسقطت من جديد بين الجموع : هل منصيب قرانياً ؟ كلا : ان اصبح الله متحولاً في اللحظة المناسبة إلى جزائري . وأنتم تعرفون كيف استقل

١ - مشروع اكتاب مالي طرحته حكومة بيناي . « مرم »

الموضوع : كان هناك إذن عرب قنبرون في صفوف الانتصاليين ! وماذا كانوا يفعلون هناك ؟ لو استخدموا في كتابت القرنية لقم المدغشقرين ، فلا تقرب : إنهم وطنيون ضد وطنيين . لكن لا بد ان يكون المرء عبداً لفرنسا حتى يدخل عرباً في منازعات بين فرنسيين . واختصار ، حين أسدل الستار ، كانت قوات الأمن قد ريجت الجولة . جولة صغيرة للغاية ، انتصار صغير للغاية : جبهة واحدة وكاهنان مشهوران بالجراح ، وهذا شيء لا يكفي أبداً للترويج لشروع القرص .

انتهت المظاهرة . وعاد الناس الى بيوتهم ، غاضبين ، متعبين ، خائبي الأمل على نحو مبهم . وفي الأحياء العالية ، كانت الأنياب قد وصلت سلفاً : قتل آخر . ويرين الصمت ، وتحقق المرارة والحزن تحت قناع المزاج التمعكر . وهذه هي اللحظة التي اختارها السيد بيناي ليعمل على اختطاف زعيم شيوعي من قلب أحد الشوارع . ولحين تعرف الحراسة الوردية التي نشرتها الصحف في اليوم التالي : لقد قبض على ديكلو في الحرم المشهود ، ولقد تردد رجال الشرطة في البداية أمام نتائج اعتداله غير المحسوبة ، ثم قرروا أن يقبضوا عليه بدافع القنوة على الوطن وحس الشرعية المتجردة المرء . لقد كان من الممكن تصديق هذه الحراسة لو كانت هناك قوانين تطلب الحماية ، لكن لم يكن هناك وجود لمثل هذه القوانين : إنما كان هناك مواطن عائد الى بيته في سيارة ، وكانت الظروف تحرم شرعياً المساس بسد . ياله من حب قريب للقانون ، حب يعرفه لأفسي إهانة بحجة ان حرمة قد انتهكت . يقال لي هذا : أنت لا تفهم : انها حالة اضطرارية ، وقد أرسلت الشرعية في إجازة لأن الجمهورية في خطر . مؤامرة أنصوريون كم هو يؤمن بالمؤامرة ، السيد بيناي والسيد بيلين والصحافة الليبية اطرخرا عليهم السؤال ، أسألهم عن طبيعة المؤامرة ، ألحوا حتى تحصلوا على أداة او على بعض معلومات على الأقل : انهم سيحبسونكم بتعالق ان الحزب الشيوعي مؤامرة خالفة وأنه كان من الواجب عدم غداة مؤتمر نور . كلا ، ان رائحة المتاوردة الثلثة تجرح الأنف : فقد استخدمت الحكومة ، بعكس

ليوني^{١١} ، قوتها حتى تستطيع ان تطهرها . ولما أظهرتها ؟ وارج الحق : لزلزلتها القادمين .

اذا نظرتم الى عملية بيناي بدون حكم مسبق ، رأيتها عبثاً : أما انها فعل عطف مبيهي في النهاية الى القضية التي يزعم انه يتقدها فهنا ما لا يشك فيه أحد : فالبورجوازية توجب كل دعائها الى الحريات الشكلية ، واذا ما قدمت هذه الحريات بينها فعمى سترهم انها تدافع ؟ لكن اذا أمعنا النظر في تفاصيل ظروف الاعتقال ، نشوش كل شيء . فلماذا اصام سيناريو كتبه بالتعاون مؤلفان ، احدهما ضيقت والثاني أبده . فاذا كانت الحكومة قد أرادت ان تطهر قوتها ، فما منعها من اطلاق سراح عيكتو فور فشل الإضراب ؟ أكان حقاً من الضروري ان لسمع أوروبا كلها رنين الصفعات التي انزل بها القضاء على ضرورة الوزارة ؟ ولم تكذب بصدده ساعة التوقيف ؟ وبصدده جهاز الراديو ؟ ولم تلك السفاجات حول الحمام الزاجل ؟ ولم الجحوش التي ذلك القفو الموقر عن الطائرة - البالغ من العمر ستة وعشيرة أعوام ؟ ولا يبدو ان الصحافة الليبيرالية قد تحسست هذه التساؤلات : فقد كانت ما تزال لحسب السيد بيناي آنذاك باريسيان^{١٢} . لكنكم اذا كنتم لا تلبسون هذا الرأي ، فربما شعرتم بأن قرار الوزراء قد اوسى به اليهم ما كياقبلي مسا ، وانهم وجدوا انفسهم في النهاية امام نتائج تتجاوز طاقتهم . أما عن ما كياقبلي فأنا ، بالطبع ، لا آمن وجوده : ففي هذه العملية البراعة والطائشة جاء الطيش من الوزراء وجماعت البراعة من مصدر آخر . لكن قد لا تكون المسألة سوى مسألة ظروف .

كان السيد بيناي يتابع فكرته ، وكانت فكرته ، القرص ، . وبعد بضعة ايام من الحادثة ذكرت إحدى الصحف هذه العبارة الصادرة من اعماق القلب :

١ - ماريتال فرانسى ، دور الحرية بين ١٩١٦ و ١٩١٧ . نشر في الأكلوية الفرنسية (١٩٢٤ - ١٩٢٤) . ص ٢٠٥
٢ - يعقل فرراً مشهورة فالفنر . مثال السبعي المستند للتضحية بكل شيء . ص ٢٠٤

• لقد انتهت المظاهرة بالفشل والملائم تبشر بنجاح القرص : ففي أي جانب
 يقف الفرنسيون الصالحون ؟ • . انه كلام واضح : ان الفرنسيين الصالحين
 يكتفون في القرص ولا يسكنون في الشوارع : والسيد بيناني لا يتظر
 مخافته من الشارع • بل من الدكان والمصارف والجمعية الوطنية . وما كان يعد له
 العدة باصرار كبير لم يكن حل الحزب الشيوعي بسبل خلسة صفوف • لجمع
 الشعب الفرنسي • . وانما كان حاول ضرب المعارضة اليسارية • فذلك ليكافئ
 المعارضة اليمينية • وانما كان أبقى أسيرة السبب لإخراج في السجن • فهذا
 بكل بساطة ليضغط على زملائه : ولقد رأينا ذلك حين قرع الكفة على الجمعية
 الوطنية التي طم سائها الرعب : • ان مكاني لكم . لكن الذي سيأخذ •
 سيتوجب عليه ان يأخذ معه اميري • . وفي ذلك اليوم • انقل السيد ديكتو
 الوزارة .

• باختصار • لقد توقعوا في فم الخطر الأحمر : وهذه خدعة لا يعود تاريخها
 الى أمس بل هي ما تزال محافظة على قيمتها الى اليوم . كل ما هنالك ان السيد
 بيناني لم يعطها شكلها الكلاسيكي • بل لقد كانت مرطقة من جانبه ان يلجأ اليها
 في هذه الظروف على حسب قول الخبراء : فهم يرون ان نجاح هذه الخدعة يقتضي
 عبادة ألا يكون هناك خطر أحمر . خلدوا الاميركان : لا شك في أن حسيم
 النظري بالدعاية كان كبيراً جداً ومعرفتهم بأهواء القلب البشري عميقة للغاية
 حتى امكنهم ان يرفعوا الى مستوى الكمال تلك الطريقة الخسنة بعض الشيء التي
 جازتهم من أوروبا . وهل تعتقدون انه كان في وسعهم ان يتخللوا منها أداة دعائية
 مدعشة • أداة عبادة الشيوعية • لو كان هناك شيوعيون في الولايات المتحدة
 الاميركية ؟ فلو كنتم تلتقون بتناضلين من الحزب الشيوعي يوماً او حتى شهرياً •
 فكيف ينكتكم انتم منا بأنهم يأكلون الاطفال ؟ لكن انما لم يسبق لكم قط ان
 رأيتم تناضلين شيوعيين • فكيف لتظلمون ان تبهتوا على انهم لا يأكلون
 الاطفال ؟ ثم لا ننسى ما يبلغ ذلك من اقتصاد في الجهاز : انما لم يكن احد
 • متاليئياً • • يكون كل الناس مثلها في انه كذلك . وبزودي

3 Average man⁽¹⁾ كلا الدورين ، انه واشى مع الجميع ، ومرش به عندما يكون بفرده . والضحايا بالطبع لن يبرهنوا ابدأ على برامجهم طالما ان الاتهام لا يعرف ما يأخذه عليهم . والسيد بيناي ، بتطبيقه المبدأ دولاً تيز ، مهدد بأن يدين على حساب الخاسر بأن هناك شيوعيين في فرنسا .

لكن لا : لقد جرى كل شيء كما لو انه لم يكن هناك شيوعيون . فهل ينبغي ان نؤمن فعلاً بأن ثمة ما كفافيل ما يسدي النصح إلى الحكومة ؟ ان هذا التسير مقبول لكنه ليس ضرورياً . فتلك العطية القصيرة المدى قد جاءت في حينها في معركة ناشبة منذ التحرير ، عرفت فيها البورجوازية كيف تأخذ المساعدة وتحافظ عليها . ان الماكيفيلية كاعنة في الأشياء : فيها فعل السيد بيناي ، فإن عهد الذي تدعمه وتدعمه وتروعه وتقومه مناووات اخرى أغشى عن الأنظار واهتمق ، لا بد ان يسكن ذكاه مستعاراً . ان الحرب عندما تبلغ لحظة معينة ، وعندما يكون احد الخصمين متفوقاً على الآخر ، فإن كل شيء يتقدمه ، وحتى عامل الصدفة يتدخل لصالحه . لقد اوقف السيد بيناي طيش ديكلو في الوقت الذي اصبح لوقفه فيه مناسباً وبارعاً . إن لأحداث 28 أيار معنى موضوعياً قد لا يكون تبدي لأي طرف من الأطراف التي ساهمت في صنعها ، لكنه يعمي العيون بعدما انقضت تلك الأحداث : انه يصبح رمزاً الستراتيجية بأسحاوول تحديدها في الفصل التالي .

ان لوقيف ديكلو ، اذا ما نظرتا اليه من هذه الزاوية ، غير شرعي على وجه التعدييد لأنه كان يتحتم ان يكون كذلك . فلو كان شرعياً ، لاحتفظ الحزب بخراج : كان في وسعه ان يخرج عن طريق صحافته ، وبقامته المهرجانات الخطابية ، ضد التية مملاً في الوقت نفسه وضوخه امام شرعية الفعل الشكلية . لكن الوزير ، باختطافه ديكلو ، قد سد جميع المنافذ : انه برجه تحديداً علياً إلى الشيوعيين ، وهاجمهم على فشل المظاهرة ، وحين يضطرون إلى التفتير برهمهم على قبول بائسحان قوة في المكان والزمان اللذين اختارهما ، على مرأى ومشهد

١ - الرجل المتوسط او العادي . « ع م »

من العالم اجمع . الاحتجاج ؟ مواجهة الحكومة بالدستور ؟ هذا شيء يمكن ان يُفعل وقد افعل : فقد قدم ويكفو شكوى ضد لاشريعة اعتصاله . وبالطبع انشدت صفحتنا موقف الشرطة : « اذا كانت قوانيننا موضوعة ضدك » فلم تحتجوا عندما تنتهك ؟ وانتم الذين تحرقونها برميها ، بأي حق لصرخون عندما يكون تحريفها صاعراً هنا ؟ انكم مع الجمهورية او ضدها حسب مصلحتكم الآنية وانتم لا تظنون خضوعكم لدمائيرنا إلا لتقيدوا بقوانين انتم أنفسكم لا تراعونها . إن هذه الحجية لاذنية ، وسوف نتاح لنا الفرصة لنعود فننتكم عن علاقات الحزب الشيوعي بالديموقراطية . لكن حق عندما لا يكون له من هدف سوى تشهير هذه الديموقراطية ، يبقى هناك أن البورجوازية هي نفسها التي طرحت شيولية القانون ضد خصوصيات النظام القديم : فلماذا سيحرم الشيوعيون أنفسهم من اتهام الخصم باسم مبادئه بالذات ؟ ستقولون : إذن قالت تدافع عن مورزا ؟^{١١١} على الاطلاق : فلفسد كان مورزا بورجوازياً يستمد جميع مصادره من المجتمع البورجوازي ، وكان له من الثقافة وطلاقة اللسان ما يعطي الحزبات الشكلية مضموناً حقيقياً ، وكان يفون طبقته لصالح أقلية صغيرة من البورجوازيين . أما الشيوعيون فيشكلون باسم البروليتاريا التي تسهم في حياة البلد الاقتصادية من غير ان يكون لها نصيبها في الحياة الاجتماعية : فلماذا ما حدث للعامل واستفاد بعض الفائدة من القوانين البورجوازية ، إلا أنها ليست قوانينه : ذلك أنها يحاتب الذين يستغلونه . بيد ان الحزب ما كان يستطيع ان يقتصر على عمل شرعي : ذلك ان الحكومة بانتهاكها القانون نعتت تبحث عن الجماهير في ميدانها الخاص الذي هو ميدان اللاشريعة . ولقد تحدثت هذه الجماهير إذ وجهت إهانة علنية الى حزبا : « أروون ماذا افعل بزعيمكم : وإذا كان هذا لا يعجبكم » فلن يتبدل في الأمر شيء . ينبغي إذن أن رد الجماهير على هذا التحدي في هذا الميدان بالذات ، ففي حالة هنري مارلان يمكن الحزب أن يجد دافع الملاحظة

١١١ - شارل مورزا : كاتب فرنسي معاصر (١٨٦٨ - ١٩٥٥) . تعاون مع ائتمل الثاني وحكم بالسجن المؤبد

لأنها والحكم الصادر جازماً ، لكنه لا يستطيع ان ينقض حق توقيف ومعاقبة جندي أو بحار ضبط وهو يوزع منشورات : انه يقتصر إذت على المطالبة ، عن طريق صحافته او المهرجانات الخطابيصة أو العرائض ، بإعادة النظر في المحاكمة . وعلى العكس ، إذا ما اعتلتك حكومة ذات ميول فاشية تمثل حزب بورجوازي ، فإن هذا الحزب يستطيع اللجوء الى القضاء : ذلك أنه سيرغب في ان يثبت ان القوانين الديوقراطية كافية لمجانبتنا من الدكتاتورية . لكن إذا ما مورس العنف على حزب عتف ، فإن الجواب الوحيد هو العنف .

ان الحكومة والهيئات التمثيلية في مجتمعاتنا تستمد سلطتها من المؤسسات على الأقل بقدر ما تستمدها من ارادة الشعب ، لأن المؤسسات أولا هي التي تحدد الناخب ، وثانياً وعلى الأخص لأن السلطة يمكن ان تظل شرعية بعد ان تكف عن ان تكون معبرة عن ارادة الغالبية بشرط ان تكون فقط مضبوطة من القانون . فبعد انتخابات ١٩٤٧ البرلانية ، أمكن لحكومة ثورات منها البلاد نصف تسبوا ان تحتل بالسلطة ، وان لتتظر انحصار الحركة الديوقراطية وتقتل قائلنا انتخابياً ضمن عودة الغالبية ذاتها الى البرلمان القادم .

ان الحزب الشيوعي ينتعج بوية تشبه هيبة حكومة . لكنه لما كان يسلا مؤسسات ، فإن سيادته تأتيه من الجماهير نفسها . تقولون لي انه عميل لوسكوف؟ انه لا وجود للديوقراطية والتمثل الحركة ؟ هذا محتمل جداً : بيد ان هذا لا يمنع انه سيخسر كل شيء اذا اعتنعت الجماهير بغتة عن السير وراءه . فهو يشبه مها تكن قوته ، أنطيوخس^(١) الذي كارت لا تعود اليه قواه إلا عندما يمس الأرض . ان الملايين الحسة او السنة من الأصوات التي تنصب على الحزب كل أربع سنوات تكسر اهميته الانتخابية من غير ان تضفي صفة شرعية على عمل الثوري : فالناخبون لا يستهجنون لا الطاهرات ولا الاضرابات السياسية ، لكن ورقتهم الانتخابية لا تسمح بمعرفة ما إذا كانوا يساهمون فيها .^(٢) وانفسا في الشارع يقبس

١ - ملارده ليوالي ، ابن ليوثون والأرض . خلفه مورقسل بين فروعيه . لكنه لم يتمكن من ذلك الا بعد ان رفعه عن الأرض بعد أن لاحظ ان قواه تعود اليه كلها منها . ٥٥ ، ٥٦

الحزب الشيوعي مقدار سلطانه ، واتساع التظاهرات الشعبية هو الذي يعطي صفة شرعية على هيئته . وهذه التظاهرات هي ، في وجه نظام الانتخاب المجرى والبالغ الحكمة ، بمثابة تفويض بالسلطات ، عام ، مبهم ، خطر ، قابل للتفويض ، لكنه يرجعنا إلى منابع السيادة بالذات . لكن شأن هذه الاستفتاءات الشعبية شأن الخلق الالهي لدى ديكارت : انها قيّمة في ساعتها ، لكن لا بد من تجديددها باستمرار . فحق لو اضريت فرنسا بأسرها بالأمس ، فلا شيء يسمح بالتأكيد بأنها ستعاود ذلك في الغد. إذ انه لا وجود لقاعدة لتوسع نطاق نتيجة هذه الاستفتاءات الشعبية وقد في أجلها الى مسا وراء اليوم التي جرت فيه : وهذا مفهوم طالما ان سيل التظاهرين يعبر ، بعنفه بالذات ، عن نوع من ارادة تأسيسية تبطل مفعول القوانين المرعية الاجراء . والبيروجوازي لم يتخذ قط بالأمر : ان دوائيه تستطيع ان تعدل الوزارات لكن الجماهير هي التي تعطي السلطة الحقيقية . وما يختصه وينته في « العامة » انسا هو السيادة الوحشية . لكن طالما ان علاقة الجموع بزعمائها مثبته باستمرار ، فهو لا يتقدم في الغد الشيوعيين على كلامهم ، وإرغامهم على طرح النسيب للاستفتاء الشعبي حين تكون الظروف في غير صالحهم . وإذا جاءت النتيجة معاكسة لهم ، نشرت . وعيناً مبيحون ان المسألة لا تعدو ان تكون أكثر من التحذال مؤقت عارض ، فالحزب الانتخابي يستطيع ان يبقى على قيد الحياة رغم هزائه لكن الحزب الثوري لا يتميز عن الدفاعة قواه الثورية . ويرد الوزير على الشيوعيين حينهم : انهم يحاكون البيروجوازية باسم سيادتها بالذات ، وباسم سيادتهم ثم سيرتهم على كشف اورقهم . ان السيد بيناي متأفف من سيادة الشعب الوحشية ، لكن بينه وبين نفسه : فهو يعلم حق العلم ان غالبية البلد ليست وراءه ، لكن الغالبية لا يحق لها سوى ان تقيم الصمت طالما انها غير معدة بقانون انتخابي . بيد انه يعلم حق العلم ايضاً بالذليل ان الحزب الثوري لا يحق له ان يتراجع ويصطأطيه الرأس : فهو يختطف السيد ميكلو وينتظر ، فالتحدي لا بد ان يلقى جواباً . والواقع أن المكتب السياسي قد رأى الفخ (ولو لم يره لكافة معارفات ومحاطات

الاتحاد العام للشغل كتيبة بإدارة الطريق امامه) لكنه سيدير اليه بحني الرأس :
 فان تفرك للفاضل فذكرى هزيمة خير من ان تفرك له ذكرى هرب و تحاذل .
 وهكذا أعطي أمر الاضراب ، والحكومة على أتم استعداد لمواجهة : اذا ما
 تحركت الجماهير سحقها ، لكن يخيل إليها ان تتحرك . وفي ١ حزيران
 كما في ٢٨ أيار كان التطابق بين توقعات المكتب السياسي وتوقعات الوزارة تماماً .
 وخلاصة القول انه لم يكن هناك شيء منتظر ، ولم يحدث شيء ، وعلى هذا
 اللاشيء بنى السيد بيطاي مجده . ان يوم ١ حزيران تاريخي من حيث انه يشبه
 سائر الأيام . ولقد قرأنا في صحف اليوم التالي ان الشوارع حافظت على منظرها
 المعتاد ، وان المراق كان يسير كالمعتاد . لقد كان ذلك اليوم واحداً من تلك الأيام
 المكرمة للعمل التي تحولها نعمة فريدة من نوعها الى اعياد صاخبة في نظر استبداء
 النظام .

كنت في بلاد الغربة ، وكانت علاقتي بالشوعيين طيبة لكن غير مستطابة
 البتة : كانوا قد كفروا عن اهامي بأنني أجعل من الانسان حيواناً لكنهم كفروا ما
 يزولون يتهنوني بأنني عملت جاسوساً على المقاومة لحساب البورجوازية الفاشية .
 وأخيراً فإن مطاردة ٢٨ أيار لم تبد لي انها جاءت في وقتها ، وكنت أخشى من
 وقوع مشاجرات جديدة وقتل بلا جدوى . وكانت هذه وغيرها اسباباً كافية
 لتجملني أتلقى نيا فمثل الاضراب بلا مبالاة إن لم اقل بإوتياح . والحال ان القبا
 كان له علي وقع معاكس : فاحتجاج الصحف المحترمة لم يتمكن من تغطية حمت
 فرنسا الغربية ، ولقد أحسبت بأنني تلبيت لبا هزيمة صغيرة للانسان . لم أكن
 أعرف آنذاك ان هناك عدداً كبيراً من الناس ينظرون الى الأشياء مثلي . ولقد
 كتبت الصحافة البورجوازية فيما بعد اننا كنا خائفين . لم لا ، بعد كل شيء ؟
 ان الخوف هو احدي الكلمات النادرة التي تستطيع صحفنا ان نقهها . لخصن
 هم الحسوف ؟ من النظام البوليسي الذي تسلخ في الأفق نذره ؟ من الهيمنة
 الاميركية ؟ من مطاردة الساحرات ^{١١} ؟ من الحرب المهددة بالاندلاع ؟ هذه

مواضيع باعثة على القلق اراما مقبولة جدا . لكن يبدو أنني لم افهم : نحن ضابطون لأن الطبقة العاملة قد تيرات من الحزب الشيوعي . اذا لم يكن الأمر غير هذا فكيفكم عندها . ذلك اننا مطمئنون كل الاطمئنان : فالحزب لن يقتلني وشيكاً وليس صحيحاً ان الطبقة العسامة قد اعلنت برامتها منه : فلي حزيران لم يُعلن عن شيء ولم تكن هناك طبقة عاملة . هذا هو على وجه التحديد ما اخافنا اذا كنتم تريدون ان تعرفوا ذلك . وانا اكتب هذا المقال لأحاول ان افهم ماذا قصت فرنسا .

يبدو انها غير صامئة ، وأنها تصيح بازدهاتها في وجه السيد بيناي . وخلاصة القول ان الحزب الشيوعي « على ما يقال » سينتفض فشل الاضراب « المرحوم » ، فنكون قد خفنا بلا داع . ولقد كان يتوجب علي ان أفرح ، لكنني لم افعل شيئاً سوى انني استبدلت مما بهم : انه سمعي الذي يسبب في التم الآت . انني ألح السيد كايوا بيستم ، ويقول في نفسه : هذا هو مال من ينلني بالدفاع عن الشيوعيين من خارج مبادئهم . هل يعتقد سارتر انه ينال إعجابهم إذ يتن بصوت عالٍ يصده هزيمة لا يقرون بها ؟ - كلا ، لا اعتقد ذلك . ومن ذا الذي سيبلغ به الجنون حدى يريد معه ان ينال اعجاب التاضلين ، سواء أكلوا شيوعيين أم غير شيوعيين ؟ وما الداعي الي ان يسعى الي ذلك ؟ وأي فائدة سأجني اذا جعلت نفسي هذه الشقة ؟ مصافحة مختلطة مع رجل مطارد ؟ ابتسامة شاحبة على شفهي مناقض لمسائل ؟ ان قلبي لا يتحقق لأشياء كهذه . كلا : إن الحزب الجماهيري إما ان يلقاه المرء ، وإما ان ينتسب اليه ، وإما ان يتفاهم من الخارج مع مثليه حول أهداف مشتركة . ولا بأس إن كان العمل هو الذي يحدد المواطن ، فقد كان المذهب الفردي البورجوازي يرجعها الي تقلبات المزاج ، ولا علينا إذا نحن أحببنا الإنسان بكامله أو مقتناه من خلال أعماله . إن هدف هذا المقال « هذا صحيح ، ان اعلن اتفاق مع الشيوعيين محسول مواضيع محددة

وهددرة ، انطلاقاً من مبادئنا لا من مبادئهم . وسوف أيتن السبب . ولقد حدث مرة منذ مؤتمر نور ان اعلن افراد أو جماعات ، يسارية ، اتفاقهم العملي مع الحزب الشيوعي منوهين في الوقت نفسه باختلافاتهم المبدئية . وعندما كانت مساعدتهم تبدو للحزب مرجوة ، كان يقبل بهذا التحالف بالرغم من الاختلافات . ويخيل إلي اليوم ان الموقف قد تبدل ، بالنسبة اليه كما بالنسبة اليها ، بحيث بات واجباً عليه ان يتبنى مثل هذه التحالفات بسبب الاختلافات جزئياً .

لما الواقعة نفسها ، قبل يمكننا ان نقول ان الحزب الشيوعي يتنقضا ؟ نعم ولا . انه يقر بأن الاضراب لم ينجح لكن همه الأول على ما يبدو هو ان يبريه الطبقة العاملة من المسؤولية ، وهو لا يفرده ، في سبيل ذلك ، في ان يأخذ الخطأ كله على عاتقه . تهور ، نقل سيء للأوامر ، فقدان التنسيق ، الشطط في المهجة . ان ما يقوم عليه نفسه معروف لدينا . والحق ان في هذا نوعاً من التهور . ان الحضم يفسر أحداث ، حزيران بالموهر : انها طبيعة الحزب الشيوعي الحبيبة التي كان لا بد ان تلعب في النهاية اخترازا الطبقة العاملة . والحزب الشيوعي يعترف بالوقائع لكنه يفسرها بالعرض . لقد احتفظت الطبقة العاملة بطاقتها التضالية ، وكل ما هنالك ان بعض الافراد اخطأوا ولم يعرفوا كيف يدعونها في الوقت المناسب . واليك مما قاله السيد ديكلو في الجلسة الأخيرة للجنة المركزية : « لقد كانت الطبقة العاملة العنصر الحاسم في النصر . ولقد كانت في غالبيتها الساحقة مع حزبنا ضد المتأمرين . لكن هذا لا يعني ان هذا الموقف قد ترجم دوماً وفي كل مكان في اضرابات أو تظاهرات أو عرائض . وخطأ الحكومة ومخلائها هو بالضبط اعتقادهم بأنه حينئذ لا يكون هناك اضراب أو تظاهر تكون الطبقة العاملة لامبالية . ولقد فهم العمال ان الأمانة المناهضة للشيوعيين هي تهديد لحيوم عنيف على شروط وجودهم ، على حقوقهم المكتسبة ، على الحريات الديمقراطية وعلى السلم . ولا مجال للشك في ان عمل الطبقة العاملة كان مدعواً الى تحقيق تطورات جديدة للغاية لو لم توجه الحركة الشعبية ، مسع

التحرير الذي تم في أول تموز ، ضرورة أول صارمة اني اقتامرن^{١١} ،
 انني متفق مع الحزب الشيوعي حول نقطة واحدة ، ألا هي استحالة اعتبار
 صحت الجماهير قبولاً بالقمع . سيقال لي : ، ولكن . لكنك لا تستطيع ،
 للأسباب نفسها ، ان تعتبره استهجاناً ، . أنا لست متأكداً من ذلك ان هذا
 الحد ، يقيناً ، انه لن يصعب فك لغز إشارة سالية . لكن من الصعب أيضاً ان
 نعتقد بأن عتفاً موحهاً ضد زعم حزب عمالي ، على إثر مظاهرة - وإن تكن
 غير شعبية - يمكن ان يقابل من الجماهير بلا مبالاة . ان العمال يعيشون تحت
 التهديد الدائم للأفات الثلاث التي تسمى ارتفاع الأسعار والبطالة والقمع . ومها
 يمكن المستقبل البعيد الأمد الذي يحلمون به أو يمتدّون العدة له ، فإن مستقبلهم
 القصير الأمد قائم دوماً : إنهم يعرفون عداء الطبقات الحاكمة ، ويعلمون ان هذه
 الطبقات مندفعة في «تركيبات» نتائجها شوم في غالب الأحيان عن البروليتاريا ،
 لكنهم يحلمون تفاصيل المناورات فتصيبهم نتائجها في غالب الأحيان من غير ان
 يكونوا قد أحسوا بأسبابها . وفي هذه العتمة غير الأمانة الجانب التي يسر فيها
 كل ما يعاقونه من خلفاء نفس الى الأسوأ ، تكون التغييرات المباشرة مشؤومة
 الطابع . هل تذكرون سنوات الانعطاف تلك التي كنا نتكهن فيها بأن ألمانيا
 تستعد للحرب ، من غير ان نستطيع ان نفيس مدى جهودات تسليحها ، هل
 تذكرون قلنا الدائم والنداق الكثيب لتلك الأيام : كان هتلر يتحرك من حين
 الى آخر ويلقي خطاباً فنشعر بأن الحرب قد اقتربت أكثر قليلاً أيضاً عن ذي
 قبل . يقيناً ، ليست المقارنة دليلاً وحجة : لكنني حين أريد ، أنا البورجوازي
 الحمي نسبياً من الأزمات ، أن أفهم مناسخ الضواحي العالية ، ذلك الجو الثقيل
 وذلك المستقبل السود ، فإننا أيضاً ان تلك الحقبة من تاريخنا ان البورجوازيين ،
 باعتقادهم سيكون ، فقد بلغوا البروليتاريا أنبياءهم ، ولقد كانت هذه الأنبياء
 مكذرة . ومسالماً نفس حقد العمال للتأصل على الشرطة ، ومصاعب حياتهم
 اليومية ، وعدم استقرار ميزانياتهم وجراحاتهم القديمة الباقية أبداً ندوباً ،

١ - د . لاند الجهد - العدد ٢٩ - ايلول ، تشرين الأول ١٩٥٢ - ص ٣٥ .

فكيف يمكننا ان نتقي أنهم لم يروا في الإجراء القضائي الذي اتخذ ضد الحزب الشيوعي تغير اضطهادات جديدة ؟

والآن هل ينبغي ان نشبه ذلك الفلق الأصم بحركة ؟ وذلك المزيج من التشاؤم والحنن ؟ هل يمكن ان يعتبر حلاً ؟ لا أظن ذلك . ان السيد ويكسبري يرى ان الحكومة أخطأت إذ أسامت بتقدير مقاومة الجماهير . وأنا أابعه على افتراضه هذا . لكن إذا لم يكن السيد بيناي قد عرف كيف يرى غضبها ؟ فعل من إذن أمكن هذه المقاومة الباطلة والحرساء ان تؤثر ؟ وكيف السبيل الى اعتبار إطلاقات السراح التي تمت في الأول من نوز استصاراً شامياً ؟ لو كنت شجاعاً لحفظت الجبل لونتسكيو أكثر منه للبروليتاريا ؛ ذلك ان إجراء الوزير القومي قد عرفه لبضعة أشهر مبدأ فصل السلطات البورجوازي . ان قضاء موسوس الضمير وفخراً بزيابه قد رفض بكل بساطة التخلي للسلطة التلقائية عن الاستقلال الذي هو مبرر وجوده وعن الحصة التي ترجع إليه من السيادة . يقال ان الحركة الشعبية قد فشلت من إحياء ضمير القضاة ؟ لكن من أين جاء هذا الافتراض ؟ وطالما أنها لم تعبر عن نفسها ؟ لا في اضطرابات ولا في تطامرات ولا في هرائض ؟ فكيف أمكن لأولئك القضاة البورجوازيين ان يتعرفوها ؟ الواقع ان فرنسا زمت السكون والسكوت ؟ وإفا في جو يخيم عليه صمت كبير اتخذ القضاء قراره . وذهب الحكومة في رأي ليس في كونها أسامت بتقدير الاستنكار الشعبي ؟ بل في كونها لم تتوقع قراراً متوقعاً كهذا : فالقضاة لم يرضع لأوامر أحد منذ الجمهورية الثالثة⁽¹⁾ . فما الداعي لأن يقبل بسادة له ؟ ولا سيما إذا كان هؤلاء السادة يدعون ديلو وبيناي ؟

اذن فن غير الصحيح ان الجماهير قد ضغطت على الوزراء ؟ كما انه من غير الصحيح انها وقفت موقف اللامبالاة . والواقع انها استنكرت لكنها لم تسجل استنكارها . وهذا ما يبدو باعناً على الشبهة : فإذا لم يسع استيادها الواقعي جداً الى التعبير عن نفسه ؟

١ - كتب هذا المقال عام ١٩٢٠ .

« لأن كراميتها كانت جارية » ولأنها كانت تمدن السياسة الشيوعية ولأن
 الفرصة أتتحت فما لتظهر ذلك » . عن طريق هذا القلب الجارح حوكت الصحافة
 البروجوارزية غياب رد الفعل إلى رقبة في عدم الرد . لتليل بذلك : لكن عم
 تتكلم هذه الصحافة ؟ أعن ٢٨ أيار أم عن ٩ حزيران ؟ يقال لي انه لا فرق
 بينها ، وان اللشل الثاني ليس إلا تركيداً وتناقضاً للأول . وأنا لست مقتنعاً
 بذلك البتة : فاليومان في نظري بمنقضان اختلافاً عميقاً .

وبكلمة واحدة أقول ان تظاهرة ٢٨ أيار لا يحين أمرها : انها لا تخرج
 سواء أنجحت أم فشلت ، عن الروتين و « المسائل الجارية » . كما ان لها على
 الأخص طابعاً سياسياً . لقد درس القادة الشيوعيون الموقف القوي ، وقنعوا
 القوي الموجودة ، وارتأوا بأن عملية محدودة النطاق يمكن ان تنجح ، ولو في
 أبسط الحدود ، في تعديل ميزان هذه القوى . وما فعلوه هم ، يستطيع غيرهم
 ان يردد فعله لحسابه الخاص : إن كل انسان يستطيع ان يفتح سياسياً عملاً سياسياً
 مسا . وإفان لم يكن في وسعي ان أعتقد - سأشرح السبب فيما بعد - بأن الطبقة
 العاملة قد تظاهرت ضد المظاهرة ، إلا أنني أقبل عن طواعية - لم لا ؟ - بأن
 عدداً لا بأس به من العمال قد استلطف عن المشاركة فيها بتروح من احتداد هو
 بثابة استهجان : « ما الفائدة منها ؟ أننا لن نحصل على شيء بهذه الطريقة ،
 الخ » . بل من الممكن ان يكون قد وجد بعض افراد أراهم ان يظهروا بغيابهم
 أنهم يدينون سياسة الخطورة والنفوة تلك . أصابا بالنسبة إلى الغالبية ، فإن
 الموضوع أبسط بكثير : والمتناضون يعلون حتى العلم ان المظاهرات ضد الحرب
 تكون سبباً للردود في غالب الأحيان . ان فشل اليوم الأحمر ، في حزيران
 ١٩٢٩ ، يشبه من عدة نواح - سطحياً على الأقل - يوم ٢٨ أيار : التدهام نفسه
 للجماهير ، أظهروا أنهم مصممون على منع الحملة المعادية للشيوعيين ، « والقياب
 نفسه ، والمعروف جداً ، من قبل الطبقة العاملة ، مع فرق واحد : ترويز هو الذي
 احتفل آنذاك . ان الحزب يعرف المشكلة قام المعرفة : انه يعلم حتى العلم انه لا
 يد في كل حالة من الحالات من دعم الموقف السياسية بطالبات اقتصادية ، وهو

بمعنى ان يكون قادراً على تحليل الوضع المحلي واستخلاص اسبابه العامة وإظهار
 روابط الصلة المباشرة مع الصالح الطبقة . لكننا نسوى ان هذا ليس سهلاً
 دوماً : إذ يحدث ان تكون إحدى حلقات السلسلة مفقودة أو أن يقترف القادة
 الخطأ : وفي مثل هذه الحال يقف العمل السياسي وحيداً بلا حماية ، ولا ينجح
 دوماً في جر الجماهير . وهذا بالطبع لا يرجع الى ان العمال يعتبرون العمل
 السياسي خارجاً عن دائرتهم أو الى انهم يجرمون على انفسهم استخدام اسلحتهم
 المعادية في فضح الاستعمار أو الامبريالية : انما يرجع بكل بساطة الى ان الهدف
 يصور لهم تحت شكل مجرد وبعبء اكثر مما ينبغي . انهم يناضلون من كل الفئتهم
 اذا ما بين لهم ، على سبيل المثال ، انهم يدافعون عن أجورهم يجرعون مرقة
 سياسة إعادة التسليح ، وبالتالي وبصورة غير مباشرة ، الحلف الأطلسي . أنهم
 يدافعون عن مصالحهم الخاصة ؟ كلا : بل لأن سيطرتهم على الأحداث تظل
 مباشرة ، لأنهم يرون النتائج التفصيلية للعمل ، لأن كل ، وبينهم السياسة ،
 تسقطه الى فكرة ان الأحداث العالمية لتبدي ، على مستوى الأمم والمدن ، تحت
 مظهر تبدلات محلية وعينية يستطوع عمل محلي وعيني ان يعدل مجراها .

بيد أن اضراب ، حزبان ، على كل الاحوال ، لم يكن سياسياً . ام ينبغي ان
 نسمي تلك القضية التي حركت العمال الإيطاليين حين علموا بأن جمهوراً اطلق
 النار على تولياني ، بأنها سياسية ؟ لقد استبقوا أوامر الاضراب ، وزحفوا على
 المصانع ، واستولوها ، وحسبوا ارباب العمل في مكائهم : كان الجميع متلفين ،
 الشيوعيين والاشيوعيين واعداء الشيوعيين ، وكان مداً هائجاً عاصفاً . وطوال
 يومين خيل للحكومة انها فقدت السيطرة على الموقف . وما كانت أهداف هذه
 المظاهرة - سياسية كانت ام لم تكن ؟ الاحتجاج ؟ ضد من ؟ ضد من ؟ ذلك
 انه ما كان أحد يعتقد - آنذاك - ان الحكومة أو احزاب اليمين غيبة الى حد
 تقدم معه على اقتيال زعيم شيوعي في وقت كان فيه الحزب الشيوعي يسيطر على
 ثلث وثلث من البلاد . أما ، ضغط ، الجماهير ، فلأن من كان يمكن ان يوجه اليهم
 إلا الى الإله الأب ؟ بيد ان الحدث كان له صدى كبير : فقد أكدت الطبقة ذاتها

عليا ، وبالتفاح مهروس ، نجاة الأمة ، نجاة أوروبا . فقبل محاولة الانتفاضة كانت الطوائف تدل على أنه ليس هناك سوى جماعات صغيرة تتجاذب أو تتناذب ، تتحاذى أو تتداخل ، من أسر وروابط ومؤسسات وأبرشيات الخ . وبعدما على النور تطايرت الحواجز وظهرت البروليتاريا . وهذه الانتفاضة العنيفة ، لا شيء آخر ، هي ما كان ينتظره الشيوعيون من العامل الفرنسي . لم يكن المطلوب كما في السابق بلوغ أهداف بعيدة إن قليلا وإن كثيرا وبطرق ملتوية إن قليلا وإن كثيرا ؛ إنما كان المطلوب مرجعا إلى الطبقة العاملة في واقعها اليومي المباشر وعلى حلوقها الأساسية ، وعلى مرأى منها ثم اعتدال القامة الذين اختارهم لنفسها ، فطلب منها التكتب السياسي - بلا أمل ، قلت ذلك - وقد فعل مباشرة وحاسبا . لم يطلب منها أحد ان تحطم زجاج مبنى رئاسة الوزراء ولا ان تضرم النار في قصر الاليزه ؛ إنما كان جل الشيء ان تظهر نفسها لا أكثر . ولم تظهر نفسها .

يجيب عضو الشيوعية : « هذا يثبت أنها تريد أن تهز نير الحزب الشيوعي . لكنون إن هذه المظاهرات ورسامات مجيبة وأنه في الشارع تجدد البروليتاريا لقتها في زعمائها . النتيجة واضحة إذن : حين تكون الشوارع مظفرة ، فهذا معناه ان البيعة قد سقطت عن الزعماء ، .

لا داعي لي مثل هذه السرعة في الاستنتاج . فمثل عام ١٩٥١ بدت عن الجماهير علامات الأنيك واضحة ، ومع ذلك صوت ٥ ملايين ناخب للشيوعيين . وقد جرت بعد ٤ حزب ان انتخابات فرعية لم تدل على تراجع يذكر عن نسبة العام الماضي . وغداة الأضراب الحبط حطت القوة العمالية ، في مصانع رينو نجاحا طلت له وزعمت الصحف المحترمة . وهذا الكسب الذي لا مجال للتفاش فيه يشهد على الأقل على تفكير المزاج العمالي ، لكن مما لم يشر إليه البعض إلا نادرا ، وما يبدو لي أبلغ دلالة ، هو ان الاتحاد العام للشغل كان ما يزال يحتفظ بـ ٦٥ ٪ من الأصوات بمسند خمسة عشر يوما أو أقل من فشله . إذن فهناك في مصانع رينو غالبية من العمال مما يزال تعضه لقتها مع احتفاظها لنفسها بحق

عصيان أوامرهم . كما ان في البلاد أربعة أو خمسة ملايين ناخب يصوتون للثواب الشيوعيين من غير ان يحرکوا اصبعاً للدفاع عنهم حين تنتهك حرمة اخصائهم الثيائية . صحيح ان الحزب الشيوعي في سبيله الى خسران ذلك النوع من السيادة الذي يولد من العمل ، وهذه للاحظاظ تبدو وكأنها تشير ، لوهة الأولى ، الى أزمة تعاني منها سلطته الثورية . لكنه أيضاً حزب كلاسيكي وبرلاني . وطلنا أنه يسيطر عملياً على الاتحاد العام للشغل فهو منظمة نقابية : انه يحافظ ، تحت هذين المظهرين ، على سلطته وتقوته ، و ٦٠ الى ٧٠٪ من العمال يقبلون بأنت يدافع عن مصالحهم المادية ، و ٢٥ الى ٣٠٪ من الناضحين يقبلون بأن يتلهم في الجمعية الوطنية . وبعد هذا تأتون لتقولوا لي ان الطبقة العاملة تنبراً من ديكتو : يودي ذلك . لكن يبدو لي وانها أنها لا تستطيع ان تنبراً منه من غير ان تنبراً من نفسها . على رسلكم ، اني أقبل بكل ما تريدون : ان العمال قد شعروا الوصاية الشيوعية وبيع وقرابية الحزب وخضوعه لوسكو . وهم يأخذون عليه ألف مأخذ ويعلمون استنكارهم يرمياً للاتحاد العام للشغل . ثم ماذا ؟ ليس المطلوب منهم ان يقدموا برهاناً تاماً على صيهم المكتوب السياسي ، بل ان يردوا على تحدي وعلى إهانة وعلى تهديد . إن الحكومة ، بالأمس ، باعتقالها ديكتو ، قد أتت بحجة قلم انتحاجهم . وهي اليوم ، باعتقالها لوليب ، تفرق بطاقتهم الانتحاجية . التبرؤ من ديكتو في مثل هذا الوقت ؟ وإذا ما فعلوا ذلك فإنا لا يتوجهون أيضاً بالشكر الى السيد بيناني الطيب الذي خلصهم من طاعة ؟ أم تعتمدون صادقين ان بروليتارياً كاتفها مئة وخمسون سنة من التضال ، وتعي تقاليدها وعظمتها ، ستأتي لتعلن أمانتنا والأبشامة للبع على شفتيها : « اني لست راضية كثيراً على لقادة الذين اخبرتهم لنفسي ، ولهذا لست أرى في اعتقالهم سوءاً ، ومع احتفاطي بتقني فيهم حول بعض النقاط لا أرفض أنت لنتهك حرمة القانون ببعض الشيء ، إذا كان هذا ضرورياً ، لتخليصي منهم ؟ » وان يحسب معلوق الفشارو الطبقة العاملة عذراء مجنونة ، فهذا شيء طبيعي ونظامي . لكنكم ، أنتم الماركسيين ، المناولين الثيائية ، « أنتم الذين تعتمدون

على سداد بصيرتها لتخلصوها من قاداتها الحاليين ، كيف يمكنكم ان تلبوا بأن تكون قد فتحت الباب بكل الطمئنان للفتح البوليسي ؟ لقد قلتم ورددتم ذلك بعد ماركسي ، وبعد لينين : البورجوازية فرضت على نفسها قوانين تخلفها ، ومصالحة الازوليتاريا هي ان ترحمها على احترامها . كنت تقولون : علينا ان نشور على كل مظاهر سوء استعمال السلطة . فهل مستضيفون اليوم ، إلا عندما يكون السالفيون هم الذين يدفعون التمسق ؟ أعرف : أنكم تستطيعون ان تسمحوا لأنفسكم بكل شيء ، لأن مواقفكم لا تؤثر على الجماهير . وقد عقدتم مع الواقع معاهدة عدم تدخل : فهي تحدث من غير ان تزعجكم ، ومن غير أن تزعجكم ، ومن غير ان تؤكد صحة نظرياتكم او يطلانها . وللمقابل تمهدتم بسدم التدخل البتة لتعديل مسارها . لكن ردود فعل القوة العمالية ، و « الاتحاد الفرنسي للعمال الشيوعيين » تبدو أكثر مدعاة للقلق . فالمنظمات النقابية ، سواء أكانت اصلاحية أم ثورية ، مستغلة أم موجهة ، تشترك جميعها في كونها قد تطورت في إطار الديمقراطية البورجوازية وفي كونها تستخدم جميع الأسلحة التي تمنحها ايها الشرعية . وإذا ما انتهكت الحكومة القانون او بدلته ، امكنك نتائج ذلك عليها جميعاً ؛ فحتى تنق الطبقة العاملة في قوتها ، ينبغي ان تراها في وضع النهار . ولقد حدثت اضطرابات ١٩٣٦ على سبيل المثال في رواق مرايا . تصوروا عودة مياقتة للعمل السري . ان عمل الانتصار في مثل هذه الحال هو الذي سيظل ممكناً ، لا عمل الجماهير ؛ وبذلك تكون قد فتحت عيننا شمشون . تقولون ان الأمور لم تصل بنا الى هذا الحد بعد ؟ هذا طبعاً صحيح . لكن لم تقض فترة طويلة بعد هل خرجنا من السرية ، ولدينا جميعنا ذكريات يقترض فيها أنها تجعلنا حاسمين بموضوع الاعتقالات التعسفية . ستقولون لي : « بل ! لكنك تتكلم عن ذلك على هواك : قد تكون اُشتمت واقتربي عليك لكنك لم تضطهد . أما مناضل « القوة العمالية » فهو واقع ضحية اضطهاد منظم متواصل : فهو اُشتم ، ويُهجر عليه ، ويغرب عليه محمد ، ومن حين الى آخر يهاجم ويضرب . ونحن نجدته أهدم عن الشيوعيين » فهل تشفق أنه يفكر

بالزعة الانفصالية ، بالمسكرات ، بالبيروقراطية ، بالتيشوية ؟ عيبا دعك من هذا ! فهو إنسا يفتكر : « لِمَ أدأقوني ، أو تلك الأندال ! انتظروا قليلا حتى يتغير الوضع وسوف أضيفهم بدوري من مثل ما أدأقوني » . وعلى كل ، ما كان أسهل الأمر لو لم يكن على الحزب الشيوعي إلا أن يطلب الهدنة حتى يسرح ضحاياه جميعاً الى نجدته .

هذا صحيح : إن انتقاسات الطبقة العامة قد جعلت الحياة مستحيلة ولا بد بالنسبة الى الكثيرين من العمال . أما عن الاحقاد فهي موجودة : هذه حقيقة واقعة . لكن ما كان المطلوب منهم ؟ ان يتناسروها ؟ ان يعيدوا الوحدة النقابية ؟ ان يدرو ايديهم الى الحزب الشيوعي ؟ بالمره : انما كان المطلوب منهم أنيشتركوا في اضراب محدود المدة ورمزي القبول للدفاع عن الطبقة العامة وعن منظماتهم بالذات . وكان من السهل عليهم ان يدرو تحفظاتهم وان يملنوا على سبيل المثال : « نحن لم نلسن خلاقاتنا لكننا نضمها جانباً ولو لمرة واحدة . ومبها لكن عميقة فلن نسمع ابداً بأن تتعدى اطار الطبقة » ونحن نرفض مرة واحدة ونهائية المساعدة الطيفة التي ابدتها الحكومة وأرباب العمل مها كان الشكل الذي جاءت به : وحتى اذا بدا ندهظهم في البداية وكأنه يعمل من شأننا على حساب خصمنا ، فنحن نعرف ان نتيجة ستكون في النهاية وبالاً علينا جميعاً . إن اي انسان يمارس عنفاً ضد اي فئيل كان للعمال ، انما يمارسه ضدنا جميعاً ، وسفرقتع وحدة الجروايتاروا في وجهه .

ولم يحدث شيء من هذا . فلو كانت الحركة « عفوية » و« جارقة » لشارك فيها قادة « القوة العمالية » بلا ريب حتى لا تضيع عليهم قارهمنا . لكنهم قنوا ، لتوقعهم فشل الاضراب ، ان يكون تجربة حاسمة بالنسبة الى الجماهير وان تكشف لها بصورة ساطعة عن عدم اتفاقها مع الحزب . فهل كان هذا حساباً سليماً ؟ لقد رفع القتل ، فن استغاد منه ؟ بورجوازيوناً ووزراؤهم .

ان احد المرمرين والمهدين ، في مجلة « أدلة » يتهمني بأنني أثير مشاكل كثيرة بسبب مسألة لاقية : فهذه الأحداث من التاريخ القديم وأأ الوحيد في فرنسا الذي

ما يزال يتذكروها . التي اجيب بأنها على الأقل انسان ما يزالان يتجان بالفضية :
 إن ما يعيدها اني فإكرني باستمرار هو ان السيد بيتاي يوهن برمياً على انه لم
 ينسها . فلو كان الاضراب لنجح ، لأوقفه الحال : كانت وزارته انتهت وما كان
 لولياب سيدخل السجن (ان أعقب اني حد القول انه كان سيحدث العكس) .
 أما وقد فشل ، فقد علمه ان أي حد يستطيع ان يدفع ال ابعاد ما يلبقى .
 ولهذا السبب وحده ، وهو سبب واضح ، لقول ان الضراب لا جز ان ما كان
 يخدم المصالح الشيوعية فحسب بل مصالح البروليتاريا والأمة بأسرها . من أين
 خطر لكم ان البروليتاريا قد وجهت لوما ان قادتها الشيوعيين ؟ ونحن نتواطأ
 نقابة عمالية حينياً مع العدو الطبقي لإقصاء نقابة مزاحمة لها ، فإني أقول ان
 البروليتاريا تكون قد غادرت المسرح .

- اذن فمن الذي رفض القيام بالاضراب ؟ - حسناً ، انهم افراد وإن كان
 عددهم كبيراً جداً ، ولنقل اذا شتمت غالبية العمال العظمى - أليس هذا ما يسمى
 بالبروليتاريا ؟ - كلا ، ليس هذا . لقد نشرت الصحافة اللاشيوعية ، بعد
 الاضراب ، شهادات عن الحالة المعنوية التي كانت وراء الفشل ، فلماذا لا نرجع
 اليها ؟ أنا اعتقدنا صحيحة - جزئياً على الأقل - لأنه أمكنني أولاً ان أعلق من
 صحة بعضها ، ولأن الوقائع المروية ثانياً تظل متجانسة تقريباً عبر تباين الآراء ،
 وثالثاً وأخيراً لأنها تعاكس مصالح الذين يروونها ولأنها تظهر عكس ما يراء لها
 ان تثبت . إنه ما من سبب من هذه الأسباب يقنع وحده ، لكن اذا ما اخذناها
 جميعها معاً ، فإنا لا نستطيع أن ننكر ان لها أهميتها . ان هذه الشهادات
 تسارعني الانتباه أولاً بما فيها من نقص . واذا بحثت فيها عن رفض قاطع لعدو افعه
 السياسية ، فسوف تجيبك الملوك . ان اول سكير يأتي الى الحانة ، في الاحياء
 البروجوازية الصغيرة ، يحسب نفسه الهيئة الناجية ، الأمة . ويتخذ موقفاً ضد
 الحلف الأطلسي او معه ، ويشرح ما يتوجب على حكومة ، جذيرة هذا الاسم ،
 أن تنفذ في تونس : ان احكامه لها قوة القانون ، وهو يتكلم باسم الجميع ويطالب
 الجميع بالمصادقة على رأيه . لكنكم لن تجدوا ، في الموضوع الذي ندرسه هنا ،

شيئاً مشابهاً هذه الثقة الهيبية التي يشعر بها الناخب الغربي بمخوفه : فالعامل
يقترن على رفض المشاركة الشخصية ، وهو لا يصدر حكماً ، كما انه بعيد عن ان
يريد ، شأن كانت وسكيري الجمهورية الرابعة ، وازال مبدأ عدم متزلة القانون
الشعولي ، بل هو يبذل جهده على العكس ليحتفظ له بطابع خاص . وبالطبع ،
إذا ما لأمه رفاقه وعاملوه كالواژه واصفر^(١) ، واختصار اذا كانوا هم السابقين
الى محاولة وضعه من جديد في الظروف التاريخية ، وسوف يدافع عن نفسه في
البدان الذي اختاروه ، وسوف يحاول ان يثبت لهم انه على صواب سياسياً وانما
كان عليهم ان يتصرفوا كما تصرف . لكن على العكس ، اذا ما تردد آراؤه واقول
ما شعر بأن قراره يمكن ان يوجد حركة استنكاف عامة ، فإن المخوف يستولي
عليه ، ويروح يؤكد ان قة مواقف اخرى ممكنة ، وان موقفه لا يلزم احداً
غيره : انه انما يطلع بخاصة على المظهر المتفرد لحالته . ترى أهر رافض في صومعه ؟
انه سيلول بالأخرى ، على ما يبدو ، انه لا يستطيع ان يطبع : « انت (التي
لا يواجه اعباء عائلية كأعبائي او الواقف من احتفاظه بعمد ، الخ) انت حر في
ان تفعل ما يحلو لك . أما انا فوضعي مختلف . . . » ان يقرر ألا يقوم
بالاضراب ؟ ألا يتأرجح بين هذين الموقفين . انه لا يعلم اذا كان يرغب حقاً في
ان يخذل مثاله في فرنسا قاطبة او في ان يرحل من غير ان يقتنيه اليه احد .
انه يخشى في آن واحد مظاهرة ستقوم بدونه واستنكافاً جماعياً يمكن ان تكون
له نتائج خطيرة . اجل ، إن الشعور المسيطر هو الشعور بالعجز . إن الأوامر
التقابلية تفرض نفسها عادة كواجبات ، والشدويون يذلون جهدهم لإقناعه بأنها
قابلة للتنفيذ : يجب عليك إذن فأنت تستطيع . اما اليوم فهو يحسبهم : لا يجب علي
لأنني ما عدت أستطيع . « اتم تعرفون جيداً اننا لن نتوصل الى شيء ، واننا
سنفقد أجراً مقابل لا شيء . » أو « القوة المهابية لن تتحرك : إذن سنكون
وحيدين . » أو : « أتشيرون مشاكل ولم يبق على موعد اجازتنا المدفوعة سوى
شهر واحد ؟ ليس في هذا ذكاء . » أو ايضاً : « لا أستطيع لأن عندي ثلاثة

١ - لقب يطلق على العامل المناصر لآراء اولئك العمال .

أطفال ولأن زوجتي قد وقع لها حادث ، الخ . فأي هذه الحجج يحس الصالح
الطبيعية ؟ اتنا نتلخ من خلال هذه الاجوبة المتشافة عودة الى تلك النزعة القدرية
التي لا تقي تهدد المضطربين ، والتي تسمى الطبقات الساندة التي تمنعها باستمرار
والتي لم يكف التهورون قط عن مهارتها . ان فتور الحقبة هذا يولد من الوحدة
والعزلة ويولدهما بدوره : فالطبقة العامة لم تركه ذاتها إلا عندما حطمت الحظوة
وتقاؤل المتاضلين الشيوعيين القسري بعض الشيء بغير عن رغبتهم في انقاذ وقت
البروليتاريا ، الأمل . واولئك الذين يقولون انهم لن يسعروا لأن «القوة العمالية»
ترفض ان تسير ، كيف يمكنهم ان يظنوا بوضوح أكبر ان الطبقة العامة متعسفة
على نفسها ؟ ومع ذلك فإن المنظمات غير الشيوعية لا تضم الا خمس العمال المنتخبين
الى النقابات على اقصى تقدير . وما أهمية نسبة ٢٠٪ من المعارضين في قلب منظمة
وحيدة واحدة ؟ انها بدون أهمية تقريباً : المارقون الى سلة المهملات ، والقالية
متجاوزهم وتعلن عن نفسها بأنها الإجماع . واذا ما تنظم هؤلاء ، النقابات ، فيما
بينهم ، فإن كل شيء يتبدل عندئذ ، فلا يعود ذلك الاجماع الممجب بنفسه الذي
كان يحسب ذاته الطبقة العامة بكاملها الا نقابة لها القالبية . وبالأمس أيضاً كان
الاجماع يعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ وكانت قراراته هي الوحيدة الممكنة .
ولم تكن البروليتاريا في كل لحظة سوى ما يمكنها وما يتوجب عليها ان تكونه .
وكان هدفها وعملها التاريخي مرصدين لها بصورة نهائية وجليسة في ظروف
حياتها بالذات ، . وكان كل رد فعل من ردهد افعالها يعبر عنها بتأنيها . اما اليوم
فان قرارات ، الاتحاد العام لتسفل ، نقل عارضة : أم يثبت ان هناك قرارات
أخرى ممكنة ، واحياناً غير أمنها ؟ وليست البروليتاريا التي نظمت هذا
الاضراب وأمرت به بلسان زعمائها : اتنا هر طريقة معينة في الرد على تحدي
الوزير . وبكلمة واحدة ، ان قرار القادة لم يعد يلزم أحداً غيرهم . يمكنهم ان
يكونوا زعماء صالحين لكن هذا بالذات يعني انسه يمكن ان يكونوا طامحين :
وسوف قيل الجماهير الى اعتبارهم سلاطين مستبدين يفكرون والسياسة عنها ، من
غير أن يكونوا ارتكبوا خطأ ومن غسيع ان يكونوا تبدلوا . ومقصود انني لا

اعراض هنا ، وفي الوقت الراهن ، يد ، الاستبدادية ، و ، البيروقراطية ، التي
 تؤخذان على الحزب الشيوعي : انما اذكر فقط نتائج الانشقاق التقني مهما يكن
 هذا الانشقاق . إن العلاقات العنيفة تؤدي الى ظهور نوع من الاستقالة لدى
 الجماهير التي تجد نفسها متفاداة الى الاختيار بين عدة سياسيات ذات طابع احتيالي
 بدلاً من ان تركز ذاتها في رد فعل إجماعي . إن أعضاء و الاتحاد العام للشغل ،
 المتضرطين في عمل يتبرأ منه رفاقهم ، يشعرون وكأنهم يقاتلون وجانبهم
 مكتشف . وآنذاك لا تكون نتيجة العملية هي وسعها غير المؤكدة ، يسبل
 العملية بالذات : فهي لا تنعكس ، بعد ان ياتك فقيرة ، تحميلة ، محدودة ، غير
 آراء بعض الاختصاصيين . واما كان هناك اختصاصيون في الصلحة العامة ،
 فكيف تدعش اذا حال العامل الى الاهتمام أولاً ، و مصلحته الخاصة ؟

ذلك أنه هل بيننا أخيراً من يعتقد بأن مضربي ١٩٢٠ و ١٩٣٦ و ١٩٤٧ كانوا
 جميعهم عازبين وبلا أولاد ، وأنهم يشعرون بتأمين عياني ضد البطالة ، وأنهم
 مزودون بدفتر اشراك في صندوق الادخار ؟ ام هل هناك ، على العكس ، من
 يعتقد بأن عامل اليوم قد فقد حظ ذكرى مصالح الطبقة العاملة ؟ هل يبدو له
 الاستغلال الرأسمالي أكثر عدلاً و إنسانية ؟ وهل يقبل بقلب مفتوح بالاستثمار والطروب
 الاميرالية والفتح البوليسي ؟ وهل سيضحي بزعمائه كنيا يقرب من أرباب عملة ؟
 قوماً بالتجربة بأنفسكم : اتصلوا بر احد من الذين رفضوا المشاركة في الاضراب ،
 وكلسوء بظاهر من صراحة وعدم كلفة ودسوا خلسة في كلامكم بعض أسهم
 مسبوقة ضد السياسة الشيوعية : من يدري ، فرما كان من رأيكم ، إلا أن هذا
 لن يمنه من قطع العمالة على الفور إذا تعرف العدو الطبيعي تحت الانتماءات .
 وخلاصة القول ان الميل ، اليوم كما في امس الأول ، يعيشون الاهتمامات نفسها
 والاهداف نفسها والوفاء نفسه . ومع ذلك نجد بينهم من كان يجازف بالسوت
 عام ١٩٤٢ ، ثم لم يعد ، بعد عشرة أعوام ، يجازف حتى بأجره عن يوم واحد .
 فما الذي تغير ؟ التوافع ؟ الميرور ؟ كلا : انما الذي تغير علاقتها ونظام التثبيح .
 وما الذي افضى الى هذه التغيرات إن لم يكن مجرى العالم ، اي التاريخ الذي

يصنع كل يوم بيومه ؟ ان المجموع التاريخي يبت في كل لحظة في قدراتها ويضع حدوداً لحساب عملنا والمستقبلنا الواقعي . انه يشرط موقفنا ازاء الممكن والمستحيل ، الواقعي والخيالي ، الكينونة ووجوب الكينونة ، الزمان والمكان . وبدءاً من هنا نبت بدورة في علاقاتنا مع الآخرين ، اي في معنى حياتنا وقيمة موتنا ؛ وثانياً في هذا الاطار تظهر أخيراً ، أنا ، اي تلك العلاقة العملية والتلقائية بين هنا وهناك ، وبين الآن وبعدها ، بين الأمل والقد ، بين هذا والكون ، وذلك الفرار القابل للرد باستقرار حصول الأهمية والتنسبية لا يسمى اصطلاحاً به الصلحة الخاصة ، به الصلحة العامة . . . وإذا ما أخذنا الحالات القصوى وجدنا ان أعضاء مجتمع من المجتمعات يلتجئون الى العناصر المباشر او يعلقون آمالهم على مستقبل يشد إلى ما وراء موتهم ، يشجعون على القليل يلكون او يهازفون بكل شيء من اجل قضية لم يروا انتصارها بأعينهم ، ينظمون مشاريعهم على أساس حاجاتهم او يقررون حاجاتهم تبعاً للشروع ، وذلك حيناً اذا كان المجتمع الذكور يتعمل بجري العلم او يسام في قله . والتاريخ هو الذي يظهر الخارج لأولئك ويجعل هؤلاء يتعززون لعام أبواب مسدودة . ان العامل ، شأنه اليوم كما في عام ١٩٥٠ ، لا يملك أدوات عمله ؛ اذن فالطبيعة العيفة لمطالبات لم تبدل . لكن تنظم المجتمع الرأسمالي لم يكف عن التطور كما لم يكف وضع العامل عن التبدل ؛ فتحن نجد ، حسب الأزمان ، يلتصق ، بعمله السياسي إن كثيراً وان قليلاً او يتكسر على حياته الهشة ان كثيراً وان قليلاً . وصلاته بالنظريات الطبقية تتوثق او تتراسخ ، والامسافات الكبيرة المقترحة عليه - اصلاحات او ثورة - لا يم - تبدوا له واقعية وحياتياً في متناول يده او بعيدة وحياتياً خيالية . واذا مسا فقد الأمل ، يستطيع اي خطاب ان يبعده اليه ؛ لكن يكفي ان يأخذ العمل حتى يؤمن ؛ فالعمل هو بعد ذاته ثقة . ولم يأخذه؟ لأنه ممكن: انه لا يقرر ان يعمل بل يعمل ، فهو عمل ذات التاريخ . انه يرى المسدود النهائي ، ويلبسه لساً ؛ ان المجتمع اللاتطبيقي سيتحقق في حياته . وما الواقع المباشر إلا المستقبل . وما الصالح الخاصة ؛ إذا

ما نظر إليها من المستقبل ، إلا ظلال مجردة . والموت نفسه لا يخيف : انما هو حدث معين شخصي . جسداً لا بد ان يقع له وسط ذلك المستقبل الذي يملكه بالتشارك مع الجميع .

ومراراً عند انتهاء العمل بكارثة : وآتذاك تحسول العمال الذين كانوا ذات التاريخ الجماعية الى مواضيع إفرامية له . ويغير العامل جلده ويرى العالم بعين معاصرة ، فقد انطقت بدييات أمس ، واضاعت بدييات اخرى ، اقرب وبعيدة وكربية : النضال طالما انه لن يتغير شيء ؟ انما كان المرء يأمل في أن يتكسب ، وإذا لم يكن لديه شيء يخشى ان يفقده ، فإنه سيقاتل . لكن اذا بقي لديه شيء يخشى ان يفقده - ولو كان أجراً باتساً - وانما ما نحصل عن كل أمل في الكسب ، فإنه يلزم جانب الدعة والسكون . وأولئك الذين كانوا يحاربون بحياتهم حتى من غير ان يفكروا بذلك ، يحاربون الآن الجماعة ويقولون : ولا يزيد ان ندلس جوعاً . . حين كان كوستلر قد اسقطت اللاهية دعواه ولم يتغير بعد ان يكون صغراً^(١١) ، روى لنا قصة ذلك الراعي الاسباني الذي كان يحارب من اجل ان يتعلم القراءة : انه لشيء معقول جداً ان يحازف الانسان يحطه من اجل ان يتكلم ، لكن بشرط ان يكون له حظ في الفوز . وحسين ضاع شيء ، وحسين قرر التصبر ان يعمدوا الأمية وأن يشيدوا حكمهم على الجهل ، اصبح الجوع حليفاً متواطئاً معهم : طالما انه كانت ما تزال هناك فرصة ، فقد كان راعينا يأكل اذا أمكنه ذلك ، يأكل ليقاقل . وحتى يقاتل فإنه يميل بالأكل . لكن عندما انتهى كل شيء ، امسى يأكل يعيش ويعيش لياكل . بيد ان الحاجات قد تولد ارادة اتحاد ، وليس الجوع دعواً ولا حق في غالب الاحيان مساعد السلطات : فحق يتقدمها ، لا بد ان يكون هناك لقب بالوعة تضاق . ان الجوع سيجد الى محض انقباضات حشوية اذا ما سد المستقبل بعناية : فالاستقبال يولد من العمل ويرتد عليه ليعطيه معنى ، وانما ما أرجع العامل الى

١ - رزق كوستلر ، كاتب مجري صامت - بدأ يسارياً وانتهى يميناً - وكان كتابه «الصفير واللاهية» نقطة تحول .

الحاضر المباشر وحده كلف عن ان يلهم تاريخه . لقد كان يعلمه وهو الآن ينظر اليه وكأنه التمثل به دوماً ، ولا يرى فيه سوى عصفان وحيد ، معاود دوماً ومسحوق دوماً . الانهزام ؟ مع من ؟ انه يحكموم عليه . منذ الغزوة ، بتلك العزلة العربية الدوارة التي يرفضها كل انسان ويماني منها باعتبارها عاقبة عزلة الآخرين : « انا على استعداد للسير ، لكن الآخرين لن يسعروا » . ولما كان قد أرجع الى جسمه المهزىء ، الى الزهري السوي الكتيب لانهاكة ، فإن الموت يزدهر في نظره عيناً كلما تضاعفت حساساته معنى ، ويوحى اليه بخوف أكبر كلما ازداد لعياً من الحياة : ولا يعود ثمة شيء يتشاه ارباب العمل - لا ترد ولا ازمة يد عامة - طالما ان العامل لم يبق لديه من سبب الحياة سوى الخوف من الموت . واذا اراد ان يحول نظره عن نفسه ويتطلع إلى الخارج ، وجد كل شيء معسداً ليعكس له عجزه : انه يحتاج وسط جموع مرابطة شوارع شملت بصورة القاروم معها النصفان ، ومنسطر المسانح والضواحي المزور يقدم له صورة نظام صارم ولا انساني . وبذلك يكون قد نصب حسوله فيكور الاسلام القنع . الحس السليم وحسابات الاحتمالات المعقل ، كل شيء يحس به بأن دعك واخل التضال ضد اعداء منهم السلاح والجيش والسال والآلات والعلم . ان مصيره لم يتحسن وكذلك سادته : افامم الأفوى ، هذا كل شيء . وهزيمته لا تحطتة : انفسا تثبت فقط ان العالم شرير . يقيناً لقد وجدت آمسال اخرى ، حطيفة اخرى : فقد تحولت الأوراق المالية على حين غرة الى اوراق ميتة ورفضت القوات ان تطلق النار على الجموع . لكن هذه الحفساتق لم تكن حية وعيية إلا من خلال التضال : فالعمل هو الذي كشف عنها ، وحين يصبح العمل مستحيلاً لا يقى منها سوى ذكريات مبردة . ان المهورين يعيشون على يدوية خاصة : الانسان غلطة .

وواضح ان فشل حزب ان ينفسر بفتور الهمة : لقد ارادت الصحف المعاقبة ان تصور لنا البروليتاريا فائرة على زعمائها ، ولقد شعرتا على العكس بأننا نشبه انتصارها الباطني . إن العامل ، يرفضه القدير المدي السياسي للاضمراب ، قد

وضع نفسه بإرادته ضمن نطاق مصالح طبفته ، وزاد من عزله بالواقف التي تلوح بها ليبرز نفسه ، وقطع صلته الجماعية ، وفقد الاتصال مع قاداته : إذا كان الاضراب لم يتم ، فليس ذلك لأنه أمين باندفاع اجماعي بل لأنه أبغض ملايين من التمزقات اراءت ان تبقى فردية . إن العاليت الجماعية والقمع والمثل العليا لم تكن : لكنها تامت ووقفت بعيداً عن المناول . والنضال مرفوض لأن الحرية مؤكدة : لقد فقد العامل الثقة في قدرات الطبقة العاملة ، وبخيل اليه انها فقدت سيطرتها على الأحداث وان التاريخ يصنع بدونها . الحرب ؟ انه ضدها بالطبع : ، لكن اذا كان الاميركان يريدون ان يشتروها فليس العامل الفرنسي هو الذي يستطيع ان يمنهم . العمل السياسي ؟ يقيناً ، انه لمن العدل ان يمكن للعامل أن يفرض رأيه : ، ولكن علام حصلنا منذ خمسة اعوام؟ لقد نظاهراً منة مرة ضد حرب الهند الصينية ضد الحلف الاطلسي وقد اعادت تسليح ألمانيا : فما كانت النتيجة ؟ اننا عاجزون حتى عن تحقيق مطالبنا الاقتصادية : فالأسعار ترتفع والأجور ، بالرغم من جهودنا ، لا تلتحق بها ابداءً . الثورة ؟ إن ميشيل كولينه يزعم ان الأجيال الجديدة تجهل معنى هذه الكلمة . هذا شيء غير قابل للتصديق كثيراً ، ولا سيما بالنسبة الى قرائه مما دام يبلغ بقوة ، من جهة أخرى ، الى اتساع نطاق الدعاية الشيوعية . وما يبدو اقرب الى الحقيقة هو ان موقف العمال الفرنسيين قد تغير تغيراً عميقاً خلال نصف القرن هذا . كان كثيرون من العمال ، قبل الحرب العالمية الأولى ، يعتقدون بأنهم قريبون من الهدف : كانوا على ثقة من انهم معرون ، الاضراب العام ، . وقد خيبت الحرب وسياسة القادة الاشتراكيين آمال الجماهير ، لكن أيام اكتوبر اعادت اليها الثقة : لقد تكوئت الامية الثالثة في جو من رؤيا يوحنا¹¹ : إن الثورة ستبدأ في ألمانيا وستعتمد الى أوروبا قاطبة . واليوم يقال لعامل ١٩٥٢ ويكرر على مسامعه ، بإطاح شبه مشوه ، انه سيرى هيبة الاشتراكية : ، ليس أولادنا

١٠ - الكتاب الأخير من العهد الجديد ، مؤلف من سبع رؤى ، وفيه إشارة للقيس يوحنا بانتصار المسيحية بعد الفجار اعداء المسيح . - ٥٦ ، ٥٥ .

هم وحدهم الذين سيتفعون بالإشراكية إما شتمع بها نحن انفسنا^{١١} ، . لخصته
 على وجه التحديد ما عاد يؤمن بذلك : انه يعلم ان دكتاتورية البروليتاريا لن
 تقوم غداً . هل هذا معناه انه ينتقل الى الاصلاحية؟ على الاطلاق . ان الافوات
 يتقدم بها العهد ، وازداد العمل ياقون على مالتوسيتهم ، وصناعتنا متخلفة ،
 واعادة التسليح والحروب الاستعمارية لضر بالاقصاد القومي^{١٢} . وتكفي هذه
 صغيرة حتى تنهار الآلة المرمة منه مرة : وفي مثل هذه الشروط - وحسين لا
 يكون المطلوب سوى تحسين وضع العامل فورياً - كيف يمكنه ان يثق بعمل
 بطيء ، معتدل ، تدريجي ، وبقسويات ؟ انه اذا كان يريد ان يحقق أبسط
 اصلاح فلا بد ان يقبل كل شيء رأساً على عقب ، بدءاً من السياسة الخارجية الى
 المفاهيم الاقتصادية : ذلك ان كل شيء يمكن في هذه الخزمة السيئة الربط . انه
 يعرف ذلك ويتعلمه بربما ، قبل نطلق صفة « التورية » على هذه القناعة - وإن
 اليهمة - بأنه ينبغي الاطلاق من الكحل الى الاجزاء ومن التغييرات في البنية الى
 الاصلاحات في التفاصيل ؟ قد لا نسميها كذلك : فهي تثير الحاسة في العميل
 لكنها تثبط الحمم في فقرات التوقف . وعلى كل حال ، فانها مذهب جندي .
 وتتضاف الى هذا بالنسبة الى البروليتاريا الفرنسية دوافع خاصة جداً :
 فقد وثقت مرة واحدة في تاريخها ، مرة واحدة لا غير ، في ارباب عملها ،
 وبالطبع خدعها هؤلاء . كان ذلك في الوقت الذي حاول فيه ارباب العمل ان
 يظفروا في فرنسا مناخاً ملائماً « الثورة الصناعية الثانية » : فقد جردوا المقاومة
 النقابية من سلاحها إذ وعدوا باستخدام التقنيات الجديدة لزيادة الانتاج . وقبل
 المبال أنصاف الاختصاصيين بتعب اضافي بأمل رفيع مستوى حياتهم . من يدري؟
 لو لم ينكث ارباب العمل بعدهم ، لو لدت ، وزدهرت لزعة اصلاحية جديدة .
 إغواء في المنتع ورقاء في البيت : لقد كان هذا النظام ، في الولايات المتحدة

١ - خطاب لوكور حول المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفياتي ، في ٢٩ تشرين

الأول ١٩٥٢ .

٢ - كتب هذا المقال عام ١٩٥٥ .

الأميركية ، غير مساعد لأرباب العمل . أما أرباب العمل الفرنسيون فقد فضّلوا أن يتصوّروا الكاليفورنيين ويحافظوا على مستوى أعمارهم ؛ ومن أجل أن يستتب النظام يلتجئون إلى الطرق القديمة الصالحة ، أي إلى طلاقات البنادق . إنهم يعمّون اليوم بوقاحة مستأناة ، كما يعمّس التفتيش الكسلان طرطوره ، والزوج المدعج قرينه ، القلب الذي أطلقه عليهم الأميركيان ، الرأسماليون الأكثر تحلّفاً في العالم . أما العامل فإن عمه لا يقل شطفاً عن عمل رفيقه الأميركي ، لكن أجرته الواقعية أقل من أجرته عام ١٩٣٨ ، ولا تكاد تزيد على أجرته عام ١٩٢٠ . إنه لوضع ملتبس : فهو ينهك نفسه في أداء مهمته لكنه يرمي الاضطهاد . وليست المسألة في نظره مسألة فضل قيمة وعمل يهدد الخ فحسب ، فهذه الأصول مفاهيم صعبة لا تعني شيئاً بالنسبة إليه دوماً ؛ لكنه يعرف أن شروط العمل التي تفرض عليه توازي في مجتمعات وأحوال أخرى ، مثل البلدان الاسكتلندية والولايات المتحدة الأميركية ، قدرة شرائية أعلى من قدرته هو ؛ وعلى مستوى فائه مسروق مرتين . ولهذا السبب يحدّر ألا يجدته أحد ممن تعاون الطبقات وثقافتها وقضائهم الرأسمال والعمل . ولا شك في أن ويكولو عبر بقولته عن رأي ناخبه العمال عندما قال إن مثل هذا الاتحاد سيكون « الحساد القادرين والقدورين » . وبالأصل ، كانت نتيجة هذا التفتيش ، « بزادته عدد غير المحفرين وينصليته آخر بني البروليتاريا الداخلية^(١) ، تكويم الجماهير وإبعادها عن تأثير « التبعية » العالية وتحريكها إلى مادة عديمة الشكل نسبياً ومتجانسة كل التجانس . وهذه طريقة مؤثوقة لدفعها نحو الجذرية : فقد كانت عن أن تكون موجبة من قبل ، استقرائية ، معتدلة نسبياً ، وهي الآن تشوب وجهة نظرها الخاصة ، أي المطالب المستهجة أكثر من أي مطالب أخرى ، المطالب التي لا تتفق البتة مع استقرار نظامنا الاجتماعي .

ولهذه الأسباب كلها - ولأسباب أخرى أيضاً - حافظ العامل الفرنسي على

١ - عن سبيل المثال تلك الأوف المولفة من الأنظمة الشمسية ، عمل مياومون بيورروت حول عامل مختص .

تصلب شبه امتثالي . لعله لا يعرف ما هي الثورة : لكن كيف سلسلون ذلك
المنف الجامع ، وذلك الأزمراء بالانتهازية ، وذلك التقاليد البيطوية ، وذلك
المنصب الأماسوي الذي يضع أمه في انقلاب أكثر مما يضعه في تقدم غير محدود ؟
التي أرى في هذا ، من جهتي ، الملامح الرئيسية لموقف ثوري .

لكن على وجه التحديد : « ما الموقف ؟ حمل ما تكاد ترسم ملاحظه الأولى
حتى بموقف . وإذا لم يعبر عن نفسه في الفعل ، وإذا لم يتدمج بممارسة جماعية ،
وإذا لم ينحصر في الأشياء ، فما يلقى منه ؟ لا شيء : مجرد استعداد سلبي .
والمتقبل اليوم مسدود بسور دامر . والعامل قطع على وقائه لمعتقداته ولتقاليد
لكنه ثوري بلا ثورة . انه لا يزعم ان هذه الثورة لن تحدث أبداً ولا انها
استطورة ، شأن « الاضراب العام » في نظر سورييل^(١) . كما انه لا يجعل منها قيمة
أو فضيلة . لكنه لا يتوصل الى ان يرى فيها النهاية الضرورية (ما قبل
التاريخ) ، ولا واقع البروليتاريا بوجه خاص : انها في نظره حدث عارض
جزئياً لا بد ان يقع في تاريخ غير معلوم لكن حتماً بعد موته . وسوف يقوم
بها آخرون يسامدون الانطلاق من نقطة الصفر : وعامل ١٩٥٣ فقد حتى الثمور
بأنه يهد فهم الطريق . إن في التاريخ ، بين حين وآخر ، انقطاعات في التيار ،
فيوقف كل شيء ، ولا تنتج أي نتيجة عما نعلمه طالما ان التيار لم يصل من جديد :
لقد ولد عاملنا ولا بد انهاء العطب . وإذا ما حدث له ان قال في نفسه وهو
ينتظر الى بعض الاطفال : « هم سيرونها - وليس انا » ، فهذه على الاخص طريقة
في التفكير بوجه ، شأن صاحب الدكان الذي يحلم : « لو نذهب الى القمر لكن
اطيانا سيذهبون » . وفي اللحظات الحاسمة من التاريخ العمالي لم تكن الثورة لا
حدثاً مستقبلاً ولا معتقداً ، بل كانت حركة البروليتاريا بالذات ، الممارسة اليومية
للمجموع والفرد . لا نهاية تكنية لقاهرة ما ، بل كانت محض القدرة على صنع
التاريخ . لا لحظة مستقبلة ، بل كانت الاكتشاف الباعث لمستقبل بالنسبة الى

١ - جورج سورييل : عالم اجتماع فرنسي ، مؤلف « لأممات في المنف » ، كان من المبدعين
للانثراكية الغاشية (١٩٥٧ - ١٩٦٥)

اولئك الرجال المثقفين في حاضر غير قابل لان يعيش فيه الانسان . لقد كانت الثورة مهمة ، مهمة البروليتاريا اللامتناهية ، وكانت تحرير المطالب الفردية والبعيد الشمولي لكل ساكن خاص ، واختصار كانت صفة مستعرة بسين الفرد والطبقة ، بين الخاص والعام . وكانت لكل مرحلة من مراحل النضال دلالة مزدوجة ، تكتيكية وسفرائيجية ، وكانت ترجع الى نظام مزيج من الاحالات: تغير الهدف المباشر كان يفتح الهدف البعيد . اما بالنسبة الى العامل المعاصر فإن الرابطة بين هاتين الدالتين هي التي انقطعت : انه ما يزال يستطيع ان يدافع عن مصالحه ، وان يطالب ، وان يحصل على زيادة في أجرته ، لكنه لا يفتح أي علاقة بين هذا الانتصار اليومي الصغير وبين مصير البروليتاريا ، ولا يدركه المدى الثوري ، لطالباته : انا يجهل اليه ، على العكس ، انه فقد القيادة ، انه يدافع عن نفسه شعراً فشيئاً ضد الرجعية . وبالتقابل ، وسواء ألبس ام لم يلبس الأوامر السياسية ، وقام ام لم يقم بالأضراب ضد حرب فينتام او ضد الحلف الأطلسي ، فإن هذه المظاهرات لها في نظره نوع من اللاواقعية . ان السلام في الهند الصينية سيخضع مصالح البروليتاريا ، إنه متأكد من ذلك . بل لعله يرى صلة ما بين السلم العالمي وهي الاشتراكية . لكن اعماله تبدو له ملطخة بالانفعالية : لقد فقد سيطرته على التاريخ وهو لا يستطيع ان يغير مجراه .

أما الدوافع التي كان يشلخ بها قبل اضراب ٤ حزيران ليجبر رفضه الاشتراك فيه ، فقد قلت انه لم تكن بينها دوافع عامة . وهذا غير صحيح تماماً . فبين حين وآخر يصدر تصريح يمكن ان يعتبر تقريباََ عاماً للموقف: إن العامل يعترف بأنه ضاق ذرعاً وعلل . لكن مم ؟ أمن الحزب الشيوعي ؟ أمن الاتحاد العمالي للشغل ؟ أمن موسكو ؟ كلا : من السياسة . وليست هي سياسة الحزب الشيوعي التي تقرره بل كل نوع من انواع السياسة . اننا نسمع اليوم عمالاً يقولون : السياسة وجع رأس ، او نساء يظنن لأزواجهن : غير لك ألا هم بالسياسة : فما الفائدة منها ؟ . ما الفائدة منها طلقاً انه لن يتغير شيء ؟ وليس هو النشاط السياسي بشكل عام الذي يوجه اليه اليوم : فقد يكون معقولاً في بلدان اخرى او في

أداة أخرى أو بالنسبة إلى رجال آخرين . أما عام ١٩٥٣ الفرنسيون فمعظم عليهم ، السياسة لم تخلق للصفراء ، . ومثل هذه الانقلاب لا تحدثها في الوقت الراهن إلا على ألسنة النساء - وبعض الرجال . لكن هذا لا يمنع أنها علامة ، فإضراب حزب برلمان كان يجب أن يكون أولاً لتظاهرة تضامن لا مناصرة : كان على الطبقة العاملة أن تتجمع حول قادتها المهدين . وفي اليوم الذي سيطلق فيه العمال اسم « السياسة » على كل ما يتجاوز أطارات مصلحتهم المباشرة ، ستكون نهاية البروليتاريا . إن الطبقة العاملة ، في الأوقات التي تلي فيها قوتها ، لا يتخطر لها أن تضع حدوداً لعملها . بسبل على العكس : إن أبسط الشعائر وأضيقها نطاقاً يأخذ من تلقاء نفسه طابعاً جديراً ، والعمل المحلي يعيد خلق الحركة في مجموعها . لكن حين يقتصر العمال على الدفاع عن الأجور كل يوم بيومه ، يتركون المبادرة لأرباب العمل ، ويتخذون موقفاً دفاعياً صرفاً ، ويتخلون عن فكرة الربح حتى لا يجازفوا بالمسارة ، ونظراً إلى أنهم لا يؤثرون على جميع عوامل الحياة الاجتماعية بجملة ، فإنهم قد ينعون الخفاض الأجور الاسمية ولكنهم لا ينعون ارتفاع الأسعار . ولذا فإن الحد الحقيقي ، الحد الوحيد الذي يعترف به العامل لأفصاله هو حد فعليتها : فهو إذا كنت يحبس نفسه اليوم في مصلحته الشخصية فهذا لأنهم ينعونه من الخروج منها ، وإذا كان قد أمسى لا يريد أن يشتغل ، في السياسة ، فليس ذلك طاعة منه لتصور نظري عن التقاية : إنما بكل بساطة لأنه ما عاين يريد أن يشتغل فيها . وأن تقتصر البروجوازية فهذا شيء طبيعي . لكنني أوجه مرة أخرى إلى جميع أولئك الذين يزعمون أنهم ماركسيون ومعادون للشيوعية معاً والذين الشرححت صدورهم اليوم أنت الطبقة العاملة ، في سبيلها إلى الافتراق عن الحزب الشيوعي ، « وافصحهم بعبارة ماركس التي قرأوها واعدادوا قراءتها وشرحوها مئة مرة : إن البروليتاريا لا تستطيع أن تتصرف كطبقة إلا إذا كونت نفسها في حزب سياسي متميز » وأسألهم أن يتخلصوا منها النتائج : فما يمكن تفكيكهم به « المثاليين » ، وحتى لو كانوا يرون أن الجماهير مخطئة أو مخدوعة ، فما الذي يقضي على انسجامها

وما الذي يضمن فعالية عملها إن لم يكن الحزب الشيوعي عينه؟ و « البروليتاريا
المكرثة نفسها في حزب سياسي متين؟ ما هي « في فرنسا اليوم » إن لم تكن
مجموع الشغية التنظيم من قبل الحزب الشيوعي؟ إذا كانت الطبقة العاملة تريد
أن تفرق عن الحزب « فإنها لا تملك سوى وسيلة واحدة : أن تتبدد هباء .

والسيد روبييه لم يحمي انتصار البروليتاريا « لتبعه فيما بعد الصحافة كلها «
إلا ليخفي عن الجماهير هذه الحقيقة القلقة . إنه احتياط جدير بالاعجاب :
فالعامل « بشرائه « باري بريس « لو « فرانس سولر « في حزيران « يطلع على
رأى الطبقة العاملة : لقد قدرت هذه الطبقة ان الاضراب معاكس لمصالحها
الطبية وتبرأت من قاداتها . ويضع الصحيفة جانباً وهو متحير « ويتساءل اذا كان
قد فكر بهذا كله يوم « حزيران : انه يتذكر مع ذلك انه لم يرفض الاضراب
حقاً ولم يصدر حكماً على سياسة الحزب الشيوعي « وانه آثر مصلحته الخاصة
لأنه لم يستطع ان يتعرف ويؤثر مصالح طبئته « وأنه عاهد الى بيته متردداً ، لا
فضواً كثيراً ولا سعيداً كثيراً . والحال ها هي ذي الاجترارات تتحول « وقد
تضاعفت « وتصبح حكماً مقدماً أصدره البروليتاريا . ألا مصاً غرب فضيلة
الاحصائيات : ان استنكاف العمال الشيكاريين والبروفالسيين يكشف له عن
دلالة استنكافه التواحد الصغير . لقد كان يعتقد بكل بساطة انه تهرّب « وكان
موضوعياً يشارك في استنكافه . انه يتأمل بدمعة في هذا الرأي الذي علم به
لنوه « والذي هو رأيه ورأى الجميع في آن واحد . ولعله قد أخذ يفكر
بالوقف الواجب اتخاذ ازاء « حزب تتبرأ منه الطبقة العاملة « . لكن لا : انه
لن يسير . لقد بدأ يشك في أنهم يريدونه ان يحسب القنابيل الحافسة مصابيح
ساطعة وكثة اللامضرين غير المنظمة تلك الجماعية المنظمة التي ينبغي ان تكونها
البروليتاريا .

إننا نضع اصبعنا هذه المرة على لب المشكلة : إذا كان يتوجب على الطبقة
ان تستطيع التبرؤ من الحزب « ينبغي ان تستطيع إعادة بنائه وحدتها خارجاً
هذه وضده . فهل هذا ممكن؟ حسب الجواب الذي سنعطيه لهذا السؤال «

سيكون الحزب الشيوعي قابلاً للاستبدال بغيره أو غير قابل لذلك ، وستكون سلطته مشروعة أو منتزعة . إن الوقائع لم تسمح باكتشاف حضور واقع جماعي في قضية « حزب بران » . بل أكثر من ذلك : فنحن لم نر الطبقة تنتصب في وجه الحزب لحسب ، بل نستطيع أيضاً ان نبين ان مثل هذه المعارضة غير قابلة حتى للتصور . إنه ما من أحد قد عاد يؤمن بالبروليتاريا - الضم ، ذلك الكيان الميتافيزيقي الذي هو بمثابة استلاب العمال . إن هناك بشراً ، وحيوانات ، وأشياء . والبشر كائنات واقعية وفريدة تشكل جزءاً من مجموعات تاريخية ، وغير قابلة للتشبيه لا بقدرات ولا بتجارب عضوية ما . أم متحدون ؟ متفلسون ؟ الشيطان معاً . فلا وجود لاتصال لا يكون نشطاً من النشاط الحضور ولا لرابطة معها لكن سلبية لا تطوي على غياب سرّي . وإذا كانت الطبقة موجودة ، فوجودها أشبه بتجاوز جديد بسين الفرد والمجموع ، بنشط حضور يتحقق من خلال القوى الاتصالية وضدها : انها ستخلق وحشة العمال وسفاسة مذهب عداة الشيوعية تكن في انه يلجأ الى طريقتين متناقضتين : فتح يجرده الشيوعيين من فضل توحيد الجماهير يبدأ بتحويل الطبقة الى فرخ من وحشدة سلبية ، ثم ينسب الى هذه الطبقة عذوبة غامضة سرسية حتى يعرضها عليهم . اعتقد إذن أنه من الضروري ان أذكر بعض الحقائق التي كانت معروفة من الجميع والتي تبدو وكأنها منسية بما فيه الكفاية . ولقدوا بأنني لا أطمح الى وضع أو إعادة وضع نظرية عن البروليتاريا : إنما أريد فقط ان أبين ان الوحدة الطبقية لا يمكن لا ان تُكتسب سلبياً ولا ان تولد عفواً .

١ - لا يمكن ان تُكتسب سلبياً .

إن وحدة العمال لا يمكن ان تولد ميكانيكياً بفضيل تشابه المصالح أو الشروط .

والمسألة يدور بها بالنسبة الى المصالح : فتشابهها يولد المناقشة والتنازعات . اما بالنسبة الى الشروط فالمسألة تختلف . ولما كنت لا اضع هنا نظريات ، ففسد

أخذت هذه الكفة لأشير بها بصورة عامة إلى نط العمل وتعبه ، وإلى نوع الحياة ومستواها ، وإلى العلاقات الاجتماعية . إن هذه المعايير كافية في الممارسة اليومية : التي قدر على تحميد وضع هذا التفاضل الجديد إذا ما قيل لي كم يكسب وماذا يفعل . لكن هل هذا كافي إذا كان المطلوب تحميد انبثاق الطبقي ؟

إن عالم الأجناع يكتبني بذلك . إنه لا يريد إلا الرفاهية . ثم إنه لا يقبل بها جميعاً . فقد كانت أيام حزب ان ١٩٤٨ ، والكومونة ، واضرب فيكازينيل وقائع : لكنه لن يأخذها بعين الاعتبار . أوقع فيها قتلى ؟ ثم ماذا ؟ هل الموت من أجل الطبقة دليل على وجودها ؟ إذا كانت البروليتاريا موجودة فلا بد أن يكون لوجودها موضوعية علمية كاملة ولا بد أن توجد كموضوع هامد ينظر إليه العالم من الخارج . وإذا كنتم تستطيعون أن تقيموا البرهان على أن بعض العوامل الموضوعية تحدد شرط العال البيرويين ، وإذا كان هذا الشرط واحداً بالنسبة إلى الجميع ، وإذا كان كل فرد يتصرف فيه تصرفات متشابهة ، تكونون قد أقنتم الدليل على واقعية البروليتاريا . العوامل نفسها ، الأوضاع نفسها ، رمود الفعل نفسها : هذه هي الطبقة .

ويعد هذا حيث البعض ، بالطبع ، أن هناك طبقات (و نظراً إلى أننا أقمنا الدليل بتناجح صارمة على الصفات النوعية للطبقة العامة) فنحن نعترف لها بقيمة الشيء الواقعي) . ويشيث البعض الآخر أنه لا وجود للطبقات (و نظراً إلى أن الاستقصاء الحدي الصارم لم يسمح باكتشاف صفات موضوعية خاصة بالطبقة العامة المترجمة ، نخلص إلى القول بأنها وهم) . أنني لا أزيد رأيي كلا الطرفين ؛ فجدالاتها الجماعية تخفي تواعلاً عميقاً ؛ فالبعض يزعم أن البروليتاريا شيء واقعي ، والآخرون يزعمون أنها شيء متخيل ، والطرفان متفقان على شيء شئها . والنهج الأكثر مراداً هو المنهج الذي يعلن عالياً عن وجودها ليفلصه فيما بعد إلى وجود كئيس من البطاطا . سخدوا أخبارهم : لقد تناولوا المشككة فوننا أفكار مسبقة ولجأوا إلى الأحصائيات البعدوا تجريبياً الصفات العلمية . أننا سلاط ان البروليتاري ، حتى إذا ما استثنينا النشاطات المفروضة

من قبل الانتاج ، وحتى في المجالات التي يبدو وكأنه يتمتع فيها باستقلال نسبي ، يتميز عن سائر البشر بحالته . فشرطه يعطيه طبيعة ، أي « عادة اولي » . وبعبارة هاركية : الانتاج ينتج الشئ . ان الدراسة المغارة للحيوانات على سبيل المثال تسيطر الضوء على بعض ثابتات⁽¹⁾ نوعية في الاستهلاك العمالي . وينتهي الأمر بالفقير بالاستقصاء ، عندما يدون أبحاثهم الى نطاق اللغة والتشكيل الأيماني والجنس الخ ، الى ان يقرروا بصراحة عقلية وضعية . . . ما يشب الى العمون وثياً . ولقربوا الآن هذه الثابتات من بعض الثابتات الاجتماعية ، وليفهموا علاقات وطيفية بين هذه وتلك ، بل لينهضوا الى ابعد من ذلك فينتكروا من السكوني الى الديناميكي . ويسلطوا الضوء على انعكاس الصعوبات الاجتماعية التي في سبيلها الى التطور على تصرفات البروليتاري . فهل يكونون قد اكتشفوا اخيراً الطبقة ؟ انهم يقولون ذلك لكني اعتقد بالأحرى انهم يكونون قد حولوا البروليتاريا الى نوع حيواني . واذا كانوا يعاملون اعضاء فصيلة اجتماعية كالو انهم نتائج سالية قابلة للاستبدال فيما بينها لمعامل عامة ، وإذا بدأوا باستبعاد جميع التأثيرات التي يمكن طولاً الافراد ان يارسوها على بعضهم البعض ، فإذا قاموا بأمور ان يمدوا في النهاية ، غير النوع ، تلك العزلة التي بسلا أمل والمكررة دوماً ؟ كنا نعتقد اننا امام علماء اجتماع . لكننا كنا نخطئ : فإم إلا علماء حشرات . ولقد سبق ان عرفت بعضاً من علماء الحشرات . ولا سياً واحداً منهم وقف نفسه على سراطين البحر . كان يحصل التعرقات التي لا تم غير السراطين نفسها ، وكذلك علاقات السرطان بالسرطان . ومن هنا كان يخلص الى القول دوماً جيد بالتشابه الطلق بين جميع مثلي النوع . وبعد ذلك ، كان يضع أجهزة محكمة ليدرس تأثير تغييرات التناوبية على الآلية النفسية للسرطان الأزلي . وكيف تأخذنا الدعشة من ذلك طالما انه حكم على قطعه البالغ عددها ثمانية عشر ألفاً بالا تكون سوى ثمانية عشر ألف نسخة من النموذج واحد ؟ والأمر مقبول أيضاً لو ان المسألة كانت مسألة سراطين بحرية فقط : لكننا

سكنون أقل تساهماً تجاه أولئك الذين يطبقون النهج نفسه على بشر مسترقين
والذين يستبدلون جنود وحدة مقاتلة بنتائج هائلة لعوامل موضوعية . ولقد
بدأت أرتاب في ان علماء الاجتماعيين قد ضلوا بعض الشيء : فقد استبدلوا كل
تصور مفهوم - يبدل يشبهه ويثبت بدقة عكس ما يزعم هذا التصور انه يقدم
الدليل عليه . وباسم الموضوعية استبعدوا جميع البراهين التي تثبت وجود ممارسة
عمالية ، ووضعوا محل هذه الممارسة أحداثاً كاذبة تسقط هباءً اذا ما مسح المرء ،
كما ان الوحدة الخادعة لمعدلاتهم الوسيطة تحجب عن الانظار التثقت اللامتناهي
للعوائد العارضة التي يدخلونها فيها . ان العامل يستعمل كثيراً من اللحم ! ومن
نوعية رديئة ! لكن ماذا ؟ قد لا انكر ان نيس القطع الرديئة من اللحم تظهر
بمياً على الموائد في فيري وسان - دوني ، لكن عيشاً نلسون ال افناني بأن
هذه الوجبات الألف حدث جماعي : فأنتم لا تفعلون شيئاً سوى انكم تكمدسون
ردود أفعال متوحدة قد يرجع سببها الى ضرورة موضوعية واحدة ، لكنها
لتثقت في غبار الضواحي الصناعية كألف قطرة من نغمة واحدة . انكم
ترعون انكم تروننا وقائع انسانية وتكدسون مكلاتها وقائع فيزيائية . تقولون ان
العامل اليدوي ، المحروم من الترفاه ، المنفي من حضن المجتمع السطاب ،
المنكسر على تبعية الطبيعة بفعل التعب والحالات الأولية ، يسيل إلى التفصيل
الكبيرة على النوعية . حسناً ، ماذا تكونون قد فعلتم ؟ لقد عرفتم بشراً بعة
ثانية وبعمل الحاجة اليكانيكي . فلماذا انكم تعطروننا وصفة لصنعهم .

هل يقال ان التحليل غير جدي ؟ انهم يعددون لنا حشداً من عطل لا رابط
بينها ، وانهم لا يربطون العامل بنظام الانتاج ؟ ماذا صحيح . لكن ليست
المسألة مسألة تغيير العوامل : انما ينبغي تغيير الموقف السبق . انظروا : إليكم
تعريفاً لبروغسارن وقعت عليه في كتاب السيد غولدمان¹¹ : « انت الطبقة
الاجتماعية جماعة من الأشخاص يلعبون الدور نفسه في الانتاج ويلعبون علاقات
انتاج متباينة مع أشخاص آخرين يساهمون في عملية الانتاج » . ان الهمجة مركزة

١ - ل . غولدمان : « العلوم الانسانية والفلسفة » .

هذه المرة على الإنتاج، لكن ماذا استفدنا؟ وزيادة القول ان التعريف غبي وليس فيه من الماركسية إلا الشيء القليل، فهو يريد بالفعل ان يعرف الطبقة بتشابه الأشخاص، فهم يلبسون البور نفسه، ويلبسون العلاقات نفسها مع الأشخاص الآخرين. فهل يكفي ان نسميهم «جماعية» حتى يشكلوا فيما بينهم طبقة؟ لكن هذه الجماعية إما ان تكون حشداً، وأتذكركم ان تكون قد عدنا الى النوع، وإما ان تكون كلية، لكن كان ينبغي في مثل هذه الحال ان يتضمن التعريف نفسه المبدأ المولد. اجل، لقد قال ماركس ان الإنتاج ينتج المنتج، لكن حين تحول العمودية الانتاجية الى عمودية فإساحة تنتج منه ألف تجسيد للجماعية العمالية فإن وحدة العملية لن تستطيع ان تضمن وحدة النتائج التركيبية. وإذا لم تكن البروليتاريا تحسب نقابة التصنيع الهامدة، فإنها ستتهار وتليدها خياراً من جزئيات «ميتة». ان الوحدة الحية لـ «العمودية» الرأسمالية يمكن ان تسميها العمال الذين تختلفون، فهي بالكسرها في وسط هامد غير متناسق تضاعف وتصح تشابه النوع الشكلي؛ إن الأمر لا يستطيع ان يوجد الأمواج، ونشئت الأمواج هو الذي ينشر الأمواج على البحر كد. وخلصاً القول انني لم اعرض بخارين لثقي: تعريفه ميكانيكي القزعة شأنه شأن تعريف السادة سوروكين وغورفيلش وهالفاكس.

لقد وعدنا جميع هؤلاء العلماء بأن برودا وحدة طبقة «أوروبا» تشابه قطع مجردة من المجموعات. والحال ان الوحدة والتشابه ميدان متضادان يعقد أولها روابط عملية بين الأشخاص، ويعقد الثاني روابط مجردة بين الحالات. وهكذا فإن منهجهم، برغم انه يعيد بناء البروليتاريا، يهدم كل إمكانية لعلاقة واقعية بين أعضائها؛ فتشابه المعية يتطلب، حتى يظل غير مشوه، الانفصال المطلق بين الوجودات. لو كان عامل لانس وعامل إيمانس يستطيعان ان يتعارفا، ولو كان كل منهما يصنع الآخر إذ يصنع نفسه، وباختصار لو كانا يساهمان في المركة نفسها، لكان كل منهما يرتبط، في واقعه الحي، بالآخر ولتضام التشابه بينهما كلما تلاها في اتحادهما. وإنما في شركة العمل لا في العزلة يصبح كل منها

شخصاً ولا تبنى امام عالم الاجتماع لا الوسيطة ولا الترميمه ليدرس المسالك الفردية
 كلاً منها على حدة باعتبار انها ترجع كلها في مثل هذه الحال الى الشروع الجماعي
 وتتحدد به¹¹ . وإذا كان على العكس قد استبدل وحدة الطبقة بتشابه الشرطه
 فهذا ليقنعنا بأن العمل الجماعي حلم مستحيل . فإذا كان العمال مصنوعين قبل
 الحارم ، فإن الاتحاد لن يعود قادراً على صنعهم . فتحة عوامل خارجية قد
 اعطتهم طبيعة . ومهما تكن علاقاتهم الانسانية فإنها ستسلب من الآن فصاعداً
 عليهم من غير أن نترك أروأ فيهم . ولقد كتب هنا بالذات في الشهر الماضي
 برويتاري ما يلي عن البروليتاري : « انه قابل لأن يُعرف بين ألف . فكل ما
 فيه مشيز ، اللغة ، المشية ، الحركات ، الظل الشدر ، طريقة الأكل والشرب
 والتلمي والحب والكرهية » . هكذا ما يبرر احصائياتكم ، لكن مع تحفظ
 واحد : ان العامل الموصوف لنا يناس نهائياً . وهذا ما اردت ان اصل اليه : ان
 علم اجتماعكم لا ينطبق على العامل إلا اذا ألقى به اليأس الى احضان اليأس ، وهو
 انما يُرجع اليه استسلامه ، سلبيته ، دجرائته : وهذا أيضاً ما يريد السيد روبينه
 العالم الاجتماعي عن غير علم منه ، ان يعكسه البروليتاريا . فتلك الطبقة المنتصرة
 التي حياها بروفه ، انما كانت حشداً من حالات اليأس والعزلة . وما صوره لنا
 على انه رد فعل جماعي انما كان المعدل الوسطي لحالات فتور الهمة . وما كان
 متشاهماً لدى جميع هؤلاء البشر المنهكين هو ارادتهم عدم الاتحاد . يث السيد
 روبينه قد اعطى الطبقة العامة حق ابداء الرأي حتى يتكتمها أن تعلن جهاراً انها
 غير موجودة .

وبالواقع ماذا يضع الفيفارو ان تعترف لعمال بهذا التنوع من الانسجام السليبي
 الذي يتبعه تشابه الشرط : فالصحافة اليورجوازوية قد قررت منذ زمن طويل
 انه ليس هناك وحدة معطلة . إن التمرد غياب روابط ، اي قابلية لامتناعية
 القسمة : فلا يبد من العدم ، ورمم الخطوط ، والسعي باستمرار الى المحافظة على

١٠ - ما يصل الاثبات مشبهة أكثر أيضاً من أن علم اجتماع البديلين يوماً ينجز من هذه
 المأخذ . فهو انما يدرس مجموعات ذات طبيعة .

اتصال عناصر غير متلاصحة في سبيلها الى الانفصال . وغلاصة القول ان الوحدة ليست إلا الوجه المعكوس للعمل التوحيدى . انظروا اليها عن قرب اكثر ، تلك الطبقة التي ينفذها السيد روبيته : انها تتفسخ . وماذا تجدون مكانها : هوامات جزئية ، تعدد من رمود الفصال لامتناهية الصغر تشد من أثر بعضها بعضاً او تتدانس ومصلتها قوة فيزيائية اكثر منها انسانية . انها الكتلة . الكتلة هي بالضبط الطبقة المتلية : فالكتلة خارجية باعتبار ان المعنويات التي تنتجها تكون عليها دوماً خارجياً عنها فيوفرة متلازمة من المسالك الصغيرة المتناهية ، ولا يمكن أن تكون لها حاجات ولا مشاعر ولا إرادة ولا مسالك : فذلك ان الأفراد ، يترجم أمرهم كلاً لذاته ، لم يتوقعوا ولم يريدوا النتيجة العامة لإرادتهم الخاصة المثة ألف . انها جزء من الطبيعة التي في حضن مجتمعاتنا . وبالطبع انها لا تعرف غير الجسم : فالبنا يتطلب على الأتمل وحدة المنظمة او الشروع إن لم يتطلب وحدة الشخص . وهي الخيراً تتألف من عناصر غير مسؤولة : والحق ان العمال لا يعرفون ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ما يفعلونه مما دامت افعالهم المتفرقة تسد قلب التمتع بمبدأ ، وتتضاف الى اعمال مجهولة ، وتعود اليهم في النهاية تحت شكل عراصف حقاء . الأيام الثورية ؟ انها ليست سوى لحظات زهر شعيد : فالجوع او الخوف يطردان الحيوانات من جحورها ، فتقوم في المدينة ، والحطم ، والحرق ، والتهب ، ثم تعود من حيث أنت . الحفسد الطبقي ؟ متكيف يمكن لهذا السدح من الجزئيات ان يحب او ينكره ؟ كل ما هنالك انت حالته الميكانيكية ونفسه الدائم يهدان بأن يجعلنا نرى عسفاً للاتسان حيث لا يكون هناك سوى طبيعة ميكانيكية في قلب الطبيعة المتضادة .

انهم يريدوننا ان نحسب رد الفعل العمالي على اضطراب ، حزين ان إدانة طبقية . لكن السيد روبيته مقتنع ، في اعماق نفسه ، بأن المسألة لا تعدو ان تكون اكثر من زعر جماهيري . فجميع الصفات المميزة لهذا الذعر ماثلة : فالنتائج في مجوعها لم يتوقعها الأفراد ولم يثنوها ، وهي ذات طابع سلمي ، ولا تغير عن اي لية جماعية ، ولم تؤد الى تقارب العمال بسبل زادت على العكس من عزلتهم ومن

المسافات التي تفصل بينهم . فما معنى هذا ؟ أمعناهُ ان الطبقة غير موجودة ؟ هذا بالتأكيد ما يراد لنا ان نعتقده . لكننا نعلم حتى العلم ان العام العمالي ليس رقصة ذرات صاخبة ؛ فحق في ا حيز بران غاض العال عملاً مشغراً بصدده نقاط اخرى كثيرة واهداف اخرى . إن ما نعلمناه هو ان الكتلة حالة قصوى من الوحدة والعزلة والمجران ؛ قد لا يكون العامل سقط فيها قط ؛ لكنه يقرب منها في كل مرة يخرج فيها على الانضباط وعلى منظراته . ان الشرط الموضوعي البسيط للمنتج يحدد الانسان العيني وحاجاته ومشكلاته الحيوية واتجاه فكره وطبيعة علاقته مع الغير ؛ لكنه لا يبت في أمر انبائه الطبقي . ولو انقطع وقت التضامن لبقى العامل منتجاً ؛ كادماً بدوياً ؛ اجيراً ؛ لكنه سيكف عن ان يكون بروليتارياً بكل معنى الكلمة ؛ اي عضواً فصلاً في البروليتاريا . ان الطبقات غير كائنة ؛ بل هي تُصنع صنعاً .

من يصنعها ؟ يقول البورجوازي : لست انا . وهذا صحيح . ففي ظل العهد القديم كانت الارستقراطية والملكية مما اللتين تحافظان على نظام الطوائف والمراتب ؛ وكانت الطبقات مؤسسات رحيمة لها انتظمتها الصارمة . وليس ثمة شيء اوضح من هذا ؛ فصاحب الامتياز يتمسك بتسلط هرمي يعمل من شأنه ؛ والمضطهد يريد ان يفسد الأسوار التي تحبس عليه اقتضاه . لكن صاحب الامتياز هو الذي ينفي اليوم ؛ عن طريق انقلاب عجائبي ؛ الطبقات ؛ والمضطهد هو الذي يتمسك بالاعلان عن وجودها . ان البورجوازية لم تفكر قط بفرض نظام طبقي صارم على العمال ؛ بل عمل حقوقها على العكس على تطوير القوانين والسياسات بسرعة من كل ما يمكن ان يشبه لامساواة مبدئية . يقول الليبرالي : « إن المجتمع اللاطبقي الحقيقي هو المجتمع الرأسمالي » . واني لأعتقد ؛ بالفعل ؛ ان المثل الأعلى البورجوازي هو مجتمع لاطبقي واضطهادي - اي مجتمع يسبل فيه المضطهد بالاضطهاد . والعملية التي تتابها البورجوازية منذ مئتي عام ؛ معتمدة في ذلك على موارد لامتناهية ؛ اتسا هدفها منع العامل من ان يصبح بروليتارياً بتجريدته من الوسائل التي تمكنه من ان يكون انساناً ؛ وهي تسعير في

سبيل ذلك الى ابقاء الأفراد في حالة عزلة والجموع العامة في حالة تسيب، طالما ان الأضطهاد يمس الى ان يصبح برهان نفسه والى ان يجعل من المضطهدين صنائع ليس لها من وظيفة إلا ان تجره : ولهذا يتوجب ان تنهم البورجوازية بمحاولة دائمة دائية لتحويل العمال الى كتلة متسببة . وبالتقابل ، أنفا ضد هذه المحاولة تكون الطبقة العامة نفسها وتعيد تكوينها باستمرار : انها حركة عمل ، ودرجة اندماجها تقاس بشدة النضال الذي تخوضه ضد الثورة البورجوازية . ان الطبقة ، التي هي وحدة واقعية للجموع والجماعات التاريخية ، تتجلى عن طريق عملية منطلقة من تاريخ محدد وترجع الى نسبة . انها غير قابلة البتة للفصل عن الأرادة العينية التي تثبت فيها الحياة ولا عن الغايات التي تنشدها . انت البروليتاريا تصنع لنفسها بنفسها بعمليها اليومي . فهي دوماً في حالة فعل ، بل هي فعل . ولو توقفت عن العمل لتفسخت .

أنا لا أقول شيئاً جديداً : فما ذكرته موجود لدى ماركس . فقد لره وشرح بأن تشابه الحاجات يعارض الأفراد بعضهم ببعض : « ان تنظيم البروليتاريين في طبقة ... يحطمه في كل لحظة ... تنافس العمال فيما بينهم » . وما يسمح للعمال بالتغلب على تناقضاتهم إنما هو النضال ضد أرباب العمل : « إن البروليتاريا تمر بعدة مراحل من التطور ، ونضالها ضد البورجوازية يبدأ مع وجودها بالذات ، وفي البدء يخوض النضال عمال منعزلون ... وفي هذه المرحلة يشكل العمال كتلة متناثرة في طول البلاد وعرضها ومنقسمة بسبب التنافس » . فعلافاً يستطيع ماركس ، في هذا النص ، ان يتكلم دوننا تقرييق عن البروليتاريا وعن « الكتلة ... المنقسمة » المتناثرة « ليشير الى موضوع واحد ؟ هذا لأنه يحسد لدى العمال تجارزاً للوضع المين لهم وكفاحية ستفرض بالضرورة ان التجاهم . ان العامل يجعل من نفسه بروليتارياً بقدر ما يرفض حالته . وأولئك الذين ييلون الى الخنوع يفعل الجوع والأنيك والظروف ، يعاملهم ماركس بكلمات بلغة القسوة : فهم « بداء » و « بشر دون » . لكننا لا يلومهم ولا يدينهم : بل يصدر عليهم حكماً واقعياً . إن العامل انسان دون عندما يقبل بأن يصحرف

ما هو كائن عليه - أي عندما وحد نفسه بذلك النتائج المفض للنتاج . وهذا
 الانسان بدون ان يصبح انساناً إلا عندما « يعي السائتة بدون » . إنش
 قوامه الانساني لا يمكن في ما هو كائن عليه بل يمكن في رفضه ان يكون كذلك ،
 أي في « تفرده على الانعطاط » . انه يستطيع « بلا ريب » ان يحاول الافلات
 من شرطه بواسطة الخاصة « وعبور الخط والاندماج بالبورجوازية . وبذلك
 يصبح من زمرة الخائنين لطبقتهم . ووجود أمثال هؤلاء الخونة هو الذي يقود
 ماركس الى أن يحدد بأن التمرد يجب ان يشتمل على مبدأ اتحاد: فما البروليتاري
 إلا العامل الذي يريد الحصول على تغيير نفسه كالجوع أقرانه على حد سواء .
 وإنساناً نشد فقط « ستكون مهمته الواقعية قلب شروط وجوده » . ويبدأ من
 هنا تختلط مراحل النضال بفترات التوحيد . فالبروليتاريا « في حالة حركة دائمة
 بفعل نتائج أعمالها » . والحركة هي التي تحافظ على ترابط العناصر المنفصلة . وما
 الطبقة إلا نظام متحرك : إذا توقفت ارتد الأفراد الى عطلتهم وعزلتهم . وهذه
 الحركة الموجبة والقصدية والعملية تتطلب تنظيهاً . ولهذا أمكن لماركس ان
 يتكلم عن « تنظيم طبقي » « وهي صيغة تقودنا بعيداً عن تعريف بورخاوين .
 فالطبقة هي أولاً شيء ينظم . لا تتمتع بنفسها بل لتبلغ أهدافاً معينة . ان
 التعريف الذي يعطيه ماركس عنن الشيوعية يمكن ان ينطبق أيضاً على
 البروليتاريا : « انها ليست حالة مستقرة » ليست مثلاً أعلى بتوجب على الواقع
 ان يتلام معه . . . بل هي الحركة الواقعية التي تلمي حالة الأشياء الرائنة » .
 ويمكننا بدءاً من هنا أن نفهم لماذا يحدد ماركس على حين ثورة الطبقة بممارستها:
 « البروليتاريا ستكون ثورية لو ان تكون » « ولماذا يرفض في النهاية ان يميز
 بين العمل وكتابة العوامل والجهاز الذي يجمع بينهما : « لا تستطيع البروليتاريا
 ان تتصرف كطبقة إلا إذا كونت نفسها في حزب سياسي متميز « يقيناً » ان
 نظام الانتاج هو الشرط اللازم لوجود الطبقة . والتطور التاريخي بأكمله
 وضرورة الأعمال ودور العوامل في المجتمع البورجوازي هي التي ستتمسح

البروليتاريا من ان تكون حشداً اعتبارياً من الأفراد . لكن هذا الشرط غير
 كافٍ : إذ لا بد من الممارسة . ومن غير المهم ان تولد هذه الممارسة الديالكتيكياً او
 بصورة ديالكتيكية من الشرط البروليتاري : فخاصة الديالكتيك انت فراقته
 تتجاوز وتحتفظ في نفسها القدرات السابقة . والعامل ، بالجزء مهمته الواقعية ،
 يظهر البروليتاريا ويجعل من نفسه بروليتارياً : وانه لما يسرعى الاقتناء انت
 مار كس حين يقدم نوعاً من وصفه فينومينولوجي للعامل المتكافح يهد له خصائص
 جديدة كلياً تولد على وجهه التعديد من تضال : فالبروليتاريون ، يعفون من
 نشاطهم الثوري أعظم أفراح حياتهم ، « وعالم الاقتصاد يخطئ خطأ قاصداً
 إذا مسأ ظن أن العامل يحسب حساب كلفة الاضراب : » (يكون بذلك قد
 تجاهل) ان قلوب العمال سخية وهذا يعني انهم يضعون واقفهم الانساني
 في الممارسة الجماعية أكثر مما يضعونه في حاجاتهم الشخصية . « حين يجتمع العمال
 الشيوعيون فإن هدفهم الأول اللذنب والدعاية الخ . لكنهم يخلقون لأنفسهم من
 هنا بالذات حاجة جديدة ، حاجة الاجتماع ، وما كان يبدو وسيلة أصبح هدفاً .
 والعامل بالتقاله من الكتلة الى الطبقة يبدل جلده : فإذا ما قاده ضغط الظروف
 او الهزيمة او الانهالك الى أن يولي مصالحه من جديد الأهمية الأولى ، سقط من
 جديد غارح الطبقة وعاد ما سبق ان كانه . تقولون ان الطبقة العاملة أظهرت
 للحزب الشيوعي استهجائها . فعن أي طبقة تحدثون ؟ عن تلك البروليتاريا
 التي عرفها مار كس لتوه ، بإطاراتها وجهازها وتنظيماتها وحزبها ؟ لو كان هذا
 صحيحاً لكان توجب ان تؤكد وحدتها ضد الشيوعيين ، وان تتكشف كطبقة
 من خلال تفرؤها من الحزب الشيوعي . لكن من أين لها القادة والمشورات
 والشعارات ؟ ومن أين تستمد ذلك الانضباط وتلك القوة التي يميزان طبقة
 متكافئة ؟ وهل يتصور أحد الطاقة التي ستحتاجها منظمات سرية حتى تحسن
 أداء هذه المهمة وحتى تحرص جميع الشخيلة ، من ليل الى حاتون ، على قاداتهم ؟
 إن جزء الجماهير ، الى التبرؤ الجماعي من الحزب الشيوعي عملية ضخمة لا

يستطيع ان يقوم بها غير الحزب الشيوعي نفسه^(١).

٢ - وحدة العمال لا تولد عفويا

« بالتأكيد ، لو جاء هذا التبرؤ نتيجة تحريض ، لنضال سرورثا به . فما حاجتنا الى تطاهرات موجبة ومرحى بها ؟ اننا لا نتمنى ان نضع على رأس الجماهير طغاة جدد ، انما نتمنى ان نعيد اليها الحرية : ان رد لعسل ، حزيران ليست له في نظرها تلك الأهمية الكبيرة إلا لأنه كان عفويا » .
ثمة شائعة تقول ان عدو الشيوعية ادرك هدفه : فنذ دعوى روسو والعفوية تحطى بتأييد مسبق : فالحركة الأولى هي الصالحة ، والانطباع الأول هو الانطباع الذي يظل سائداً . وبأي كبرياء صيغانية طائشة نظهر أكثر حقائقنا سرية لأنظار جميع الناس : « أجل انني انا ، وهذا من فعلي أنا ، هذا انا ، انني هكذا » . وفي هذا المزيج من الطبيعة والحرية تخضع الحرية للطبيعة : فالمرء يتكرر نفسه على ما هو كائن عليه ، والاندفاع العفوية المقطوعة الصلة بالمعادن والاصول ، والمتلافة مع الظروف من غير ان تكون محددة بها ، هي بداية ، هي بداية ، لحظة ، لكنها تعكس لنا ما هيئتنا المنفردة . وهذا معناه ربط العمل بالكيثونة ، العمل بالمعاطفة ، التطور بالامتطور . والسائر ، النفزة الأولى ، يفلت من تلك الضرورة القاسية التي تحتم عليه ان يوحده باستمرار ما يفكر به وما يحبه وما يقفه : فوحدة شخصه سابقة الوجود ، وهي تفتح كوردة في الديابيسير ، والمؤرخون سيكشفون في أفعالها وحدة اتجاه سرية . وبدلاً من ان يصنع نفسه ، يترج عنها أوراقتها ويتشققها . وهذا يكفي : فالذات قد أوحث بأدب بالغ الأهمية والرجوع اليه قد يثير الاشتراكي لكنه مشر .

١ - في الشرح التالي - كانون الأول ١٩٥٦ ، عند الاستفتاء التامق بالانضاب العام ، حدثت معارضة . لكنها لم تكن فعالة واجمة إلا في المصانع التي لا يوجد فيها نظير اليد العاملة العام التام (التعلبات السبعية ، الخ) .

والجديد - ليس جديداً للغاية : قرن واحد - هو ان العفوية تستخدم لأغراض سياسية . ولقد تم ذلك تلقائياً . فقد كانت الواقع الاجتماعية تعامل كأشياء ، فأصبحت تعامل كأناس : فإذا بالجماعير تصبح من قوات القوة الأولى ! ان عفوية الجماعير ، الخيرة ، العادة ، الأصبية ، تنال عطف جميع الناس ، وحكمها لا استئناف فيه كحكم الكلاب والاطفال . والحكومة التي شعارها هي حكومة مجتونة وشريرة حقا . انظروا : لو ثبت في تونس ، هذا اذا لم نشأ ان نأني بشأ من بلد ابعد ، لو ثبت ان السكان يشنون عفويا رحيلنا لما من شك في ان رأيكم سيكون الرحيل فوراً . لكن الحقيقة المزعومة هي ان الاضطرابات قد اشتعلت . ولقد هم الحكمة العقلية : إن التنظيم يفتق اندفاعات الثلب الطرة ، ان فالعفوية الحقيقية لا تشمل ان تكون منظمة . ان فالعصيان لا يمكن ان يكون عفويا : على وجه التحديد لأنه لا وجود لمصيريات بلا رئيس . تسألون ما العفوي ؟ انه واضح : الدبول الحر بالاضطهاد . وإياكم والاعتقاد ، بالأصل ، ان الاحزاب الجماعيرية تفكر على غير هذا النحو : فما لفضه ، في هذا النظام من الأفكار ، هو العفوية الموجهة . وهي لا تفرده في ان تصور الظواهرات العدة ، الموطرة ، الحالية من الحاجات وكأنها سبل هانج . لكن ما تبغضه ، على سبيل المثال ، هو اللامتوقع وجميع تلك الفورات القبية التي تتجاوز الزعماء وتفرقهم : ان مثل هذه الفورات انما يفتعلها الخصم . وإلى اليوم أيضاً ما يزال الناس يعتقدون بمرح قراءة صحف تونز ١٩٣٦ : كانت الجماعير ما تزال تحتفل بانتصار الجبهة الشعبية ، فخطر لها ان تحتل المصانع . ونظر كل الى نفسه وتساءل : من الذي يشد الخيوط ؟ وقسال أرباب العمل : انهم الشيوعيون . وقال عامل شيوعي لسيمون ويل^(١) : انهم أرباب العمل . ولقد تحدث الناس أيضاً عن هتلر والطاير الخامس . كانت المهرم في نظر صحيفة « لو فان » تونز ، وفي نظر تونز ترونسكي . لكن ما كان ليخطر ببال أحده

١ - كلية لارلية كومت حياتها وكتابتها المدة الاجتماعية (١٩٠٩ - ١٩٤٣) .

آنذاك ان ينسب الحركة الى عقوبة الجماهير : تصوروا اذن ! حركة تولد مسن تلقاء نفسها ، ولا زرعها لها ؟ لا بد أن في الأمر شيئاً .

اصابهم ، حزيران فهو ، على العكس ، مطمئن تماماً : فالجماهير لم يصدرو عنها اي رد فعل البتة . ليكن : هذه هي العقوبة المثارة الخادمة حتماً . ولقد هلت الصحافة المعادية للشيوعيين : « سمحت بليخ : لقد تكلم الشعب ، ، وحينما يعترض المرء عليها بالقول ان الأرادة الجماعية لا ترجع إلى مجموع العقوبات الفردية . ١٩٤٨ من الاستنكاكات ، أهذا لا يعني في نظركم شيئاً ؟ ألا تحسون بتوعية هذا السكوت ؟ ألا تشعرون بأنه صرخة مزقة ، وقد تكون أكثر الصرخات التي سمعتها الأذان البشرية بأساً ؟ ان الوعي العبادي لم يفسدوا تحشب وتصلب . فأين يسكن هذا الوعي الثوري ؟ في اللاشعور ، بالطبع . فهو انما هنا ينتصب متنفخاً وغير منظور في البداية ليتشتت فيما بعد في ألف رفض وألف ،

اذا اردت ان تصنع طبقة من غير أن تقادر حجرتك ، فالوصفة سهلة : خذ الكتلة - التي هي العدد الخالص - واجعل منها جمهوراً - وهو عضوية بدائية . واجعل من الجمهور شخصاً ، وعلى سبيل المثال متولة ملهمة . فلا يبقى عليك إلا ان تحمل لغز وحياها . واذ اُرمت الصمت ؟ لا تخف : فهناك وسائل كتيبة يجعلها على الكلام . وفي الحالة التي ندرسها هنا ، يبدو عليها وكأنها تريد ان تترجم الصمت : لم تكن لدى اي عامل من العمال الذين رفضوا الاضراب نية صريحة في استنكار موقف الحزب الشيوعي . لكن لا امية حسناً : فاليسار المهادي الشيوعية يذكرها بالنسبة بفكرة ماركس : ليس المهم ما يعتقد البروليتاري ان يفعله ، اذا المهم ما هو مكره على فعله . ويدهي انه يمكننا ان نعطي هذه الصيغة معنى ذا نوعة موضوعية خالصة ، وهذا بالذات ما يبدو ان ماركس فعله : فالأفكار التي نكوتها عن أنفسنا لا تبدل لا منطقها الباطن ولا يلبثها الموضوعية ولا نتائجها التاريخية . لكن هذا تفسير خطر : لأننا لو أخذنا به لوجدنا انفسنا متفادين إلى الاستنتاج بأن بعض العوامل الموضوعية قد أثبتت على العمال ، يوم ، حزيران ، في حالة تشتت ، وزادت من درجة تحوّلهم الى

كثة . ولو كان علينا ألا تأخذ بعين الاعتبار سوى الفعسال الوعي ومضامينه ،
 فإلامَ سيؤول اندفاع البروليتاريا الثوري ؟ وما المصير الذي ينتهي إليه
 كفاحيتها ؟ هل رأينا قط من بروليتاريا بلا كفاحية ؟ ألم يكن ماركس يقول
 انها إما ان تكون ثورية او لا تكون ؟ والحال انها كانت ، وواجب عليها ان
 تكون ، وإلا فقد الماركسيون المعادون الشيوعية أملهم وسيرو وجودهم . إذن
 فلا بد ان يوجد فيها اندفاع ما ، وإن كان خدوعاً ومضلاً ومزعجاً من قبل
 الامتزاز . أليس قمة أثر من هذا الاندفاع ؟ حسداً لأنه ليس يتناول حواسنا
 مباشرة . ويكفي أن توجه صيغة ماركس نحو التحليل النفسي : ان الوعي
 كذب ، وأكاذيب هي أسباب العمل التي يعطيا لنفسه : فتحليل الأفعسال
 ودلائها الذاتية يرجع الى العفوية العميقة التي هي مصدرها . وإذا لم تلبوا بهذه
 العفوية ، استلجتم بكل بساطة ان استشكل العمال وتردهم وشكوكهم نصير
 عن حالة إناكم الموضوعية . لكن افا مسأ بدم بالنتكير بأن البروليتاريا
 يجب ان يكون في كل زمان ومكان ثورياً واقفا ما فهمت موقفه على ضوء رسالته
 التاريخية ، فمتدعا لا يمكن لتطور الهمة والحول الذين برهن عليها ان يكونا سوى
 الظهر السطحي والتكاذب لاندفاع عميق . فطالما انه فعال بالضرورة ، فإن
 سلبته هي شكل العمل الذي اختاره لأنها متلائمة مع الظروف ، وفي لغة العفوية
 يصبح الاستشكل لوماً . وفي نظر الماركسي المعادي للستالينية لا يمكن لممارسة
 الجماهير الثورية ان تختلط بالماوريات التي تتفدعا تحت قيادة الحزب الشيوعي .
 ولما كانت الجماهير لا تتفد من عمل غير هذه الماوريات فإن موارستها الحقيقية
 تتجمل عن طريق ما لا تفعله . ولقد رأينا لئوفا الحرية تختلط بالطبيعة ، كذلك
 يجازح هذا الموضوعي والذاتي ويظهر في النهاية واقع غريب هو في آن واحد
 وحدة الجماهير الموضوعية التي لا تقع تحت الحواس باعتبار انها كستنج من
 نشقتها ، واندفاعها الذاتي اللامتطور باعتبار انه يستخلص من سكوتها التوقفت .
 وهذا المفهوم اللتينس المتناقض يقترح علينا فسباً بعد باسم الطبقة . فكل شيء
 يجري كما لو انهم يطلقون اسم طبقة على عفوية الجماهير الذاتية الموهومة من الخارج

على أنها وحدتها الموضوعية . ولما كانت العفوية تلف خلف الوجدانات الفردية فإن الوحدة الموضوعية ستقف خلف تشتت هذه الوجدانات . والتجربة بالطبع تتابع بلا كلل تقدم القبار نفسه البنا . لكن لا أهمية لهذا : فالطبقة باعتبارها صفة تصورية ، واختياراً سابقاً على التجربة ، ومطلقاً متعمداً ، ووحدة بالقوة والحق لتعدد ، ومبدأً ثورياً يخترق السادة الهامدة ، هي التي تنتج وليس البشر الذين ينتجونها . وبذلك يكون الهدف قد أدرك .

ذلك ان هذا ما كانه الهدف . فمنذ عدة من الزمن كتب السيد ثورا^١ بذلك السذاجة التي يوجدتها الحقد أحياناً : « إذا ما عزلنا القادة الشيوعيين عن الناس الشرفاء ، وإذا ما قطعنا صلحتهم عن جيل الأمة والطبقة العاملة ، نكون قد اسقطنا في يدهم بسرعة وحكنا عليهم بالعجز . وابتسم أعداء الشيوعية بريرة : قطع الصلة ، هذا تصرع في القول : اعطونا أولاً السكين . » والحال ما هم الناس الشرفاء يتعمدون عن الحزب بفعل هزات صغيرة : ان تسلطه على الأرواح بألمه من موافقتها ، ويكفي ان رسم اشارة الصليب حتى يضطر الى الحرب الى الجميع من جديد .

على رسلكم . لكن حذار من ان تبهتوا بالعث على ضرورة الحزب الشيوعي . تصوروا هذا : إن الطبقة العاملة فيها من الشيطان الرجيع ، فتسطره الروح الشريرة ، وفي اللحظة التي يطير فيها شيطانها تفتح عينيها وتتعظم شر تحطم ! فهل تخيلوننا بلا بوليتاريا ؟ الحق ان هذا الاحتمال لا يتخيف الجناح المبني من أعداء الشيوعية الذي لا يني عن الترداد بأن العامل مجنون بحسب نفسه بروتاريماً ، لكن الجناح اليساري لا يستطيع حتى ان يتحمل فكرة ذلك : فالماركسي غير التالي ، مع اعتقاد صهفته الجسيمة المدية الشفقة ، يفقد كل شيء وأولاً شرفه في ان يظل وانياً بلا أمل . وانسا لا استعماله الخاص وضع هذا المصوم التخويي : الطبقة - الاندفاع . فساو نظرتم الى العالم من هذا المنظار ، رأيتم الطبقة في كل مكان وحتى لو كانت البروليتاريا

١ - ثورا : « من الكومنتون الى الكومفرورم » .

منتقته شرقتيت . وطالما ان المطلوب لحرية الحزب من فضل تحقيق وحسنة العمل العمالي ، فسوف يتم وضع البدأ السحري لهذا التوحيد في مكان ما بين نظام الانتاج الموضوعي وذاتية المنتج ، كما توضع العنوية الفردية بين الكينونة والفعل ، والبيدس الفردية بين الجسد والوعي الصاعي . وهذه الجريباتلوا الطاطية ، القوية بمرونتها ، استطيع ان تتناول من غير ان تنقطع أو ان تتكوم من غير ان تمها ؛ انها تتمدد وترق ، وتساب عسج فرجات قنصها ، وتجمع في الخارج أو لتضغط وتحرر وتخرق فضبان الجهاز وتذهب لتستعيد جميعها الطبيعي بعيداً ، بين اصداقها الحقيقين .

ان هذا القو يرضي التناول الاشتراكي كما كانت اليهوانيات حول الطبيعة الطيبة ، يرضي التناول البورجوازي ؛ وهذا سبب آخر من الأسباب التي تدعونا الى الشك فيه ، ذلك ان التناول والشاوم وجهان لتضليل واحد . فعين يرفع نسبة الموت الاختياري ، قبل ترثي لها اصاب ، ارادة الانتعاش القومية ، من تصلب ؟ ونحن نتخلص ، فهل ينبغي ان نهى ، انفسنا على تصلب حرزة الحياة القومية ؟ لا نقولوا لي ان الطبقة موجودة وأن الأمة ليست إلا تصوراً من تصورات العقل ، لأن هذا هو على وجه التحديد المطلوب اقامة البرهان عليه . ذلك انكم تمتدنون على نائل الطبقة (أي على نائل الشروط) تبرهنوا على عفوئتها ، وعلى عفوئتها لتقيموا الدليل على وحدتها . لكن دعونا من هنا ، ولتقبل بأرت استنكافات ؛ حزين ان تعبر عن لبرؤ جماعي ، ولننظر أين يفرنا هذا .

افتح صحيفة روزنكية تعلق على الأحداث الأخيرة^(١) . ان اصل الاستياء العمالي ، في نظر أحد محرريها وهو السيد جيرمان ، يعود الى عام ١٩١١ ؛ فبين التحرير ونهاية عام ١٩١٥ اتبعت لتجاهير عدة فرص لاستلام السلطة ، لكنها ارجحت على اضاعة فرصتها . وعلى هذا فإن قادة الحزب الشيوعي قد مارسوا العنف على حرزة ملايين المتاضلين وديناميتكيتهم الثورية . ، ترى هل كانت

١ - حقيقه العمال - نشرين الأول ١٩٥٦ .

ويقول سيحقي الطبقة العاملة ؟ بالرة : هذا ما يجيب به السيد جبرمان الذي
 يذكرنا به « شلل اليورجوازية التام » يوم التحرير . وبالاصل لم يكن المطلوب
 اقامة دكتاتورية البروليتاريا . انما كان المطلوب سير غور و القدرة الشعبية على
 التصير ... وخلق وتطوير بقدر سلطة جديدة شكلتها الجماهير بالاصل من ثلثاء
 نفسها (لجان التحرير ، لجان المصانع الخ) . ولم يستطع المكتب السياسي
 للحزب الشيوعي الفرنسي ان يقطف الثمار حين جاءت سماعته لأن ستالين ضحي
 بمعال أوروبا على حساب رغبته في التعاون مع الرأسمالية الأميركية^١ .
 ان هذا التفسير يساري اي تفسير آخر . لكن لتلاحظ على كل حال انه ليس
 فيه من الماركسية شيء . والحق ان الفرونتسكية تعسافي بالرغم عنها من المصير
 المشترك لجميع الماركسات : ان الحزب الحاكم والقمي المذهب باعتبار انه يؤكد
 ويؤمن انه يثبت ان الواقمي هو وحده الممكن ، وان السياسة الوحيدة الممكنة
 البناء هي السياسة التي ينتهجها . اما المعارض فيصرح انه كانت هناك سياسة
 أخرى واحدة على الأقل وانها على وجه التحديد هي الأحسن ، وهذا ما يُكرهه
 ولما عن كل شيء ، على الخفاء موقف مصوبغ بالمثالية ان كثيراً وان قليلاً :
 فهناك إمكانات لا تتحقق ، والصعوبة الواقعية تكلف عن ان تكون قياساً
 الانسان ، باعتبار ان ما هو غير كائن أقرب ال الصحة وأنجع واكثر ثلثاً مع
 المصالح العامة مما هو كائن ، والتحليل الشهي للوقائع يقود الى اللاكينيونة (ما
 لم يحدث) وفي النهاية يردد لتفسير التاريخ باستمرار ال فرض ضائعة ليس لها من
 وجود إلا لأنها مفكروها . وهذا ينطبق على الحالة التي ندرسها هنا كل الانطباع .
 فحين يكتب السيد ديكلور : « الحزب الشيوعي ... يعني انه لم يفرك اي امكانية

١ - تريخ كلاسيكي ، ففي نهاية الحرب الأولى تحت الاقلية في الاتحاد العام لقتل بالانه على
 الاكثية لأنها ضعت مصالح الطبقة العاملة في حساب مصالح الأمة . وكتب غريفيورد : « كانت
 اليورجوازية لتفقد بأنها ملازمة القبول بتضحيات ثمة لصالح البروليتاريا ... لكنها سرعان ما
 تذكنت نفسها والتصرت » (شباط ١٩٤٠) . وكتب مولوسو في نيسان ١٩٤٠ : « امت
 الطبقة العاملة هنا . وتمن ... لكن عموماً انا والمخرج من مبدأ التعاون في الألمانية في
 خطر ... »

تاريخية ثقلت منه ... ولو صار ... في غير الطريق الذي سار فيه ، لأمكن للقاضي ديفول ان يأخذ من ذلك فريضة يسحق ، بمساعدة الأمير كان ، الطبقة العاملة ... ، يسئل على السيد جيرمان أن يسخر منه : فريضة ؟ ما معنى ذلك ؟ ان الطبقات الاجتماعية في نظر الماركسي لا تبني سلوكها على ذرائع ، بل لبعاً لمصالحها وعلاقات القوة التي تسمح بتلويح هذه المصالح . ومع ذلك فإن ديكلو يظل أكثر وفاء لروح الماركسية من جيرمان : فماركس بعيد عن نفي وجود الممكن ، لكنه يقصد به لحظات العمل المستقل كما تتجلى لنا أثناء الإعداد له . وواجب على القادة والمناضلين معاً ان يتمكنوا من القول وهم يلتفتون نحو الماضي : ولقد فعلنا كل ما كان ممكناً (أي لقد امتد علمنا الى أقصى ما سمحت له به الظروف) - ولم يكن من شيء يمكن غير مساهمة (فالتحول التي استبعدناها ثبتت الحدث انها لم تكن عملية) . ان هذا الموقف يتجه الى توحيد الواقع والعمل . فكل ما هو واقعي ممارسة ، وكل ما هو ممارسة واقعي . وهذه هي ، بلا ادنى ريب ، المبادئ التي استلهمها أيضاً فروتسكية . لكن السيد جيرمان ، بصلته معارضاً ، يتطلع الى تثبيت الحقائق التي تنقضي : ٦ - كانت امام الجماهير في فرنسا امكانية مباشرة لاستلام السلطة : وهذه الامكانية كانت أكثر الامكانيات انسجاماً مع مصالحها وأقصر الطرق الى الثورة العالمية ، وبالخصار كانت الامكانية التي تلخص في ذاتها أكبر قدرة من الواقعية والفعالية ، ولهذا فإنها الامكانية التي لم تحدث . ٦ - لو استولت الجماهير على السلطة لما كانت البورجوازية تحركت . إن موقف السيد جيرمان وسط بين موقف المناضل الذي يجعل الوضع الراهن ونسب عليه الفرار الواجب أخذه ، وبين موقف النظري الذي يستخلص دلالة الأحداث الماضية . وصحيح انه يحق للأول ان يقوم بحرد الامكانيات ، لكن تحليل خاضع لضغط اللحظة ، مهتد بضوء الأحداث ، معدل به الصيرورة التاريخية ، مفوم باستمرار من قبيل التجريبية ، وهو أخيراً يختبر صحته في الممارسة نفسها . وبالتقابل يستطیع النظري ان يزعم انه يتلفنا حقيقة

١ - خطاب ثانياً ، ٢٨ ايلول .

موتوفة بشرط الانتصار على صا هو كائن وعدم التطلع الى ما كان يمكن ان يكون^{١١} . ان السيد جيرمان يبني رأيه على واقع ميت . وهو لا يستطيع ان يزعم انه لا ينطق إلا باليقين في الوقت الذي يحاول فيه ان يبين النتائج الممكنة لما لم يكن . اما هدف بحثه الذي لم ينفذ بوجود فعلي ، فإنه سيكون موضوعاً مجرداً للفكرة من الأفكار . وبكلمة واحدة : انه سيكون لأنه مفكر به . وهكذا ينقل السيد جيرمان عن المخطط الماركسي الصرف طسابق رجة مثالية احوالية الذهب لتسند استدلالها في غالب الأحيان الى محض تعميمات جريئة . وبالأسفل ماذا ينبغي ان نفهم من هذه الكلمة المثبتة والممكن ، ؟ كان في امكان الطبقة العامة ان تنصر : ليكن ! لكن بأي شروط ؟ كانت علاقات القوة في صالحها ، وكانت مصالحها تدفع بها الى استلام السلطة لكن زعماءها ضمرها . لتقبل بذلك : لكن هل كان في امكانهم ألا يفعلوا ذلك ؟ ما الذي تمنعهم على ما هم كانوا عليه ؟ أخضعوهم للحزب السياسي ؟ لكنكم تقضون هذا الخسوع منذ سنوات كثيرة . بل ان هذا الارتباط يمسكو هو الذي يميز في رأيكم الحزب الشيوعي الفرنسي . فهل كان في امكانه ان يبدل بينه الأساسية عمام ١٩٤٤ ؟ وما معنى هذا ؟ اعرف انكم فيزون - لا اقول انكم على خطأ - تياراً يسارياً في الحزب وانكم تقولون بذلك النظرية الهازلة عن وجود حزب شيوعي ثوري : لكن كيف كان في مقدور اليسار ان يفرض نفسه قيادة التحرير يوم كان كل شيء ينتظر من الاتحاد السوفياتي ، يوم كانت اليورجوازبة تبدو وكان الأمر أسقط في يدنا ، يوم كان لكثيرون ما يزالون يؤمنون بالزعمة السلبية الاميركية ، اما كان صحيحاً ، كما تقولون ، ان قيادة الحزب ما تزال تنجح الى اليوم ، حتى وهي في ذروة لتفهرها ، في فرض الصمت على قذمرات القساعفة ؟ سياسة الاتحاد السوفياتي اذن ؟ هل ستقولون ان الذنب يقع عليها ؟ ربما : لكن في اي الاوقات كان تغييرها ممكناً ؟ أليست هي انعكاساً لمجتمع محدد ؟

١ - انكم عن النوع الماركسي لا عن النوع اليورجوازي الذي توهم تصوراته التغييرية بين اللازم والدمج اللازم . بين الحرية والحتمية على حد سواء .

ببناء الاقتصادية والسياسية ، بفنائه الاجتماعية وتزعاضه الداخلية ؟ هل ينبغي
 ان يرجع القهري الى فريخ موت لينين ؟ ان البعض يملك ذلك : فالقضية في رأيه
 قد نلت واصبحت يحكم الحاضرة منذ ١٩٢٣ - ١٩٢٤ : قلبي حريف ١٩٢٤ *
 بعد هزيمة البروليتاريا الألمانية ، تكلم ستالين للمرة الأولى عن « الاشتراكية في بلد
 واحد » ، وفي ذلك اليوم بكت اللاتكة . فلماذا عدنا ان الخطيئة الأصلية
 والى مناقشات لا يتر مع آرنو الأكبر^{١١} حول القهري : انت ستالين يصبح آدم
 الآب الصغير للمصر القوي . وهذه النظرية مقبولة : إذ من الممكن ان نقبل بان
 الظروف التاريخية تتوافق احيانا لكن بصورة لغوية للغاية بحيث تسمح بعمل
 الساتي فعال بقر مصير الاتجاه التاريخي . وانا كنت القوي غير متوفرة ، فمن
 الممكن الصبر مشربن عاماً ، بل ربعا نصف قرن ، حتى تعود هذه القوي . وعلى
 هذا ستكون القويوسكية فن انتظار . لكن إلامَ نؤول آتئذ ؟ إمكانية ؟
 ١٩١٤ ؟ كانت القبة قد نلت يومذاك واصبح مستحسباً على الإرادة ان لتدخل .
 وانا امكن لبعض التحسين ان يعتصموا بأنهم سيفقدون الطبقة العاسية الى
 النصر ، فهذا لأنهم رأوا تفاصيل الموقف من غير ان ينظروا اليه في مجموعه .
 وزعم آخرون على العكس - ولعل السيد جيرمان منهم - انه من الممكن ،
 حتى لو كانت القارة فترة ثورة مناعضة ، ممارسة تأثير متواصل على مجرى العالم
 بشرط ان يظل المرء مستعداً للاستفادة من جميع تناقضاته . وعم في موقفهم هذا
 يلقون الدعم من ماركس والتجمل الذين كما يبلان باحتيالية التفاصيل^{١٢} ، ومن
 لينين الذي كان يرفض ان يطبق على دراسة التاريخ القومي البادي ، والمتساهج

١ - معروف ان الأشخ الأكبر القويوسكين على الستالينية هو لومفا بنظرية « الانتراكية في
 بلد واحد » ويظهر حول كغابل هذه النظرية مبدأ « الثورة الدالة » . * * *
 ٢ - لاهوتي فرنسي دافع عن الجائسجين ضد اليسوعيين (١٩١٥ - ١٩١٦) . * * *
 ٣ - اي تعين صادم لكن طرق الواقعة الخاصة . وليس من المهم ان نقول هذه الترساتع
 الخاصة ليا بعد وان يشهد مجرى التاريخ . الذي أخر لو حوله خلسة - الجامعة العام . لكن
 يظل واجباً بأن نقدر الحاضر بالحاضر . وليس لسك الحق في ان نعيدوا الواقعة الى مكانها في التاريخ
 العام عالم الفكر اعزما بكافة من خلال خصوصيتها .

التي كانت تحدده في حل ألقاز المجموعات الكبرى من التاريخ العالمي . وسمح لهم ان يعتقدوا ان دياجير التاريخ الصغير وفأرجحاته متلاشياً امام نظرة التورخ القبول . ولعلنا متمكن ذات يوم من رؤية مكان ودور الأحداث الزاهنة . ولعلنا ستدرك آنذاك انها كانت الوحيدة الممكنة . لكن طالما ان التاريخ لم يكنتمل ، وطالما التنازلي الحاص من خلال منظور خاص ، فإننا لا نستطيع ان نفسر تفاصيل سياسة من السياسات والرجوع دوناً لوسطات إلى الاعتبارات العامة . وإذا كان العالم صيرورة دياكتينكية كل حركة من حركاتها المحلية على صواب في حركة المجموع ، فمستطيع القرويسكيون ان يفهموا سياسة ستالين ، لكن كيف سيفعلون حتى يدبونها ؟ فهي ستكون على أساس هذا العرض في كل زمان وفي كل ظرف ما كان عليها وما كانت تستطيع ان تكونه ، لا أكثر ولا أقل . ولعله سيوجب آنذاك ان نلاحظ ان ورق اللعب جرى توزيعه بصورة تجعل الاشتراكية مستحبة من البداية . او على العكس ، كما يقول ميرلوبونتي : « ان الطريق الذي يبدو لنا متعرجاً قد يظهر بعد ان تدور عجلة الزمان وبعد ان يتكشف التاريخ الشامل على حقيقته انه كان الوحيد الممكن بل أيضاً أقصر طريق يمكنه » . وعلى كل الأحوال يقف الحزب الشيوعي الفرنسي بعيداً عن قلمس الأتهام . ولا وجود ولا يمكن ان يكون هناك وجود لممكنات غير متحققة حتى على صعيد ذلك التاريخ التارجع الذي تسأل فيهِ الأحداث يوماً متأخرة او متقدمة على الموعد . ونظل ألقازها غير قابلة للفك جزئياً ، والذي يمكن فيه لزراع من الزراعات أن يظل ، إذا لم تتوفر له عنة موجبة ، دقيقاً معلوماً مدة طويلة من الزمن كقنبلة لأخر انفجارها ، مها يمكن محق أسبابه . والزراع ، في الحالة المدروسة هنا ، موجود : انه صراع الطبقات . وميزان القوى محدد : ففي عام ١٩٤٤ كانت امسكالية عينية لامتلاك السلطة متاحة للطبقة العامة . فما الناقص إذن ؟ العلة الموجبة : التجاه آخر لسياسة الشيوعية .

كل ما هنالك ان المعارض الماركسي يقف متوزع النفس بين اطروحتين :

فحق يبرهن له « الساتليين » عن أخطائهم أو أكاذيبهم يريد ان يأتي بدليل لا يدهش : لذا فهو يستخدم مناهج واعتبارات التاريخ الديالكتيكي العريض ، وحتى يثبت على العكس انه كانت هناك امكانية لعمل آخر في هذا الطرف أو ذلك بلجاً الى الاستدلالات الاحتمالية المذهب . فحين يرفض السيد ديكيوان « يقدم قريظة » للفتح ، يتسم السيد جيرمان : قريظة ؟ « منذ متى ينتظر الفاشيون ذرائع ليضربوا الحركة العامة ؟ » . وخلاصة القول ان الحزب الشيوعي يبرهن على سذاجته إذ يعتقد انه كان ممكناً ان يقول ان يتصرف على غير الصورة التي تصرف بها ، وان هذا العمل لم يتحقق نظراً لأنه لم تتوفر له المناسبة ! ويجيب السيد جيرمان : « عندما تكون علاقات القوة متعددة ، فمن السهل دوماً إيجاد « قريظة » مناسبة » . انظروا كيف تقوم الشاعة : ان يقول بضالاً حجماً بشكل شبه مليون ويقتد صلاحه الخاصة ، وفي البدء يصبح الفاشي - وما الفاشي إلا الاستخدام التام للسلطات التي يملكها لصالح المصالح التي يخدمها . ثم يدوب في طيبته فإذا بنظراً يعانق البيروقراطية نفسها . لم لا تضرب الحركة العامة ؟ لأنها لا تملك القوة التي تمتلكها من فالك . ان كل قوة قيل ، من تلقاء نفسها ، إلى إظهار أقصى حد من مفعولها الخدأ بتسخير الاعتبار القوى الأخرى التي تمارس فاعليتها على التلطة نفسها : والحديث « حصلة القوى الثابتة » هو دوماً كل ما يمكنه ان يكونه . اما عوامل التاريخ المحلي فقد تبخرت واستبعدت : أصل وطابع الجهاز الحاكم ، البنية الواقعية البيروقراطية عماد ١٩٤٤ ، المصالح الخاصة ، الآراء المسبقة ، المعتقدات ، الأيديولوجيات ، ضرورة السياسة اليومية . ان يقول يعتبر فاشياً عام ١٩٥٣ ، بلن فقد كان فاشياً ايضاً عام ١٩٤٤ . فويل كان في وسع هذا الجنرال ، القليل التأييد بالتأكيد للجمهورية لكن الذي وعد بإعادة توطينها ، ان يترك نفسه في تلك الفترة بتناقضات شخصية ؟ ان هذا شيء لا تأكيد له على مجرى الأشياء . وهل كانت في وسع البيروقراطية ، خداة احتلال بالغ الضرر ، ان ترى ان من الأفضل لها التواني وعدم الجوء إلى العنف مع بقائها دوماً على استعداد لاستخدامه ؟ لا أهمية لهذا .

فطالما ان الطبقة البيروقراطية قد فعلت ما فعلته ، فهذا معناه انها ما كانت تستطيع ان تفعل غير ما فعلت . حسناً .

التي تطبق هذه المبادئ ، على الطبقة العاملة : فبأننا لم يصل الى علمي انها استلمت السلطة، لكن يقال لي - واعتقد ذلك - انه كانت لها مصلحة في استلامها وان علاقات القوة كانت في صالحها : اذن فلا بد انها استفهت من غير ان يعرف أحد بذلك . يقول السيد جيرمان : على الاطلاق ا كان في وسعها ان تستلمها ، لكنهم قادتها الذين منعوها من ذلك . عجباً ! ومن هم هؤلاء القادة ؟ و انهم من بين قادة الحزب الشيوعي الفرنسي اولئك الذين يتسكون با تسمية بالامثالية البيروقراطية ، أي أولئك الذين هم دوماً على استعداد للانجساح بيناً أو يساراً تبعاً لحاجات دبلوماسية الكرملين والذين هم على استعداد للتضحية بمصالح الجماهير الجمهورية لحساب هذه الحاجات¹¹ . - بالأمرار ! لكن ما السبب في انهم هكذا ؟ لقد فهمت لتري ان الفاشي هو التعبير الصرف عن طبقتك وادائها الفعلى . كما انني انهم ان « البيروقراطية » السوفياتية ، عندما قرأ تروتسكي أو « الخليفة » انما تعبر عن مصالح بعض الفئات الأجنبية ، وانها مشروطة بالمجتمع المتبسط عنه بالذات . بل انني أعظم الملاحظة التالية التي وردت في « الثورة المدبورة¹² » : « ان المجتمع السوفياتي الراهن لا يستطيع ان يستغني عن الدولة ولا حتى - الى حد ما - عن البيروقراطية . وليست هي بقايا الماضي البائسة التي تخلق هذا الوضع بل هي ميول الحاضر القوية . . واليك ما يطعنني تماماً بصدده المكتب السياسي : إن شخصية اعضائه او ارادتهم الخاصة ليس لها من اهمية. انما هو الاتحاد السوفياتي ذاته الذي يعطي نفسه بهم ومن خلالها الجهاز الذي هو بحاجة اليه في المرحلة الراهنة¹³ . لكن بيروقراطية الحزب الشيوعي

١ - اقتبست هذا التعريف من مقال السيد فوراتك .

٢ - كتاب مشهور تروتسكي فضع فيه البيروقراطية السوفياتية .

٣ - لا يزعم السيد جيرمان - لتكون عادلين - انه كان ينبغي استلام السلطة ؛ « فلي هذا مغامرة » . انما يقول ان الطبقة العاملة كانت تلك القوة والانسجام اللذين للاستيلاء عليها . لكنه لو كان قائدها ، فيلزم أي شيء كان يبالغها به ان يتكون قد جرحها على هذا الطريق ؟

الفرنسي من اين تأتي ؟ انها لا تستند الى الجماهير طالما انكم تهيمون الكتب السياسي ، بتضحية مصالحتها الجمهورية وبعبارة العنف على طرازها الثورية ، ولا الى بنية مجتمعا طالما انه مجتمع بورجوازي والحزب الشيوعي لا يلعب فيه دور حزب حاكم ، ولا الى ميزان القوى طالما ان الميزان كان في نظركم ، في صالح العمل ؟ اما عن التبعية للاتحاد السوفياتي ، فواحد من امرين : إما ان تبنيوا انها لازمة اليوم لحزب ثوري - وآتئذ يختلفي كل من يمكنه - ولكون قد ربطتم بأيديكم مصير البروليتاريين بصير الجمهوريات السوفياتية - وإما ان تقولوا كما فعل بورديه ، انه من الممكن التخلص من هذه الهيمنة : وفي مثل هذه الحال يتسرع دخول الحزب الشيوعي بأخطاء فردية وبعدم تفهم الموقف وبعبوب في الطباع (امتثالية ، حين ، الخ) . وذلك الذي تتحيزون له¹¹ قد كتب : « ان الثورة لا يمكن ان توجد بمرسوم ، انما يمكن فقط اعطاء قواعدها الداخلية بتسيير آسيباً¹² » ، ومع ذلك لقبول بأنه قد امكن لجم الطبقة العاملة وهي في ذروة اندفاعها بفعل التأثير القوي لنادتها . وخلاصة القول انكم لتكثرون على البورجوازية الاسباب المسببة وتسلمون على البروليتاريا . وذلك لسبب واحد ، ألا وهو ان الائم هو بالضرورة مسبب (Occasionelle) فقد كان يتبرأ أمره بشكل أو آختر مع قدرية العصور القديمة ، لكنه مرغم ، مع ضرورة المحدثين على الاختفاء : والحال انكم بحاجة الى مذنب¹³ .

ومن هذه القسوية الوسطية بين الضرورة والاحتمال ، بين المحتصة واللاتعين ، بين الكينونة ووجوب الكينونة ، ولد تصوركم عن العفوية . و «الفريزة الثورية» التي تقررون على الجماهير ليس لها سوى وظيفة واحدة : ان تشيع في النطق الى ما

١ - يقصد روسكي . - ٢٤٣ .

٢ - الثورة الثالثة - ص ٢١٧ .

٣ - ان السيد مونور يربط الجساش عنده تصبيره الجماع : انه الاستطفا (من تيسل البرودقراطية الروسية بالطبع) الذي خلق في فرنسا وتوجداً من الانسان جميع بين حفلات الرطب الحذر والسياسي الثقبالي الرافغ والحطاب الفرة الشعبي وعرش الجماهير الخوف . وبالطبع ان هذا التدرج يتجسد في القيايدي الشيوعي . ألا ما أتد هذا الكلام ؟

كان يمكن ان يكون . وانتم على استعداد لأن قبلوا حتى بوجود قانون صارم ستر
 جرى الأحداث منذ تشرين الأول ١٩١٧ ، ومن يدري ، ربما منذ الخطيئة
 الاصلية الاولى ، اذا ما سلم لكم الآخرون بأن الغريزة الثورية تظل ، بين هذا
 القدر الكبير من التقلبات ، ثابتة لا تتزعزع . ان من الواجب ان تظل في احمق
 القلوب ، شعوراً ابدياً تلمي الظروف من حوله حجاباً ، لكنها لا تستطيع لا ان
 تهدمه ولا ان تخلقه ، ذلك لأن هذه الغريزة هي الواقع العميق للبروليتاري ،
 والحكم الذي تصدره الاحتمالية على نفسها ، واختصار مطلب لا يرحم بتفرجم
 موضوعياً في ضغط ممارس على الحزب والقادة وليس له من موضوع غير الثورة
 الدالفة . وانتم في الوقت الذي توجدون فيه البروليتاريا بغريزة ثورية ، تتفكرون
 فيها عدوى معارضةكم . وبالفعل اعتبرتم العمل السياسي للحزب الشيوعي غير
 عادل وغير مناسب ، وزعمتم انه كان من الممكن والواجب انتهاز عمل آخر .
 لكنكم لم تكتشفوا ، وانتم تنظرون من حولكم ، إلا علاقات قوة ومصالح
 وأعمال ، أي ، باختصار كينونات ووقائع . ولم تكتشفوا قط وجوب كهنونة .
 والقابلات الواجب لشداها ، أولاً ، من الذي يطرحها ؟ انكم غير مؤهلين ،
 بصفتمكم القومية ، لتوم الحزب الشيوعي على تخليه عن الأهداف الثورية ، إنما
 يلقي إيدانته باسم الجماهير . لكن مما الذي يثبت أنكم تتكفون باسمها ، أنتم
 الذين لا تجدون طريقاً إليها ؟ وهذا على وجه التحديد لأنكم تقتصرون على حل
 ألقاز مسائل غريزتها الثورية وان كنتم لا تريدون ان تحققوا لها معادتها بالرغم
 عنها . ولم كانت هذه الغريزة موجودة ، لكانت المطلب الذي يحدد أهداف
 ووسيلة الوصول إلى الجماهير : وهي بالفعل لا تتكشف كطلب إلا اذا تجلت
 كمارسة . فلجماهير قدرة عفوية على الخلق والتنظيم تبيجتها الامراع يجيء
 البروليتاريا : وهكذا أوجدت من قلعاء نفسها عام ١٩١٤ جان التحرير ولجان
 المنصع : وكانت هذه الخطوات الأولى لتحدد الطريق ، ولم يكن على الحزب
 الشيوعي إلا ان يتابع الحركة . وطالما ان هذه الخطوات العفوية كانت تشير الى
 الاتجاه الواجب السير فيه ، فأنتم تستطيعون ان تدبوا القادة الذين لم يسعروا

قيه^١ . فالقرينة الشعبية تظهر ما كان يتوجب فعله ، وما كان سيفعل لو توفر قادة آخرون . إن القرينة تؤكد المكتنات : فالجماعير بتصلبها ونضاليتها وحيدة مطالبتها هي التي تخلق امكانية استلام السلطة ، والاستعانة إنفا قائل من القادة . لكن ليس للقادة من أهمية ، إذ يبدو أنه يمكن تغييرهم على الفور . أما الجماعير فهي كل شيء ، فحاولوا إذن أن تغيروها ! إن عنويتها لها صرامة الديبالكتيك التي لا تلين لها فتاة ، طالما ان الانتاج هو الذي ينتج المنتج . وهي في الوقت نفسه حرة طالما انها تعبر عن المعايير المتحركة للبروليتاريا . انها نقل للقرنة الثانية في التاريخ - في وجه الخطيئة الأصلية التي أورثنا إياها جميعاً - الطبيعة المدعومة بالنمعة . ويلبني ان تفروا أيها الثرولسكيون بأن هذه النعمة تنفدكم . فبدونها أراكم واقعين في الأرتباك : ماذا يحدث لو كانت دينا ميكية و الجماعير حنوطه ب عوامل خارجية ؟ افترضوا أنها تتمثل تبعاً لحالة القوى ودرجة إنفاك المكافحين وذكري النضالات القديمة والمهاجج المتوقعة وسياسة القادة^{١١} . افترضوا أن عمل الجماعير العفوي لا يبدو ان يكون أكثر من عاقبة من عواقب الماضي بدلاً من أن يستهدف المستقبل . افترضوا ان مطالبها عشة سريعة الحلطم بدلاً من أن تكون قياس قوتها . افترضوا ان هذه المطالب تتعلق بتعبها وبأمل كاذب : السلام عندئذ على النشؤ الجماعي المتواضع ، السلام على العنوية . وسوف يظل في وسعكم أن تعارضوا ستالين باركس ، لكن لن تستطيعوا استدعاء البروليتاريا الى الحكمة للشهد ضد قادتها : سياسة القادة ومزاج الجمهور فأبعسان كلامها ، في هذه الفرضية ، لظروف خارجية . وأغير أمفان كلاً منها يؤثر على الآخر ويعدله ويتلازم معه ، وفي النهاية يتحقق التوازن والتطابق المتبادل وتطير المكتنات : فعل شبه القادة يكون الجمهور ، وعلى شبه الجمهور يكون القادة . مصير البروليتاريا ؛ لعل المنتج الماركسي سيسمح لكم بالتكهن به ، لكن لا يصنع :

١ - بره الحزب الشيوعي بصواب كبير ان الجماعير كانت تتجاهلها تيارات قومية قوية اغلبها ووجهها أنطورية ، ويقول زعيم القائمة « - والله كان من الواجب في البداية القيام بعملية واسعة لإبطال سحر الخليل .

مستكونون عرفين . وعلى كل الأحوال تكون قد سقطت عنكم كل أهمية :
 ستقولون : « لكن هذا التصور ليس ديككتيكياً » . لماذا ؟ انه على كل حال
 تصور الجواز : « التاريخ يتم بصورة تكون منها النتيجة النهائية منوطاً بالزواج
 بين العديد من الازدادات الفردية التي تتحدد كل منها بكمية معينة من الشروط
 الخاصة : إذن فهناك قوى عديدة تتصالي « ومجموعة لامتناهية من متوازيات
 الأنسلاخ » والحصلة « أي الواقعة التاريخية » يتكون أن تعتبر نتاج قوة تعمل « في
 مجموعها » بلا وعي ولا إرادة . ومسا يريدك كل فرد يُقاوم من قبل الآخرين «
 فتكون النتيجة شيئاً لم يرده أحد » . ومن خلال هذا المنظور تبدو لنا « القوة
 اللاواعية واللاإرادية » وهما مناسباً « اما العفوية فما من أثر لها » .

انظروا : انكم تتوجهون اليوم الى الحزب الشيوعي وتلقونه أمر اقتراح
 وحدة العمل على القادة الاشتراكيين . ان هذه النصيحة السياسية هي - في الوقت
 الراهن - معطولة تماماً ولاغية تماماً . معقولة : لأنه من المؤكد انها لو لبست
 لتغيرت فرنسا وأوروبا ولتباعدت الحرب . ولاغية : لأنكم تعرفون ان الحزب
 الشيوعي ان يقوم بهذه الخطوة (خطاب لوكور يشهد على الانتصار المؤقت الذي
 يريدون أن يبقوه معزولاً) ، وحتى لو ارادها لرفض الاشتراكيون رفضاً قاطعاً .
 تقولون : لكن فشل هذه المحاولة سيفتح عبون مناقضي الحزب الاشتراكي : وانتم
 بهذا تدلون على سوء معرفتكم بهم وعلى سوء تفكيركم للعقد الذي يكونه الحزب
 الشيوعي : انهم لن يتركوا حزبهم ، وسوف ينتهون القادة على إيجابتهم المناورة .
 ولو وضعت نصب آمينكم ما يتكهن ان يحدث حقاً « ليست لكم نصيحتكم أمنية
 ورعة لا أهمية لها وبلا اساس من الصحة . لكنكم للعون على العكس : ان هذه
 « الجبهة المشتركة ... ليست لا طويالية ولا مشهورة » . لماذا ؟ « لأن هناك ملايين
 العمال والموظفين والصناع وسفارة التجار وصغار الفلاحين ممن يريدون ان يتبدل
 وضع الأشياء هذا^(١) » . وبكلمة واحدة نقول ان الهائسة العقلية البروليتارية

١ - هذا صحيح : هم يريدون هذا التبع لكنكم تسيثون لتدبر الاضرار في الحظنا روعة
 عدم الشيوعية في صفوفهم .

نجد ضمانتها الموضوعية في ارادة الجماهير . ان كل فكرة حقيقية يجب ان تكون
 « في نظر لماركسي » عملية طالما ان الحقيقة عمل . والفكرة التروتسكية تستظل
 تجر بدأ صرفاً لا تلب فيه حياة ، واحتمالاً لا متوقفاً مثالياً – لأنها لا تنتج مفعولاً
 من تلقاء نفسها . لأنها تشير الى طريق تعرف هي انه لن يُنتج – اذالم تتكفل
 الجماهير ، بسماها ومطالبها ، بإعطاء هذه القامح الذاتية الحاصلة بداية تحقيق .
 وليس ذلك لأن الفكرة ، تؤثر عليها : إذ ان هناك تسجيلاً مسبقاً . ان التروتسكي
 يقرر ان خطابه هو التعبير القمطي عن العقيدة الجماعية . انه يلف في جبة «
 والبروليتاريا في الجهة الخلفية : انها لا يتبادلان الكلام مطلقاً ، لكن بين نظام
 الأول الفكري والاندفاع الذي يمر الثانية الى تجاوز شرطها البأس » يقوم
 اقتناع عميق وحملي بصورة القرافية من وراء ظهر المسائل الشيوعي الذي
 يكفي « هو : بغضابة العمال حقاً ويتوجيه حركتهم فعلياً . إن غيان الجماهير
 الحيوي وغير القابل للرقابة هو ضمانته تخصيص عاجز « او ان التروتسكية اذا
 شئتاً لشيد منعب ممارضة عقلياً مجرداً على منعب فرائمي غير عقلاني . واضح
 بالطبع ان الصبوات العقودية للجماهير الكادحة لا تجتد هنا إلا لتنتهك . وبذلك
 تعود الى المخطط الذي سبق ان وصفناه : ان صفة العقودية تطلق على الترم السري
 الذي توجه فئة ما الى الفسادة الذين اختارهم لنفسها ، وعلى التواطؤ الصامت
 لمجتمع مندمج مع الممارضين الذين تقام .

تعد الى « حزيران : هل هي العقودية المعالية التي ثارت من الحزب الشيوعي؟
 اشك في ذلك غاية الشك . فلا ماركس ولا لينين أولاً آمننا بدوام « العزيمة
 الثورية » لدى الجماهير . اما تروتسكي¹¹ فهو يلع على العكس على « زهتها
 المحافظة العميقة » التي تسدوله عاملاً من « عوامل الاستقرار الاجتماعي » .
 و « لتحرير المستأجرين من ضيق الفكر المحافظ وجبر الجماهير الى التمرد » لا بد من
 توفير ظروف استثنائية . وفي هذه الحال تكون عاطفة الجماهير سلبية صرفاً :

١ - الذي ضرب ليم على كل حال مثلاً والذي اعاد بناء الثورة الروسية نظرياً بطور حركة
 الجماهير العقودية كدامل اساس في التاريخ . لكن الصورة يظل الغنى واحد بالاطمان مناصرون .

فالقيادة لديهم خلط و برامح ، لكن الجماهير تشعر فقط بأنها « ما عادت تطبق
 نير النظام القديم » . والساعدا عندما يجرها الحدث فقط تقوم بتجربتها الثورية
 « مهتدية بنهج التقريبات المتتابعة » ، ومتجهة نحو اليسار أكثر فأكثر دوماً .
 وعندما يتحطم اندفاعها على صخرة « طبقات موضوعية » يبدأ الجزر الذي
 يقضي الى الرجعية : « إن الهزائم الكبيرة مشبعة للهمم لمدة طويلة من الزمن .
 وتقلد العناصر سلطتها على الجمهور . وتعاود الصعود الى سطح وعي هذا الجمهور
 آراء مسبقة وخرافات لم تخر تصفيتها جذرياً . وأثناء ذلك يفرق القادمون الجدد
 من الأرياف ، وهم كتلة جامعة ، الصفوف العمالية » . وبكلمة واحدة : ان الجماهير
 تكون ثورية حين تكون شروط الثورة متوفرة . ومن الواجب تدقيق اندفاعها
 وطاقتها على اساس شروط الموقف الميئية ، بدلاً من تقويم هذه الامكانيات على
 اساس قوة « الديناميكية » الثورية . وإذا كانت « خرجتها » المزعومة ، بوجه
 خاص ، هي من نتائج الظروف ، فإن حثها ليس دليلاً على ان طاعتها واجبة .
 وروتسكي هو الذي يكتب أيضاً : « ان الجماهير تتدخل في الأحداث لا تبعاً
 لتطلعات المذهبيين بل وفقاً لقوانين تطورها السياسي الذاتي . لقد كانت القيادة
 البولشوية ... تدرك بوضوح انه يتوجب عليها ان تعطي القوى الاحتياطية
 الضخمة الوقت اللازم لاستخلاص نتائجها من المعامرة ... لكن الفئات المتقدمة
 كانت تزحف نحو الشارع ... والحال ان التجربة كان يمكن ان تتحول ، بفضل
 النظر عن ارادة الجماهير ، الى معركة حاسمة » وبالتالي الى هزيمة حاسمة . وأمام
 هذا الموقف كان الحزب يفضل أن يبقى خارج المعركة ... ولقد كان « يقيناً »
 على حزب الجماهير هذا ان يقبع الجماهير الى الأرض التي وقفت عليها حتى يبذل
 لها المساعدة ، لكن من غير أن يشاطرها في ابي حال من الأحوال الوعاهيا .
 وروتسكي نفسه يتطالب للحزب بحسب تقليب « الديناميكية » الشعبية على ضوء
 الموقف العام ، وهو لا يتردد ، في بعض الحالات ، في اطلاق اسم « اوهام » على
 دوافع هذا الهيجان والانتقالات المبالغت - والسيد جيومان ، التروتسكي ، يلوم
 الحزب الشيوعي على عدم ثقته بفرجة الشعب . انه سيقول : هذا لأن الموقف

كان مختلفاً . هذا صحيح ؛ لكن إذا رفضنا الأيمان بمصومية الجماهير ، فما ينبغي ؟ تصور " مذهبيان - تصور الحزب الشيوعي الإيطالي وتصور الحزب الشيوعي الفرنسي - وطريقتان في التفكير وتقسيم ان « عليان » الموقف .

ولنفترض ان ثيريو ، حزيان « هذا الذي يتخذون منه غارة وثيقة وطوراً شهادة » لتفترض انه موجود وانّه يخفي وراء تعب العمال ومهتهم الشبطة . فهل يكون قد تقدمنا ؟ وما الذي جرى الثيريو منه ؟ أمباعدة ٢٨ ايار التعينة ؟ أساسية الحزب الشيوعي الفرنسي منذ عام ١٩٤٨ ؟ منذ ١٩٤٤ ؟ منذ مؤتمر تور ؟ ام البيروقراطية ؟ التعينة لوسكو ؟ السياسة السوفياتية ؟ ولم لا نقول الماركسية بالذات ؟ من الذي سيقرر ذلك ؟ تقولون ان هذا كله وارد : فحين يكون القوم منصباً بصراحة على جانب لفصيلي ليس إلا ، يكون التسلسل صارماً يشكل بطرح معه كل شيء على بساط البحث . لكن هذا غير صحيح : فحين امام مسألة تتعلق بالتاريخ المحلي واليومي ، الفقيه « الاحثالي جزئياً ، والصلة بين الحدود ليست وثيقة اني درجة يستحيل معها تنويع بعضها ضمن نطاق معين من دون ان يطرأ بالضرورة تعديل على سائر الحدود . لقد كنت اقرأ « بالأمس القريب » ان البروليتاري ضاق ذرعاً بتدخل الحكام السوفيت في شؤونه الداخلية . وكان المقال يقول : ليس ذلك لأنه يعين مباشرة هذا التدخل : فهو في الواقع لا يشعر به ولا يابه له « لكنه ما عساه يطبق « بيروقراطية » الحزب الشيوعي التي هي النتيجة الواضحة لهذا التدخل الذي يستهجنه البروليتاري . لكني لبنت متشككاً : فعن أقتنع « كان ينبغي ان يثبت لي أولاً انه لا يمكن مكافحة هذه البيروقراطية إلا ان قطعتم الصلة أولاً بالاتحاد السوفياتي ، وان يثبت لي قائماً « والمقابل « ان الحزب الثوري غير التابع للاتحاد السوفياتي غير مهده اليوم بأن تجرد ظروف التصال الى مهالك البيروقراطية . ونظراً الى عدم توفّر هذه الايضاحات « لست ادري كيف أخذت مدى هذا القوم المقترض . اني مدرك ان الحزب الشيوعي يعترف بأنه اعترف غلطة ومدرك أيضاً انه يحصرها في اللحظات التي سبقت الاضراب مباشرة :

هذا لأنه يريد ان يخرج منها بأفضل خسارة ممكنة . كما اني ارى بورجوازيين ملتفتين بأن الجماهير قد ادانت ماركس : هذا لأنهم معادون للماركسية .

اذن فأنا اجعل دافع الادانة . لكنني « ركازو ان هذا لا يكفي » ، « ما هذا لا اعرف أيضاً القاضي الذي اصدرها . ذلك اني التقيت نوعين من القوم : القوم الذي توجبه طبقة ثورية باسم الثورة الى القادة الذين يريدون ان يوقفوها ، والقوم الذي توجبه طبقة متهمزة « عطمة » خائفة ، باسم الديدولوجية الطبقة المنتصرة » ، الى الثوريين الذين يريدون ان يحرروها في مقاسرات جديدة . في الحالة الأولى ، انما هي ذات التاريخ التي تدعى خائفاً والادانة لتسجل في التاريخ الذي تصنعه . وفي الحالة الثانية ، انما هي طبقة لشمر بأنها تمود لا كانت كتلة ، وبأنها ترجع ، مع اغلاها القديمة ، الى « آرائها المسبقة » والى « خرافاتها » التي لم يجر تصقيتها جندياً » ، وتستخدم هذه الآراء والخرافات لتدين مجدها الذاتي . فأمام أي من القاضيين الخف ؟ الثوروسكيون يؤكدون انه الثوري :

« لقد جرت التضحية ... بالطبقة العاملة الفرنسية ... وبالرغم من جميع التبريرات تقفز هذه الغلظة المجرمة الى عيون الجميع . وفي المناسبة القليلة لمن يكررها أي عامل » .

كيف اصدمهم ؟ اللهم إلا اذا حضرت ثقتي عفوية العامل غير القابلة للتمسح . ثم انني ، بكلمة واحدة ، اجدر ردود افعال هذا الثوري هزينة بمحض الشيء : فلقد جرت تضحية طبقتي ، وهو يعرف ذلك ، ومع هذا كان ثأره الوحيد انه قاطع اضراراً جاء في غير حينه ؟ إن نظر الانسان لا بد ان يكون حديداً دائماً حتى يرى ديماميكيتته ، ولا بد ان يكون القوي ايضاً حتى يكتشف ضعفاً ماركسيته الجماهير في أحداث ، حزينان .

اما في نظر الصحف المحترمة ، فلم يعد ، على العكس ، ثمة وجود للثوريين . بل أهم وجدوا فقط ؟ ان التاريخ لم يعمل شيئاً سوى انه قام بالقرص الذي كانت يقرض نفسه : فوضع النصوص الى يساره والناس الصالحين الى يمينه . واستدكاف العامل انما ينبغي نسبة الى حكمته ، اي الى قدرة الميسادي ، الصالحة على التقلقل

والافتتاح : لقد شجع من أعمال العنف اللاهيدية تلك ، وهو لا يطلب إلا ان يعمل في سلام ، ولا يرى الحياة سهلة جداً بالأصل حتى يبذر المال في حماقات . وزبدة الكلام انها البيورجوازية التي لتبرأ ، من خلاله ، من الحزب . واترك ليكم ان تحكوا بأنفسكم إن كان ارباب العمل راضين مسرورين : فصدىهم العامل الطيب قد شقي أخيراً ، وكل شيء يدل على انه قد تم نهائياً توقيف العمل للنكر الذي كان يترق مجتمعاتنا الحديثة . الطبقات ؟ لم تكن إلا كلباً : لو منح لقب البيورجوازي ، كما يقضي المنطق ، إلى كل فرد يشكل جزءاً من مجتمع بيورجوازي ، لما عاد هناك غير بيورجوازيين في القرب ، بعضهم بانس والبعض الآخر غير سناء كثيراً .

لو كان هذا صحيحاً ، لأمكننا التكهون بأن الحزب الشيوعي الفرنسي ستأخذ دةشة عميقة من لامبالاة الجماهير . لكن حيشيات تهرؤها ستفركه في مثل هذه الحال بارداً .

ان عدو الشيوعية ينظرني عند التعطف : « إننا فالجماهير لا تستطيع أن تحك على الجواز ؟ » . وأنا أجيب بأنه يحدث لها ، عندما تكون نائرة ، ان تدفع بقادتها أمامها⁽¹⁾ . لعضته يعاود السؤال : « لكنها في غير تلك الاحيان لا تستطيع ان تحك عليه ؟ » . آه يا سقراط ، اني عدرك ابن تجرني . على رسلك ، اني أقر : انها تحك على قادتها حين يبيعونها لكن ليس عندما لا يبيعهم . ويتنصر سقراط : « انت مدين البيورجوازية بحرية الكتابة » وتستخدمها مع ذلك لتمنع عن الشعب حرية التفكير . وهكذا يكون الحكم قد صدر : ازدراء الشعب ، مزاج سفسطائي ، تعلق غير بأشكال الحكم الاوتوقراطية . وعلاوة على ذلك

١ - تذكرنا على سبيل المثال احزاب ايار ١٩٤٥ في شركة رينو : لقد شق العمال ضد السواريين عن نقابة الضامن التابعة للاتحاد العام للشغل لأهيم . وقرأ في ربه اسميل الطال . وسرعان ما فهم الحزب الشيوعي القروس .

اعطى الحزب الشيوعي ، من قبيل الشطط في المهانة والذمالة ، أكثر بكثير مما طلب على مر الزمن : انه يزعم انه يتهدى برأي الجماهير ، ولا يبالي بتبرير الميمنة المطلقة التي فرضها عليها : بل يفتخرها .

حين أستمع ، ألقى من قبيل الشطط في المازوخية ان يكون ذلك لأسباب معقولة . ان سوف نقول ماذا احد اسباب عدو الشيوعية رديئة .

انا أولاً لا اهتم بما يمكن ان يكون مرجحاً ولا بالعلاقات المثلى التي يقيمها الحزب - في - ذاته مع البروليتاريا الخالدة . انني أسعى إلى فهم ما يجري في فرنسا ، اليوم على مرأى منا . لقد اراد أصدقاء طيبون أن يلقنوا اندياهي إلى وجود نقابات الكتو - ساكسونية وسكندنافية : وفي زعمهم ان هذه الأجهزة هي « من أكثر من زاوية » أكثر تلامحاً من اتحادات العمال للشغل مع الأشكال المتقدمة للرأسمالية (1) .

جانتر : لكن ماذا يثبت هذا؟ أوجب الأسف على اننا لم نخلق سويديين؟ التي

١ - هل كل منا الذي هذه الامثلة الموزونة ؟ هل ثبت ان الزعمار البندان « التقدمية » لا يقوم على بؤس الآخرين ؟ وهل هذه الجملات صورة مسا تزول إليه ، ام هي استغناء من اللامسواة الرابعة ؟ يزعمون أن للشموني بدمه بالعرضية الأولى لكنكم لا تبرهنون عليها ، وعلى كل حق لم كانت صحيحة فليس لثمة ما يدعو ال انتمواصكم : فلو وعت التسلطات الاميركية واجباتها السياسية ، خلقت انتم تضع العرقيل في وجه مسبات الحرب بدلاً من ان ترسل إلى الفرنسيين الجوايس وعثماني الدعاية . وانما ما حدث وعلق التاريخ ذات يوم على الحكومة الاميركية لقب « مجرم حرب » الذي نكتفي حتى الآن بإطلاقه على الآخرين ، فإني اشئى أن يعتبر العمال الاميركيون ، الضلمون من قبل نقابهم « التقدمية » ، متواطئين معها عن غير ارادة منهم كما كانت البروليتاريا الاثالية - المهددة او السحققة - متواطئة مع الامبراطور هشام ١٩١٤ - ومع النازيين عام ١٩٣٩ .

من هل استطيع ان الأكرم - فالتعليب يجب ان يعاقب بتعليب مسائل - بأن البشرية عليه استى في حالة سوء نظمية ؟ وانما كان ضرورياً - من قبيل الصدفة - ان يطفى عامل اقتدار او روبا فالمر القم حتى يستطيع الصناعات الاميركية ان يحافظ على مستوى أجورهم المرتفعة فإن حقيقة وضما الراهن ان تكون مصانع فورد اير كلير يسيل الجروح التي يحتاج العالم . وفي هذه الحال ليست حقيقة الممارسة للعب الاصلاحى العقل لعمال حسنى التقليدية لكن « مبدلين » . بسبب العمل المنهك ويعمل دعاية لا لكل ولا تي : بل ستكون النشاط الثوري .

أرجع إلى بلدي الذي لم يشتهر بأنه من بين أكثر الديمقراطيات البورجوازية
« لقدماً » . وأجد ان ارباب العمل الفرنسيين قد أصبحوا أضحوكة العالم : لو
طبقتنا مثلهم حتى النهاية ، لرأينا أن لدينا الصراع الطبقي الذي نستأمله .

اذن فالشروط المفروضة على العامل في فرنسا ، اليوم طالما ان الفلقة واجبة ،
تخطر عليه استخدام الحقوق الشكلية المسلم له بها . وانتم تعلمون ذلك ، انتم الذين
عملوا على ألا يكون في مقدوره استخدامها في إطار مؤسساتنا : فلم يثور غيظكم
حين يتخلل عن هذه الأسرية ليناضل ؟ وانتم الذين تناهون بالويل والثبور حين
يُروى لكم ان أحد الانتخابات النيابية قد تم برفع الأصابع ، قد زورت القانون
لتحكموا بالصمت على تلك الهيئة الناخبة . تهتمون الحزب الشيوعي بأنه يدافع
ويهاجم بالنسب الحريات الديمقراطية حسب مصلحته الآنية ، لكن هل
تعملون انتم شيئاً آخر ؟ حين يكون القصد انتقاء الشيوعيين لطالبون العامل
بالحريات كاملة ، اما حين يستهدف انتقادكم فتجربونه منها .

ليس هذا لب المشكلة : فلو أمعنا النظر في المسألة لرأينا ان حريتنا قد
جرت تصورها من قبل بورجوازيين ولبورجوازيين ، وان العامل لا يمكنه ان
يشتمع بها إلا إذا أصبح بورجوازية بدوره . ان هذه الحريات لا معنى لها إلا في
نظام يقوم على الملكية الفردية ، ولا نعدو أن تكون أكثر من احتياطات
يتخذها مالك الثروات ضد تعسف الجماعة . إذن فهي تفترض ان الجماعة موجودة
سلفاً . والواقع ان البورجوازية فلينا منذ متى عمام برويلستة⁽¹⁾ اسمها
« المذهب الذي الاجتهادي » . لكن ماذا إذا تفضل الطبقات الفقيرة :
فالبورجوازية تشكل في حد ذاتها جماعة قوية الاندماج تستغل تلك الطبقات .
يقال أننا نولد أحراراً ومتوحدين ؟ واننا نكون المجتمع بارتيباطنا تعاقداً ؟
واننا نهب حريتنا كي نغسل إلينا منة ضعف من غير ان تتخلل كل التخلل عمن
وحيدتنا البدائية ؟ فلنتظر ان أنفسنا بالأحرى : ألمنحن متوحدين ؟ من نلتهم

١ - نسبة الى رولان كوروز ، توضح الفرد البورجوازي الذي هو أشبه ببقعة تصور في
مدارها من غير ارتباط بالذات الأخرى . « هم »

الى الوحدة إن لم يكن ذلك أثناء وجودنا بصحبة الغير ؟ أحرار ؟ أجمل :
 أحرار في ان نارس بعض النشاطات العيية للغاية التي لستمد منها ، بصورة
 عامة ، من قدرتنا الاقتصادية او من وظائفنا الاجتماعية . حرّ هو الصناعي
 الذي يستطيع أن يصرّح صراحةً بغير رعب جهازه ، حرّ هو الجفّال الذي يستطيع
 ان يقرر شن هجوم محي . وحرّ هو الحاكم الذي يستطيع ان يختار الرأفة أو
 القسوة . ارت الحرية البورجوازية الحقيقية ، الحرية الإيجابية ، هي قدرة
 الإنسان على الانسان . والجمع بيت في أمرها قبل ولافتنا : إنه يحدد مسبقاً
 طاقاتها والزاماتها ، وباختصار يحدد مكانها ووضعها . وبذلك يربطها بالآخرين :
 فأنفده حرّكتها وأبسط سمات طبيعتها في الواقع أفعال تركيبية تخلف في
 ظروف خاصة وسحدة الطبقة البورجوازية . وكل مسلك من مسالكنا يظهر
 انتمنا الى هذه العصبية او تلك من الفصائل العائلية أو المهنية ، وبإسم في
 اندماجنا فيها أكثر فأكثر^{١١} .

الإمّ تؤمّي بعد هذا تلك الحقوق السالبة للعبية التي تزعم الديموقراطية
 البورجوازية انها تحميها بأكبر رعاية ؟ إذا كانت لا تقينا تقريباً ، فهي لا تهدد
 بأن تقفوا . إنها مثل فقط كفاءة قدراتنا العينية . فهي تقع بين كل واحد منا
 وبين الجماعة مسافة طفيفة ، ولتحول بيننا وبين ان نثور اشتقاقاً . لكن واضح
 ان الواقع البورجوازي يسقط خارجاً عنها . فصناعيتنا لا يفكر بأن يحدد نفسه
 بالحقوق التي يتفاسها مع الجميع ، إننا يريد ان يحدد نفسه بالقوة التي لا يمارسها

١ - فنقول ان هذا الصناعي سيبد . لكن ما الاستبداد ؟ أمومة من حسان الطابع ؟
 كلا ، أو ليس مياصرة على الأقل . انه أولاً حق عيني : فالصناعي يملك مفعلاً ، ويشغل مشة
 عامل . ويستطيع وأن يحدد العمل ان يطلب منهم بعض المسالك . وممارسة هذا الحق عمل ، انه
 بأمر ، و يسيّر ، المنع . والعمل التكرور يصبح كفاية : « انه الرجل الذي نتجاهه ، فبقصدته
 حديدية » . وأخيراً يتحدد هذا كله في قسم نفسه نفسه : « ماكون رأياً » . ومسلماً كله
 أيضاً يعني ان يبين خطابه الحساس وان يوجد الفعل علاقة الأعمال والعمل المجردة ، أي
 استقلال الإنسان من قبل الإنسان . ان استبداده لا يقع في قسم من قصور دماغه . إننا هو في
 الخارج ، في الأشياء . وكل ما هناك انه يكتبني باستبداده .

أحد غيره . الـ Habeas Corpus ؟ انه لا يباي به تقريباً : فما من أحد يمسك باعتقاله ، وحرته الحقيقية نظر البحر : انها الآلة التي اشترها من الولايات المتحدة الأمريكية . السيامية ؟ انه يستطيع أن يسلي نفسه بالتصويت للرايكناليين ، ثم يجرم الى « الحركة الجمهورية الشعبية » ، ثم يرجع إليهم : إنه لن يشوه مائة شخصه . وشخصه إذا هو مصنعه « أسون » مشاريعه . إن الرباط السياسي في مجتمعاتنا - في الأيام العادية - أوهى الروابط وأكثرها هشاشاً : فهو ينقطع عند أبسط هزة . وليس ما يدعش إذا انتقدت الأحزاب بحرية : فالانتقاد تراجع ، وقوف خارج الجماعة او النظام ، والنظر إليها كاشياء . والحال إننا حتى لو كنا أعضاء في تشكيلة سياسية فإننا لا نحس في داخلها أبداً . لكن رب عملك ، مديرك ، رئيس مكتبك ، هل انتقلوه فقط مواجهة وجهاراً ؟ ولا غرو فأنت تشكلون جزءاً من التسرع ، ومتدهون به : إذا طردتم منه ، فقدتم وسائل عيشكم وسلطانكم وهدف حياتكم في آن واحد . ولا بأس إن عبر الإنسان عن رأيه في السياسة بحرية لأنها تبدو وكأنها ترجع الى نشاط شكلي خالص . والحكومة السبعالية تشبه « مطعماً » مبدأ الهوية : انها تسمح لكل فرد بان يكون ما هو كائن ، وبأن يملك ما هو مالكه . لسن عندما تكون المسألة مسألة شغل ، مسألة ممارسة ، واغتصاص مسألة نشاط وركيبي لفارسه جماعة متدهجة ، فالسلام على حرية التفكير . والحال ان السياسة البورجوازية هي أيضاً عمل وركيبي ، عمل طبقي . وفي أوقات الازمة ، حين تكون البورجوازية مهددة من قبل الشعب ، تسرف هذه السياسة عن وجهها الحقيقي : قد « زلات » النواب لم يكن لها من هدف غير تلبية الجمهور وانقساماتهم المزعومة إننا كانت تخفي وراءها حزبا أوحد « حزبا طبقياً » لا يقل استبداداً وصرامة عن الحزب الشيوعي ، أجهزة هي البوليس والأدارة والجيش ، ووظيفته سحق مقاومة الفراء . وفي مثل هذه الحالات لا يفر البورجوازي فرار حتى يلقى الى البالوعة بحرية لتفكيره . إذ ما حاجته إليها ؟ انها ساعة ليلان الانقسامات ، ومصيره الهلاك إذا لم يقصفر كسائر الناس .

الانتقاد ؟ انه ليس منحوناً الى هذا الحد : فالقد يد يد بثبات وحسنة
الصف ، وبإسراع عمل الحكومي . وهكذا يتخل عن حقوقه لفريق من
للتطبيق يضمنون له بالمقابل سلطاته الحقيقية وأملاكه .

لكن السياسة لا يمكن ان تكون ، بالنسبة الى العامل ، نشاطاً مغزياً : انها
دفاعه الوحيد والوسيلة الوحيدة التي يملكها للاندماج بمجتمع ما ، إن البورجوازي
متدمج أولاً ، وعزلة ليست إلا نوعاً من الظرافة والدلال . اما العامل فوحيد
أولاً ، والسياسة هي حاجته . الأول إنسان يدعم حزباً ليبارس حقه كموطن ،
والثاني ، إنسان دون ، يدخل الى حزب ليصبح إنساناً . الأول يرى بالتمتع واقع
السياسة ، أي صراع الطبقات ، والثاني يتفعل أولاً بصراع الطبقات ، ويعتاني
منه كموضوع له ، ويخامره الشعور أحياناً بأن في مقدوره ان يارس العمل بدوره ،
بالنسبة الى البورجوازي ، كل شيء موجود خارج السياسة . اما بالنسبة الى
العامل ، فلا وجود لشيء خارجها ، لا شيء سوى تلك ، الكتابة العالمة ، التي
يقول ناقيل ان العمل هو السبيل الوحيد للخروج منها . الكتابة ، أي الوحدة .
لكن لا نستنج ان هذه الوحدة طبيعية : وحتى يقتننا البورجوازيون بذلك
اشكروا ومعهم الذري الاجتماعي . لكن يكفي ، حتى نفهم معنى كل هذه
الفلسفة ، ان نرجع الى الاسباب الموجبة لقانون لوشاوليه عن مصالح العمال
المشركة المزعومة . كلا : إن وحدة العامل لا تأتي من الطبيعة . انها هي نتيجة
انتاجاً . إن العمل والتعب والهؤس ورعاية البورجوازية الصالحة قد خلقت
العمال ، اذا جرؤت على القول ، حالة طبيعية ، اصطفاية . وهي ما يسمى
بالكتلة . وسأفصل فيما بعد طرائق التحويل الى كتلة . والمهم هنا هو ان هذه
الطرائق تهدف جميعاً الى فرخ الوحدة - لا الاختفاء الكامل للعلاقات الاجتماعية
بل نحوها الى علاقات ميكانيكية . والمفروق الديموقراطية ، في هذه العملية ،
هو اساسي : فلقد رأينا انها لا تثلل إلا قوائمه ومزايا بالنسبة الى البورجوازية
مندجة ، اما بالنسبة الى المتوحدين ، المصطفيين باستمرار بقوى الالتئال ،
فالطرائق الشكلية الفلال وقبود . انظروا الى العقد الحر ، وهو قطعة اساسية في

هذه الميكانيكا : لكم هو موفق في الجمع بين تهديد الموت وحرية العمل ا فالعامل
إنسان يرفع بحرية تحت طائلة الموت . وفي هذه المفهية من الضرورة والاستقلال ،
تقع الضرورة العامل الأجير من المجاهدة في أجره ، وتجعل الحرية مسؤولاً عن
الأجر المفروض عليه . فبأي حق يشكو : كان في وسع ان يرفض . والمقد
الحر ، بصورة عامة ، يرغم العامل على ان يلبس لحسابه الصبر الذي يُصنع له .
ان يرفض مصيره ويسلم به : أهو رب العمل الذي سعى اليه ؟ أم يسع بنفسه
الى التعاقد ؟ أم يقبل بهام إضافية ، ألا يحاول ان يحسن مرموه انتاجه ؟ ألا
يزيد بإرادته من اضطار المرض أو الحوادث المؤسفة ؟ أليس هو الذي أنقص
مطالبه ، بصورة بخرمة ، حتى يسرق مكان جاره ؟ وبعد هذا ، من يجرؤ على
الكلام عن التضامن : انما هو قانون الغاب . صراع طبقات ؟ بالرة : انما صراع
من أجل الحياة . وزيادة الكلام انه هو الذي فعل كل شيء ، هو المثلث المسؤول
عن كل شيء ، هو الذي يطالب بالبرؤس والوحدة والعمل القسري . قبل التعاقد
كان ضحية ليس إلا ، وبعد التوقيع اصبح متواطئاً . وجبناً بالأصل يقيد نفسه
بالإخلال : فما من أحد مدب له بشيء . وبعد ان ينتجز العمل ويتم الدفع ، يعود
المتعاقدان حزينين كالكنا . ككنا يبهلان بعضها بعضاً بالأسس ، ولن يعرف احدهما
الأخر في الغد . ويكفي أن يسجل انخفاض في وول سحرية¹¹ او تحدث هزة
صغيرة حتى يسرح الجهاز . إن العقد الحر يحول العامل الى جزئية قابلة ذوماً
للقتل . وحين خطر البرلمان الأنكليزي ، في أواسط القرن التاسع عشر ، ان
يتفرخ على أول القوانين العمالية ، تعالت في كل مكان صيحة واحدة : احسوا
النساء والأطفال ، انما كنتم تصرّون على قائلك ، لكن ليس الرجال ! فهم
والشؤون ، عاقرون ، احرار : في وسعهم ان يحسوا انفسهم بفردهم . صداه هي
الكلمة المهمة : بفردهم . ان حرية العامل هي وحدته . وما من أحد يستطيع
ان يتدخل لصالحه من غير ان يهاذف باسواقه ، والحكومة ستكفل حرية
العمل بصورة أحسن كلما عملت على حماية العمال من كل حاية ، ولو كانت حاية

١ - شارع المال في نيويورك . - د.م.م .

تدابيرها الخاصة .

وسأني حق الانتخاب لينهي المسألة : ان العامل لا يحدد في عمليات الجمع المكانية تلك التي تسمى بالانتخابات اي أثر من التضامن الذي يشهده . انما المطلوب منه ان يصرح ، على حدة ، على برنامج ليس هو واضعه ، اطلع عليه في العزلة : والفظة انما هي لعدد الأكبر من العزلات ، تحت اسم الغالبية . لكن الصكرة الفائرة لا توجد البتة : انما متشابهة في كل فرد ولدى الجميع . وتشابه الرأي لا يقرب بين الناس . فهل سيتركهم يقتنعونه بأن السياسة كلها تتردد ان هذه اللعبة الجماعية ؟ إن اليورجوازية ، بحجة فتح سبيل الثقافة اليه ، ستدفعه بالمذهب الفردي ، ومع حرية الفكر والتعبير ستجرعه مذهب الاحتمال والتسامح والريبية الموضوعية : ان جميع الآراء أهل الاحترام ، وكلها تتأهل في القيمة . فلم يختار هذا بدلاً من ذلك ؟ وهكذا يجري تضييعه . والحريات الديمقراطية تضلني سنة شرعية على عملية التحويل الى كتلة وتعطي العامل حالة كتلوية حقوقية . وهكذا يصبح الاتعزال الواقعي عزلة بالحق^(١)

حرية النقد والشك والانتخاب والموت جوعاً : أتصدقون ان هذا ما يشهده ؟ لو كان هذا صحيحاً ، لكان مجنوناً حقاً ؟ ان يفرض في العزلة في الوقت الذي لا يريد فيه شيئاً غير الاندماج ؟ ان يفصل عن الرفاق ، ويترامح ليتقدم العالم في الوقت الذي لا يريد فيه سوى ان يتحد معهم في جو من الثقة ؟ وما حاجته الى الريبية التي تشوش الأفكار وتبيد دالات العالم في الوقت الذي يشكو فيه على وجه التحديد من عبث الواقع اليومي وفي الوقت الذي يتمنى فيه بجرارة ان يكون للحياة والموت معنى ما ؟ ان الشك واللايقين هما ، على ما يبدو ، صفتان فكريتان ، لكن عليه ان يناضل ليغير شرطه ، وهاتان الوهبتان

١ - قبا بعد ، ويبدو ان يتدمج بالطبقة . يطالب بنفس هذه الحريات ليؤدي عمله الطبقي . لكن هذا بالضبط في الوقت الذي سترده فيه اليورجوازية ان تكفيها . وانما كان يطالب بها - بالأصل - فلما غاب الشامل آل اليه . لحساب عضو الحزب العالي ، لا لحساب الانسان العزول الذي كتبه .

العقلتان لا يمكن إلا أن تشالا العمل : أسأله ان يطرح على بساط البحث من جديد القضية التي يفتدسها ، او أن يموت من أجلها ، لكن لا تسأله كلا الشئين في آن واحد معاً . ان عماله بعض الاهمية يتطلب قيادة موحدة . وهو بالضبط بحاجة الى الايمان بأن هناك حقيقة . لكن لما كان لا يستطيع ان يفردها بفرده ، فلا بد أن يكون في وسعه الوثوق بما فيه الكفاية من العمق بقدرة الطبقيين حتى يرضى بتلقيها منهم . وخلاصة القول انه سيطيع ، عند اول مناسبة ، هذه الحريات التي تختلف : وليس ذلك لأنه لا يريد قوة الطبقة العامة واستقلالها ، لكنه يضع هذه القوة وهذا الاستقلال في الجماعة . انه لا يفكر بممارستها إلا بصفته بروليتزياً .

لكن ماذا يستطيع ؟ لا شيء : لا يستطيع حتى ان يتصور تلك الجماعة الكفاحية التي يفترض انه سيأخذ مكانه فيها . ان يمكنه ان يهد ، هو المسوق من قبل القوى البرجوازية ، المرفق بشعوره ، بجزءه ، المنفى ، بسدرة تلك العفوية التي كنتم تفسونها اليه لتؤكد ؟ ان العمل يستطيع ان يأخذه ، أن يقبله رأساً على عقب ، أن يغير حاله ، لكن من اين سيولد العمل ؟ ان المسألة ليست بالنسبة اليه مسألة انتقال تدريجي من الطليل الى الكثير ، فالمره لا يصبح لورياً إلا عن طريق ثورة باطنية ، وهو لن يصبح انساناً آخر إلا عن طريق نوع من انقلاب . وهذا الظهور المفاجيء لعالم آخر ولأنا اخرى ، ذات التاريخ ، لا يمكن ان يشعر به طالما انسه مسروق على صخرته : كيف يمكن السلبية ان تتحول الايجابية ؟ ليس من الصعب ان يكون المرء برجوازياً : يكفي أن ييمن اختيار رحم الأم حتى يوصله هذا الى أمنيته . وليس اصعب بالتقابل من ان يكون بروليتزياً ، لأنه لا يؤكد نفسه إلا بعمل جاحد وشاق ، متجاوزاً التعب والجوع ، مزهقاً حياته ليولد من جديد . وحتى يكون العمل ممكناً في كل لحظة ، فلا بد ان توجد الممارسة في اعماق الجماهير بالذات كئداء ، كنوع من التصور لما يمكن ان يكون . وباختصار ، لا بد من تنظيم يكون تجسيدا خالصاً للممارسة . ستولون : حسناً ، لم لا يكون هذا التنظيم التفاضلي ؟ سوف أتبين السبب في القسم الثالث من هذه الدراسة . لكن المهم الآن ان المنظمة التي ترسم الخطط

وتفقد ولجميع وتوزيع المهام - سواء أكلت نقابة أم لم تكن ، وسواء أكلت نقابة
تورية أم حزبياً أم الاثنين معاً - لا تستطيع ان تعمل نفسها ، بفعل ضرورة
الموقف بالذات ، إلا كسلطة . انها بعيدة عن ان تكون النتائج القيمة المعقولة
العملية ، بل هي تفرض نفسها على كل فرد كآمر . انها بمثابة قطع يفرض النظام
ويصدر الأوامر . اما الكرم ، والحماسة فيأتيان فيما بعد ، هذا إن أتيا ؛ لكن
الحزب يمثل أولاً بالنسبة الى كل فرد الأخلاق الأكثر ترمناً : لأنه وسيلة للمرء الى
حياة جديدة بعد ان يتجرد من شخصيته الزائفة . واذا كان متعباً ، أمر بأن
يتعب أكثر ايضاً . واذا كان عاجزاً ، أمر بأن يلقي بنفسه مطأطئاً
الرأس على سور صخري . وطالمسا انه في الخارج ، قارب المارسة ، اي
المدخل إلى الطبقة ، تتمثل له تحت شكل واجب . لكن اذا كان لا يسد من
تجبر وجود جهاز أمر وكثير الطالب دوماً ، فإني سأرجع الى ضرورته
أكثر مني إلى أصله ومنشأه : فهو انه كان عنقياً لما كان له هذا القدر من السلطة
والطبيعة ثم من ثبت لنا ان غير الاندفاعات هي أوائلها ؟ وبالغالب فإن الحزب ،
مهما يكن منشؤه ، يستمد شرعيته من كونه يلي أولاً حاجة . فبدونه لا وحدة
ولا عمل ولا طبقة . يقيناً ، إن الغالبية الكبرى من العمال لا تدخل اليه : هل
النضال يمكن بعد عشر ساعات من العمل في المصنع ؟ لكنهم يريدون الطبقة
عندما يطعمون جميعهم أوامر القادة . ومقابل الانضباط الذي يتقيدون به ،
يحقق لهم ألا تبليهم بعد اليوم ، الثورات ، - الحوادث نقابيان ، حزبان عماليان
أو ثلاثة ، وكل منها يضعف الآخر . وحين لا يكون العامل منتصباً إلى أي منها ،
فكيف يحزم أمره ؟ وبالتالي يبقى في الخارج . زعمون ان الجماهير لا تتطلب
الحزب الأوحده ؟ معكم حق : فالجماهير لا تتطلب شيئاً البتة لأنها ليست سوى
ثقت . اما الحزب هو الذي يتطلب من الجماهير ان تتجمع في طبقة تحت قيادته .
وشعار ، الحزب الأوحده لم يطلقه الحزب الشيوعي الفرنسي ولا حتى لينين .
بل طرح من قبل بلانكيين - خارج نطاق الماركسية بالذات - من امثال طايان .
وكان المؤتمر القومي الأول للحركات الاشتراكية قد حدد نفسه هدفاً ، عمام

١٨٩٩ ، هو تحقيق ، التطوع السياسي والاقتصادي للبروليتاريا في حزب طبقي للاستيلاء على السلطة .

وإذا لم تكن الطبقة لا مجموع المتكلمين ولا الانفصاح الفيلسوفي الذي يحررهم ، فمن أين تريدون ان تتبع إن لم يكن من العمل الذي يارسه البشر على انفسهم ؟ ان وحدة البروليتاريا لنا هي صلتها بباثر طبقات المجتمع ، وبمصلحة واحدة لهاها . لكن هذا النضال لا معنى له ، بالمقابل ، إلا بالوحدة . فبمثل عامل يدافع عن نفسه ، من خلال الطبقة ، ضد المجتمع كله الذي يسحقه . وبالمقابل تظهر الطبقة الى الوجود عن طريق هذا النضال . ان وحدة الطبقة العامة اذن هي صلتها التاريخية والمتحركة بالمجاهدة من حيث أن هذه الصلة تتحقق بفعل توحيد تركيبي يتميز بالضرورة عن الكتلة تيز العمل الصريف عن الهوى . وعندما لا تكون المسألة سوى مسألة تحويل التعارض والمزاوجة الى جامعة من المصالح المشتركة فإن هذا يتطلب ، اللهم الا اذا افترضنا ان النعمة متحلل على جميع الشفوية معاً ، وجود مبدأ رابط يارس عمله في عدة نقاط في آن واحد ويضمن لتفرد صدق المجموع . وهذا لا يعني بالطبع ان المناضل لا يخرج من الكتلة : لكنه اذا ما اخرج منها تيز عنها ، وهذا من حيث ان انسان الكتلة ما يزال مثقلاً بمصاحبه الخاصة ، ولا يسد من فصل عنها ، ولا يد لجهاز الربط من ان يكون عملاً صرفاً . ولو احتفظ هذا الجهاز بأبسط بدور الانقسام ولو ظل مشتملاً على شيء من السلبية – تنافلي ، مصالح ، آراء متباينة – فمن سيوجد آتية الجهاز الواحد ؟ والمثل الأعلى هو ان يكون هذا الجهاز علاقة خالصة ، رابطة تليجس ايذا المجتمع عاملان معاً ^(١) . وبكلمة واحدة ، ان الحزب هو الحركة التي توحد العمال إذ تجرهم الى استلام السلطة . فكيف تريدون اذن ان تتبرأ الطبقة العامة من الحزب الشيوعي ؟ صحيح انه ليس شيئاً خارجياً

١ - اقول المثل الأعلى . والواقع ان هناك بدور انقسام في الحزب كما في كل مكان بالأصل . ونحن نعرف النضال الشاق الذي يقوضه باستمرار عدم العمل الاقتصادي ، وسوف يرجع فيها بعد الى كل هذا التحليل .

عنها ، لكنه إذا ما اختلفت تساقطت هباء .

هل ينبغي ان نضم ان العامل سلمي ؟ الأمر بالمعكس تماماً . انه يتحول إلى عمل عندما يدخل في الطبقة ولا يستطيع ان يؤكد حرته إلا في العمل . لكن هذه الحرية قدرة عقلية وإيجابية : القدرة على الابتكار ، على الأفعال التي ما هو أبعد ، على المبادرة ، على اقتراح حلول . وهذه الحرية لا تستطيع ان تفسيه إلا بتجاوزها الموقف باتجاه حركة المجموع . اما حرية الفرد ، على العكس ، فإنها لا تجعل قائد الحلية او التدوير التلقائي وحدهما يقطبان الحواجب : فكل واحد يخاف منها لدى الآخرين ، وهي تذكر بالعزلة السابقة والتفائق . والنهم على كل حال امر الانتقادات ، حين يكون مسموحاً بها ، لا تصدر عن عفوية او غريزة ، تورية : فالعامل ، الذي حوّلته التنظير الى ذات ، يحدد واقعه العملي بدءاً من تحوله . ومهما فكر او فعل ، فإننا يفعل ذلك بدءاً من انقلابه . وهذا الانقلاب يحدث بدوره في الاطارات الحالية لسياسة الحزب . ان حرته ، التي هي عرض قدرته على تجاوز المعطى - وبعبارة أخرى ، قدرته على المعسلي - تتجلى الآن في قلب ذلك الواقع المعطى الذي هو التنظير . فهو يكون أفكاره يصعد المشاكل التي يطرحها الحزب عليه . وانطلاقاً من المبادئ التي يعطيه إياها الحزب . وغلاصة القول انه لا يحكم على الحزب باسم سياسة يقال إن مبادئها منقوشة في لا شعوره ، وباتجاه عن رد فعله العفوي او عن تنساقض المجتمع اليورجوازي : ان حرته ، هو الذي يريه الحزب وكوّنته ورفعته فوق ذاته ، ليست إلا قدرته على ان يتجاوز بالأفعال ، داخل التنظير بالذات وباتجاه الهدف المشترك ، كل موقف خاص . ولكن الحزب ، بكلمة واحدة ، حرته . امر العامل لا يستطيع ، في فرنسا اليوم ، أن يعبر عن نفسه ويحقق ذاته إلا في عمل طبقي موجّه من الحزب الشيوعي . والمحالات العقلية للحزب الشيوعي وايدئولوجيته ومبادئه هي التي تكوّنته . ولو أراد ان يقبلها ضد السياسة الشيوعية ، لراحت من تلقاء نفسها تهربها . وإذا اعترف خطأ فادعياً او تعرض الى هزيمة قاسية ، فإنه لا يملك من أدوات ليقوم معانها ولا تحسسات ليتكهن به .

وكل ما هنالك انه برخي الزمام ، ويتحطم مجوده ، ويعاود السقوط في حقل
الجدائية البورجوازية . وبذلك تنفت الطبقة . لكن عندما يسقط ، فهناك لا
يسقط إلا ليجد من جديد ، تحت تأثير القوى المدوة ، بأمر وجهته وشعوره
بالمعجز . اما الحزب فيكون قد تكوّن بعيداً عنه ، وبات عصي المثال ، كأمر
لا يهاكم ، لذا يشعر المرء ببساطة انه انفس من القزم ولا انساني ، بالمعنى الذي
يمكن به ان يقال عن اخلاق ، كانت ، انها لا انسانية . وهذا يعدل القول بأن
كل عمل طبقي قد أصبح مستعبداً .

يقول عدو الشيوعية : « باختصار ، قلنا إن الطبقة العاملة تبرأت من الحزب .
اما انت فتقول انه أسلم العمال إلى اليأس . وليس عندما مزاج متابعة هذه
المناقشات البيزنطية ونحن نصرح انك ستلت لنا بكل ما كنا نطلبه . »

انني لا أسلم بشيء . إنما لاحظ ، كسائر الناس ، فتور عمه الجماهير ، لكنني
لست أدري بعد ان كانت سياسة الحزب الشيوعي هي المسؤولة عن ذلك . ثم
انني أرى بين تعليقتنا هوة . واذا كنتم لم تجتمعا بينها سوى اختلاف لفظي ،
فهذا لأنكم تسخرون من الطبقة العاملة . فلو ان بروتشاريا طليعة معاقبة كالعين ،
غضة طرية ، تبرأت من الحزب الشيوعي وشكلت على الفور حزياً جديداً (المتم
تعلمون ، فأنا أقصد ذلك الحزب الشيوعي المشهور الفرنسي حقاً الذي سيتبرهن
الحزب الشيوعي الفرنسي باستقلاله والذي سيعلم عن طابعه القومي بعينه الاممية
الطليعية) ، ولو ان مثل هذه البروليتاريا كانت موجودة ، فلا بد من أن تؤخذ
ارادتها بعين الاعتبار : هل هناك أحد غيرها في مثل هذه الحال يستطيع ان
يقرب ؟ ولو أن البروليتاريا عادت الى الدرجة الطبيعية من الزعقة الثرية ، وإن
ظلت تقسبي وعن استعداد دائم لإعادة تكوين نفسها ولاستئناف النضال ،
فستطيعون ، يحصر الأمر ، أن تأملوا في بيئها بضاعتكم الرديئة ، بل ان تقدموا
ها ، من يدري ، حزياً بديلاً . لكنكم تعلمون حتى العلم ان البروليتاريا تهاجر ،
انها تقيس مدى عجزها ، وانها تجازف بأن تلم رجالاتها الملايين بدون حماية الى
مطارق البورجوازية . وتعرفون ان كل شيء سيستخدم في الشهور القادمة لزيادة

العزلة والاستسلام والمسافات بين البشر لتحويل البروليتاريا الى أرخبيل، وعندما يحشرون العمال قد وصلوا الى الدرك الأسفل من المرارة والاشمئزاز، فهل لثقلون حقاً انه سيحكم ان لجمعهم بأخلاقهم بشعواتكم ؟ لقد قلت لكم : اذا زالت لغتهم الحزب الشيوعي ، فسيأتيهم سيراليون في كل سياسة وسيراليون في طبقتهم ، وسيصبح العالم كله بورجوازيًا . واذا كنتم تاملون في ان تصعدوا المنحدر من جديد ، فاعلموا ان الحزب الشيوعي هو وحده الذي يستطيع ان يساعدكم على ذلك . واذا ما استعاضوا بكم ، فإننا لنتجمعوا حول الحزب الشيوعي . واذا ما استرجعوا كفايتهم ، فإننا ليطيعوا أوامره . وهناك اصعب من الآن محكم : « أنت مجنون ؟ أنتى يساراً مستقلاً ومرتبطة بالحزب ؟ أتريد ان ان يسارح تفوز على الجماهير ؟ ومع الأمور على ما هي عليه ، ومع التفسخ يتابع عمله ، وذات يوم سينتفجر الحزب وينتظر » . ان الأمور لم تصل الى هذا الحد حسن الخط ، لكن حتى عندما مستهزور وتنحط الى الدرك الأسفل وتكونون انتم الخصم الصلب للحزب ، فإننى لا أستطيع أن أضع نفسي من احتقار اولئك الذين ينتظرون التفسخ الشيوعي من بأس العامل . يقال لي إن العامل سيهلك نفسه ، واننى أسهل قدرة البروليتاريا القوية على الانتفاض . إن وجهها ، واج الحق ، سيكون بيكولوجياً ، فهي قد عرفت بسببها الشئ المتبوع ببقطات مباحثة . انظر بالأحرى الى ١٨٤٨ ، ١٨٧٠ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ . اننى أنظر : لكنى لا اكتشف في هذه الماركس أعمال عطف ناجمة عن مزاج الفجاري بقدر ما اكتشف تأثير عوامل محددة . وفي « السبات » الذي تلاها ارى تأثير القرية والارهاب . فالقوة العمالية قد أبدت في كل مرة ، واقتضى الأمر منها سنوات طويلة حتى تعيد لتكون نفسها . ولو صدقناكم لما كان علينا ان نقلق كثيراً . فلي مسمى عشرين عاماً ، في مدى الحين عاماً ، مشهد من جديد ظهور بروليتاريا جميلة طرية العود . وما علينا إلا ان نصبر : فالحياة بعد كل شيء ليست سينة للنهاية ونزعة عداء الشيوعية نزعة واجبة .

على رسلكم . سننتظر ان . عشرين عاماً ، اذا شئتم . المهم الا اذا اندلعت

الحرب العالمية الثالثة في مدى ستة أشهر . وإذا ما وقع هذا فإننا نجازف بالآ
نرى أحداثاً عند الموعد : لا أتم ولا أبا ، ولا البروليتاريا الناجية ، ولا فرنسا .

٣ - الأسباب

لقد بينت ان فتور حمة العمال لا يمكن ان يعتبر اوانسة ولو ضمنية لسياسة
الشيوعية . يبقى ان نعرف السبب . وهذا هو الهدف الذي أخذته على عاتقي
اليوم^(١) .

من الممكن ان نعالج المسألة بطريقتين نتمسدان كلناهما على السفسطة نفسها .
فعدو الشيوعية ه اليساري ه لا يريد حتى ان يسمع اي كلام عن تعيب العمال
ومأمهم : فهو يظهر لنا بروليتاريا فولاذية خارقة حتى رأسها في الجيفة
البورجوازية . اما عدو الشيوعية ه اليميني ه فيرنا البورجوازية تحت إهاب
مادة غنية تحمل بين ذراعها بروليتاريا هتضرة . والقصد ه في كلنا الحالتين ه
التفاضي عما يمكن ان يشبه عملية شرط متبادل ه أي باختصار نفي الصراع
الطبيعي .

ان عدو الشيوعية ه اليساري ه يتردد على البورجوازيين الفرنسيين . وهو
يقر عن طواعية بأن سماتهم القومية قد اتجنها الظروف . اما البروليتاريا
الفرنسية بالمقابل ه فإنه ينفي بكل بساطة وجودها انا الموجود فقط بروليتاريا

١ - هل يقال ان فتور الحمة هذا عارض؟ التي فن استمداد المحافظة عن ذلك عن طواعية.
لما اذا اذم ان تصيخوا ان المراتب آب ١٩٥٠ تكثر بصفة الطبيعة العادة - فإما رشحاً بأنني
ست والثقا بذلك مثلكم . ان المراتب الموظفين لك تساهي الانباء بإساعها . وما اضفر عليها
أهمية بالغة هو انها كانت متساوية للثقارب الضربين على صعيد القاعدة . لكنها لم تكن الصناعات الكبيرة
الحاصا . أثر تجريبياً . ثم ان قلنا ه الأعماد الفرنسي العمال المسيحيين ه و ه القوة العازلة ه قدس
للموعا واضطرها حتى لا يرموا على تخلفين وحدة العمل مع الأعماد تمام الشغل . نفي أمالكم
صبراً وألا تنهملوا بالتفوق والتوقف عند استنتاجك سلبية . فإلا لا انوي ان اسرد محضر عجزه
بل اطلع الى ان البيت ان الجبهة الشعبية هي وسدعا القدرة على إعادة الحركة العمالية الى سابق
قوتها .

في ذاتها تملن عن نفسها في جميع الامم الرأسمالية في آت واحد . كيف يمكن مثل هذه البروليتاريا ان تتعب ؟ واي علاقة تزيد ان تكون لها ، هي النتائج التصوري للرأسمالية في ذاتها ، مع بورجوازييتنا التي هي مع الأصف البائع تجريبية ؟ لقد تكونت البورجوازية رويداً رويداً تحت تأثير عوامل عارضة وبالكافي قابلة للاممال (ومنها على سبيل المثال ثورة ١٧٨٩) . أما تاريخ البروليتاريا للحدود بتناقضات الرأسمالية لا غير ، فيكتفي بعكس التحولات المتتابعة التي تطرأ على الصناعة الكبيرة . إن بورجوازييتنا قد سر وبطيش صوابها ثم تسرد شجاعتها ، تخطئ ، ثم تصحح اخطأها ، تسيّر اعمالها بصورة حسنة او رديئة . أما البروليتاريا فلا تريح الحركة أبداً ولا تنحصرها ، لا تقترف اخطأ أبداً ولا تكتشف ابداً حقيقة خاصة ، انها في حالة نضج دائم ، عديم الشكفة ، هي التي لا تقاوم ، لا تقبل الضغط ، لا تهزى . انها أله اعداء الرأسمالية - في - ذاتها . أما الضرر الذي يمكن ان تلحقه بالبورجوازية الفرنسية فلا وجود له : انها لن تلحق بها ابداً .

كان يحسن هذا التصور ان يفتي عن تفسير تاريخي - وربما عن كل تفسير - لولم يضع أنصاره في رؤوسهم فسطحة فطح جرائم الحزب الشيوعي خلاوة على ذلك . فلولا الحزب الشيوعي لما عرفت البروليتاريا الفرنسية تاريخياً تجريبياً : لصفن الحزب أرقام في الطبقة العاملة كما أقامت حبة الرمل في مثانة كرومويل . ما الأمر إذن ؟ أمراض اصاب البروليتاريا - في - ذاتها ؟ سوف يجيبونك بأن البروليتاريا - في - ذاتها خالية من المرض : فهي لا تستطيع لا أن تمزق ولا تسرع الحركة - في - ذاتها التي تبث فيها الحياة . كلا : ان مصائبها تأتيها من تحايل تاريخي محض لادائها . فلو ان قلب ستالين كان أصغر حباتاً ، لكان تغير وجه العالم . ولا تسألوا كيف يمكن لتناضلي الحزب الشيوعي التجريبيين أن يخطئوا موليب البروليتاريا التصورية : فعدو الشيوعية مرغم ، ما دام قسده بدأ بطرفه التاريخ ، على إعادة إسخاله في النهاية تحت أشد أشكاله عيناً ، كسلة من الصدق ، ليضمر التباين الذي يفصل الواقع عن حساباته .

أما أنا فأعتبر أن تطور الرأسمال ، التطور إليه في عمومته ، يفسر المظاهر
 اشتراك بين الحركات العمالية كافة . لكن هذه الاعتبارات المبدئية لن تقصر
 أبداً وحدها السبب الخاصة الصراع الطبقي في فرنسا أو في إنكلترا في هذا
 التاريخ أو ذلك . إن كل واقعة عمالية هي ، على طبيعتها ، نتيجة المنفرد عن
 العلاقات العامة . لكن لا يمكن أن تقصر في تفردهما إلا بأسباب متفرقة :
 والإنسان يضيع وقته وجهده إذا أراد أن يستنبطها من معرفة مطلقة لحسن
 فارقة أو من مبدأ تطور تحسلي . فالحقيقة إن هناك دبالكتيكات ، وهي كانت
 في الواقع ، وعلينا نحن أن نستخلصها لا أن نضعها فيها . لقد تكلمت عن تطور
 العمدة : فإذا أردتم أن تبرهنوا على أنني مخطئ ، يجب أن تقيموا الدليل
 بالشهادات على أن العمال قد استقظوا بده كفايتهم . وحتى لو أثبتتم ذلك
 فستظل هذه الشجاعة المحفوظة آفة خاصة ومتطلب لتسيار خاصاً شأنها شأن
 تطور العمدة . إن البروليتاريا الفرنسية واتسع تاريخي تجسلي تقوده ، في الأنواع
 الأخرى ، غير موقف معين : وليس على أن أبحث عن مفتاح هذا الموقف في
 حركة المجتمعات العمالية ، بل في حركة المجتمع الفرنسي ، أي في تاريخ فرنسا .
 ويصل أعداء الشيوعية ، اليمينيون ، إلى النتائج نفسها عن طريق محاكمة
 عقلية معكوسة : فهم يعارضون العمال الذين من لحم وعظم بفرنسا الخالدة ، أنهم
 تعرفوا ، تلك التي اشتهرت بانتفاضاتها الرائعة الجمال ، تلك التي ينقذها دوماً
 في اللحظة الأخيرة رجل أرسلته العناية الإلهية . فرنسا الفتاة ، الحبيبة ،
 الرشيدة ، الفشيطة دوماً ، السامية دوماً ، الشبيهة بالاندلون¹¹ . ففرسان
 الصناعة¹² والنجار والبير وقراطيون والريفيون وجميع الناس يغنون ، وجميعهم
 يشاركون في الضياع . لقل واحد ميت : البروليتاريا . وتلتفت فرنسا قلقة :
 من ذا الذي يمنع عمالي من السير ورائي ؟ . ومن تريدون أن يكون ألبم إلا

١٠ - أقتبة شبيهة كان يشتدوا الجارة فرتسيون في الحرب العالمية الأولى . « عدم »

١١ - فرسان الصناعة كتابة ، في الفرنسية ، عن الأثمين والمخالفين . وواقع بقصد ساور من

هذا التلاعب اللغوي . « عدم »

الحزب الشيوعي ؟ فطالما انه يعد العدة هلاكنا ، فلا تندعشوا إن كان قد شرع في قبليد العامل الفرنسي . وبقينا ، ان هذا العامل لم يقع ضحية الجذاع نهائياً : فهو بين القينة والقينة يسيرة حس آهانه السليح وبفهم أن مصالحه متضامنة مع مصالح أرباب العمل . والحقيقة انه ما كان ليطلب سوى ان يعمل ليأخذ حصته العادلة من الدخل القومي . لكن الشيوعيين شوشوا أفكاره : وإذا كانوا يخفون في إفرته على سادته الصالحين ، إلا أنهم أقوياء يا فيه الكفاية ليحولوا بينه وبين الانضمام إليهم . وهكذا يحدد عنده نوع من التركيز^(١) لتوزعه بين الرية التي يوحى بها إليه رب عمل . ألا أي تقدم كنا سنحققه ، وفي أي نوع كنا سنعيش لولا ان جرفومة الستالينية الراشحة قد سرت الى طبقتنا البروليتارية ؟

ابتها الجرفان الجميلة ، هل تأملون في ان نجعلونا نصدق ان فرنسا غاشدة ؟ هل تعتقدون انكم ستكتفون عنا مدة طويلة من الزمن كونها تقتصر ؟ إن الداء الذي يشل البروليتاريا قد بدأ بالسريان الى المجتمع قاطبة . وانتم ، يا من تهللون ، هل انتم أحياء الى هذا الحد ؟ إن ذنبكم ما يزال يتحرك عندما تذكر امامكم كلمة « الشيوعية » ، لكن جسمكم رهو وغامد الحركة . وهو يزاد هوداً يوماً بعد يوم . والآخرون ؟ جميع الآخريين ؟ اين آمالتنا الكبار ، أين مطالعنا النظام ، أين مشاريعنا الضخام ؟ إن الفلاح يبيش الأرض بيديه ، والصناعي في سبيله الى الأنتان ، والصارف تتحول الى صناديق ادخار . اتنا نحيا حياة رديئة ، رديئة للغاية : فنصف الفرنسيين لا يتجاوز اجرم الحسد الأدنى الحيوي ، والشيبة تختنق أو تهاجر زاعمة انه ليس في فرنسا ما يفعل . والحكومة ؟ هل تحكم ؟ تسمية الشقاق بالأكاذيب ، تزوير القانون الانتخابي ، حبس المعارضين ، منع ابتنائهم من دخول المدارس العالية ، اشادة دكتاورية الضعف المرئية ذات الوجيهين على الانقسامات ، بذل الوعود لعمال الدولة والموظفين ثم الخنث بها ، سحق البلاد تحت وطأة نظام ضرائبي متهافت سخيف : أيمكن ان يمتيز هذا كله سياسة داخلية ؟ غطف الزعماء المدغشقرين بالطائرة لإلقائهم من السماء على اسطحة

قرايم ، العراق الفيتناميين بالتنامي وتخريب الفيتنام ، خوزقصة التوسيع على
 زيجاجات ، اطلاق النار على العمال الفارسية : أيمن ان يعتبر هذا كله سياسة
 كولونيالية انتزاع المياريات في حرب معروف سلفاً انها خاسرة ، حرب كتابع
 لعدم توفر الجرأة على وضع حد لها ، وعدواها تسري من وزارة الى وزارة
 كالمصري ، ولتساجرة بالسيادة الفرنسية ، والقبول بسيطرة الولايات المتحدة
 على نصف العالم وبالهيمنة الالمانية في أوروبا، أيمن ان يعتبر هذا سياسة خارجية؟
 أم رجال دولة أولئك الكاثوليكيون الذي تشبه اعصابهم اعصاب النساء والذين
 يلعب عليهم فسوق الذهب ، وينسحرون تحت طاولات السآدب ، ويحسون
 انقسم ريشيليو لأن ايديهم ملطخة بالدم ، وأولئك الاشتراكيون الذين يأمررون
 بإطلاق النار على عمال المناجم القريين ؟ وأولئك الوطنيون الكبار الذين لا
 يتورعون عن بيع الوطن بقرش واحد ؟ وللك الوفرة من الخدم الجبهة المنتدخين
 المستعدين دوماً للحص الأعدية أو للكشف عن مؤخراتهم بشرط ان يقبضوا
 الثمن ؟ اذ كان هؤلاء الناس ما يزعجون في سدة الحكم فهذا لأنه ما من احد في
 فرنسا البورجوازية يبالي اليوم بالسياسة : تذكروا كيف ان الصحف عام ١٩٥٢
 راحت تهمل بالنصر لأنه لم يخصص في الانتخابات سوى خمسة ملايين مستنكف .
 انكم تتحدثون عن القرف حين يقاطع العمال مظاهرة : فماذا ستقولون عندما
 يقاطع الناخبون الصناديق ؟ إن الطبقة العاملة هي وحدها التي تلك التيسوم في
 فرنسا مذهباً ، هي وحدها التي تتسجم ، خصوصيتها ، تمام الانجرام مع
 مصالح الأمة . وثمة حزب كبير يتلها وهو وحده الذي اندرج في برنامج ميثاق
 الحفاظ على المؤسسات الديموقراطية واعادة توطيد السيادة القومية والدفاع عن
 السلم ، وهو وحده الذي يتم بالأبعث الاقتصادي ويزيادة القدرة الشرائية ،
 وهو وحده أخيراً الذي يحيا ، الذي تقبض عروقه والحياسة بيضا تقبض عروق
 الآخرين والديدان : ثم لتسايلون عن المعجزة التي تدفع بالعمال الى السير وراء
 معظم شعاراته ؟ اما أنا فأطرح السؤال العاكس ، والسؤال عما ينعم من السير
 وراءها دوماً . ولا مجال للشك في الجواب : اذا كانت تصغر عن البروليتاريا

أمارات الانهك فهذا لأن عدوى فقر الدم قد انتقلت إليها من الأمة . والتضال ضد الداء الفرنسي - فذلك الداء الذي يصفوه أوبناً كلنا جميعاً - لا يكفي ان تكف بجانب الطبقة العامة : انما ينبغي أن نعرف المرض من اسبابه . والا نترك فرنسا الخالدة المشيكة في صراع مع البروليتاريا - في ذاتها ، وانطلق الى تفسير بعض الأحداث المحددة لتحديد صارماً في الزمان والمكان ببنية اقتصادا المتفردة المحددة بدورها ببعض أحداث تاريخنا المحلي .

* * *

اننا تعيش عيشة شوك لأننا نتج قليلاً وبأسعار مرتفعة . تسألون : الغلظة غلظة من ؟ على رسلكم ، انما غلظة الألماني الذي اعلن علينا حربين مدمرتين ، غلظة الروسي الذي يعرف من موسكو اعادة البناء ، غلظة المستقلين من الولادة الذين يحرموننا من زبائنهم القادمين بأياهم الولادة ، غلظة القسلاحين المتأخرين الذين لا يهزمون أرمم على الاختفاء ، واشيراً غلظة باطن الأرض الذي ضلت فرنسا إذ خارت تحت أقدامها . واختصار ، ان جميع الناس مذنبون باستثناء الطبقة الحاكمة .

وهذا بالضبط ما يعجزني : خوثة كثيرون ! ومثل هذا القدر من العمل التي لم تربط فيما بينها ربطاً حسناً انما يسمى الفاق صدف . فهل تحتضر فرنسا من قبيل الصدفة ؟ اننا سنعود إلى العامل الموسكوفي لتدرس حالتها بتعمق وقلق . لكن كيف تصور ان الحرب العالمية تعملان مسؤولية جمودنا ؟ بين ١٩١٣ و ١٩٢٩ ، وبالرغم من اثنين وخمسين شهراً من الاجتياح والتخريب ، ازدهار الانتاج الفرنسي ٣٠٪ . ثم جمد حتى يومنا هذا ، أي طوال ربع قرن من الزمن : وفي تلك الفترة نفسها زادت انتاجها بنسبة ٥٠٪^(١) . بل اننا نزوج في مكاننا منذ عام ١٩٢٩ : لكن منها تتكون الأمداء التي ترهقنا ، أفليس من القوي البساطل البحث عن سببها في آفة سابقة بمشرة اعوام على أول تظاهرات

- طروجه التعديد من عام ١٩٢٩ الى ١٩٥٢ .

أعرضها ؟ ان مثل هذا القدهور المتواصل لا بد ان يكون مشلوه واجمسا الى عيب في البنية .

أهو باطن الأرض اذن ؟ فلتدعه لعفانه وطيوانات الثعبر . الخوا باللائحة على الفحم ، الخوا باللائحة على البترول ، الخوا باللائحة على المعادن غير الحديدية لأنها لأدت بكتف البلدان الأجنبية راضية بصيرها كبرؤوس اموال مبتذلة في حين ان اسحقفاقتنا كانت توجب عليها ان تندفن تحت مواطنه اقدامنا ؛ فلن تكونوا قد تقدمتم . الطبيعة تخوننا ؟ هذا مؤسف . لكنها تخون في الوقت نفسه أوروبا قاطبة ومع ذلك انظروا ؛ بالرغم من التساري في الحياة يعيش البيجيكويون والسويسريون والسكندنافيون خيراً منا . لسنا الانكليز ؛ فعند نهاية الحرب الأولى اتاحت لهم فرصة جيدة ليصبحوا ؛ اقتبسوا على الطائن اإذ بيديا كانوا يدبرون ظهورهم هجرهم زبانتهم الجاحدوت الناكرون لجصيل ، وراحوا يشفرون الفحم الأميركي ولتظن الياباني والفرنلذ الألماني . ولو فطنت انكفرا آنذاك ما فعله اليوم ؛ فظلت قابضة في منزلتها لتشهد خرابها الذاتي ولتلتصق به لكن من غير ان رفع اصعبها لتلافيه . كانت لها جميع الأعدار ؛ كانت صناعتها القديمة الماجدة تبدو وكأنها هيكل الأمة العظمي ؛ فهل يمكن للمرء ان يغير عظامه ؟ ومع ذلك حطمتها ؛ فطالما أنت الأسس القديمة لتفوقها الصناعي قد تحربت ؛ فهي تريد ان تتغير لتبقى هي هي وان تحافظ على توازنها بطلبها انتاجها رأساً على عقب . وهكذا رأيناها تبدل في مئتي عشرين عاماً فتشريتها وفيزيولوجيتها ، وتقلب التيارات الديموغرافية ، وتعبد تصنيف وتوزيع يدنها العاملة ؛ وهجر آبار مناجمها لتصنع المنتجات العالية الاختصاص . فهل تختلف معضلتنا عنها اختلافاً كبيراً ؟ كان علينا ؛ نحن أيضاً ؛ ان نلف حول صعوبة ما كان في مقدورنا ان نواجهها من الأمام ؛ وان نزيد التناجس عن طريق تقويم اقتصادنا . لكن لة دعابة ملهمة ؛ لتفعلنا بأن تكونينا غير قابل لتبديل لتجعلنا نعدل ملكاً عن محاولة تغييره ؛ فعظام فرنسا رخوة ومصابة بمرض بروت⁽¹⁾ ؛ وعليها بوجه

١ - جراح انكليزي اشتهر بأبحاثه عن مرض العمود الفقري ؛ تعرف باسمه . - ص ٢٠٤ -

خاص ان نطلق واقفة : فعند اقل جهد يبذله المريض لتحطيم فقراته . وباختصار يراد لنا ان نطن الحبيبة قبة والطبيعة قدراً . لكن لا تصدقوا شيئاً من هذا : فالطبيعة تخلق الورق وتوزعه ، لكنها لا تحدد طريقة اللعب به . انها تطرح الاسئلة لكنها تجهل الاجوبة . توجه الاقتصاد لكنها لا ترويه . بل اكثر من ذلك : ان الاقتصاد هو الذي يصنع الطبيعة بقدر ما تصنع الطبيعة الاقتصاد . ويمكن للتصنيع ان يأخذ اشكالا شتى ، وندرة الموارد الطبيعية لا تسلبها جميعاً قليلاً : فقد كان معروفاً سلفاً ان قرصاً ، بخلاف انكفرتا للتشجرة ، لا تستطيع حتى ان تحاول بمرء محاولة لحاق إنتاجها بكامله بصناعاتها الانخراجية ، فهل كان عسراً عليها ان تشجع صناعتها التحويلية ؟ أما كانت في وسعها ان تخصص ؟ وأن تنمي معاً وبالتفاعل استيراد الموارد الخام وتصدير المنتجات المصنوعة ؟ لقد تم الاعلان بسرعة عن ان المشكلة لا حل لها ، لكن ماذا تعرف عنها طالما اننا لم نكتشف النقاب عنها حتى الآونة الأخيرة ؟ اننا نستطيع ان نبرئ ساحة عالم الجهاد : فهم بشر الذين صنعوا الاقتصاد الفرنسي ويصنعونه يوماً . والحطاطنا الزاهن ، شأن عظمتنا الماضية ، مغامرة انسانية ، ونحن في آن واحد ضحاياها وصانعوها .

ماذا لو ألقينا بكل شيء على كاهل المستهلك ؟ ماذا لو زعمنا أن ضيق سوقنا الداخلية يجسب الانتاج ضمن نطاق معين لا يعود بعسده لتصرف المنتجات مضموناً ؟ فكرة جيدة ، وميزتها الرئيسية انها ترجعنا الى المعطوفات البشري . ثم إن الفلاح يستهلك قليلاً ، هذه حقيقة واقعة : على الأقل في النصف الجنوبي من البلاد . لكن كل ما هنالك هو انني لا ارى كيف يمكننا ان نعتبر ضيق اسواقنا علة اولى الهم إلا اذا آمننا بفراسا الحسالة ونخلود ، الصفة ، الفرنسية . أنكون امه شحيحة ؟ انتم ولا شك تهزلون . ولما كان المزارعون لا يؤدون ، واجههم الاجتماعي كمشارين ، على الوجه المرام ، أفليس السبب بالاحرى كونهم يعيشون من منتجات أراضيهم ؟ وما يرغمهم على ذلك ؟ انه ، واج الحق ، الانخفاض المستمر لقدرةهم الشرائية . وهذا الافتقار التدريجي ، أو يدعون ان تعرفوا

مصدره بدوره ؟ ان مصدره ، بكل بساطة ، هو ان اعمال الحقل مساعات
لدى . وهكذا نكون قد رجعنا من الاستهلاك الى الانتاج . هل متقولون انها
غلطتهم وانهم يشيخون برويتهم بدلاً من ان يشقوا جرارات ؟ هذا صحيح .
لكن عمليات الشراء في المجتمعات ، كما في نظام الآلات الارتكاسية ، تكون
معلولاً وعبثاً معاً أو عبثية هي في الوقت نفسه معلول معللها . ولنتفكر باتجاه
عقارب الساعة : مبيع الجرارات قليل ، إذن فانتاجها قليل ، ولما كانت الأسواق
سابقة لا تغطي نفقات إعادة التجهيز فإن مصانع الآلات الزراعية لا مصلحة لها
في تجديد نفسها . والنتيجة : الجرارات تباع بسعر مرتفع لأن الملاحين يقاطعون
المكننة . إن هذه الحماكة العقلية صحيحة ، وكيفية علاوة على ذلك بتشجيع
المورد والمطالبة الى حد معين : اذا اغترتم مرة واحدة ونهائية المزارع كتحول
مستقل تكونون قد جردتم انفسكم فرضاً من كل وسيلة لتأثير عليه . ونصي
عابرين هذا التال الجميل من التشاؤم الرجعي : الشح والروتين هما من الطبيعة
الفلاحية بالذات ، إذن فاقنصادة لن يتغير ابداً .

ولنتفكر الآن بالاتجاه العاكس : طالما ان نسبة الأسعار الصناعية ستظل أعلى
من نسبة الأسعار الزراعية ، فلن تتوفر للمستثمرين الربيعين الصغار وسائل تجديد
استثمارهم وتحديثها . وإذا كانوا يقاطعون المصنعة ، فهذا لأنها هي نفسها
تقاطعونهم ، ولا أمل في قهر روتيتهم قبل ان توضع الآلات في متناولهم . وهذه
النتيجة الثانية ، التي لا تقل مشروعية وقبرياً عن الأولى ، تتميز علاوة على ذلك
بكونها عملية : انها تفتح المخرج الذي سدته الأولى . لكنكم متقولون : ألا
يتضابق الفلاح نفسه من اختناق السوق الزراعية ؟ بلى ، بالتأكيد . لكننا ننتهي
من جديد ، على هذا الصعيد ، بتداخل المعلل والمعلل نفسه . ففي اتجاه عقارب
الساعة يقال : لا يمكن تصريف القلال ، إذن ففرنسا تنتج من القمح كميات أكثر
من اللازم . وفي الاتجاه العاكس يسأل : الفرنسيون على مستوى منخفض من
التغذية ، إذن فهي لا تنتج ما فيه الكفاية من القمح . إذن فطالما ان الدوران
واجب ، فلنقدر . لكن من أين نبدأ ؟ هل الأولوية للمرعى ام للطلب ؟ هل

مسألة تتعلق بما نغنيه بكلمة « مستهلك » . هل يفكر منتجوا زيون الأيس ام زيون القدي ؟ ومن ثم اولئك الشراة المرعجون الذين يتفهمون من واجبههم : الأغنياء يفتكرون ام فقراء لا يقدرون على الدفع ؟ في القرن الماضي كان صاحب العمل يباهي بأنه يخلق الحاجات لبيها ، وكان يقول : « في نظام المراجعة ، يزداد الإنتاج لإنقاص التكاليف . وضيق الأسواق ليس إلا حدثاً عارضاً : فالسوق 'تفتتح' او 'تختلق' . وطالما إن هناك ١٠ مليوناً من الفرنسيين ، إذن فلدنيا ١٠ مليون زيون . صحيح إن معظمهم مستهلكون عن غير علم منهم ، لكن لا أهمية لهذا : اننا نتجمل منهم ثبارة علبتين . وسنذهب عند الحاجة للبحث عنهم في منازلهم ، ومهما كانت قدرتهم على الدفع زهيدة ، فنستطلب منهم أقل أيضاً ، وباختصار ، يميل الينا إذ نسمع ان الإنتاج كان منوطاً بالألات وكلت بشرط الاستهلاك ، وكان الطلب يتبدل تبعاً للمرض . وانما على المهتمه الأمة التوصل كانت الرأسمالية تقم تبريرها الوحيد ، اسطورة لتقدم الكبيرة . وفي البدايات الأخرى وجدت حركة الاقتصاد التزاهي نهايتها النظرية في الإنتاج المتسلسل الذي يستهدف عامة الزبائن والذي تحتلظ السوق بالنسبة اليه ، نظرياً ، بجموع الأمة»^{١٩}

حسناً . لكن ماذا يقولون اليوم ؟ إن الطلب في فرنسا ١٩٥١ يشترط المرض ؟ كان هذا صحيحاً أيام الحملات الصليبية : فقد كان هناك مجتمع طبقي منتج تروممن على اقتصاده الزراعة ، يقدم زبائن ثابتين ودايفين لصناع كثيراً يعملون وفق طرائق متوارثة . فهل يريدون ان نقولوا اننا قد عدنا من جديد الى ذلك العهد ؟ وهل سيب ذلك أن أرباب العمل عندما ما عادوا يؤمنون بالتقدم ؟ وفي مثل هذه الحال ، ما سيطهم ان يبرر امتيازاتهم في نظر أنفسهم ؟ إنهم يشكون سلباً ، ومنذ خمسة وعشرين عاماً ، من ان الاستهلاك ثابت جماند .

١٩ - صحيح انه ولد من لقاء نفسه صدره : فالغد الاقل من الإنتاج لا يتطابق مع الحد الاقل من الربح . والمراجعة لعمى امام التفاعلات . لكن مسنده اللاتوقمية ، مما تكن شارة ، لا تشبه في شيء ما ترومينا .

ما أجدد من علم : إننا نعيش على ما هو موجود ! لكن يوم سيخضع الجوع بنابه
 جميعاً ، فكيف سيكفنا ان نأكل أكثر طالما ان كمية الطعام لا تزداد ؟ صحيح
 ان الأطفال لن يناموا الجوع الذي سكنها الآباء . لكن أين يريدون ان يذهبوا
 طالما ان البناء متوقف ؟ ليس القدر ولا الطبيعة الإنسانية مسؤولين عن اختناق
 السوق . والانتاج ، مهما يدل عنه ، لا يكف عن تنظيم الاستهلاك : لكنه بدلاً
 من ان يدفع به الى امام عندنا يضع في وجهه العراقيل . لقد سمع الجميع عن تلك
 اللاهي القليلة التي تكلف فيها الشماليات بؤبؤ العين لأن الإدارة تريد ان
 تصطفي زياتها . وحالة فرنسا اليوم شبيهة بهذه اللاهي : فالنخبة هي التي
 تستهلك والأسعار مدروسة بإمعان حتى لا يندس بيننا غريب . لا يحسن لمن لا
 سكن لهم ، ولا طعام لمن يفتسون جوعاً ، ولا أحذية للحفاة . وتقريب حسو
 اليوم الذي يتعلق فيه هذه الألفة على وجهيات الحجاز : القياس اللائق ضروري
 لشراء الحيز . هذه هي الحقيقة : حتى عندما يستقلب الاستهلاك ، نصف
 المنتق ، على الإنتاج ليخلفه بدوره ، فإن الانتاج هو الذي يبدأ أولاً . وإنما فيه
 يمكن العيب التكويني لاقتصادنا .

* * *

إن هذا العيب ينفأ العيون ، لكن بشرط أن تبحث عنه حيث هو موجود .
 انه يدعى التشتت . ففي الولايات المتحدة كانت المعامل التي يعمل فيها أكثر من
 ٢٥٠ عاملاً قتل ، منذ عام ١٩٣٠ ، ١٦ من مجموع المصانع واستوعب أكثر من
 نصف اليد العاملة . أما عندنا فإن الاستثمارات التي تعطى للعمل لأكثر من ١٠٠
 عاملاً لا تستوعب سوى ١٤٦ من اليد العاملة ولا تثل إلا واحداً بالثمة من الصناعة
 الفرنسية . وحول عدد زهيست من المصانع الضخمة ترسل المصانع اللامتناعية
 الصفر : ففي باريس ، وفي صناعة المادون التحويلية وحدها ، يوجد ١٨٠٠٠٠
 مشروع تضم ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ عامل . وفي التجارة يستفحل التشتت : فالمؤسسات
 التي تستخدم أكثر من ١٠٠ عاملاً تستوعب ١٢ من الجهاسار وتثل ١٠١ من

الجموع . وهذه الوقائع معروفة من الجميع . ومنها يستنتج ان فرنسا قطعة من متحف ، معاصرة لأيام الاضواء بالفاز : وهذه الميكانيكا التشابكية الفوليب سلبى على قيد الحياة بفضل نزوة من نزوات التاريخ وستثمر في امتنافا لتواين القرن الماضي . وفي هذا الصدد يقرر البعض اننا سنعاني من مصير أئينا ، والبعض الآخر ان الله فرنسي . وجميعهم خطئون : فاقنصادنا ابن عصره والقرن التاسع عشر عاجز عن انتاج اقتصاد شبيه به . والوسائل القوية التي نملكها اليوم هي وحدها القادرة على إعطائه حضوره وسيامه البالية . بقينا ، والنوثة الأولى ، تذكرنا المشاريع الفرنسية البالغ عددها ٥٠٠.٠٠٠ مع عمالها الذين يفرحون عددهم بين ٨ و ١٠ ملايين ، بعصر البيروالية الجميل . لكن هذه لا تعدو أن تكون أكثر من صورة خادعة . فالاقتصاد الليبرالي يتحدد بنظام المزاخمة الذي يقضي عادة الى التمرکز أكثر بكثير مما يتحدد بقششته . إذن فنحن نحافظ على القشنة البالي لغزنا ومصانعا ، كان لا يسد ان نلقي المزاخمة : فالاشتهارات الصغيرة لا يمكن ان تظل على قيد الحياة إلا إذا امتنعت الصناعة الكبيرة والتجارة الكبيوة عن ابتلاعها . وغلاصة القول ان الكبار قبلوا بأن يبيعوا بأسعار لا تقل لارتفاعاً عن أسعار الصغار . وخطر التنافس في الوقت نفسه على الصغار : فقد فرضت عليهم عدسة غير عددة الأجل كما فرض عليهم التجاوز والتعايش السفي . ومن ذلك انهم تخضع الأسعار للرقابة روابط متفاوتة السرعة تجمع عدداً كبيراً من صغار التجار وصغار المصنعة حول بعض المؤسسات الضخمة . ولو أراد أرباب العمل أن يدفموا بتناقضهم الصغار الى الافلاس ، لما احتاجوا الى أكثر من زيادة الانتاج قليلاً . لسببهم يتمتعون عين ذلك ، وإذا كانوا يبيعون أحياناً بتجديد آلتهم ، فليس ذلك ليزيدوا الانتاج وليبيعوا بأسعار أرخص ، بل ليزيدوا ارباحهم بتخفيضهم سعر الكلفة .

ومها لكن الرعاية التي يبذلونها ليرفقوا بغير انهم ، فإنهم لا يكونون قد فعلوا شيئاً إذا لم يعموم بصورة ناجمة من الازمات : لأنهم عند أول نكسة سينهارون . إذن فسوف يلقونهم كاللحم الطير صفارها ، وعلى حساب المستهلك :

ففي ليون على سبيل المثال لا مجال للشك في ان « العمل » لن ينخفض بشكل محسوس تكاليفه بمهده بأشغال النسيج والقزول الآلي التي الورشات التابعة له « بل هو يفضل ان يمهدها الي معامل متناثرة مشتتة غير قادرة على الاستمرار بالأصل بمرنه . وهذا لا يكفي ايضاً : لنا بقية ان تساهم الدولة في هذه الاعمال الخيرية ، وان تحفض اعباء الضرائب وتزيد في الاعيادات وتعزز الرقابة الحكومية . الدولة « اي المكلف » وبكلمة واحدة فرنسا قاطبة . ان المهمة الرئيسية لتنظيم الضرائبي هي اعادة توزيع المدخيل : لكن اعادة التوزيع هذه تحدث عندما مصالح المشاريع التي استلجتها الراحة وحركتها الحرة . ان الفرنسي يدفع الضرائب ليستطيع ان يشتري بأبسط الأسعار منتجاته القومية . وعن المال الذي يبقى له - هذا اذا ما تبقى لديه مال بعد كل هذه الاقتطاعات والضرائب - تسهر عناية الهية خاصة . وكما كان ملاك كلوديل يمدد بلا كلل بروميذ الشاب عن رودريغ الشاب¹¹ ليضعها في فراش رجل مسن « كذلك لا يكال ملاك المائوسية عن تحويل مجرى التوظيفات الجديدة نحو القدم المشاريع واكثرها بل . حاولوا ، على سبيل التجربة « ان تقولوا شركة في سبيلها الى التكون « وسوف يجعلونكم تتدعون على عنادكم : « ماذا نرجمون ؟ المساحة في تطوير القوى المنتجة ؟ لكن من سألكم ذلك ؟ هل تريدون تطوير الانتاج في الوقت الذي لا تجرؤ فيه الصناعة الكبيرة على الحركة خوفاً ان تسحق الصغيرة ؟ من حسن الحظ ان ادوات الانتاج لتكلف غالباً جداً : وهذا طبيعي طاقاً ان تكاليف انتاجها كبيرة . والفضل مما يفعل هو ترميم الآلات القديمة : فلقد شهدت ولادتنا وما يزال في امكاننا ان نخدم « . وإذا اضرتكم تدخلت المصارف : احدثوا اليها مدخراتكم ، فتعطيها الدولة التي سددتها في « الدين العام » ، وباعتصار ، انهم لا يكتفون بسرقة مال الفقراء ، بل يعقون أيضاً مال الأغنياء . وبدءاً من هنا يستتب النظام : الادوات بالية « وتكاليف الانتاج مرتفعة « واعداد الصناعة في صعود دائم « والزبائن الزراعيون يجرون السوق . وتكاليف

١ - من ابطال مسرحية « حذاء الحرير » لليون كلوديل . ص ٢٠٥ .

الانتاج عند الريفيين بدورهم مراقبة نظراً الى استخدامهم أدوات قديمة رثة ، وارتفاع الاسعار الزراعية يحرم الزراعة من زوائن المدف . أرايتم إلى الخلفة الدعشة وكيف ان المعامل تميز العطل : فهذا الفرع من فروع الصناعة يختصر نشاطه الانتاجي ويحرم بعض المشاريع من مجالات تصريفها الطبيعية ويسبب بالتالي النكاش السوق . والمشاريع التي طلق بها الأذى ستتكشف بدورها حسق تتسكن من الاستمرار ، الشيء الذي يؤدي إلى انكشاشات جديدة . وهذا الانهطاط الدوار يرتد في النهاية إلى نقطة انطلاق ، فحاشاً انكشاشات جديدة على المعامل التي كانت السبب فيه . وهكذا يتلائم الاستهلاك مع الانتاج ، ليتعدل الانتاج من ثم وفقاً للاستهلاك . إذن فالهرك يدور بشكل دائري ، لكن هناك مشكلاً واحداً : انه يتباطأ مع كل دورة وينتهي به الأمر الى التوقف .



حين ينال نظام من الأنظمة الاجتماعية مثل هذا القدر من الرعاية ويتطلب مثل هذا القدر من التضحيات ، فهل يمكن الزعم بأنه ثرة الصدفة ؟ كانت الليكاليكا الشبية متصاب بالخلل منذ زمن طويل لولا ان هناك من يسهر عليها ، وكانت اجهزتها الوفيرة المشابكة المبيكة متلبط مع الاستعمال لولا ان هناك بدأ غير منظورة تتدخل . وبعبارة أخرى ، ان تثلت مشاريعنا و المنجيه ، بفقرض وحدة نية ووحدة سياسة ، اي توحيداً خفياً لاقتصادنا . وفي فرنسا كما في الولايات المتحدة تشرف الصناعة الكبيرة على جميع قطاعات الحياة القومية . والفرق ان الاميركان قتلوا ارباب العمل الصغار واتسنا بقي على ارباب عملنا في القيود والافلال . انهم يعيشون ، لكن كغافاً ، ووداعتهم مضمولة لأنهم أقتنوا بأنهم بالأصل اموات ومانهم سينهارون ويتفتشون إذا لم يمد في أجل اجازتهم الحياتية . ولهذا السبب يشبه نظامنا الاقتصادي بعض الشيء نظام الاقطاع . فهناك وفرة متزايدة باستمرار من صغار التجار وصغار الباعة تبحث عن الحماية ضد المزاوجة التي تزداد قسوة يوماً بعد يوم ، وتضد الازمات وتضد وحشية

البارونات . وقد انتهى الأمر بهم الى تقديم املاصتهم للكناز من ارباب المعمل
الذين ارجعوهما اليهم تحت شكل إعانات ثابتة لهم بعد ان سمحوا بمسهم .
واليوم لم يبق لهم غير حق الانتفاع بخازنهم ومعاملهم . ام ستقولون عنهم
انهم ملاك ؟ هؤلاء النبلاء الذين يحتلون اولى مراتب النبالة والذين يكذبون
ويشقون ؟ ولا يكادون يسدون نفوسهم ؟ والذين هم اجراء انفسهم ؟ ماذا
يستطيعون ان يفعلوا ؟ ان يكبروا ؟ ان يجحدوا تجهيزهم ؟ ان يتجوا او يبيعوا
اكثر ؟ لا شيء من هذا البتة . ومع ذلك فإن هؤلاء المولى المرجأ لتقيد حكم
الاعدام فيهم هم ، اذلام ، كيناز سادة الصناعة : فقابل الحماية التي تحول بينهم
وبين السقوط بدورهم الى مرتبة الجرويلشاريا يطالبون بأن يقدموا خدمات ذات
طبيعة خاصة جداً : ان مهنتهم هي ان يتقدوا مظاهر الرأسمالية التنافسية
بتنظيمهم الاحتكارات . ترى هل اقتصادنا اقتصاد بالرفاهات وقنه ؟ قولوا
بالاخرى انه شاذ : فهذا النظام الذي خلق بشكل مضطرب والسفر بقفل
رعاية رأسمالنا الكبير يهدف الى دفع القوى المنتجة : لكنه يستبدل التركيز
التكنيكي بتركيز الاجهزة القيادية الحقيقي .

يبقى ان نعرف لم يعاند القطاعون الضعيف في تدوير فرنسا . لاحظوا ان
لديهم جواباً جاهزاً فهم يقولون : ، ذلك حتى نحدد من مدى الاضرار . افترضوا
ان العمل ، غلط وفتح ورشات نسج : انه سيخرب مشقة في انقلاها حين تأتي
الأزمة . وبالمقابل من السهولة تكان التخلى عن المولدين : ان ارباب المعمل الضعيف
هم الضحايا القادمة للدفاع المطاطي . ، ان هذا الكلام لا يقدم ولا يضر . هل
هناك سداجة اكبر من هذه السداجة في الاعتراف بأنهم يلقون بأنفسهم في الماء
خوف البطل ؟ ولو اندلعت أزمة حادة لتترك التطويق بعض الحرية في التساورة
للاستثمارات الكبيرة ، لسفن إذا كانت الظروف مناسبة حرم عليها الاستفادة
منها . وإذا ما تزايد الطلب في التدعجرت المشاريع الصغيرة عن ثبتيته : راقا

هذه المشاريع ربطت الصناعة الكبيرة مصيرها . ان سائق السرعة ، حين يواجه منحدرًا عمودياً ، يسير بحركة بالسرعة الأولى : كذلك فإن منتجينا الألبان يتخلون من آلات الإنتاج بالذات اعادة لمراقبته خوف جموحه . ان المسكين في نظرم حافل بالوعيد لا بالوعد : مستدفع ازمات ، والزمات اخرى ، ثم الكارثة ، فالطوفان . وإفنا كانوا ينكثون على انفسهم ، فهذا لكيلا لا يفرسوا الكارثة جهلاً عريضاً . زيادة الدخل القومي ؟ انهم يترأون بذلك : انهم لا ينسكرون بزيادة دخلهم بالذات بلقدر ما يفسخون في الحيولة بينه وبين الانخفاض . لقد اختاروا سياسة أسوأ الاحتمالات . ومعروف كيف لتسر المركزية تضخم الانتاج والأزمات الدورية : ففي نظام المزامحة تتحول الأرباح الموظفة إلى وسائل انتاج متنامية بينما يتدهور استهلاك الاجراء . ترى هل قرأ رأسماليو الصغار ، الرأسمال ؟ ؟ فحق يتجنبوا الأزمات ، فدقوا عنق المزامحة ، ونظموا الانتاج الدون ، وهم يعمدون توظيف ارباحهم في البلاد الأجنبية . وهكذا جعلوا من اقتصادنا اقتصاداً منحطاً خوف الانحطاط .

والعملية مدينة بنجاحها لمساهمة أرباب العمل الصغار . فهم يتفنون حسن المستهلك ما توشية الأوساط العليا . ولما كانوا مرتعنين عن دفع أجور بخسة وعلى بيع منتجاتهم بأسعار باهظة ، فأمامهم أحد حلتين : اما ان يفتسوا وإما ان يقرروا بأنفسهم الأسعار والأجور . ولو زعمت الحكومة انها تنظم السوق ، لكففت جرة قلم من قبل أحد البيروقراطيين حتى نظير المشاريع الخمسة ألف . وعلى كل ، فإن صغار التجار هؤلاء يشتمون برنات قوية : لو تجسراً وزير على فرض الضرائب عليهم ، لصاحوا بلء اقوامهم انه قائل . ولو طالب موظفهم بزيادة الأجر لأثبتوا بالأرقام انه ليس في طاقتهم تلبية هذا المطلب . وهم لا يكذبون في ذلك كذباً طاملاً انهم عموماً على شفا الافلاس . لا حديث إلا عنهم ، ولا وجود إلا لهم ، فكان شاغل الأمة الوحيد ان تهتم بهم : إن هؤلاء المحضرين الشيرين الضجة والتجبة يصفعلوننا برعباً بدليلهم عن استحالة تبديل أي شيء . كان في فرنسا تحت طائلة انهيار كل شيء . وخلال ذلك يقوم رب العمل الكبير ،

الغني هم ، ينتج معادن نظيماً علياً ؛ لو أراد ان يشغل الآلة بكل ما في طاقتها ، لتدهورت الأسعار على الفور ، لكنه يرى ان من صالحه ان يضمن نفسه ربحاً لا يجازفه فيه برأيه ان القصى حد الثباين بين تكاليفه وبين أسعار السوق^(١) . ولما كان هذا يتطلب الإبقاء على قسم كبير من الصناعة الفرنسية في مستوى منخفض من الانتاجية ، فإن رب العمل الكبير يعترف جهاراً للمستثمرين الصغار بملكيتهم الاحياء لمشاريعهم ، أي انه يخطط عزمه وتفتت مواردها . وبالتقابل يؤدي صغار الكمية على الوجه المطلوب مهتهم التي هي الانتاج القليل بتكاليف كبيرة ؛ فان لهذا الفيض غير المرغوب من الربح هو بمثابة عذمة تؤمها الصناعة الكبيرة للصغيرة .

وهكذا تتم جز بجز جزائريتنا ؛ انها تلوو الرقضاء والاستقرار على زيادة أرباحها المحدودة . واقطاعها الكبار هم بكل بساطة اصحاب دخول . لكن لا بد من تسخير هذه النزعة المحافظة . فهل من الممكن ان نوجع ربيتنا والمستقبل ان اطرف من الازمات المقبلة ؟ لا بد ، بالتأكيد ، من ان نضع تطوراً في الاطار الأوروبي ؛ والحال ان مرحلة الازمعار قد انتهت ، وأوروبا تحسر اسواقها الواحدة نحو الأخرى ، وفي كل مكان يلاحظ الميل الى تحويل الربح الى دخل . لكن لماذا استفضل هذا الانكماش العام ان هذا الحد عندما ؟ هم يمكن ان يفسر ماه الكلب الماتوسى هذا الذي منظمي لهنا به ؟ اعتقد ان تاريخنا سيقدم الجواب .

إن التاريخ يتقدم وعلى وجهه قناع: ونحن يسفر عمن وجهه يدمغ المتكلمين والشهود الى الأبد. اننا لم نعلم قط من ، دقيقتي الخليفة ، الذين عرفتها فرنسا

١ - قد يحدث ان تقلل الصناعة الكبيرة ببيع أجهزة أقل قليلاً من الأجهزة التي تصنعها الصناعة الصغيرة . وهذه طريقة لإظهار حسن نيتها تجاه العمال وإظهار قربها تجاه أرباب العمل الصغار .

في القرن التاسع عشر، و بورجوازيتنا تلعب اليوم لعب من هو وائق من الحسارة .
لأنها رأت وجهها الحقيقي في ١٨٤٨ و ١٨٧١ .

في ظل ملكية لفسوز^(١) ، كان السكان القرويون يتألفون من بورجوازيين
ومن حيوانات . كانت الملك بورجوازيًا وكان البورجوازي ملكيًا ، كانت
البورجوازي إنسانًا وكان الإنسان بورجوازيًا . وكان الحيوان حيوانًا ، وكان
يعرف بالآلات . وكان الجوع ، في غالب الأحيان ، يطرده عبر الشوارع . وكانت
تم هدمته بإطلاق الكلاب . ثم تبدل كل شيء ذات يوم . كان ذلك في حزيران
١٨٤٨ ، وكانت الحكومة قد سمعت شائعات وأطلقت برأسها من النافذة : وبدلاً
من ان ترى المشية المألوفة شاعرت جيشاً . فقد انقضت البروليتاريا التاريخ
الرسمي وشكلت أول معركة نظامية لها . يا لها من هزة : ان تلك الحيوانات تقاوت
كالبشر ، ولقد فعل الجميع بالتلاحم الجسدي لناوراتها . باختصار اصطفت
لما تكون الانسان نجماهم في نوع كان قريباً عنهم . وكان هذا مصدر خوفهم
الكبير : طالما ان الآخر يزعم انه يصبح انساناً ، فان الانساني قاطبة يصبح
آخر ، والبورجوازي يتعرف نفسه في عين الآخر شيئاً آخر غير الانسان .
وإذا كان البائسون يشكون جزءاً من النوع الإنساني ، فالبورجوازي لا يتميز
عنهم إلا بأعمال العنف التي يجعلهم يكابدون منها . وهكذا أصبح البورجوازي
يتحدد على حين غرة برفضه : كان قد رسم لذاته حدوده الذاتية عندما اهن
لنفسه الحق في رسم حدود لنوعه ، وإذا ما حدث واتخذ المستبعدون يسدورهم
من انفسهم قياساً للإنسان ، فإنه سيتعرف انسانيته لدى الآخرين كقوة هدامة .
وإذا ما طرحتم المسألة يمثل هذه الصورة الواضحة : لقد تسرب بشر هويت
الى النوع الإنساني ، ولا يد من طردهم . فكيف السبيل الى ذلك ؟ يشتق
المريض ؟ هذا لا يتكفي : فالبورجوازية قد فقدت قناعاتها الرائدة المطبقة ،
ولن تستعيدھا الا اذا وجدت نفسها من جديد وحيدة في العالم . ثم اذا مسا
بدت المجزرة فمن الخطر ألا تتابع حتى النهاية : فالجزائرون لن يستحصلوا على

١ - من ملكيا لوي - فيليب الذي تسم العرش بعد ثورة لوز ١٨٣٠ . ص ٢٥٥ .

بيرة ساحتهم الا اذا بذلوا قصارى جهدهم في اعادة الشهود . وبكلمة واحدة ،
 كان لا بد من اثناء الطبقة العامة عن بكرة ايها . وكانت البداية تبشر بالخير ،
 فالبورجوازية ، التي طاش صوابها حثاً وخجلاً ، والتي تحريت واكتشفت عورتها ،
 تريد ان تنفذ جميع عبون البروليتاريا . واتخذ الحرس الوطني لنفسه واجباً
 اعدام الحرس . لكن القمع من نكد الطالع اوقف قبيل الاوان . ولجعت
 النخبة : فلو سقط عشرة ملايين قتيل لمادت اليها برادتها . اما رأيت عصف
 المدعومين لم يتجاوز ١٥٠٠ ، فانها قد ألحوت الى شرمة من القتل . وحسين
 انتهى كل شيء ، فلعننها خوف عظيم من ان ترى نفسها ومن ان ترى حتى انها
 تخلت عن حقوقها السياسية ليريق من التنظيم ممن لها بالتقابل حيا في الملكية .
 اما القتل فقد عزيت اليهم جرائم بشعة تظهر بوضوح حيوانيتهم . واستمر شرط
 الحيوان مبروضاً على من بقي على قيد الحياة . ووفق صدر جميع المالكين على
 العاصمة : وحتى يصلحوا من أمرها ، قطعوا أوصالها . وجاء ارتفاع الائتمارات
 لينجز العملية إذ قضى على الفقراء بأن يلقوا خارج الاسوار . واضلن العمال من
 التاريخ الرسمي . يسد انهم ظفوا احياء يعيشون مشككين في الشيطان اللطيفة
 التي تحيط بالمدن : وكانت عيونهم من حين إلى آخر تقع ، فينهال سبيل من
 الرصاص على حشودهم . ولم يكف أن يحظر عليهم الكلام : بل جرت ايضاً
 محاولة لسر ذاكوتهم . لكن هباءً . فقد حافظوا بغيرة على ذكرباتهم ، الأمر
 الذي منع البورجوازية من التخلص من ذكرباتها : فهي لم تلتس في أي لحظة
 وعيها ، ولا الرؤية الحقيقية التي رأتها ولا الدم الذي لطخت نفسها به . ولقد تجلج
 ذلك واضعاً يرم سقوط الامبراطورية^{١١} عندما رفض مشوهها ان يحاصروا
 باريس فاضحين ذعرهم وتطوهم . ولقد غاظها التمرد من غير ان يقابنها : فقد
 كانت تتوقعه . وعنت دويلة واحدة مشربن عاماً من السلوان . وطرح السؤال
 البديهي على بساط البحث من جديد : أم أم نحن؟ واكتشف الابناء في عيون

فقبل حسين عامساً كان العمال يتوسلون الى رب العمل ليرى ان يؤسهم ، لتقتهم من انه يكفهم المره ان يرى اوجاعهم حتى يتغش لهم البره منها . وفي عام ١٨٤٨ كانوا ما يزالون يصدقون لامرئين حين كان يحدثهم عن « سوء التصامم الماساوي الذي يفرق بين الطبقات » . وبعد ١٨٧١ فهوا . وكان ذلك من سوء طالع البورجوازيين . لقد عرف السادة في البلاد الاخرى كيف يقون خافين عمن الانتظار ، وكيف يتوارون امام مسايسونه وضروراته القاسية للاقتصاد الليبرالي . وهذا السبب لم يكرههم العامل حقاً - وهل يستحق كرهه مسا هو مجردة إلا كرهها مجرداً ؟ - وحتى لو كرههم لاشتملت كراهيته في ذاتها على تجاوزها ؛ انه يعرف انهم يعتبرونه حيواناً يطعم الى دخول الانسانية ويتوجب لجه ذوماً ، لكنه يعتبرهم « هو » بشراً يحملون النسخه أو يريدون ان يتجاهلوهما . ومهما يكن عنف الثورة التي يتطلع اليها ، إلا انه لم يفكر قط بإعادة اعدائه الطبقيين ؛ فتنصية البورجوازية يجب ان تحرر البورجوازيين من جهلم وتجريدهم البورجوازي لتعيد اليهم انسانيتهم . وليس ما يفضله فيهم هو الانسان ، انما للقوم الحرمانى عن الانسان ونفى الانسان ؛ طالما ان الصراع همسور في المجال الاقتصادي ، فإن كراهية العامل ليهي ضمن نطاق العمومية^(١) .

أما في ١٨٤٨ و ١٨٧١ ، فقد أسفرت البورجوازية الفرنسية عن وجهها ، وضرمت بغوة . والرأسمالية والطبع ، شأنها شأن كل اضطهاد ، تستمر بالعنف ؛ لكنها لم تكن تتطلب لذلك العنف ولا تلك الوحشية في القمع ؛ ففي ١٨٤٨ لم يوجد قرد البلوس تهديداً جديداً الى أرباب العمل ، وفي ١٨٧١ كانت قد بدأت مفاوضات ولم تضمن المصالحة مستحبة ؛ واذا كان الفرسانيون قد رفضوا كل شيء ، واذ كانوا اول من هاجم الى الهجوم ، فهذا لأنهم كانوا يريدون ان يفتلوا . وبمسئلة واحدة ، أظهروا للناشأ . إن بورجوازيتنا لم تمانع ان تتميز بوقاحة ضباطها وقسوتهم ، وبغلاظة قلب اللاك وأصحاب المعامل ، وبالارهاب الذي

١ - قد يكره بعض ارباب العمل الشيورين بقسوتهم . لكن هذا لا يعدر ان يكون اكثر من مظهر عرضي ونال من مظاهر الصراع الطبقي .

الذي أظهرته في البداية ، ثم بالتفصيل المنهج الذي أظهرته صحافتها المحترمة ونسائها الشريفة بمسد النصر . ولقد تحشت المعالجا وجهها : فتجدت على حقيقتها . وعلى الفور تجدد الحقد العمالي بدوره : انه لم يعد منصباً على التجريد الرأسمالي ، وبات العمال يفضون في البورجوازي الفرنسي الانسان ، انسان اللحم والمعظم الذي تحقق بشروعه التاريخي . إن البورجوازي هو نتاج الرأسمال في نظر جميع عمال العالم ، لكنه في نظر عمالنا إن أعماله ، أي قائله ، وسيفه ، كذلك لمدة طويلة من الزمن . ولقد تزعر الجليل العمالي الجديد في صمت الامبراطورية الثانية الحائق ، وشهد عاجزاً مشيخ المصومونة . وحين أنهن لتعرب ، كان الصراع الطبقي قد انتقل إلى الميدان الاقتصادي . لكن هؤلاء القادمين الجدد لن يلسوا أبداً ما رأوه : فهم حين يريدون ان يتوقعوا ردود أفعال أرباب العمل ، يتذكرون تيير وغاليفيه وشتايندرا^{١١١} ، ويسلمون ان ذكريات غير قابلة للتنداد ليحكوا على أرباب العمل القامرين على كل شيء . انهم يتوقعون بوعياً ان يتحول النزاع الاجتماعي الذي بدأ يتقدم الى حرب أهلية ، او ان الحرب الأهلية تبدو لهم بالأحرى حقيقة الصراع الطبقي . وسوف يكون هؤلاء الشباب في نظر البورجوازيين أعداءه الأداة : لأنهم أولي الناس معرفة ان كل طبقة تنشئ موت الأخرى ولأنهم على الأخص قد تعرضوا للذئب . وبالأصل ان الطبقة العاملة 'لجوع' في كل مكان ، إلا في فرنسا حيث تسفك دماؤها . ان بروتشاري ١٨٨٦ يبيع قوة عمله للناس الذين قتلوا أباه أو أشاءه الحضر . ومن هنا كان موقفه منهم مزيجاً غريباً جداً من الحقد المكبوت والصلابة الباردة والأزدراء والخوف والعنف الانتقاري . وفي غير فرنسا تحفل القادة العماليون بصورة مكشوفة ان كثيراً وان قليلاً عن العمل الثوري ليستغلوا إلى أقصى مدى مزايا الانتخاب العام : سيحسون للطبقات الكادحة نشوئها في البرقان . وهذا معناه انهم اختاروا الاندماج : انهم يقبلون بواقعة الرأسمالية

١ - وحين شايبرد صناعي وسياسي فرنسي . وليس الحقبة التشريعية في عهد الامبراطورية الثانية (١٨٥٥ - ١٨٧٥) . ص ٢٥٥ .

ويدهنوت عن مصالح المجتمع القومي ليتوصلوا بالمقابل الى تحسين القوانين الاجتماعية . ويطور أرباب العمل مشاريعهم وقد عاهد الاطمئنان إليهم . وهم لن يفلحوا من التمرکز العالي طالما ان حطهم شاء ان يفلحوا ويولتاروا متدعة . وكانت الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية تؤدي دور الرهينة والوسيط . وكان التباسها بالذات^{١١} يسمح لها بأن تضمن على الدوام ترابط الرأسمال والعمل . وكان محض وجودها يفتح الاتصال العالي . ونحن نختار المنطقتين مضطهدين ليجبروا عن شكايتهن : « فإن النظام يكون مستتباً » والتواصل فاسقاً » والوحدة الوطنية موطدة . ثم في اللحظة التي يلجأون فيها الى استخدام القوة ، فإن القوة قد تستخدم في تضليلهم . وإثنا عندما يلزمون الصمت يصبحون مخفيين .

وفي فرنسا كانوا يلزمون الصمت : فلقد انشقت البروليتاريا . إذ ان هذه الطبقة المهانة المبعوضة بقتلاها انفصلت عن الأمة وشكلت مجتمعا في قلب المجتمع . فما يعبا الانتخاب العام ! انها تعتقد نفسها أولي الناس بمعرفة ان الأصدقاء الانتخابيين هم في غالب الأحيان أعداء طبقيون . وهي التي أعطت بعد كل شيء » الضاربين بسيفها قوتهم . ان الدولة - سواء أكانت ديمقراطية أم لم تكن - هي « الحلاصة الكثيفة لأرباب العمل » وقد رفعت الى أقصى درجات قوتها . ولهذا السبب وعدمه لن نستطيع البروليتاريا ان تقبل بالمشاركة في تسيير الشؤون العامة حتى لو توفرت لها الفرصة للتأثير على مجرى المناقشات . إرسال ممثلين الى البرلمان ؟ ومن يتكلمه أن يثلها ؟ انها تنظر الى اليمين واليسار نظرة ازدراء واحسدة . وجميع السياسة في نظرها بورجوازيون : أين تكن ليورجوازي ، موايا تكن اللائقة التي يرفعها » أنت يدافع عن مصالح العمال ضد مصالح سائر البورجوازيين ؟ لقد كذبت فرنسا « في نهاية القرن الماضي » البلد الوحيد الذي تفتقر فيه الاشتراكية - الديمقراطية الى اسس عملية . ان العامل يصوت » هذا صحيح » لكن برضاوة ومن قبيل تجربة الذمعة » ومن غير ان يرتبط

١ - اقرب الاشتراكيون وبورجوازيون ومتأسفة يدورهم في الشعب . وهم يرون في الدولة لبورجوازية جهاز استعباد ومع ذلك يسامرون في تسيير الشؤون العامة .

بين وظائفه كناخب وبين نشاطه المطالب : انه يؤدي الأولى بصلته فرداً منفكاً ، مواطناً مجرداً ضائعاً بين جموع سائر المواطنين المرددة ، ويعارض الثاني بصلته عضواً عضوياً في جماعة منغلقة . وخلاصة القول ان الطبقة العاملة ، المحبوسة بين اسوار عزلتها المتوحشة ، ما عادت تعتمد على غير نفسها : انها تنكر السورانية^{١١} وتدين القوانين الاجتماعية حين يكون البرلمانيون هم اصحاب المبادرة في طرحها للتصويت . وقادتها لا يفكرون فرصة لتوكيد استقلال الحركة العامة والوضوح المتناحر بين النقابات والحزب . وعبثاً يصغر الحزب الاشتراكي الفرنسي من العروش . فكل ما يقبده منها هو اتهامه ، يفرق حرمة الاستقلال الثاني . ولزاء هذه « الثورات » وهذه « الروثينات » تخترع البروليتاريا ، من غير ما تجر به سوى تجريرتها ، طريقها الخاص ، وتقتل الصراع الى الميادين الوحيد المتوفر لها : ميدان العمل . والتلقائية الثورية ان هي الا البروليتاريا نفسها وقد التفتت بعزلتها واعزلت هجرتها : طالما ان الفلاحين خافوها ، والبورجوازيين الصغار خافوها مرثين ، فقد قررت ان تخرج كل شيء - حتى القبح الاخلاقي - من كيسها الخاص . وهكذا عاش العمال لحظة خاصة للغاية من تاريخهم : لحظة الانفصال . ففي ١٨٧١ انظهم المجتمع القومي : فبينوا منقاهم وحولوا السلبية الى ايجابية . وما هي احياناً بالامبرالية النقابية او التوتاليتارية العمالية ان هو الا الانقلاب المدعش لطائفة من الثبوتيين : ما كانوا يسمون الا ان يكونوا شيئاً ما ، لكن طالما انه يقضي عليهم بالآ يكونوا شيئاً فسوف يطالبون بأن يكونوا كل شيء^{١٢} .

١ - نسبة الى ميوران . الاشتراكي - الشيوعي الفرنسي . الذي شغل وزارة الحربية عام ١٩٦١ ثم رئاسة الجمهورية (١٩٥٩ - ١٩٦٣) . ص ٤٠٤
 ٢ - ان تكون البروليتاريا حاملة لقب السلبية . فهذا أمر لا مجال للتكافؤ فيه ، لما تطالب به نفسها لا بد ان تطالب به الجميع . وان تكون الحاملة الوحيدة لهذه القبح . فهذا أيضاً مقبول . لكننا نأشد على سوريل خطئه والقبح ان الطبقة العاملة هي وحدها الوافية للإنساني مع فكرة ان هذه الطبقة حاملة لرسالة فريدة وغير قابلة للابصار . فهو بذلك قد حول الشعب الانساني الملهدي :

ان بورجوازيتنا يولون تحتهم من الحرف : فطالما ان البروليتاريا تتبرأ من
 محاميتها المزعومين ، فالجسور كافة قد قطعت ، وقامت ارض مزروعة السلاح
 معمورة بالجثث لتفصل العمال عن ارباب العمل . ولم يعد في وسع البورجوازية
 حتى ان تعتبر هذه الجموع الصامتة قطعاً من الحيوانات : فطالما ان البروليتاريين
 اختلفوا الهزبة بالقوات النظامية ، فهم اذن بشر . لكن ليس قاسماً : اذا كانت
 البورجوازية لا تريد ان يصبحوا قضاء ، فمن الواجب ألا يكتفوا عن أن يكونوا
 حيوانات . اذن كان البروليتاري ، الانسان والنعمة معاً ، يبدو شفافاً وقتياً في
 آن واحد : كان يضع الذكاء والطاقة والشجاعة في خدمة طبيعة عيسوانية
 غامضة وخرائز مستقلة على الفهم . وكانت ارباب العمل يسبحون بهذه الكتلة
 المبهمة ولا يكتشفون فيها سوى انعكاس عنفهم هم . وما كانوا على خطأ على كل
 الأحوال : فسر الطبيعة العاملة هو انها تعتبر البورجوازية الفرنسية خصاية اشقياء
 ومجرمين . وما ارادت تخيلنا ان ترد صلاحية هؤلاء القضاء اليك ، اكدت الحكم
 الذي اصدروه : فأهل الضربة والامانة ، يتابعهم المجازر بعد التصر مدة طويلة
 من الزمن ، ما كانوا يستطيعون ان ينفذوا بالذقاج الشروع ، وبالتالي كان عليهم
 ان يبرهنوا على ان ضحاياهم يستحقون الموت بطبيعتهم ، ولقد بدلوا في النبات
 ذلك قصارى جهدهم ، وكانوا يقولون : ليس البروليتاري بإنسان او بحيوان ،
 فلو كان انساناً لاحترمانه ، ولو كان حيواناً لوضمانه في القلص من غير ان نلحق
 به اذى ، لكنه حيوان انساني ، اي حيوان يهاجم الانسان وبوسائل انسانية ،
 او اذا شتم انسان تجرء القوى التي لا تقساموم الى التمر موعاً . انه حر يا فيه
 الكفافية حتى يستكون لنا الحق في معاقبته ، وعبه طبيعته يا فيه الكفافية حتى
 يكون لنا الحق في اليأس من إنقاذه . وباحتصار ، يجب ألا يقبب نظراً عنه
 وان نكون على استعداد دائم لصرعه بدون التدار . وهكذا اعطت البورجوازية

البروليتاري الى ملعب تصنيفي يراجع البروليتاريا الى ما هي عليه اليوم ورفض ان يأخذ
 حركتها بعين الاعتبار . ان عبء العظة من التوتاليتارية السوريلية تشبه خطة الزلفية لدى
 الامم المتحدة .

لنفسها الحق ، حتى تغسل عنها الجريمة ، في ان تردد ذكر هذه الجريمة بلسان ارتدتها . وقد يحسب البعض انها واقعت بظاهر من رشد وزعمت ان الحق والحرف اطاشا بصواعها وانها لم تكن مذنبه إلا بعمل الصدفة . لكن لا ؛ انها تريد ان تبرر غلطتها ، وتبررها ابعاد لتبدل وتصبح مجردة للزوع الخريزي فيها .

أما رب العمل الشاب الذي حل حوالي عام ١٨٩٠ محل رب العمل القديم ، فيبدو للوهلة الأولى انه لا يمكن ان يلام على شيء ؛ انه ابن قاتل ؛ هذا أمر لا شك فيه ؛ لكن سنة الصغيرة لم تكن تؤهل للمشاركة في الأعدامات التي نفذت بالجملة ، والدم السفوح من قبل الأهل لا يعني أن تسقط تيمته على كاهل الأولاد . إذن قدره الخيار ، وهو يستطيع ، حسبما يحول له ، ان يتبرأ من أبيه او ان يعانده . ولقد اختار ، كما هو معروف ، المناد ، وهذا لأنه زرع في الحقد والنشء على الكره ؛ لقد علموه ان بقت الضحية حتى ينموه من إداة الجلاء . انه سيرث عن الأهل كل شيء ، ما لهم وما عليهم ، المعامل والجرائم . وبالتالي سيبري نفسه من المسؤولية ؛ عندما دخلت الصنع ، وجدت الحقد ولم أكن قد فعلت شيئاً لأحركه . علام الألام ؟ اننا ، نحن أرباب العمل الشبان ، لم تقتل أحداً ، كما انه ما من أحد ، على حد علمي ، قد قتل بعد بين العيال الشبان . المسألة إذن لا تحتاج ال برهان ؛ طالما ان البورجوازي الشاب لم يبرر بعد رقبة العامل فإن حقد هذا الأخير غير مبرر ، ولا يعدو ان يكون أكثر من موقف قبلي ؛ علاقة أساسية مسبقة بين المعامل ورب عمله . والمعامل حقد بطبيعته ؛ والبورجوازي هو الضحية البرهنة لبعضه . يا البورجوازي المسكين ! ما بفعل ؛ فإن الأخير هو الباطن ، دعوا ؛ ألا يقول لنا ان العيال يشنون موته ؛ وهذه الحجة ما يزال يستخدمها ال اليوم الصحفيون الرجعيون ؛ ان عمرها أكثر من ستين عاماً ومع ذلك لم يظهر عليها غضن واحد .

منذ ١٨٩٠ وما من رب عمل صغير لا يرحس نفسه بالتمتع البورجوازي . أيطالبونه بزيادة ؟ إذن فهم يريدون أن يقطعوا الرباط القومي . أينشد مؤتمرن من

المؤثرات التنافسية بالرأسمالية^١ إذت فهم يريدون قطع عنقه واغتصاب بنائه . وبفضل هذه الشعوذة منحت البروجوارزية نفسها^٢ في أواخر القرن الماضي^٣ حثاً إنشائياً يمكن ان يسمى بحق الدفاع الشروع الدائم . ان هذه الطبقة اللبنة تتذرع بالدم الذي سلخته لتتخيل انها في حالة حصار^٤ مطوقة من قبل الوحش البشري^٥ وان كل عضو من أعضائها مهدد^٦ من التهديد الى القعد^٧ يخاطر الموت الدائم . وبكلفة واحدة^٨ إن أولاد فرساي يقضون العمال الفرنسيين من كل قوتهم^٩ كما كان البارونات الألمان^{١٠} بعد ثلاثين عاماً من حرب الفلاحين^{١١} مسا بزاون حاقدين على أبناء وأحفاد الأشرار الذين عليهم آياؤهم . ومن قتل سيقتل . ويدخل الميدان جيل ثالث من الجزائر^{١٢} ويحصد فيه قبار الجيلين السابقين وآفزر فضائلها . وبفضل هؤلاء الصغار في السن مسا في وسعهم ليعطوا الصراخ الطيفي طابع الثأر المتبادل . فهم يظهرون حقدهم حتى يظهر العمال حقدهم بدورهم : وهكذا تنعز كل حبيبة بالأخرى . والحلصة انهم يحسولون ان يقبوا التوتز الاجتماعي في أعلى درجاته بحيث يمكن لأبسط حادث ان يشعل شرارة المصيان والفتن العامي^{١٣} . والأسلحة مشعوذة والتبريرات في تناول اليد : انت هذه الشيبة الروسية تعد لنفسها مستقبلاً رغداً سعيداً . واننا لتتسامل عن العجزة التي أنفقت البروليتاريا من مذبحة جديدة ماثلة لمذبحة سان بارلمي .

١ - الأسباب الاجتماعية والايديولوجية لفرضية معروفة بنا فيه الكفاية . وينبغي انت فضيف اليها فيما يتعلق بفراسا حاصلاً تاريخياً : أيام ١٨٤٥ الدامية . ان المذهب الارثوادي القوضوي يستمد ازيرة اليبينكولوجي من الجزائر السابقة . ان حركة إضرابات يصفن ان لتتأ عن وضع القضاوي معين . لكن لتسبب جوية قتل فلا بد من جوية أخرى . او على كل حال لا بد من ظروف متفردة مرتبطة بزم معين : لهذا فإن أمثال رافائول (قوضوي فرنسي - ١٨٥٠ - ١٨٨٥) يعمدون بين صفة الصن الشريف ورجل العدالة : انهم يفتنون من يفتل . ويكتسب القول إن لكل منهم مراع عاملة وايديولوجية (د المصنع^{١٤} هو هذا أو ذاك . و د الرأسمال^{١٥} ولد هذا الوضع أو ذاك) وتزوغاً عذياً عديداً : الانتقام للضحايا الفرماويين . ولتستطيع ان فلا حظ كيفه انت القوضوية الايطالية قد تلعبت عن قرب مذبحة العمال الميلايين وانتكمت بالحكم بقرن على امبروز الأول وبتهنية هذا الحكم فيه . ان هذه الظاهرة لا تعاقب لفسا في طانيا وانكنا ان الصراخ الطيفي فيها المنصر بصورة عامة . وبالرغم من شغفه^{١٦} في الميدان الاقتصادي .

أي معجزة ؟ انها بكل بساطة ه الثورة الصناعية الثانية ه : فقد ولدت في الولايات المتحدة وامتدت الى أوروبا وفرنسا . إن بورجوازيقتنا الكبيرة على حدة خمسة وعشرين عاماً من اليفرات الميان متضاعف انتاجنا من الحديد الصلب ضعفين وانتاجنا من الفولاذ ثلاثة اشعاف . وهذا ما يدعو بالطبع الى القنطة لكن ليس من دون فكرة مسبقة : فالمشكل مع الرأسمالية هو انها تكد معها حطاري قبرها وهام حفارو القبور قد بدأوا يتكاثرون . فالطبقة العامة لا تنمو وتزيد عدداً باستمرار بلضل رفد الريف فحصب ه يسبل هي ايضاً - في مراكز التجمع المدينية - أكثر الطبقات النجاة للأولاد . ان احصائيات ١٩٠٦ تظهر الحقيقة الخفية : إن كل مئة مستخدم مازوج بنجيون ٢٩٩ ولداً ه وكل مئسة رب عمل بنجيون ٣٥٨ ولداً ه وكل مئة عامل بنجيون ٣٩٥ ولداً . ويلقي ان فقيف ايضاً ان الهداية الشيروالتوسية التي قام بها التقلابيون الفوضويون قد أثرت في ه الفئات العليا ه من البروليتاريا : فالعمال غير المخصين هم أكثر فئات البروليتاريا إنجاءاً . ومنذ ١٨٦٩ لاحظ أوروبا بروليو بحزن : ه إن العمال الذين يحتنون الصوف الأخيرة ه أولئك الذين يؤمنون غلظ الأعمال وأشغتها وانقلها تعويضاً ه يستمرون في تكوين الأسر الكبيرة نظراً الى عدم فهمهم مصلحتهم او الى استعادة العفة . والنتيجة إن الطبقة العامة كانت تثل ٢٨٪ من السكان في مستهل الامبراطورية الثانية و ٣٥٪ في مستهل القرن العشرين . واذا كان يتوجب ان تعطي اسماً للمعجزة التي اتقذت البروليتاريا فسوف أمينا تكاثر حطاري القبور . ويشلك القدر أرباب العمل : فالسياء التطبيقية لفرنسا تتعدل ه ففي ١٨٥٠ كان فرنسي من سبعة يقطن في مدينة تعدادها ٥٠٠٠ ساكن و أكثر ه وفي ١٩٠٠ بات كل فرنسي من أصل سبعة يقطن مدينة تعدادها أكثر من ١٠٠٠٠٠ ساكن . والحال إن ه الريفين ه هم الذين ساعدوا الفرساريين حسام ١٨٧١ في اعمالهم الكبيرة الهادفة الى تصحيح الأوضاع . وكانت الهورجوازبية ه المتمدنة على الريف ه واثقة من قدرتها على أن تسحق ه عند أول شطط ه الاقلية العمالية : فالجندي بعد كل شيء فلاح . لكن ما يحدث لو انعكست العلاقة ؟ من يأتي دوره في التنبيح ؟ إن

الحقد لسري عدواه بسرعة . والقادمون الجسد ، سواء أولسوا ام لم يولدوا من الطبقة العامة ، يجيرون ذكراء ويتبنون لحسابهم الآم الالهائيين^{١١} . وأثناء ذلك عادت باريس ، بالتأكييد ، الى سابق صحتها : فالمرء يقطن فيها بصورة بروجوازية ، وينتخب بتقليب ، ولا تسمع إلا مع الأخيار من الفقراء . لكن حين يوقع سكان «باصي»^{١٢} رؤوسهم ، يخيل اليهم ان وسواسهم القفطل للسلط عليهم قد تجسد : حشد ضخم يتكلم عند أبواب المدينة ولا يكف عن التضخم : والعاصمة تواجه حالة حصار . ويرتقي سادتنا فوق التحصينات : انها البروليتاريا على مد البصر ، البروليتاريا التي لا نهاية لها والتي تلتأ الزيف وتندوس بأقدامها خلال الحصار . وأثناء ذلك ، ومن أرجاء فرنسا الأربعة ، يأخذ الباشون بالتحرك لينضموا الى جيش حفازي القبور . إن الفرسانويين لم يقتلوا سوى حفنة من الأشخاص . وعلى حين فرقة يكلف اولاهم ان طؤلاء القتلى قرية لا يخصص لها عدد . ولا بد من وضع حد لهذا .

كيف ؟ ان الكلام يدور من الآن عن دمج الطبقة العامة : لكن في هذا الكلام تسرعاً . فالدمج معناه لزعة أوبية واعدامات ١٨٣١ قد مزقت الأوبية شر تزيق . في الشمال تقوم «الشركة» بالدمج بصورة جماعية وسريعة : لكن هذا لأنها تعمل في دائرة مغلقة . ففي تلك المحافظات المغلقة التي لا يدخل اليها أحد ولا يخرج منها أحد ، لا تطرح مسألة الإسكان ، وكل شيء في متناول اليد : فالسكان يتصرفون المهنة من غير ان يبذلوا تقريباً مكان الإقامة ، ولذا طاردوا قريتهم فإفا ليقبوا في المدينة العالية المبنية بجذاتها : فهم يحدون فيها اطارات وتقاليد وتسللاً اقطاعياً مكانهم فيه بحده سلفاً . ويكلمة واحدة تم «فيركة» البروليتاريين باقتطاع كميات محسوبة من الريفيين . لكن في ضواحي باريس ؟ في ضواحي ليون ؟ كيف يمكن توجيه تحول الفلاح الى عامل ؟ إمت المصانع تبيعس باستمرار من الأرض ويغلق ظهرها أبوابه . ومطالب السوق

١ - جنود الكومونة عام ١٨٧١ . - ٢٢٠

٢ - ضاحية من ضواحي باريس . - ٢٢٠

استلزم باستمرار تعديل تقنية الانتساج . وتلوح هذه التقلبات في عدم استقرار دائم الوظائف . والعمل غير مرتبطين جغرافياً البتة فكان عملهم . قبي لوفالوا - بيريه ، وفي شارتون ، يفتخر السكان الشيطون كل مساء ويلبثتون . ويحل عملهم آخرون قادمون من اتي كان . أفريقي السعي وراء انصاف البصر هؤلاء ؟ ومن أين يؤتى بهم ؟ وكيف السبل الى تجميعهم ؟ وأي تأسيير تنبغي ممارسته عليهم ؟ إن المزاخمة لعارض الأوبسة : فهي التي تعدل باستمرار سياه الضواحي ، ويسببها تهازج هذه الأكداس من البشر باستمرار بفعل الحركات التذبذبية التي تخلق ميكانيكياً تحول الربيع الى برولينارين . اذن ما العمل ؟ تخفيف التمر كز ؟ الجزنة هذه الكتلة الضخمة التي تتعاطم فيها ادنى طية لتصبح رعداً ؟ إن هذا الحلم ليس الجديد ولقد كان ينال اعجاب ارباب العمل قبيل الثورة الفرنسية بحد طوبى عندما كانوا يهدون بالعمل الى فلاحين يعيشون خارج الاسوار حتى يتصلوا من الانظمة الحرفية . تخفيف التمر كز وتخفيف المركزية وتخفيف الاحتقان ، واستبدال الكتلة الكبيرة المنتجة على الرقابة بد كتل صغيرة ، متناثرة في طول البلاد وعرضها ، تسهل الرقابة عليها ! لكن الاوان لسوء الحظ غير مناسب ، ثم لا يد لذلك من وجود تقام وخطة موجبة: وهذا ما تضع المزاخمة أيضاً في وجهه العراقييل بغيرها الشقاى بسين ارباب العمل .

اذن ؟ كيف السبل الى الحيلة دون صعود البرولينارين بالتحيف من المنحيل على كل حال اطلاق النار على الأكداس دونساً قبيز . قسياسة الابادة تناسب فترات البطالة . وفي ١٨٤٨ كانت مدفونة وحكيمة : ألم تكن البورجوازية على صواب حين أفنت بالسلاح اناساً يكفون من غير ان يقتلوا ؟ وعلى كل حال وقعت على عائق الاقتصاد السبع الى ، تلك الآلة المدعشة ، مهمة اعادة التوازن يعض وسائله الخاصة . ولم يكن بحاجة إلا الى بعض المساعدة ، ولا يستطيع أحد ان يلوم ارنلك الذين اعدوا العمال ليحولوا بينهم وبين الموت جوعاً إلا اذا كانت سيء النية . لكن هذه الاسباب لتسها تمنع في مرحلة الأزدغار ، عرقلة التطور

الحزب القوي الاقتصادية . ومعها يمكن نمو السكان العاملين ، فإن عرض اليد العاملة يظل دون مستوى الطلب ، وإطلاق النار على الإنسان في الوقت الذي يساوي فيه ثأراً خالياً ، إذا هو تدير . ومن حين إلى آخر تستطيع الحكومة أن تسمح لنفسها ، كما في فورمي ، بتطهير عملي القوى العاملة . لكن لا يد أيضاً من الحظر والاحتراس : فالرغبت الطبقة العاملة ، لو قومت غسارة تقدر بالملايين . إن دين وريثان يتصاحبان بالجهنم إلى قوى المائتوية الاجتماعية التي تعمل بدموه والتي لا تظهر نتائجها في البداية للبيان نظراً إلى بطئها الشديد . وطالما أن العامل ليسر الغنص ، كما بين ذلك لورواوليدو ، يجعل مصالحة الحقيقية (التي تأمره بالطبع بأن يفتس بأمره ما يتكمن ومن دون أن يخلق نظرية) ، فلا بأس أن جرت محاولة لفتح عينيه . وعلى هذا فعلى حكومتنا أن تأخذ على عاتقها مهمتين : تثبيت الفلاح في أرضه وتسهيل طفة الفقيه . وتشن حملة خطابات . وتتردد في جنبات البرلمان ومجلس الشيوخ والأكاديمية صبيحة واحدة : « الأرض لسوت » الأرض ماتت ، تسعي الأرض ، « وينوه الخطاب بأي فن قد تكنت فرنسا حتى اليوم من تطبيق التوازن بين زراعتها وصناعاتها : وإنما في هذا التوازن الزائغ للقوى المنتجة يجب أن نبحت عن سر سعادتنا وفضلتنا . أياها ومن هذا التوازن ، أياها ولجريد الآله الرجوع من رغبته في أن يكون قرانياً . وهذا معناه بالطبع : لنبت على التفوق العمودي القريطين على العمال . كتب السيد سوفي : « حين تمارس الطبقة السائدة السلطة المطلقة ، تكون من الضرور نمو السكان ... وحين يحصل المسودون لسبب أو لآخر على حقوق ، واقع بالتالي على السائسين واجبات ، يتغير مظهر المسألة ... فطالما أن السيطرة لم تعد مطلقة ، فإن تحديد عدد المولادات يصبح مفيداً إن لم يكن لازماً وضرورياً » .

كان الأب يقتل العمال المشطين . واليوم يجري إتساع الابن بالعبودية بينهم وبين التواله . إنها نصيحة متازة ، لكن لا يد من أن تكون هناك إمكانية للأخذ بها : ففي فترة الانطلاق الصناعي يتخضم تكاليف العمال مصالح الانتاج ، وفي مستقبل هذا القرن كان البروليتاريون يعيشون على

الخوف لأن عددهم كان أكبر مما ينبغي . لكن المصدر الحقيقي لسلطتهم القوية هو أن عددهم لم يكن كافياً بعد . ان تطلب اليد العاملة يعني من شأنهم ، وسيبب ارتفاع الأجور ، ويحد من الحقوق الواقعية لأرباب العمل : ففي 1871 و 1890 ارتفع العدد السنوي للاضرابات من 267 الى 1074 ، وقارِجت نسبة نجاحها بين 50 و 70 . ان المضطهين يتمتعون بزيادة العدد والندرة في آن واحد . وإذا كان الفوضيون قد انضموا الى أرباب العمل على صعيد الدعاية لتسع العمل ، فهذا لأنهم اتخذوا من الماتوسية سلاحاً في الصراع الطبقي .

إن الرأسماليين القرنين يتعرضون للضيقة من قبل وأصحابهم بالذات: فهذا النظام العبودي يفرض عليهم ان ياتروا سلطة مطلقة على الجماهير ، لكنه يجعل هذه المهمة مستحيلة عليهم في الوقت نفسه بزيادته باستمرار حاجتهم الى اليد العاملة . ويطلب أرباب العمل متوزعين بين متطلبات السيطرة والربح المتناقضة ، يشعرون شعورهم : كيف السبيل الى الحفاظ على الأرباح بدون زيادة الانتاج ؟ كيف السبيل الى تعيق البروليتاريا من غير أن يؤدي ذلك الى ارتفاع الاجور ؟ كيف السبيل الى تحويل فرنسا الى أمة صناعية كبيرة مع الأبقاء على طابعها الديموقراطي كيد زراعي ؟

إن الأجوبة في الأسئلة ، لكن وأصحابنا ، الواقعين بين طرفي كاشة الخوف وإغراء الربح ، يفردهون في البحث عنها : ولهذا السبب نجد في فرنسا 1914 تيارين ، أحدهما يؤيد نمو السكان والثاني مالتوسي ، وكل منهما يتجاوب مع احد حدود التناقض . وظاهرأ كانت الغلبة في النهاية لمذهب نمو السكان : فقد أخذت منه الحكومة مذهباً رسمياً لها. لكن المسألة لا تبدو ان تكون أكثر من تضليل ، فمخاربة فاتة الولادات مخاربة حثيئة ، لا يسد من البدء بتخفيض التكاليف الحياة . ولا كان كل العزم ، على العكس ، هو منع هذا التخفيض بكل الوسائل ، فإن السياسة الديموقراطية ، لوزرائها لا تبدو ان تكون أكثر من لقط فارغ وتدابير لا حول لها ولا قوة¹¹ . وبالطبع يدل كل شيء على ان البروجوارية قد

1 - من ذلك الذي يؤيد نمو السكان ؟ الصناعيون ؟ المزارعون ؟ فقد وجدوا في الماتوسية =

اختارت سرّاً الحل الآخر . وما قد يفاجئنا هو أنها اختارته لها : فشكاز الضواحي الباغث يبدو وكأنه بسبب داخل الأسوار انهمازاً في نسبة التولادات . فلنكأن الانتباه ، لعجزهم عن خصي الفقراء ، قد خصوا أنفسهم : إن العظم البورجوازي يشبه إلى أبعد الحدود سلوك انسان فاشل ^{١١} . وأصبحت العاصمة غير العريق . وفي الوقت نفسه قامت « لجنة معامل الصور » بإجراء أولى تجارب المثلثية الاقتصادية مع تباعبها في الآن نفسه بتايعة « التقدم المعطش للسنوات السابقة » . ان كل شيء في محله : وفي عام ١٩٦٤ . لم يكن قد تبقى من محمل سوى بناء الآلة المجهنية التي ستربط عن طريق شرط متبادل بين المكائد المجهضة للصناعة والمكائد المجهضة للأسرة البورجوازية . وكانت الزعازج الكبيرة التي شهدتها الحرب وحلقة ما بعد الحرب هي الأقل المطلوب لإفناج أرباب العمل وحلهم على حزم . وتبينت النتيجة ان الحضارات قاتية : « يا قراسا المسكينه » : اللهد

الاقصادية وسيلة لتحقيق التوازن بين عرض اليد العاملة وطنياً . كلا : انهم لئلا يقدرون والمسكرين والكنوة . ان هؤلاء التآخرين ما يراون بمسيرون القسم يمشون في ظل العنصر القدر . في العصر الذي كان فيه لامرور اللعيب ينصح الحكام « بتباطئة عند الرعلاء والمجراوات » . ولم يلاحظوا ان البورجوازية تفسر سلطانها كقوة الواحدة تفر الآورى وانها دخلت في مرحلة السيطرة التنسية . لكن الصناعة الكبيرة تطيب خاطرهم عن كل حال : لتعطيهم المصائب القاتل بنمو السكان بيد الزماد في العيون حول امحاء السوية وما تحت الأرضية لتقليل السكان .

« موقف حروب . فالمكائد البورجوازية (بستانه الملك التي تسمى ان ارماس مينية) تاريخ عامة لتجدد التنسل يختلف اشكاله يا في ذلك الاجهاس . لكن هذه البورجوازية عينها تدعم في الانتخبات حكومة تعاقب بالنسج (واحياناً بالاعدام) لتتابع للسياسة العمل . والتناقص يبدو كجهد كبير اذا لم نقتبه ان ان قضاء البورجوازيات ثوراً ما يقطن في القفص بتعمسة الاجهاس . فمن لا يرى العروياً في القفص سوى مستخدمات بسيطتان او عائلات . ان كل شيء يجري ظاهراً كما لو ان الطبقة السائدة مالتوية بالنسبة الى قاتها ومولدة للعب لمر السكان بالنسبة الى الطبقات السودة . واخلال ان هذا غير صحيح ، فقد كان مفروضاً فيها ان تطور الاصنام نفسه وبيان الاطفال ، واخلال لنا فعل ايها المتعجب للبحث عن الاطفال حتى في بطون الامهات لتتركهم فيما بعد يظلمون كالذباب . ان ارباب العمل لا يهتمون ان يكون هناك عمال كثيرون . انما يهتمون فقط ان يتزاخروا من البروليتاريا لوجبه لسلها حتى يلزم التوازن بين طلب اليد العاملة وعرضها آتياً ضمن نطاق الآلية المجهنية التي ركبوها .

سفك دمها . ماذا سيعمل الكون بدونها ؟ . وما كان الكون ليأبى بها ، كما هو معروف . لكن تلك المراتي الاكاديمية كانت تخفي رهبة حقيقية : ولم يحسن الموضوع موضوع حرب او لحم . فبين ١٩١٧ كان ارباب العمل قد اقتنعوا بان النصر النهائي سيكون لبروليتاريا . وقد لا يسألي هذا النصر اليوم أو غداً ، لكنه سيأتي حتماً ، ببطء ، بتصميم ... وعاش ارباب العمل تحت وطأة هذه الوباءة الفاشية النظة : اجلس ، اجل ، ان اولئك الانذال سيتصرفون ! ان البروجوازية لم تعلم شيئاً ولم تفهم شيئاً منذ سبعين عاماً ، وجميع تطور الجزيرة العربية لم تتمكن من غسل دم يديها : وهكذا وجدت نفسها من جديد كما كانت عام ١٨٤٨ ، وكما كانت عام ١٨٧١ ، برأية البشر انفسهم ، قتل الكومونة ، الذين سيتوجب عليها ان تدبجهم للمرة الثالثة بلا جدوى . لكن الغلبة ستكون لهم هذه المرة ، ولن يشفق عليها احد لأنها لم تشفق على اسد في ساعة مجدها . ورأى ارباب عملنا انفسهم هالكين ، وبسدت فرنسا البروجوازية تتكلم عن نفسها بالسلطان منعمة مؤثرة . عن نفسها ، أي عن النوع الانساني لأنه لا فرق عندها بين التليق بنهاية العالم او بنهاية الرأسمال : قطالما ان العامل لا يدور ان يكون اكثر من حيوان ، فان مصير الانسان بين أرجل التعل ، وحين سقطتولي عشائيات الاجنحة المجائعية هذه على السلطة فسوف تحسر املاكنا وحيواناتنا وكرامتنا وكل تلك النعمومات التي كانت تستاهل بالأمس الموت من أجلها . وسوف يقدمنا السادة الجده طعاماً للعث ، ويفور ملكوت الانسان في الماضي . ولا نعتمد على التاريخ لينصفنا ولو بعد ان يلحق بنا الحيف : فالتعل سيعيد كتابته . ان مستقبلنا مسرود بتلك الكارثة المرعبة التي ستتابع تدعيمها بعد مولنا والتي تجعلنا مثلاً ، في نظر انفسنا ، امواتاً احياء ، لو على احسن الاحوال اخطاء مفسرة ومصححة .

وفي الوقت نفسه ، وفي القارة نفسها ، كان الحلق والحرف يولدان في كل مكان الانظمة الفاشية : كانت هذه الأنظمة ، اذا تجرأت على القول ، رد الفعل « السلام » : افا كان الايطاليون والالمان قد عاودوا ، مع تأخير قدره قرن

من الزمن ، مذهبة سان بارثلميه ، فهذا دليل على انهم يؤمنون بالنصر والرأسمال .
 ووسط هؤلاء الجانحين كانت البورجوازية الفرنسية العجوز ، الثقلة بالنسبة
 والجرائم ، تظهر بظهور داعية الانهزامية . باليون الثالث ، الهازر ، معسكرات
 الموت البطني ، انما تعرف كل شيء ، وتستطيع ان تقول ، في النهاية ، ان هذا
 لا يجدي فتيلاً . إن الرأسمالية لتنتج موتها بنفسها . والبروليتاريا تشبه شيبان
 ليو¹¹ : كلما قطع لها رأس نبت عشرة مكانه . اذن فالأجدر ألا تقطع هذه
 الرؤوس المتكاثرة المفرشة ، والأحسن ان يُبعت عن رسيطة لجعلها توت جميعها
 تصف ميتة . ونحن كان بورجوازيو الجنوب والشرق يصيحون : « ان السلاح »
 كان لبورجوازيون الفرنسيون يحييون : « فلترجي » . ونحن كانت الاجنبي
 يصرخ : « انبوا واقتلوا انبوا » كان بورجوازيو يفتنون : انتصوا القناه .
 أجيل ، اما في ذلك العصر ركبت عندما الآلة التي تدور على نفسها : فطالما ان تقدم
 الرأسمالية يفردها الى هلاكها ، فسوف يوقف التقدم . وطالما ان تراث هذا العالم
 منتقل أجيل أم عاجلاً الى ايدي أخرى ، فسوف تندبر بورجوازيولنا امرها لتنتج
 ما هو ضروري ، وتستهلك كل ما تنتجه . وطالما انهم يتنبأون لنا بفسق الإنسان
 فسوف نطيل في أمد أوله إذ نخلق له اقتصاداً قديماً . وطالما ان المزاج تحت
 على زيادة الإنتاج ، فسوف يوقف تطور المزاج . وطالما ان الضواحي تأتي ، في
 ايام الفتنة ، لتحتل شوارع باريس ، فسوف توضع العرائيل في وجه التمرکز التكنيكي
 لإبطاء التمرکز الاجتماعي . وزيادة الكلام ان المطلوب هو إيقاف التاريخ . لحظة
 من الزمن . لحظة صغيرة من الزمن . إن ارباب حملنا يريدون ان يؤخروا التكاثر
 بضعة عقود حتى يتاح لهم الوقت للموت في سلام . وليس في هذا من صعبية
 بشرط ان يقبل الرء بدمار البلاد : ذلك انه ليس المطلوب اكتساب قسوى
 جديدة ، بل ان نعرف كيف تستخدم نقاط ضعفنا ونعزز كل منها بالأخرى ،
 السوق قبل ان الانتكاش ؟ حسناً : سوف يجهزون عليها خفياً برفع الاسعار ،
 الاسعار قبل ان الأرتقاع ؟ اذن فسوف يدعون هذا الميل بتخليص الأتساج .

١١ شيبان خرافى كانت له رسيطة رؤوس ، كلما قطع احدعا نبت غيره

المواد الأولية مدفوعة ؟ إذن فهذا سيب محساز الخضوع لسيطرة الاجنبي .
 الاطفال يأمرون ؟ إذن فسوف يزيدون في قدرتهم يدفعهم بالأهل الى اليأس .
 والحق ان المالتوسية الاقتصادية تعتمد على المالتوسية الاجتماعية وتعمل بها :
 فالطفل بحاجة الى ما يتفق عليه قبل ان يصبح قادراً على الكسب ، إذن فهو
 مشروع جديد يتطلب توظيفات جديدة . وعين تنقر فرنسا بكاملها من تجديد
 ادواتها ، فلا مبرر للنهي بتجديد المادة البشرية بلا ضرورة . وأين العجب في
 هذا بالأصل ؟ فالنهضات الاقتصادية غالباً ما تترافق باضطرابات ديموغرافية :
 والآباء لا يريدون الابناء إلا أنهم يساهمون في مشروع جماعي يفرض في هؤلاء
 الابناء اتم سيرون نتيجته بأمر عينهم . لكننا لا نتطرق سوى الطوفان : فنادا
 تنجب اطفالاً سيخضعون للفرق ؟ فلنتلق العامل بالآخرى بأن فرنسا ستوت ؟
 ويأت مصير الأبن سيكون أسوأ من مصير الأب : فهذه احسن وسيلة لتسحق
 عينيه على مصالحه . وهكذا نظمت بروجواريتنا ، وسط اللجبة الفاشية ،
 انتحاراً طبياً قد يتد نصف قرن من الزمن . لقد كان رد فعلها الأول ، في
 مواجهة التهديد ، سلوك انسان فاشل . ثم عادت الى هذا السلوك وحولته الى
 استراتيجية دفاعية . كانت تلعب لعبة من هو واتسق من الحسارة ، إذن فسوف
 تلعب على اساس ان من يخسر يربح . واقتصاداً الدوار سيدور بصورة ابطأ أكثر
 فأكثر ، وذات يوم يصبح سيكشف عن الفوران : لكننا سنكون آنذاك في
 عداد الاموات . واذا ما عن يبال الروس يومذاك ان يضحوا يدم على فرنسا
 الجنية ، فلن يجهدوا سوى جيفة وسلسري اليهم عدواها . ان المالتوسية القرلسية
 هي بالنسبة الى شقيقتها الايطالية - الالمانية ، اقصد الفاشية ، ما هو الدفاع
 بالنسبة الى الهجوم ، والقاومة السلبية بالنسبة الى الفعل ، والانوشة بالنسبة الى
 الذكورة ، والشاوم بالنسبة الى التناول ، وبكلمة واحدة السلبية بالنسبة الى
 الايجابية . وفي كلتا الحالتين لا يتطوع الحكام إلا الى فرض السيطرة المطلقة من
 جديد على المهكومين : لكن التازيين كانوا يريدون ان يقيموا قوتهم على جهروت
 جهازهم القمعي ، والبورجوازي الفرنسي يستمد سلطته من لا حركية منحنطة

تحكم بالعجز على عدوه الطبيعي .

لقد رأينا حيرة ارباب العمل واضطرابهم امام النمو العددي للهولنديين الهولنديين :
« اذا استمرت في النمو اكلتنا . واذا حدث وتناقصت » فقد تفقد الصناعة
ذراعها . والالتوسية لجعل هذه المخاوف باطلة : فالانتاج بأسن في الوقت
الذي قيل فيه الانتاجية الى النمو ، وشروط البطالة التكنولوجية متوفرة
ومجتمعة ، اذن فكبح جماع الطبقة العاملة يبدو مرجحاً من مختلف وجهات
النظر . والالتوسية بالأصل هي التي تقدم أيضاً وسائل لتحقيق هذا الكبح .
إن الهولنديين انموذجاً مفرطاً لأن العمال ينجبون كثيراً ولأن الريفيسين
يهجرون الارض بأعداد كبيرة . ومذهب الجور الاقتصادي سيسمح بتعديل
هذا العامل وذلك .

الولادات أولاً : قديماً من ١٩٣٥ راح ارباب العمل يكسبون على طول
الحط . ولم تكن أي وسيلة قد نجحت قبلاً ، فقد كان أولئك الفلاحون الاجلاف
يشبون في الاحتفاظ بخصب الحيوانات . لكن كفت بضع سنوات من الاقتصاد
التراجمي لانقاص نسبة التوالد العاليي : فهذه المرة فهو « ولتفقوا شأن
الهورجوازيين تماماً . ولقد أراد البعض ان يجد سبب هذا التوجه المباحث الى
الطرائق المالتوسية في تطور الهولنديين الداخلي . وليس هذا خطأ : فقد
أصبحت الطبقة المنتجة أكثر تجانساً وابتداء العمال فيها أكثر عدداً من ابتداء
الفلاحين . لكن اذا كان الاوائل أقل إنجاباً من الآخرين ، فهذا لأنهم كابدوا من
عنة بؤس المدن واليأس زحماً أطول . ونحن نسلم بالطبع بأن ملاحظتهم كنتاج
لتلك العام التكتيكي الذي ينتجونه لتأكد يوماً بعد يوم أكثر فأكثر وبأنهم
يشملون شيئاً فشيئاً تقنيات الحياة والوت : كان الآباء خاضعين لخصبات الجسم ،
اما الأبناء فيعرفون كيف يوجهونه . لكن تحديد النسل ليس إلا وسيلة ويمكن
ان يخدم غايات متباينة جداً . انه لا يستطيع ان يفسر وحده العقم الفاجيء
والعيب للأجيال الجديدة : إذ لا يكفي ان يعرف الانسان بالطرائق المالتوسية ،
النا ينبغي أيضاً ان يريد استخدامها . فهل نتحدث عن علة هذا الاستكفاف ؟

في المطالب اللائق للاتساع بالجملة ؟ لا مانع اذا شئنا . لكن التفسير ، تحت هذا الشكل ، يظل ناقصاً لأن نسبة تناقص الولادات ليست واحدة في بلدان الرأسمالية المتقدمة . ان عمل العامل نصف المتخصص شاق دوماً . وحتى يصبح متعباً لا يطاق ، فلا بد ان تطبق المعايير الجديدة في اطار اقتصاد المخاططي . اسألوا بالاحرى العائلات الغالية : لماذا لا تنجب الأولاد . إن الجواب لا يحتفل بالشك : « اننا نعرف الامنسا ولا نريد ان نسيبها لغيرنا » . انهم لا يتصورون ، هم المحكوم عليهم بأن يعيشوا في عالم التكرار ، من مستقبل آخر لأبنائهم غير ماضيمهم بالذات . ومن عجزة لتحويل بروجوازيتنا الى قابلة لفارس الاجهاس ؟ وتنازع بطرقها الخاصة عمل آباؤها : فبدلاً من ان تذيب ترغم الخصم على دفع نفسه بنفسه .

ثم الهجرة الزيفية : فمن الراجح ابطالها او موازنتها او كلا الشئين معاً . ولا أسهل من ذلك اليوم : فمعروف ان الفلاح لا تجذبه الشواء المدن القانية ، لكنه يتدفع اليها ويتهاكك عليها من فرط يؤسه . اذن فلشكول له يؤساً لا شطط فيه . ان هجرات القرن التاسع عشر الكبيرة غنية بالدروس . فالهجرة الأولى التي حدثت حوالي عام ١٨٦٠ ، يرجع سببها الى تركيز الأراضي وما نجم عنه من تحولات في الزراعة : فقد اخترع بعض الصناعيين السوق الفلاحية ، وصنعوا وباعوا مزارع واسعة كهلوية ، فزاد مردود الأرض وقتها ، وتناقص الطلب على اليد العاملة ، ووجد آلاف وآلاف المسال الزراعيين الميامين انفسهم على قارعة الطريق ، وتبعهم آخرون اقل يؤساً بعد ان تلاش كل أمل لهم في ان يصبحوا ملاكاً . ولم يضع الدرس هباء : فالمسالتوية تعرقل مسكنة التقنيات الزراعية لتبني على تجرؤ الملكية . ومعروف ان عمليات النقل لشغل اكثر من نصف الوقت المتخصص للزراعة . حسناً : اذن فسوف يشتمل الزارعون بنصف خاص جداً بإستئساد الجرارات بعيداً عن متناولهم وبالحفاظ لهم على ٨٠٠٠٠٠٠ كيلومتر من الطرق الوعرة . فليذهبوا على القدماء ، وليحرقوا القشرة الأرضية بأهوانهم القدية ، وليزرعوا بأيديهم العارية : فهذه أحسن ضمانة لاستمرار

الاجتماعي . ولما كانت الوقائع الاجتماعية متداخلة ، فإن لجزئنا المتكيات هي التي تؤثر أيضاً مكتنة التنبات : فالاستثمارات أصغر حجماً من ان تنفيذ قديماً اقادة كبيرة من المكتنة . وهكذا نجد ما لتوسية الصناعة لبرورها في نفرة الطلبة^{١١} . لكن اذا ما تشارك الفلاحون ، اذا ما خطر لهم ان يشاروا الجرارات بالتشارك ؟ يقول الاختصاصيون : « بدون التشارك لا يتكهن فعل شيء في هذا الميدان » . لكن العهد على وجه التحديد لا يريد ان يفعل شيئاً : فقيه على الدواعي الخوف من التحويلات الاجتماعية التي قد تدخلها الآلات على الأرياف . ومن حسن الحظ ان هناك الرولين : ان فلاحينا لم يبقوا من مرحلة التظام . والعهد يولي للزعتهم الخصوصية لكنه يرعاها ويحياها من طرف خفي . والدولة تفعل كل ما في وسعها ان تفضل للحفاظ على الجهمل الفلاحي التبعين : ففي عام ١٩٤٩ تلقت وزارة الزراعة ٤٧٦ مليوناً من اجل التطلع الزراعي مقابل ١٤ ملياراً لوزارة التربية من اجل التطلع الفني والتدريب المهني . والتسليجة هي اقتنارة الـ ٦٥٠.٠٠٠ مدرس زراعي . ويفضل هذا العجز المدروس بتأنيه ، لا تتجاوز نسبة المستعمرين الزراعيين الذين يشغلهم الترويجية التكنيكية عندهم الـ ٣٪ ، بينما توقع هذه النسبة في الداتوك الـ ٤٥٪ . هاتين قارتين في بمبوحة الاطمئنان : ان الضالين انفسهم هم الذين سيطالبون بالنظام الخليل . وهكذا تدور الآلة على نفسها .

والهجرة الثانية الكبيرة في القرن الماضي - هجرة ١٨٨٥ - كانت نتيجة للزراعة الأجنبية . كان اقتصادنا الزراعي نصف معلق . وجاء تطور المواصلات ليضع اميركا على أبوابنا ، وأغرق العالم الجديد اسواقنا بتنتاجاته الغذائية . فتدهورت الاسعار : وإنما بزارعيننا يحدون انفسهم على قساعة الطريق من جديد . وهجر الأرض حوالي مليون انسان . وحتى تلحق الدولة الآخرين بالبقاء

١٠ - حتى لو عطفنا الأمان (أي كل فرض ان تلبية مردودية الجرارات هي ١٥ مكثراً) ، فإن حاجتنا من الجرارات ستكون حوالي ٥٠٠٠٠٠٠ . والحل اننا لا نملك سوى ١٣٠٠٠٠٠٠ .

في مكانهم ، لجأت بسرعة الى تدابير الحماية . لكن فيما بعد ؟ كيف السبيل الى تجنب عمدة الكثرة ؟ أزيادة المردود ؟ هذا يتطلب مكنتة ؛ لكننا نكوت في هذه الحال قد طرفنا التقدم بيد تعيد إدخاله باليد الأخرى . والبحولة دون هجرة كهجرة ١٨٨٠ كتمت المدة لهجرة كهجرة ١٨٩٠ . إذن ؟ هل نستفيد من النجاح للتخصص في الزراعة المسترفة كما تخصصت انكفرا في الصناعة الرفيعة النوعية ؟ مستحيل ؛ فالتخصص في الزراعة يعني تقيف المزارع . كما ان هذا التخصص سيؤدي حتماً الى ما نريد ان نتجنبه ؛ الهجرة . وللوصول الى الاسواق الخارجية ؛ لا بد من المكنتة والتحديث وزيادة المردود وتخفيض اليد العاملة ؛ وعندنا سبيلك الفلاحون قراهم . يا للفلاسين الملاعين ؛ فعند ايسر تقدم يعاودون الهجرة ؛ ومن حسن الحظ ان المسالكومية توفر وسيلة لتثبيتهم ؛ فطالما ان التقدم هو الذي يطردهم ؛ اذن فمن الواجب حمايتهم من التقدم . فليتجروا القمح ، والقمح ايضاً ، القمح دوماً ، بأهل سمر ، وأجسد عمل ، وبأكثر التثنيات تحلقاً ؛ ان الطلب على اليد العاملة سيتعاطم كلها ضغطت انتاجية كل عامل^(١) . وهذه المزاومة الخارجية يشاه سور أطلسي ؛ وتعزل فرنسا عن الاسواق العالمية . اما بالنسبة الى المزاومة الداخلية فالأمر ايسر ايضاً ؛ إذ يكفي الهدم والتدمير . وطالما ان مستثمري الشمال والغرب لا يستطيعون عرقلة الإنتاج بالسير نفسه الذي يمرقه به الصناعيون ؛ فسان الحكومة ستساعدهم ؛ فهي مستثمري منهم النتائج القلائض لتحررقه . وباختصار ؛ ان فرنسا تضرم في خلالها نار التحرق ؛ وكل فرنسي يدفع مالياً ليتفرج على الدخان وهو خاوي المعدة . ان فرنسا تكتف المبادرات في التخطيط لكننا تبلغ هدفها ؛ فالجزء عندما أقل

١ - زامت التنابية العامل الزراعي في الولاين المتحدة في الاعوام العشرة الأخيرة ١٩٠٥ متويًا . واذنا ما حقلت فرنسا في الاعوام العشرن القادمة زيادة سنوية بنفس النسبة ، فإن دخل الإنتاج الزراعي سيتوقع من ٢٥٠٠ الى ٣٥٠٠ مليار لكن عدد العمال سيتناقص بنسبة ١٠٪ تقريباً .

خيز في العالم^{١١} ، والمزارع عندما اقل المزارعين دخلًا^{١٢} . وهذا ما كانه الهدف ، لا يخامرة الشك في ذلك : فالالتومية يقتضيتها اسعارا الزراعية فوق الاسعار الصناعية واسعارا الصناعية فوق اسعارا الزراعية ، تولد وتحفظ في كل لحظة ، عن طريق خلق متواصل ، الفلاح الفرنسي ، ذلك الوحش الأحمق الألم الذي يريد النهاية المفروضة ان تصوره حكيمًا عاقلًا ، والذي يهتق نفسه في العمل كيلا يبيع شيئًا ، والذي يعتقد انه يملك ارضاً لا يشتمح حتى بحق الانتفاع بها ، والذي يدافع عن مصالح الملاك الكبار ويصوت مرة كل خمس سنوات ليؤمسه خوف المزيد من البؤس . ان الانسان الطبيعة هذا يجهل انه نتاج مصطنع وان مصيره يفكر في المدن شأن مصير العمال : لكنهم يعرضونه على المدن بتذكيره بأن مدينيه يفتنون فيها ، ولا سوا على العمال بالإحصاء اليه بأن مطالبهم تؤدي إلى ارتفاع الاسعار الصناعية . ولو نزع الفلاح زيادة الانتاج وبتكاليف أقل ، ولو طالب بمدد متعاطف من الجارات بأسعار متناقصة ، فكريا امرك ذات يوم ان مصالحة ومصالح العمال الصناعيين مشتركة : وهذا على وجه التعديد ما هو غير مرغوب فيه . فالاستقرار يقتضي ان تفصل الطبقات السكادحة عن بعضها بعضاً بمواجز من الكراهية وعدم التقوم : ان ارباب العمل الكبار ، للفتين يبدأ فرق سد ، يرعون ويبولون على حسابنا جماعة من المتوحشين الطيبين في الارباب لخص سياستهم دعمها الانتخابي .

لكن عليهم ألا يلحنوا في مطالبهم : نصحيح ان المالتومية تعرقل هجرة الريفيين الزمعة ، لكنها لا تلتفيا . وبين كل ١٠٠٠ شغيل كانت هناك في عام ١٩٠٥ ما يقارب ٤٨٠ مزارعاً. وفي عام ١٩٣٠ انخفض عددهم إلى ٣٧٠ مزارعاً. وفي عام ١٩٥٣ الى ٣٢٩ مزارعاً فقط : اذن فالمهجرة مستمرة ، لكنها بدلت طبيعتها واتجهت نحو الوظائف الادارية الصغيرة . وهذه أيضاً احدى نتائج

١ - في ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، تكلف ٩٥٥٠ حورية ٥٥٠٠٠ فرنك في القليبا .
 و ٩٩٠٠٠ فرنك في فرنسا .
 ٢ - ان المردود اتمام خمس مزارعينا لا يتجاوز ٣٠٠٠٠٠٠ فرنك سنوياً .

الاقتصاد التخطيطي : فالفلاح العراقي في النهرين حتى عنته ، والبيت جوعاً في أرض مرهونة ، يريد الأمن لأبنه . إذن فسوف يجعل منه موطئاً . ثم ان التقدم التكنيكي على الاخص بولد أو بطور طبقة جديدة سيوازن نوعاً سريع نسو البروليتاريا ثم يوقفه ويتجاوزة ، وهذه الطبقة هي الطبقة المتوسطة للأجورة . ونحن نعرف ان كولن كلارك أثبت ان هناك رابطاً احصائياً ، بالنسبة الى معظم البلدان الصناعية ، بين الدخل القومي الفردي وبين نسبة الاجراء غير التتجيين (أو المتتجيين بصورة غير مباشرة) في السكان العاملين . واذ أخذنا بمصطلحاته فنقول ان الزمرة الثانية والزمرة الثالثة^{١١} لنا معاً وبنسبة واحدة حتى الحرب العالمية الأولى . وكان ذلك في العصر الذي كوئت فيه الصناعة الرأسمالية اطارها وكتلتها من اليد العاملة معاً . وبعد ١٩١٥ تسارع نمو الزمرة الثالثة بينما تباطأ نمو الزمرة الثانية . وتتطور العام للمكاتب والادارة يتجاوب مع جهود المشاريع لإعادة تنظيم نفسها تبعاً لتقدم التكنيكي والتتركز الصناعي . وهكذا فرض مبدأ المركزية على الخدمات ، وادجت مختلف قطاعات الاستتار ، وأمتت سرعة التنقلات ، وكلفت الاجهزة المختصة بإعداد الهام وتوزيعها ، وبتعدد الظروف والأولها ، وتوقع تقلبات السوق وتنظيم التوزيع . وهدف هذا كله زيادة الانتاجية عن طريق مراقبة الانتاج . والحال ان مخطط كلارك ينطبق على فرنسا . مع فرق واحد هو انه يصبح كلريكولوجياً . فالانتاج عندما قد جد عند حد معين بدأ من عام ١٩٢٩ ، وقو البروليتاريا العددي توقف بفترة عام ١٩٣١ بينما لم يكفّف لتضخم القطاع الثالث عن التناقص^{١٢} . وللمك هي

- ١ - لنذكر هنا بأن السكان العاملين يتوزعون في رأي كلارك ، الى ثلاثة قطاعات :
 - القطاع الأول (صيد ، غلات ، زراعة) .
 - القطاع الثاني (الصناعات الاستخراجية وصناعات الطاقة والتحويل) .
 - القطاع الثالث (المواصلات والتل ، التجارة ، المصارف ، شركات التأمين ، الامارات ، الخدمات الخاصة) .
- ٢ - في عام ١٩٥٦ كانت الصناعة التحويلية تضم ١٠ مستخدمين مقابل كل ٢٤ عاملاً . وفي عام ١٩٥٨ أصبحت تضم ١٠ مقابل ١٧ .

النتيجة المباشرة العالمية : فصاحب العمل لا يتم زيادة عدد العاملين لديه لأنه لا يفكر بزيادة الإنتاج . وهو يزيد في عدد موظفيه الأخرين لأنه يريد أن يظل مشروعه لينتج بشكل أقل . والنتيجة : فائض قدره ٥٠٠.٠٠٠ شخص عامل في القطاع الثالث وتقص حقيقي في الاستخدام . وإذا أردنا على العكس أن نلبي اليوم مجموع حاجات الأمة ، فلا بد من رفع الإنتاج بنسبة ٤٦ ٪ وبديهي أن هذا مستحيل لكن أولاً بسبب قافة اليد العاملة . فمن أين يأتى بالعمل لبناء ملايين المساكن التي تحتاج إليها ؟ وإذا ما أعطينا أنفسنا مهبة عشر سنوات أو عشرين سنة ، فكيف نسد الثغرات في القطاع الثاني المهم إلا على حساب القطاع الأول والثالث ؟ لكن أرباب العمل حريصون على الانتفاع من مثل هذا العمل : أنهم يرغبون نصف بطاقة في الخدمات ، ويطلبون على فرنسا في حالة قفصة دم مزمنة ليعرفوا تطور القوى العاملة . ولم تقتل مساعي التوسيمية : زراعة متأخرة ، وقطاع ثالث متضخم ، وبروليتاريا متناقصة ، والاستقرار الاجتماعي بالتالي مضمون : وأرباب العمل بالطبع في مأمن : فالإنتاج المتزايد يؤدي إلى الاستهلاك المتزايد ، أي إلى انكماش السوق الذي يسير بدوره الإنتاج المتزايد . وكل شيء يسير على أحسن ما يرام بشرط أن يفرك قسم من السكان يوت برءاً في الشتاء وجوعاً طوال أيام السنة .

ولقد رأينا أن الحكومة التي تريد أن تزيد نسبة التوسيمية للتأجبية يتوجب عليها أن تخفف احتقان وتضخم القطاع الثالث . لكن أرباب العمل مطمئنون قام الاطمئنان : فذلك شيء لن يتحقق بسرعة ، وهذا القصد ، الممكن نظرياً ، محط عملياً بسبب الماومات الاجتماعية التي سيثيرها . ومع ذلك فإن القطاع الثالث يشتمل على عدد من أصحاب الدخل المحدود يعامل أجبرهم في أحسن الأحوال أجر عامل بدوي : ويحتم لنا أن نتوقع ألا يبدي صفار الكسبة هؤلاء الذين يقفون عند حدود القطاع الثالث ، مقاومة تذكر إذا ما دعت الحاجة إلى انتقالهم إلى قطاع آخر . لكن لا : فالاستخدام يكيف الاستخدام كما يكيف الثوب الرأب ، وسبب ان السياس المتجول يتت بصلة قريص إلى الأجير المنتج

من حيث قدرته الشرائية ، لكنه يتميز عنه لأنه لا يفتح . وعمل ضاربة الآلة
الكتابة بشكل جزءاً لا يتجزأ من نشاطات الإدارة ، ومن هنا فإنها تعتبر نفسها
متندجة بالطبقات السائدة . والحق ان وظائفها لا تبعدها عن العامل بالفنر الذي
نظن . بينما انها لا تنصح ، لكنها هي التي تعطي أخيراً مضموناً مادياً للرموز
المرسومة في الكتاب ، فهي بالتالي ، ومن هنا بالذات ، قريبة كل القرب من عامل
الطباعة الذي هو شغل يدوي . واللحظة البيروقراطية في الفكر هي لحظة
صياغة المفاهيم : فالفكر ينفي واقع الأشياء وواقعه الدلالي ، والمفهوم تنفي وجود
الموضوع المسمى ، كذلك فإن البيروقراطي يقف عند مستوى الاحصائيات
والمسكنات والافكار الواضحة ، أي الافكار التي لا تشتمل على تجاوز نفسها
بنفسها . والفكر لن يستعيد حقه إلا اذا استعاد ماديته . ولما كان لا يتجاوز
قط غير المواضيع فهو لن يتجاوز نفسه إلا إذا تلقى من الخارج صفة الموضوع .
ان ضاربة الآلة الكتابة حين تضرب بلاغياً ، تحول الفكرة الى شيء ، وتحقق
تجاوز الرمز عن طريق ماديته وتجاوز المادة عن طريق رمزها . إذت فهي عملها
كما في عمل المستخدمين في الكتاب مظهر من مظاهر الانتاجية . لكن هذا المظهر
على وجه التحديد هو الذي يزعم المستخدمون في المحلات التجارية أنهم يتفوهون :
فهم يعتقدون أنهم يساهمون في رسم الأوامر والمهام وينفذون عيونهم عن وظائفهم
الحقيقية التي هي تحويل هذه الأوامر والمهام عن طريق تسجيلها في الواقع . ان
الضعاف اقتصادياً ، من القطاع الثالث يزعمون ، يسالكهم ومطاعهم ، أنهم
يظهرون اهتمامهم للطبقات العليا التي تضطهدهم . لكنهم لا يفعلون شيئاً سوى
أنهم يقدون أرباب ملهم وما تحقيه مواقفهم هو رفضهم العيديات يشبهوا
بالاجراء المتجبن . ان واقعهم الاجتماعي سلبى محض لأنهم ليسوا ما يزعمون أنهم
كاتبوه ولأنهم يرفضون كل تضامن مع أكثر الناس شبيهاً بهم . ولقد كفى ان
تنتطح بعض الانتطاعات من القطاعين الأول والثاني حتى يتقسم البؤس على نفسه
ويبرز الى الوجود تلك البروليتاريا التي تلبس فستاناً منسأة وتكره البروليتاريين
الحقيقيين لأن الشرط العيالي يشر اشتزازها وتقورها . وفي إطار اقتصاد مزدهر

ما كان الضرر ليكون كبيراً الى هذا الحد : حتى لو امتدحت الخدمات ، في مجموعها في النمو ، لمنت الجماهير العمالية هي الأخرى ، ولسام غير الدخل القومي ، وطلب اليد العاملة في إعادة القطاع المنتج الى سابق مكانته وقيمته ولشجما الانتقال من قطاع الى آخر كما في الولايات المتحدة حيث تفرص كميات واسعة مفرجة عند طرفي الحدود وتلقف دوماً على استعداد لتخطيها لتغزو القطاع الثالث أو نصب في القطاع الثاني وذلك حسب الطرف . لكن مذهب المجهود الاقتصادي يستتبع مذهب المجهود الاجتماعي : فينب كل سنة ان عامل ولدا منذ ربع قرن من الزمن ، بقي ٥٥ منهم عمالاً في الصناعة الكبيرة والمتوسطة ، و٦٠ منهم الى الأرض ليعملوا كعمال زراعيين ، وعبر الخط ٣٥ انضم ٢٦ منهم الى صفوف البروليتاريا ذات القمصان المقتاة . وبعبارة أخرى ، كان لأن العامل الشاب في عام ١٧٣٠ ، ٦٥ خطأ من سنة في ان يظل عاملاً ، و ١٦ خطأ من سنة في ألا يقامر صفوف الطبقات المحرومة . وإذا أضفنا الى هذا ان الهجرة الزيفية تباطأت ، وأنه من المستحيل تقريباً على مستعظمي المجلات التجارية الاداء ان يرتفعوا الى المراكز البورجوازية ، وأن أرباب العمل الصغار هميون ومثبتون في مواقعهم من قبل الدولة والصناعة الكبيرة ، فلا بد ان نستنتج ان اقتصادنا الاجتماعي قد فصل بين القتات الاجتماعية بموازاة ثبته وجعل من فرنسا مجتمعاً أخذاً بالتعجير إن لم نقل نظاماً مقسماً الى طوائف . والفائدة من ذلك واضحة : فالالتوسية لا تكفي بتقليص البروليتاريا ، بل تنجز أيضاً انزاعها تانياً . بينما ، ما يزال الدخل اليها يكتفى ، بل حتى الخروج منها احياناً ، لكن الرء يولد ويموت فيها عاملاً بنسبة زوادة اطراداً . ولا يكفي ان توقف هذه الطبقة الخطرة عند حدودها ، بل لا بد أيضاً من تطويقها . ففي القرن الماضي كانت البورجوازية تعيش في حالة حصار ، واليوم هي التي تعمل على حصار الزمرة العمالية . وكل فرد ينشئ بكتانه ، بما يعتقد انه اعتباراً : الفلاح بأرضه المرفوضة ، ورب العمل الصغير بشروعه البائس ، والمستخدم الرزؤوس بوظيفته التي لا تفني ولا تسمن من جوع . والكبار يسكنون

بقايد كل شيء . وتكفي اشارة منهم حتى بفلس الصغار ، لكنهم لا يفكرون بذلك ، فالصغار حقاؤهم وجنودهم . وهؤلاء الناس الذي يختلفون عن بعضهم بعضاً في كل شيء يجمع بينهم كره مشترك : كره البروليتاريا . ولولا كرهه البروليتاريا ، لأدرك رب العمل الصغير انه ضحية معاقبة الصناعة وفريستهم المتواطىء ، ولأدرك الفلاح ان أرضه تهرب منه وتسيل من بين أصابعه كالساء ، ولأدرك المستخدم انه مستغل من قبل مستخدمه . لكنهم لا يرون شيئاً : لا شيء سوى المطالب العالية التي تسبب ارتفاع الأسعار الصناعية وتزيد من الفلاح وتضع التاجر الصغير على شفا الأفلاس ، لا شيء سوى الهوة الطغاة التي تجذبهم وتسير نفوسهم . ان أرباب العمل الفرنسيين يعتمدون على ثلثي الأمة ليستطروا في يد الثلث الثالث .

إنهم ما عادوا يسعون الى التطوير بالمجازر ، إذا يعملون على ان يضعفوا من الداخل طائفة العمال الكفاحية . وهم لا يترددون في حيس البروليتاريا في وضع لا يخرج له وعسك التركيب بصورة تحتق ممهسا أو التمزق إرباً إذا حاولت الخروج منه . والتطوير الذي تحدثت عنه لتوي إن هو أيضاً إلا نجاح خارجي قاعاً . وهناك ما هو أهمي : فطالما ان الإنتاج يبتغ العامل وطالما ان المالتوسية هي الصفة السائدة في إنتاجنا ، فإن البروليتاريا الفرنسية ضحيها وإنتاجها في آن واحد : وسوف ترى كيف انها مشروطة في نضافها بالذات بالذات الذي عليها أن تناضل ضده .

٦ - يقول آبلونا لسا إن فرنسا عرفت بروليتاريتها الطبيعية بسنين ١٨٩٠ و ١٩١١ . والقمل لا بد ان نعرف ان الطبقة العامة قد شلت أكثر من ١٨٠.٠٠٠ إضراب خلال تلك السنوات الواحدة والعشرين . وإذا ما أحصيناها بالنسبة الى كل سنة على حدة ميزنا فيها حدوداً عليا وحدوداً دنيا . بعضنا سلاحظ أيضاً ان هذه الحدود وتلك كانت تتقدم باستمرار : فالحدود الدنيا ترتفع من ٢٦٦ الى ١٠٢٥ ، والحدود العليا من ٢٦٧ الى ١٥٢٥ . كما ان نسبة الأضرابات التاجحة لا تكلف هي الأخرى عن الارتفاع : فقد كانت ٥٣٪ في نهاية القرن الماضي ،

وأصبحت في ١٩٦٢ عام ١٩٦٠ . ولقد انتهى هذا العصر المبارك مع الحرب العالمية ؛
 فصحيح ان إضرابات ما بعد الحرب زادت عدداً من حيث المعدل الوسطي ؛
 لكن حتى عام ١٩٦٦ تراجعته الحفوة الدنيا والحفوة العليا بصورة مستمرة ؛
 وسقطت نسبة النجاح بشكل خاص من ٧٠٪ عام ١٩٦٩ الى ٣٥٪ في الأعوام
 ١٩٣٠ - ١٩٣٥ . وبعد سنة ١٩٣٦ سيطر عدد الاضرابات مرتفعاً للغاية لكن
 الميل الى التراجع سيظهر من جديد وسيستند ؛ وهو ما يزال قائماً حتى يومنا هذا ؛
 ولصوب النجاح هي دون الوسط . فهل ينبغي ان نعتقد حقاً ان العمال كانوا أكثر
 شجاعة في زمن الملكية الثورية وان قادتهم كانوا أكثر ذكاء وتقانياً ؟ وما
 سيكون ؟ هل أساس هذا الفرض ؟ سبب التغير ؟ ان الشراخ البروجوازيين
 يتخلجون عند هذا السؤال ؛ السبب ؛ يا روجي ؛ السبب ؟ ؛ ليس هناك
 سوى سبب واحد ؛ لاحظوا صعود البروليتاريا المنتصر حتى عام ١٩٦٩ ؛ العام
 المبارك الذي مسا كان فيه على العامل إلا ان ييدي أمنية حتى ليس فوراً ؛
 وانظروا ما حدث فيما بعد ؛ ارتفاع نسبة الاخفاق ؛ عودة اليأس ؛ التدهور .
 ١٩٣٠ او العام الحاسم . ولم ١٩٣٠ ؟ لأنه عام مؤلف تور والاشفاق العالي .
 ان البروليتاريا ؛ بدءاً من هذا العام ؛ قد باتت تحمل معها سرطانها .

ان لم يكن الغباء أن تصور ان العامل فقد شجاعته لأن السرطان الشيوعي
 بدأ كره . لكن بما لا شك في صحته إن لم قد ومن بعض الشيء . فلنرجع اذن
 الى الواقع ولنر ما نقوله . اتنا نلاحظ أولاً ان العدد السنوي للاضرابات
 ونسبة نجاحها ازادت حتى عام ١٩١٣ مع التصنيع . وقد لاحظنا من جهة أخرى
 ان هذا المنحنى الصاعد يشمل على بعض التجاريف ؛ فأحياناً يقل عدده
 الاضرابات وتتضائل فرص نجاح كل واحد منها إفرادياً . والمنحنى العام للأسعار
 يقدم المظهر نفسه ؛ ففترة الازدهار لا تخلو من بعض الأزمات الزهيدة . واقام
 قارناً المنحنيين أدركنا فوراً ان الحفوة الدنيا لكل منها تتناسب بدقة . وبين
 ١٩١٩ و ١٩٣٥ ينمكس الميل لكن العلاقة لا تتغير^{١١} ؛ فالاضرابات تزيد مع

١ - مع لفظ واحد منعهه فيما بعد .

ارتفاع الأسعار وللتناقص مع انخفاضها . وسفرى هذا واضح : ففي فترات الانطلاق بتغير وضع العامل في المجتمع ، يصبح موضع طلب ، وهذا يعني أن الدخل القومي في أوج النمو وإن طلب اليد العاملة يكفي لتسبب ارتفاع الأجور . وإذا ما حاولت الطبقة العاملة أن تزيد نسبة هذا الارتفاع عن طريق الأثارة الاجتماعية ، فهذا لأنها تطالب بالمشاركة في الأرباح الجماعية . وبعبارة أخرى ، لتنتقل البروليتاريا إلى الهجوم وتستمد عدوانيتها من الطرف التاريخي . وعلى كل ، يسمح نظام المزاحمة الشغيلة بتدعيم انتصاراتهم : فالمنازلات التي ابتاعوها من رب العمل ، لا يستطيع هذا الأخير أن يبردهم منها من جديد ، فإذا ما أراد أن يعرض عن ارتفاع الأجور يرفع الأسعار كان مصيره الهلاك : إذت فعلية إما أن يتخلى عن أرباحه أو يزيد الإنتاج . وعلى هذا فالممارسة مرسومة مسبقاً في حركة الاقتصاد : فالعامل الذي تتجاهبه تيارات تلقى به في قلب المعركة يجد نفسه فاعلاً من غير أن يكون قد قرر ذلك ، وبفاعلية أفعال متناسبة طرماً مع قوة ازدياد منافستها . إن البروليتاريا تفصل لنفسها مستقبلاً في مستقبل الرأسمالية . ونحن نعرف الآن أن تلك الحقبة السعيدة كان لا بد أن تنتهي مع سنة ١٩١٨ . لكن الممارسة تخلق لصورها عن نفسها بنفسها بإسقاطها في اللامتناهي المستقبل المباشر الذي يولدها : فالعمال وأولئك العمل ، يجرد تجاوز الحد الرسوم ، طرحوا أمامهم أسطورة التقدم والرفق الإصلاحية . وكان يكفي أن تتابع البروليتاريا فتوحاتها ، فبذلك كانت سرغم الرأسمالية على زيادة الإنتاج باستمرار ، وستقترب باستمرار من لحظة استلام السلطة . وهذا ما ساعدته جوريس عام ١٩٢٠ بعبارة تبدو لنا اليوم جارية لكنها كانت تعبر فعلاً آنذاك عن الرجاء المشترك :

« يستحيل على الثقلات أن تنظم ، أن تتوسع ، أن ترسخ دعائها ، من دون أن تتدخل سريماً في سير المجتمع الرأسمالي . . . وفي اليوم الذي ستتدخل فيه الثقلات العمالية ، ولو عن طريق التفتيش ، ولو عن طريق الرقابة ، في طريقة استخدام الآلات ، وفي اليوم الذي ستصح فيه أرباب العمل وتعرض عليهم هذه

الآلة أو تلك وهذا الجهاز التكنيكي أو ذلك ، تكون قد تعارفت ، شامت أم أمت ، مع أرباب العمل في قيادة الآلة الرأسمالية . وأنا بالطبع لا أظن على البروليتاريا هذا التعاون الذي هو بداية التملك .

وهكذا كان السبيل الحقيقي لكن المهدود للرأسمالية الليبرالية يتد كسر اب خادع حتى الانهاية ، وكان العامل يعتبره مستقبه هو الذات . وكان هذا التطور الكاذب يروج الكفاحية المباشرة مع دفعه بالستقل ، عن طريق مراب الاصلاحية الى التعاون مع مستغله . ولم يكن العمال قد اسوا مجازر سان بارثي القديمة ، لكن كلما كان العالم البروجوازي يستلم لمعلم ، كان شعار النقابية الثورية يتحول الى محض لفظة ميتة . ولم يعد التعارض قائماً بين الثورين والاصلاحيين إلا على صعيد النفا وحدهما تقريباً : فعين تبدو الثورة وكأنها نهاية تقدم متسل ، لما الذي يميزها عن محض تطور بسيط ؟ كانت البروليتاريا قد ظلت معادية للسياسيين والبرامج ، لكنها كانت قبل ان الخروج من متفاتها الاختياري ، والى التسلل الى معسكر العدو ، والى اثبات وجودها ، . وكانت قد تملت ان الواقعة الاجتماعية ، كما يقول ماركس ، هي واقعة كلية . لكن الحقيقة الموضوعية لنشاطها هي ان هذا التضال كان يزيد يوماً بعد يوم في انفجارجها بالجمع الرأسمالي ، وسيتم في النهاية على تنطياتها النقابية ان تصبح ملحقة بالقوة .

اما في زمن الفراغ والازمات ، على العكس ، فإن البروليتاريا تتقابل متتهورة . ترى هل ثلاثت شجاعته ؟ بالتأكيد لا . لكن اذا قمنا كفاحيتها بعدد المعارك الشنتونة ، للا بد ان نعرف بانها وهنت ، وهذا لأن الانسراب قد فاعلته ، واصبح العاطلون عن العمل يشكلون احتياطياً لا يتوالى وب العمل عن النهل منه . ثم اذا كان الحل لا يدور ربحاً يذكر ، فإن صاحبه يستخرج بالنازعات الاجتماعية لإشغافه . بالأمس كان العامل يقول كلمته بصدده كل شيء .

واليوم اذا ما احتج وجد نفسه مقلباً به على قارعة الطريق . وسعيد هو إن لم يفصل من غير ان يكون قد قال شيئاً . بالأمس كان يشكل جزءاً لا يتجزأ من المنصع ، واليوم يحفل اليه انه مقبول فيه على محض . وبالطبع ليس هو الذي

يدالي من هذا التدهور في القيمة ، انا هي قوة عمله ، لكن هذا لا يتبع انه يحس
 بأنه مصاب في واقعه كإنسان . كان يظن نفسه لا غنى عنه ، ولأن برودوت
 عمل مسمعه بأن الحظ وحده او طيبة قلب رب العمل هما اللذان يتيحان له ان
 يظل في عمله ، وبأن هناك نوعاً من الظلم إذ يقدم له رب العمل عملاً في الوقت
 الذي يظن به على كثيرين غيره . ومن كثرة ما يسمع الشغيل ان حظه شاء له ألا
 يكون عاطلاً ، يؤرخ اني ان يعتبر نفسه عاطلاً وانه الحظ : وزيادة القول ان
 البطالة ، في زمن الأزمة ، هي التي تعطى العمل معناه . والحال ان العاطل نتاج
 للاختلال ، مواطن سلمي فرضت عليه الإقامة بعيداً عن مركز المجتمع ، ولقد قدم
 له وسائل الوجود بتقدير مع انه لا يعمل شيئاً حتى لا يقال انه ترك بيت جوعاً .
 والشغيل ، العاطل بالقوة والعاطل بالحقيقة ، يشعر بأنه قانص عن الحاجة : ان
 الأزمة تجرده من سلطانه ومن مسؤولياته معاً . كان يشوم انه ، يتعاون ، مع
 الرأسمالية : وهو يدرك الآن عجزه ، وما عاد يكفي ان ينفذ بدقة بنود عقد
 العمل : انا كان يريد ان يحتفظ وظيفته ، بل لا بد أيضاً ان يستحقه ، وان
 يصبح ما يسميه رؤساء الورديات وأرباب العمل عاملاً ، صالحاً ، . وعلى كل ،
 يستفيد المستخدمون من المناسبة ليصطفوا جهازهم : سوف يسهرون الرؤوس
 العنيدة ، والمنقسين الى التقاية والناضلين ، ويحتفظون بالآخرين ، أي بأولئك
 الذين اقلعوا عن الاحتجاج بدافع من استسلامهم وقبحهم واعيانهم العائلية .
 وهكذا يتم تطهير الطبقة العامة : فأخبار المناضلين يختنون ، وقد نفوا من هذه
 ال No man's land التي هي البطالة ، ويفقدون وسائل علمهم وقياسهم مع الجماهير
 في آن واحد . وبين الذين يظنون قادرين ، رغم عجزهم التسي ، على ممارسة
 الضغط على أرباب العمل ، تزيد نسبة المسلسفين . لقد فقد الشغيل وهم التعاون
 مع الرأسمال : قبلأمس أيضاً كان يسام بعمد الشطاليب في ازدهار الصناعة ا
 واليوم يعاني من نتائج الانتكاس من غير ان يكون قادراً على وضع حد له : كان
 التسامح التدريجي يتوده الى ان يتقاسم المسؤوليات مع مستغلبيه ، والنفس الآن
 يجرده لكنه يعزله ، يفقد كل قاسم مع المجتمع الذي أقصاه ، وهذا ما يجعله

شديد العداء للتظاهرات السياسية . كتب لينين : « إن الوعي الطبقي العمالي لا يمكن أن يكون وعياً سياسياً حقيقياً إذا لم يتعود العمال على الرد على جميع أنواع سوء الاستغلال » ، وعلى جميع تظاهرات التمسك فيها تكن الطبقات التي تلعب ضحيتها ، على الرد من وجهة النظر الاشتراكية - الديمقراطية على وجه التحديد^١ . « إنه على حق بلا ادنى ريب لكن من الأسهل بنا لا يقاس وأن تطرح الشعارات السياسية على الجماهير » في فترات الانطلاق الصناعي منها في أيام الأزمات : ففي أيام الأزمات تقترن الروابط بين الجماهير والطبقات الحاكمة ، بما في ذلك ، وعلى الأخص ، رابطة الصراع الاجتماعي . وينزع التناسر إلى إخلاء مكانة لعلاقة تقوم على التعاضد المحض^٢ . ولا تسرع إلى الاستنتاج بأن البروليتاريا ليست ذكرى مهتها اللامتناهية : والحقيقة هي أن الطرف يجرهما من كل مستقبل يارخاها على اللبث بصالحها الميائنة وعندما : كانت تعادل لتأخذ ، وهي لتقاتل الآن لتعطف . ومع ذلك لم يسبق قط لطبقة انت تجلت بتلى هذا الوضع : فتكل طبقة تشد مسود الأخرى ، وإذا ارادت الرأسمالية أن تحافظ على مصالحها ، فعليها أن تبقي البروليتاريا تحت الحد الأدنى الحيوي . إن أكثر المطالبات لولعاً تهدد بدفع الصناعة إلى الدمار بدلاً من أن تدفع بها إلى الانتاج . والواقع أن الأزمة إذا ما استعصت ، فليس تؤدي إلى الثورة ، أي إلى انفجار اقتصاد تحرره تناقضاته الداخلية . لكن هذا المنظور بالذات يعرفصل العمل الثنائي ، فحين لا تكون الظروف مؤالية للحركات الكبيرة ، يجازف الاضراب المحلي بأن يرفع بالقوة أو بأن يدمر الشروع .

إن الدرس لن يتذهب هباء : فأرواب العمل يعتمدون على الملاحظات السابقة ليحفظوا بصورة مصطنعة الشروط الموضوعية لتثبيت عمه العمال. عمه الأضراب

١ - المؤلفات المختارة - طبعة موسكو - المجلد ٦ ص ٢٢ .

٢ - المصدا بطبيع العلاقة الاجتماعية : فالرابطة الاقتصادية تظل الاستقلال . أما ذلكم التلاحق المحض فلا ينبغي أن نعده كلمة حقيقية ودائسة بأرواب العمل بل كاشكل مؤقت يتخذ الصراع الطبقي حين تلب الكفاحية العمالية إلى الاقتراب من نقطة الصفر .

ينمو مع الانتاج ؟ إذن فسوف يحولون بين الانتاج وبين النمو . وإذا اندمور إلى
 ما دون مستوى معين ، فقد يخشى من اضطرابات ترمدية ؟ إذن فسوف يعملون
 على ألا يندمور أيضاً . يكفي ان يُبقوا الاقتصاد القومي في حالة أزمة جنينية .
 وأحدى النتائج القريبة لما يسمى بالفائز الحديدي هي ان الطبقات لتعكس في
 بعضها بعضاً : بروليتاريا مقاتلة مقابل طبقة لتدعية من ارباب العمل ، وبروليتاريا
 عنيفة القوى مقابل طبقة كسول متوازية من ارباب العمل . وحتى يحمده صناعيون
 الوعي العمالي اختساروا ان يعيشوا عيشة القنار . وهم يأملون في ان تعيش
 البروليتاريا من الداخل منزل الانتاج تحت شكل فاقه دم مستشرية . وبالفعل ،
 ويفضل هذه الطرائق ، تواجد البروليتاريا الفرنسية نقصاً في العدد وفيضاً طبقياً
 فيه في آن واحد . فعددها ليس كافياً بالنسبة إلى اقتصاد يطمح ان ان يلي
 بالانتاج الكثيف جميع حاجات الأمة : وعلى هذا فإن المثوية لتضي عليها
 بتقص التطور . لكن بالنسبة ان اقتصاد يزعم انه حول نفسه إلى اقتصاد منقطع ،
 لجازف الطبقة العامة بأن يكون عددها أكبر مما ينبغي : والواقع ان الأزمة هي
 منظورة الوحيد والخوف من الأزمة بشرط كل شيء . والصناعة الكبيرة ،
 بإحاطتها نفسها بشاربع صغيرة بصفة صمام أمان ، تزعم بأن الكارثة على الارتفاع
 والدولة ، وبالتالي في احتياطاتها ، تثبت عندما هذه القناعة : لا مجال لتسلافي
 تلك الكارثة ، لكن من الممكن لرجالها يفضل الحيلة الدائقة . إذن فأملنا الوحيد
 هو إطالة أمد الجمود . بليناً ، هناك عمل للجميع ، لكن هذا لأن الأمة لفرض
 على نفسها تضحيات قاسية لتصلح البطالة . وسيكون العامل أول ضحية عندما
 سيطرأ ظرف غير مناسب . إذن فهو المستفيد الأول من الرعاية الحكومية . إذ
 يكفي ان تكف عن سد الطريق في وجه المنتجات الأجنبية ، حتى يجد نفسه
 على القارعة . وحتى عندما تسمح بدخول المواد الغذائية وحدها ، فيسهل
 الدمار بزرعنا ، وسيأخذ الفسلاحون طريقهم من جديد إلى المدن ، ويأتون
 ليضخمو صفوف البروليتاريا في الوقت الذي ستكابد فيه الأسواق الصناعية من
 نتائج لدمور الأسعار الزراعية . وليس هذا كل شيء : بل ان الاجراء ما كثرت

ليجدوا عملاً لولا طيبة قلب رب العمل . ولو لجأ دونها مراعاة أو تحرس إلى استخدام اليد العاملة الأجنبية أو التكنولوجية ، لتعرضت الطبقة العاملة إلى خطر الانقسام نتيجة الشقاق والمراحة . ولو حسن طرائق الإنتاج من غير أن يزيد ، لتعرضت البروليتاريا إلى خطر البطالة التكنولوجية. إن العامل الفرنسي عاجل بالقوة ، وإذا لم يكن كذلك في الواقع ، فهذا بفضل حماية السلطات العامة والرأسمال الكبير . إذن فسوف يفهمونه أن اقتصادنا سيتدهر عند أبسط لسة . ويلضرب إذا شاء : فقد أحذر من انذر ، ولا مجال للشك في أنه سيخسر كل شيء .

يبقى أن يتعمق بأنه لن يربح شيئاً. ولقد أتت الماثورية بالمعجزات في هذا الصدد . ولقد تم وضع النهج عام ١٩٣٦ وهو ما يزال يستخدم إلى اليوم . فقد جاء في اتفاقيات مانتيفون^{١١} أن « الأجور الواقعية يمكن أن تتعدل تبعاً لسم متناقص يبدأ بـ ١٥٪ بالنسبة إلى الأجور الأقل ارتفاعاً ويصل حتى ٧٪ بالنسبة إلى الأجور الأكثر ارتفاعاً » . والواقع أنه ليس من المستحيل أن ترفع الزيادة الكلية ، تحت ضغط الجماهير ، إلى ٢٠٪ . ولقد اقترحت الحكومة والتناقبات على أصحاب المعامل أن يعوضوا عن زيادة الأعباء بزيادة الإنتاج ، لكن أرباب العمل أصروا آذانهم . ورفضوا عس عن عمد الأسعار معتمدين على صراع صفائر النفوس من التجار وشكواهم من الفقر . وبين أيار وتشرين الثاني ١٩٣٦ ارتفعت نسبة أسعار المنتجات الصناعية وحدها ٣٦٪ . وقد استمر هذا الارتفاع طويلاً بحرية يلوم . وقد ظل دوماً أعلى من ارتفاع الأجور . وفي شباط ١٩٣٧ صرح ليون بلوم نفسه في خطابه إلى الموظفين : « إن ارتفاع تكاليف الحياة منذ قاتبة شهر يمثل الأسرة المحدودة الأجر أعباء أكبر من المكاسب التي أمكن للتدبير المتشددة في صالحها أن تكفلها لها » .

ومع ذلك اغلقت الدائرة ونظمت « دورة الأسعار والأجور الجهنمية » .

١١ - من الاتفاقيات التي عقدت في ٦ حزيران ١٩٣٦ بين أرباب العمل الفرنسيين وبيوت

الاتحاد العام للتشل . - ص ١٠٥ .

ويعني لهم سيورون لنا هذه الدورة وكانت قانون صارم للاقتصاد، لكن هذا
 كتاب محض ، ولا وجود هنا لا لقانون ولا لدورة ولا لجهنم . والحقيقة هي ان
 كتلة المداخيل الدالة للاستهلاك ، لا يمكن أن تزداد ما لم يتم الانتاج : فمعروف
 ان آلة سك النقود لم تكن احدأ قط . اذن فتصحيح وضع الاجور لا يؤدي إلا
 الى ثقل المداخيل : يبقى ان نقرر على حساب من سيتم إعادة التوزيع هذه .
 لقد رأينا أن على رب العمل ، في النظام الليبرالي ، أن يقبل بلا مقاومة بالأعباء
 الجديدة . أما في نظام الاحتكارات ، فسوف يبقى حاساً على عائق المستهلك .
 والمكسب هنا مزدوج : فالطبقات المتوسطة 'تعرض على البروليتاريا ، ويتحقق
 مبدأ فرق تسد . كذلك فإن العامل يُضلل : فهو يمكن ارتفاع الاجور الاسمية
 فإن القدرة الشرائية لا تتبدل في الواقع . كل شيء يتغير ولا شيء يتغير ، وما
 ينتج باليمنى الى الاجراء ، تسرده اليسرى من جيوبهم . وبعد انتصار ١٩٣٦
 الشعبي ، لم يحتاج أرباب العمل الى أكثر من عامين ليميدوا القدرة الشرائية لساعة
 العمل الى سابق مستواها عام ١٩٢٩ . ولقد تدهورت أكثر أيضاً في ظل
 الاحتلال ، واليوم بعد عشرة اعوام من التحرير لم ترجع الى مستواها عام ١٩٣٨ :
 إذن منذ ربع قرن من الزمن ، وبالرغم من المد والجزر والتنازعات الاجتماعية
 الحادة ، لم تتحرك اجرة العامل الواقعية : فقد كفتت عن النمو مع الدخل
 القومي ، ولن نستأنفه إلا معه . هذا هو المطلب الذي يسبب حيرة الشفيلة ولا
 اعتقد اني اعينهم اذا شبهتهم بتلك الثيران العارمة بالشجاعة والتي تلتصق عشر
 مرات على طيلسان مصارعها وتوقف على حين فجأة وقد خاب أملها لأنها لم تلق
 سوى خديعة . إن العامل يفعل كل ما يوسعه ، ويجعل نفسه حرمانات كثيرة
 ليكسب معركة الأشراب ، ويصل الى النصر منهك القوى ، فإذا به يشهد
 ارتفاعاً عامساً في الأسعار يعيد الامور كما كانت . انهم لا يتركوت وسيلة إلا
 ويستخدمونها لإقناعه بأنه أشاع جهده وتعبه سدى : بل إن الرفاعة تبلغ ببعض
 أصحاب المعامل حداً لا يتورعون معه عن رفع اسعار المقصف الملحق بالعمل
 بسرعة حتى يتمكنوا من تطبيق التعرفة الجديدة في اليوم نفسه الذي حصل فيه

الاجراء على زيادتهم . وهكذا ، وبمثل ملح البصر ، يكونون قد قلبوا الموقف . وبلا أزمة وبلا مجازر استغل أرباب العمل الكفاحية العمالية ؛ فليقد العامل كل أمل في الانتصار ، وليعمل اذا شاء على زيادة الأجور ، لكنه لا يكون قد فعل شيئاً اذا لم يجاهر الأسمار ويوقفها عند حدها . بيد انه يعرف انه لن يوقف الأسمار عند حدها إلا اذا استلم السلطة ، والطبقات الاخرى تبدو مصممة كل التصمغ على الحيولة بينه وبين استلامها . فهل ينبغي ان نقول انت البروليتاريا مقطوعة ، كما في أزمان الأزمات ، عن مستقبلها ؟ كلا ؛ لكننا رأينا ان هذا المستقبل هو أولاً مستقبل الرأسمالية^{١٠} . والحال ان مذعب الجور الاحتطاطي هو الذي يعطي الزمن عندنا صفته المتناقضتين : التكرار والتراجع . والتكرار هو الظاهر المباشر ؛ فالأيام تتوالى والتشابه ، وطوال ثلاثة قرون تفرق للأبناء ما كل ومسكن بفضل المأكل والمسكن الذين تفرق الآباء لكن لا شيء يتغير منذ خمسة وعشرين عاماً ، وكية الطيرات العصمة للتكاسم لا تزداد . واذا كان هناك اناس يعيشون حياة أفضل فهذا لأن هناك آخرين يعيشون حياة اسوأ . إن لوروداً بكاملها نصفاً بالتح ؛ وهذا اليوم لا يمكن بالطبع ان يصيب البروليتاريا التي لا تلك الوسائل ، على كل الأحوال ، لتكون نجيحة . لكنه لا يخص ايضاً الطبقات المتوسطة ؛ فالشح كامن في النظام ، ولا ينبغي ان نرى فيه صلة قومية ، بل ينبغي ان نعتبره موقفاً عاماً فرضه علينا سادتنا . ان البطل ، في بلدات الرأسمالية المتقدمة ، حانت قروي عرضي لتفانفـ حركـة الابدالات ، لكن مالتوسيتا تثبط عمه التوظيفات ، وقال عندنا يلعب دوراً محافظاً للعباسة ؛ فطالما انه لا يوظف في المشاريع الجديدة ، فإنه يجرأ في اعطابه نحو اقدم المشاريع ونحن نخاف من المجازفات لأنه يجمال بيننا وبين ركبها ، فيقتني بنا الأمر الى كره كل ما هو جديد . صحيح اننا نحافظ على كل شيء ، ونتمسك به ؛ لكن هذا لأنهم ، يفير كون ، لنا مستقبلاً هو نسخة طبق الأصل عن ماضينا . ان الاميركان

١٠ - بكل بساطة لأن المشروع القروي - شأن المشروع الاسلامي - يتطور ضمن إطار رأسمالية الزمن .

يرمون بالشيء فيسبل ان يستعملوه ، ففسدأ ستكون المنتجات الفضل وبأسعار أرخص . اما عندما فالضاعة لا تقع لوجهها ، انا ستزداد كلفتها ، هذا كل شيء ، فكيف ندعش بعد هذا إن وجدنا السكن الفرنسي يشبه عشي العطق السراق ؟ فساتين اعراس ، زوات مهترنة ، قيمات بالية ، قنان فارغة ، شرائط مزقة ، علب مهشمة ، شيوخ : إن في خزاننا ما فيه الكفاية من الآثار لإعادة احياء تاريخ نصف القرن الأخير^{١١} . ويبدو اننا نريد بأي ثمن ان نملك بعض يتفخ : لكن هذا لأننا ضاللون من القد .

ان هذه العودة الأبدية لتحتي الخطايا متصلا : فضل شيء يهتريه ولا نستبدله بغيره إلا بتغير شديد ، وتلجا ما أمكننا الى رتقه ورتقه . والبلاء تتعفن من أساساتها : دور قديمة في مدن قديمة ، أجهزة بالية في مصانع قديمة ، أراض قديمة وروثيات قديمة ، سكان استبهم العظمى من المسنين ، وأطفال يشيخون قبل الأوان ، أطفال مسنين . وأثناء ذلك ، تصيب البلدان الأخرى ، التدفئة في مغارة هائلة ، أسوارها الفولاذية من حولنا .

ان هذه الأسوار هي التي ترتع بالطبع : لكن كل شيء يجري كما لو أننا نحن الذين نهيط . نحن بتغير كل شيء ، فلا بد ان تتغير حتى نفوس كما نحسن : واقتصادنا برغبتنا في البداية في ألا يتغير بولد موته الخاص ، وهذا الموت هو الذي يصبح مستقبلنا : فهم يكررون على مسامعنا برمياً ان عظمتنا تقف ورائنا وانا نبتعد عنها باطراد برمياً ، أن عظمتنا تقف ورائنا وانا نبتعد عنها باطراد برمياً ، ويتفقون بما لست أنزري أي حياة عذبة لم تعرفها ، وربما عرفها آباءنا حين كانت الآلات جديدة . اننا نعيش زمن اللامة والحسرة . وما فرنسا إلا حنة المجنونة^{١٢} المتقلبة فوق زوجها الجميل اللحن . لقد سقط الفكر البورجوازي في الزحمة التلويية . فهو يعجبنا ان يتكلم عن أوروبا بـ « ألقاط القدر » وبتشبا بالطرفان

١ - يوم راحة الاب بيير (كلفن كروس حياته طعنا لعمال والفرار - ١٩٥٠ م) - كتابه روزان حين فجأة حظام معجب ، بطايات ، أجهزة تعلقة ، ملابس قديمة - فتح .
٢ - ملكة لثلاثة بين ١٩٠٤ و ١٩٥٥ - زوجة الارشيدوق النمساوي فيليب الجميل ، وأم شارل الخامس . - ١٩٥٠ م

لصحن ليست هذه سوى طريقة لتغطية رغبتنا في الموت بسلام : الطوفان ؟
أجل ، لكن من بعدنا ، لنا نجس الحيطان ، ونفحص حالة السقوط : انها
تتصد حتى الأرواح النهائي .

ان الطبقة العامة للعمل وتحارب في هذا الجو الوهن التباطؤ المعزاة . انها
ليست بالسهلة ، والشغلة لم تسر اليهم عمودي الرغبة المحزنة في الموت بسلام لانهم
مخربون من الحياة بسلام . لكن كيف يتكلم الآيروا مستقبلهم الخاص في
هذا المستقبل الثقيل الرطب ؟ اللقيء بالتفكر الذي يعد لفرنسا اليوم ؟ لقد كان عالم
العقل اليهودي عالم التكرار دوماً ان كثير أو ان قليلاً . ولقد كان العامل يحافظ
على الأمل ، في فترة الازدحام ؟ على الأمل في تحسين مصيره . وكان البسوس
والحنق يدفعان به على الأمل ، في فترة الأزمة الحادة ، الى اطراح الحمل الذي
ينوء تحتها وإلى محاولة الثورة . لكن كل شيء يتأخر اليوم على إقناعه بأن مصيره
لن يتغير مما يفعل . بل انهم يذهبون في حسن الالتفات والرفق الى حد يشرحون
مع له الموقف عدة مرات في اليوم الواحد : ماذا ينتظر ؟ ألا يعرف ان الدخل
القومي جاسم آمن ؟ بلقيتاً ؟ ان الجميع راغبون في توزيع أعداد الضخيرات ؟
وكبار ارباب العمل على استعداد ؟ من حيثهم ؟ لتسلم له ببعض الترضيحات :
لكن هذا ما لا يمكن فعله مع الأسف بدون إلحاق الدمار بصدور ارباب العمل .
أوليس فهم ؟ هم أيضاً ، حتى في الحياة ؟ والنتيجة : لن يتحرك شيء ، ولا يتحرك
شيء ان يتحرك . فما الداعي لأن تكون البروليتاريا ثورية ؟ لو قطعت ذلك
حسرت شيئاً ما . وما الداعي لأن تكون اصلاحية ؟ انها لن تريح شيئاً . ان
العامل لا يسقط في هذين القضيتين : لكنه لا يستطيع على كل حال ان ينع نفسه
من قياس مدى حيزه . لقد قلت سابقاً انه ما يزال يؤمن بالثورة : لكنه لا
يفعل شيئاً سوى انه يؤمن بها مجرد إيمان . انها لم تعد مهمته اليومية ؟ ولقد فقد
يقينه المتكبر بأنه يفراب ساعتها بجهوده . لقد كان في السابق يرى في العسك
المزاهد دوماً لا انتصاراته المحلية دليلاً على قدرته على العالم . لكن الماثومية ؟
بثلاثها اسلحته ، جردته من سيطرته على الكون : لقد برهن انه لا يخشى لا ارباب

العمل مهيباً كانوا قساء ، ولا الدولة ، ولا قوات الأمن . لكن عبوه الرئيسي
 كان بلا وجه وبلا جسم لا يتوصل إلى الإنساق به : الشعور . لقد أنشأت
 الثغرات خلال العشرين عاماً الأخيرة ، شيئاً فشيئاً ، مفهوم « الحد الأدنى
 الخيري » ومفهوم « السلم المتحرك » : ولقد شاء البعض ان يرى في هذه الأفكار
 تقدماً احرزته الحركة العمالية . لكن هذه الأفكار لم تولد ، على العكس ، إلا من
 اللاتسوية : فيصود اقتصاداً يرغم العامل على القتال للحفاظ على رامن الامور .
 وهذا ما يسمح لنا بأن نفهم بصورة أفضل لغوره الرامن من التظاهرات السياسية .
 ذلك أن الأهداف السياسية والاجتماعية للبروليتاريا تقدمية من حيث التعريف :
 فحين تكون البروليتاريا قادرة على فرض ارادتها في المضار الاقتصادي ، تولد
 العمل السياسي من تلقاء نفسه : فهو دلالة للتقدميات المتجزئة في النضال اليومي .
 لكن حين يشعر العمل النقابي ويراوح في مكانه ، وحين يكون العامل مكرهاً
 على اتخاذ موقف دفاعي ، فان الغايات السياسية تنفصل وتتساقط عن الغايات
 الاقتصادية ، وتجازف بأن تظل معلقة في الهواء : وعلى وجه التحديد لأنها
 مواقف متقدمة ، يروا فيها العامل من بعيد كأعمال او امنيات ، لكنه يظل
 مقطوع الصلة بها كلياً ولا يعود يجد الدروب التي يمكن ان تقره منها . انهم
 يرونه على مد نظر تكرر اعماله والعباءه . واذا ما أصر على ابقاء الثورة في
 أبعد الافاق ، فكيف يمكنه ان يتخيل انه بعد طا العدة ؟ ان العالم يتغير وفرسا
 لا للحرك ساكتاً : فتتصامل البروليتاريا الفرنسية إن لم تكن قد سقطت خارج
 التاريخ . في الصين يشاد مجتمع جديد ، وفي الاتحاد السوفياتي يرتفع مستوى الحياة ،
 والعامل عندها يطلع على هذه الأنباء بشارع خلفه معتدلة ، فهي تحرك شجاعته
 لأنها تبهره له ان التقدم الاجتماعي ممكن ، وتخط من مشاويته لأنها تبهره وكأنها
 تشير الى أنه ساكن في مكانه لا يجهد عنه ، منفصل عن رفاقه الروس والصينيين
 بسافة لتعاطف باستمرار ، وان الخلاص ، اذا ما جاء قط ، فسيجيء من الخارج .
 وسوف تعود الى هذا الموضوع ، لكن لتتذكر من الآن ، اذا كنا نريد ان نفهمه ،
 ما كنا نشعر به في ظل الاحتلال ، حين كنا نتظر ان يريح الحلفاء بالنيابة عنا

عربياً لم تكن تلك الوسائل لربحها مهم^{١١} . وهكذا تسبح الاشتراكية
 للالتوسية لأرباب العمل بالمحافظة على المبادعة : فالاقتصاد الأنطاطي يتحكم من
 الخارج بالممارسة العمالية ، ويرسم لها على نحو اجوف عملياتها الممكنة ، ويحدد
 صلتها ، ويحدد من مدافعا ودلائها . وهو الذي يبرر أخيراً القيود والاحتلات
 التصري . وما إن يلغزم الشغل بهذا العمل ، المبرك ، سلفاً ، حتى يطبق عليه
 كاشته : فيجهد نفسه حياً في نطاق مصطنع يفرض عليه طريقه وساره وآفاقه .
 وعلى هذا فإن فتور عمه البروليتاريا هو نتاج للنتاج الصناعي بدون . انه يعبر
 ذاتياً عن الحدود الموضوعية التي تفرضها بنية الاقتصاد على الممارسة .

٢ - اللاتوسية إذن تزيد أن تتمكن من العامل عن طريق إرادة قرفه .
 لكن هذا غير كافٍ أيضاً : إذ ينبغي أن تفرق حق تسود .

لقد بين مارشال ان عدد الاضرابات ، بين ١٨٩٠ و ١٩٣٦ ، يزيد او ينقص
 مع زيادة الانتاج وتقصاه . لكنه كان أول من كشف النقاب عن الاستثناء
 الجدير بالاهتمام : فبدأ من عام ١٩٢٠ الخفض عمدة الاضرابات ونسبة نجاحها
 المتخافاً ملحوظاً . لكن اقتصادنا ظل حتى عام ١٩٢٩ في حالة ازدهار . وهذه
 الواقعة تفسر بالانشقاقات العمالية وهذا ليس بالتفسير الحاطرة . لكن هذه
 الانشقاقات ، من أين جاءت ؟ يقال لي : آه أمن الحرب ، من الحياة
 الاشتراكية ، من الثورة الروسية ، من كل شيء واستثناء للالتوسية التي لم تكن
 قد وضعت موضع تنفيذ حين ظهرت تلك الانشقاقات . هذا صحيح : فتعدد
 الاتحادات النقابية سابق في التاريخ على الجمود الصناعي ، ولقد وجد حائلنايوناً
 البروليتاريا مقدومة الى تسعين . لكن من يثبت لنا انهم لم يستغلوا هذه الفرصة

١ - كان هناك ، بالتأكيد ، القارمون ، ولا اظن احداً يتصور اني اخل من امية عليهم .
 وكانت هناك أيضاً مقاومة الجماهير الدالية اللانظرية : وهذه كلها امور توحد بين الاعتبار .
 وهناك اليوم الحزب الشيوعي وسائفو النقابات ، وهناك وزن الجماهير الضخم والعمل الذي يمارسه
 عن بعد ، حتى لو كانت هائلة ، على مختلف الأوساط الاجتماعية . لكن القارمة رامت من ميزتنا
 العسكرية . والمنظمات الحالية البروليتاريا استمد صفاتها الرئيسية من الجزر التي التغيير التي بدأ
 مع اللاتوسية .

الى أقصى الحدود ولم يخلدوا حالة مؤقتة بموقفهم الانتاج ؟
 ان البروليتاريا للتسلية هرباً في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى هي
 نتائج الآلة البخارية . فقد حلت هذه الآلة محل العضة ، لكنها لم تكن قد حلت
 بعد محل المهارة . كانت ما تزال بمد في حالة تبعية : كان لا بد من رعايتها
 وتنظيمها وتوجيهها ومراقبتها . ان الحفرط المتوازي يعني العامل عن تحريك
 أدواته وعن وضعها على القطعة المطلوب قصها : لكن يبقى عليه ان يمد العدة
 للعملية ، ان يثبت وضع القطعة ، وزوايا القطع ، والسرعات ، الخ . والحفرط ،
 بنواقضه والمئات ، يحدد الحرائط : فهناك وجهه خاصة تعجز الآلة عن قصها
 ولا يمكن الحصول عليها إلا بالعمل اليدوي المتجز بواسطة أدوات مساعدة .
 إذن فالعملية ، وبالتالي العامل ، يحافظان جزئياً على الصفة اليدوية . والانسان
 الذي تتطلبه الآلة إنما يستمتع المجتمع : فهو يوفر له المعرفة الحرفية والخبرة الفنية
 عن طريق تدريب يتدرب يشهده سنوات . ثم تصطبفي المزاولة الأخيار : أي أولئك
 الذين يدلون على البراعة والدقة والمهارة الجسمية والمبادعة . لكن تكوين عامل
 غنص يكلف غالباً : وفي نظام الرأسمالية السيرية يقع على عاتق الأهل القسم
 الأكبر من التكاليف . والفلاحون الذين يهجرون أراضيهم وأبنائهم العمال غير
 المتحصين لا يملكون ، في غالبيتهم ، لا الوسائل ولا الرغبة في التدريب^{١١} .

وهكذا فإن متطلبات الآلة تفرض حتى نطق العمال الواجب تجنيدهم لها :
 فالعمال المحترفون هم أبناء عمال محترفين أو أبناء صناع . وهذه الأرستقراطية
 تشمل على بعض حدبني النعمة ، لكن الدخل بها لا يكون بالدرجة الأولى
 إلا عن طريق حق الولادة . يقيناً ، إن العامل المصطبفي مستقل شأنه سائر
 رفاقه : لكنه يختلف عنهم لأن كفاءته تسميه وحده لتسيير آلة من الآلات .
 إذن فهو المنتج من حيث التعريف . ولما كان عاملاً رئيسياً في عملية تحويل المادة

١ - انظر جورج فليل في « أعمال » للعاصف التي كان ما يزال يلاحظها حوالي عام ١٩٢٠ .
 ان العامل غير المتحصن يصبح محرفاً . فقد اضطر هو والثنان من أخوته الى التجرد الى الفس حتى
 يصبحوا عمالاً محرفين من غير ان يبروا برهنة للتدريب .

ال نتائج مصنوع وشاهدأ رئيسياً عليها ، فإنه يمي ذاته من خلال إنشاء الشيء
العامد . والتدرب يمثل بالنسبة اليه شيئاً اهم بكثير من مجرد تكوين فني : فهو
يرى فيه زيادة ثورية وحلماً انتقالياً ينتج له منفذاً الى طائفته والى العالم العربي.

والآلة هي التي تضمن أيضاً وحيدة زمرة العمل ، أو تضمنها بالآخرى
العملية المتقدمة والتربوية التي ينفذها المهني بواسطة الآلة وبمساعدة شريحة آخرين.
وفي مطلع القرن كان العمل الميكانيكي الذي يعمل فيه فرضاً مئة عامل ، يضم
عشرين ميكانيكياً ، اجتازوا فترة السنوات الأربع من التدرب ، ويحققون
جهودهم على التركيب الميكانيكي ، وستين خراطاً وثقايماً وقرانصاً ، وكلهم من
العمال الماهرين الأكفاء لكنهم يعيشون عن التمتع بما يتمتع به الأواقل من خبرة
وتكوين ، وأخيراً عشرين عاملاً غير مختص يعيشون بعيداً عن الآلات ولا
يشتركون البتة في صنع المنتج . والميكانيكي يوجه آتته ورجاله في آن واحد ؛
فهو يسمي العمال النصاب المختصين « مساعديه » و « مشغولهم » في عدة أعمال
لحسابه . والعمال غير المختصين أيضاً يخضعون له : وهو يعهد اليهم بالأعمال الخفيفة .
وهذا التسلسل التكتيكي مدعوم بتسلسل الأجور ، فالخريف يكسب بصفة
فرنكات عندما يكسب غير المختص أربعة فقط . وفي ذلك العصر كانت اسم
« الجماهير » قد بدأ يطلق على الطبقة العاملة ولم يكن ذلك صحيحاً : فالجماهير
متجانسة وجمعية الشكل في حين ان برونيتاريا ١٩٠٠ كانت عميقة التباين ، وكان
لتسلسل العمل والأجور يتعكس بتمامه على الصعيد الاجتماعي والسياسي . ان
لجميع العمال غير المختصين انفسهم لا يمكن ان يكفي لتكوين « الجماهير » وانما من
قريب التجريد يخلصون عن سائر العمال ؛ إذ ان كل واحد منهم مرتبط برفاقه
في الورشة أكثر من ارتباطه بسائر العمال غير المختصين في الصنع وفي المدينة .
والحق ان الطبقة العاملة مؤلفة من عدد كبير من الانظمة التسمية التي هي عبارة
عن مجموعات متلاعبة البنية تدور حول آلة . وفرق العمل هذه تتصل فيما بينها
من فوق : إذ ان شكل الجهاز التقني عند يتكون الطبقة العاملة ؛ وفي عام
١٩١٢ كانت فرنسا تضم أكثر من ستة ملايين عامل يدوي ولم يكن الألمان

العام للشغل يضم أكثر من ٤٠٠.٠٠٠ منسب . ومع ذلك كانت الاضرابات تقاد بصرامة ورحمة ، وانضباط ، ولقد رأينا انها كانت تنجح في غالب الاحيان ، وهذا يعني ان متاضلا واحداً يكفي بشكل عام ليجر خلقه خمسة عشر عاملاً من غير المتضدين الى النقابية . وفي المتضال المطالب يحتفظ المختصون بالقيسة التي يتمتعون بها أثناء العمل . ليس جميعهم بالطبع ، باعتبار انهم ينتمون الى النقابية بنسبة واحد الى ثلاثة : اما على وجه التحديد أخيارهم ، من كانت لهم الشهادة على ان يتقنوا انفسهم ثقافة عامة وعن يجمعون بين الارادة الثورية وبين أقصى وهي لشرط العمالي . اذن مع الآلة البخارية لتجاوب برويتاريا متسلسلة تنتج بدورها نقابية تتوجه الى اطارات ، وتتخذ من الورشة قاعدة لها ، وعن المنصع ميداناً للحرب ، ومن العامل المصطفى متاضلاً .

ويبدو أنه كان زماناً جيلاً : فأرواحنا الرحلة قد اكتشفت النقابية الثورية ، بعد ربع قرن من موتها ، وهي لا تكلف عن إشهارها في وجهتنا كمشال يمشى : ففي عصر مؤخر اميان الذهبي لم يكن للبيروقراطية وجود ، وكان الجهاز النقابي ينتج مباشرة عن البروليتاريا ، وبطل عقيماً فيها كزجره مبدأ باطني لتنظيم ، وكان العمال يتولون بأنفسهم حماية المصالح العمالية ، وكانوا يناضون بدون أن يتركوا الورشة ، وبالتسالي بدون أن يتنظموا عن الاحتكاك بمشكلات المنصع العميلية . والواقع ان قيادة أركان الاتحاد العام للشغل البرغسونية كانت تجعل من نفسها بطة المعنوية : فتارة كان يملقونه يتفنن به ، وابطة سرية ، تجمع بين التطلعات العمالية وطوراً كان غريبه يبعده ، العمل العفوي والخلق ، للنقابية الفرنسية . وخلاصة القول ان الأنا النقابية كانت تفرس جذورها في أنا البروليتاريا العميلة . وكان الصراع الطبقي ، قبل الحرب العمالية الأولى ، له طابع لا أدري ما هو .

وبالطبع كانت هذه اقوالاً لا طائل تحتها : إذ ان الاندفاع الجيسوي للطبقات الشغوية كان يغني ورامه دكتاتورية الشغوية المخرقة . وكانت الانلية القاعة ، تحتقر ما سمته به الجمهور ، وقتلت الديموقراطية . يقول لاغارديل :

« ليس الجمهور التليل والتخلف هو الذي سيؤدي رأيه هنا ، كما في الديمقراطية ،
 قبل الشروع بالنضال . وما عاد العدد هو الذي يصنع القانون . لكن قد نجية
 قاعة لتكون « نجر بفضل ترحيبها الجمهور خلقها » ، وتوجهه في دروب المعركة ،
 وهذا معناه بعبارة اخرى : ان الفئة « العليا » من البروليتاريا تأخذ على عاتقها
 العمل لتحقيق مطالبها الخاصة ومطالب الفئات « الأقل حظاً » . وهذه النخبة
 تزعم انها وحدها المؤهلة لإدراك غير الجميع ولا تسعى الى فهم اللغزومات
 الشعبية بقدر سمها إلى تحطيمها . ولن اكون ظالماً فأقول إن هؤلاء المصارفين
 المدهشين قد خالفوا طبقتهم : فهم إذا كانوا قد ارتلوا في رفاقهم لذلك لأنهم كانوا
 يشكون في انهم مستترون كالغيم أكثر منهم ثورين . ولهذا كان مهم الدائب ان
 يرفقوا مصالحهم مع مصالح غير المختصين ، ومثل هذا التوفيق يمكن بالغ الصعوبة
 في البداية على الأقل ، في بسلك مزدهر يسق طريقة الى التصنيع . لكنه ازداد
 صعوبة وندرة في الأحوال الأخيرة من فترة ما قبيل الحرب . فالتضال العمالي
 وجهان : فهو بالنسبة الى الأقلية القاعة تجربة عينية وامانة تحرر ، اما بالنسبة
 الى الغالبية التي تسير في ركاب الأقلية فيظل في غالب الأحيان أمراً مجرداً .
 وحسين يجر التضالون العمال غير المختصين الى عمل « مطالب » ، يمكننا ان نقول ،
 مع ارواحنا المرهفة ، ان الطبقة العاملة قد وجدت في العمل وان وحدتها تظل
 هائلة وعلازمة لها . اما في الواقع ففسد كثيرا يحدون أنفسهم مضطربون أكثر
 فأكثر الى التضال على جهتين : ضد رفاقهم وضد أرباب التصنيع . لكننا نجد
 مع ذلك في القمة قبضة من التضالين يشتمون بنظرة ارحب والشغل ، ويسعون
 انفسهم باعداد « أقلية قاعة » : لقد أخذوا هدفاً لهم حماية المصالح العاملة
 للطبقة ضد خصوصية النخبة . لكن هذه الأقلية تسير في عكس التيار عندما
 تحاول ان تهدي المحرفين والمختصين وتزدهم الى تقاية الصناعة وإلى التمرکز .
 ذلك ان الأرستقراطية المسبالية تظل عمدة لـ « الادارة القوضوية » ولتقاية
 الحرفة . ولقد كان من هم على شاكثة بيلونيه ويوجيه وميرهام وموناتي سيخسرون
 المعركة لولا تحول الصناعة للقاحين .

في عام ١٨٨٤ ظهرت أولى المحولات العملية . وبعد عشرة أعوام باتت الحركة الكهروضوئية يزاحم في كل مكان الآلة الحرارية ويتيح المجال أمام انتشار المكنتنة : وهكذا أدى التقدم التكنيكي الى تقليل حصة العامل في الصناعة شيئاً فشيئاً ، الأمر الذي أدى بدوره الى تدوير العمل اليومي تدريجياً . ان الحرط الجديد ينتج الحرارة من الجدد : فهو لا يحتاج إلا الى تدخل طفيف من طرف العامل ينتقل من تلقاء نفسه إلى آليات التنفيذ . وعلى حين غرة ، وبين العمال الميامين والعمال إنصاف المحترفين ، تم اكتشاف ذلك المجهول ، العامل نصف المهتمن الذي يستم الآلات كما لو أنه محترف والذي يؤدي عمله بسلا لتدريب^(١) كمعامل مياموم . والواقع انه كان موجوداً من قبل لكن لم يلحظه أحد : فمن أين أتى ؟ من كل مكان : فهو أحياناً قروي وصل لتوه الى المدينة ، وهو في غالب الأحيان عامل مياموم سابق في صناعة أخرى . ومنذ ١٩٠٠ ، في سانت - إيتين ، وفي بعض ورشات ، معمل الأسلحة ، كان يحدث ، ان يوجد ٥٠ ميكانيكياً بين ٢٥٠ عاملاً ، وكان هؤلاء العمال يعملون سابقاً في المناجم أو في الحياكلا^(٢) ، وكنت بين أيديهم آلات متقنة تعني عن العرفة المهنية^(٣) . وكان هؤلاء القادمون الجدد ما يزالون يشعرون بالوجس والتهيب : فهم لا يملكون لا الوقت ولا الإرادة ولا القوة لتنظيم أنفسهم بفردهم . إنما طلبوا من النقابة المحترفة والمناصرة مساعدتها . ففي ١٩١٢ ، وفي مؤتمر الحياكمر الاتحادي ، نسب ميرهام الكلام التالي لأحد عمال تطويق المادان في منطقة الأيست : « كيف تريدوننا ، نحن عمال التطويق المساكين الذين يعودون الى بيوتهم مساء متنهكين ، أنت نهم بالنقابة ؟ وأولئك الذين يمكنهم ان يشعروا بها ، أقصد العمال التكنيكيين ، قد أنشأوا نقابات حرفة » .

إن مطالبهم ، كما ترى ، متواضعة : وإذا كانوا قد طالبوا بحق الانتساب الى

١ - أو بعد تدريب قصير الأمد للغاية .

٢ - كانت المكنتنة متقدمة جداً منذ ذلك الحين في صناعة النسيج . والحياكلام عمال الصابغ مهتمين انتقاراً من العمل في ٢٦ الى ٢٧ أخرى .

٣ - نقل عن كولين : « روح النقابية » - ١٤ .

المنظمات التنقيبية ، إلا أنهم كانوا عازمين عزمياً أكيداً على تعزيز النخبة
 بصلاحياتهم بأسرع ما يمكن . لكن النخبة لم تأبه بهم : اتساق وقت تدافع
 بشراسة عن التنقيبية الأرستقراطية وتحميها من القادمين الجدد . ولقد آثر الحواد
 النيكلايكيين في عام ١٩١٠ ان يدرك الاتحاد العمالم للشغل على الاندماج بمجال
 التعدين والسبك لتكوين الحواد صناعة . وفي عام ١٩٠٠ نجد ٥٩ نقابة صناعة
 مقابل ٣٩ نقابة حرفة ، وفي عام ١٩١١ نجد ١١٤ مقابل ١١٤ : اذن فالنسبة لم
 تتغير . وأثناء ذلك ، ترك العامل نصف الخنص يواجه بلا تجربة نقابية وبسلا
 ثقافة سياسية دعائية أرباب العمل والسطهادهم . وسوف استعرض السمات الرئيسية
 لهذا البرولييتاري الجديد ، الذي ولدته على حين فجأة الآلات الحديثة والتقنيات
 التنظيحية^(١) .

إن ايقاع عمل ، العهد في المكاتب بدلالة مختلف العمليات التي يجري تنفيذها
 في الخين نفسه في الشروع ، يفرض عليه كثرة عبوة وبسوسة من الخارج . ولا
 يعود تلبية الى ما يتفقه من قوة عضلية بقدر ما يعود الى قوة عصبية مستمرة والى
 جهد دائم لتلائم مع الشروط المحددة سلفاً . وعندما يأفل النهار ، يكون هذا
 التعب قد التصق بجوده ، ورافقه حتى في حياته ، ثم في بطنه . وهذا الكلال
 المزمن يصبح طبيعة ثانية والكيفية التي يشعر بها يصعب . انه منقوش في وجهه ،
 في مشيته ، يحد من قدراته ، ويجعل منسه ، بالمعنى الحقيقي للكلمة ، انساناً
 ناقصاً .

وخطة العمل تؤدي الى تدهور قبعة المعرفة . فأرباب العمل لا يجتهدون ان
 يتكلف العامل ، ولا ان يكون بخاسة ذكياً : فالذكاء ينسر بالمرود باعتبار ان
 العامل نصف الخنص والآلة يختلفان فيما بينهما الحاداً شديد التباكلا لا مفر معه
 من تشبيه التفكير عند الأول بطلب وثلق في الثانية . بسبب ان الغلة السكامة
 مستحبة : فالتهرب والتقصيان لا يقلان ضرراً عن التفكير الصامح . اذن فعمل

(١) - يعني اننا لا نهدف هنا الى اجراء محاكمة الآلية البدائية ، فهذا امر لا طائل منه ، انا
 رويد ان نبين ان هذه الآلية البدائية في إطار الانتاج الرأسمالي .

العامل ان يكون حاضراً ، ان يكون احتراساً بلا مضمون ، وعبساً أسيراً لا يحافظ على يقظته إلا ليحذف نفسه عن نحو أفضل . لكن اذا كان العامل يكفئ رأسه من فكره ، فهذا ليسمح فيه مكاناً لفكر الآخرين : فنذ ان كرس التقنين الطلاق بين التصور والتنفيذ ، والعامل يجعل معنى أفعاله . فهي تسرق منه ، وتشرط من الخارج ، وأيضاً في هدفها ومدادها بالتيابنة عنه . وفي الوقت الذي يجعل فيه من نفسه فاعل الانتاج ، يحس بأنه منفعل . وفي اعنى العملي ذاتيته ، يشمر بأنه موضوع . انه يبذل قصارى جهده ، هو المتراطيء بغير ارادته مع رب العمل ، ليس للظلم الذي تعلمه لأن المعرفة قد ترجع اليه شرطه الذي لا يطاق . ويلتجئ الى السلبية لأنه حرم من كل مبادئة . وطالما انه مجرد من فكره ، فكيف يمكنه ان يعرف ان الافكار هي من نتاج الانسان ؟ وهو بالتالي يتود نفسه على ان يرى في النظام الذي وطده التكنيكيون تسراً خارجياً هو أول ضحاياه . والتاريخ الاجتماعي التقنين يخلص في حيفتين . ففي نهاية القرن الماضي كان تايلور يقول للعالم : « لا تحاولوا ان تفكروا » . فسينزل آخروث ذلك بالتيابنة عنكم . . وبعد ثلاثين عاماً كان فورد يقول عن العمال : « انهم لا يجنون ان يفكروا بالأصالة عن انفسهم » .

ان مكنته العمل نشوء العلاقات الانسانية . فقبل ١٩١٤ كانت البروليتاريا عبارة عن تروا^{١١} : ولم تكن هذه البنية الاسترطابية تستبعد لا التضامن ولا ترابطاً بين انسان وانسان يشبه على نحو مبهم لبيعة الاقطاعي الصغير للأسير . لكن تضامن العمل لم يمد قلائماً بين العامل نصف المختص وبين « النخبة » . فقد كان المخرّف يحدد للياوم مهمته . اما مهمة العامل نصف المختص فإنها تحدد من قبل رجل المكاتب . انه يحدد لها من بعيد والجميع ، من غير ان يرى انساناً البتة : إن العامل نصف المختص ليس له من صلة اليوم إلا بأمثاله من العمال غير المختصين . وعلاوة على ذلك فإن الآلة تضع بينهم صلاتها : فكل واحد منهم

١ - معلوم ان تروا هي مجموعة ليرم شجارورة ومنفصلة عن بعضها بعضاً بسلطات البتة ، والشكل شكلاً يسمى بالبرج .
٢٠٠٥ .

يدرك وجود جبراته تحت شكل ايقاع جماعي عليه ان يتلام معه . والأخر يظهر مع التأخرات أو الاخطاء أو الاختلالات : ان الشخص في العالم الميكانيكي لحظة تؤدي الى نقص في الربح . والآلة نصف الآلية هي غير اداة لتنفيذ عملية التحويل الى كتلة : فهي تلعب بنى البروليتاريا الباطنية ، ولا تبقى إلا على جزئيات متجانسة منفصلة عن بعضها بعضاً بوسط حامد عادم المرونة .

إن العمل الجبراً ، يعزله العامل نصف المختص عن رفاهه ، لتساير معه الى ذاته . لكن هذا العامل لا يحد في ذاته غير مادية عامة وشكلية : كما يفعله يستطيع كل إنسان ان يفعله ، اذ ان فهو كسائر الجميع ، ومسا وائمه الشخصي غير سرايب . بيد ان لغة حاجات أسرة ملغاة تعود به الى ذاتية الرغبة والآلم الخالصة : فالجوع والوجع والتعب تدفع به الى تفصيل ذاته لكن من غير ان يتبرها . لم انت لا انا ؟ - لأضي أنا - ومن انت ؟ - أما كانت . ان الذاتية غير القابلة للتبرير تدخل في نزاع مع قابلية الاستبدال الموضوعية . وينجم عن هذا النزاع على الصعيد الفردي شعور عميق بالنقص والذونية . وعلى الصعيد الجماعي يولي زمان الاشكال الكلاسيكية للنضال المطالب : ظهور اولئك الشفة غير المتمتعين بقيمة مادية ، والقابلين للاستبدال بغيرهم ، والتسلط عليهم خوف البطالة ، يهدد بأن يجعل الاضرابات معدومة الفعالية .

والفعل ان الشيء المحسوس في البداية ليس هو ارتقاء عامل مجهول يقدر ما هو تصفية العمال القدامى . فالميكانيكيون الذين ألفت بهم أزمة ١٩٠٧ على القارة لن يدعوا من جديد . وفي عام ١٩١٣ ، أثناء اضراب مصانع رينو ، حدد انصاف المختصين زمناً أطول من الآخرين ، فقد كانوا يعرفون انهم غير قابلين للاستبدال بغيرهم وأن رب العمل لا بد أن يسلم في النهاية . ولم يسلم رب العمل بل استبدلهم بآلات وعمال غير مختصين للمرة . ووضع للجميع أن زمن العامل المحترف قد ولى . بيد ان العمال انصاف المختصين ظفروا بتشكرونها بيضا ببيتالتقابلية تحيا حياة شبه خالصة ، خائفة المنوبات ، محرومة من سلاحها الرئيسي . ولم يعد لدى الناشطين القدامى ما يقولونه لقولاه الرجال الجدد القنقرين الى التقاليد

والى الماضي . ثم على حين غرة ، في آب ١٩١١ ، فتحت الحرب عيون النفايين : فاكثفوا الجماهير . ولقد كانت المفاجأة مؤلمة حين رأوا هذه الجماهير تخرج من الأرض صائحة : « إلى برلين ! » . أحشرون عاماً من الدعابة للوصول في النهاية الى سورة الجنون هذه ؟ وبلسان مناضل : « ما بقي من عملنا ؟ ما بقي من مهربنا ؟ ضد الحرب ؟ » . يقول آخر : « في قاطرة الشحن الحيوانات ، ومع رجال آخرين بصرخون ، الى برلين » . أحست بإفلاس الاتحاد العام للشغل ، بإفلاس المرابين ، بإفلاس البلاذ الفكري . . . ويقول ميرهاج : « كانت الطبقة العاملة قد حركتها موجة هائلة من الفزعة القومية » . ويقول موات : « لقد مرت الموجة وحملتنا معها » . كانت الجماهير ، المجهولة ثم المكتشفة على حين غرة ، تتطلب إنشاء نقابية جماهيرية ، وحزب جماهيري ، ودعاية وابتدولوجية جديدين . واكتشفت النفاية الثورية ، المعجزة عن إدام هذه المهام ، اكتشفت على حين فجأة انها قد أصبحت بالية ، وسقط الجهاز القديم للطبقة العاملة خارج الحركة ، وبانقذت الحرب القادة بدون جماهير ، والجماهير بدون حماية . ولم يكن بعد في وسع تلك الجموع الغتبية ، ضحايا الطلاق الذي يفصل نشاطها المنتج عن المضمون الواقعي لرجائها ، ان تكون بالنسبة الى ذاتها ما هي ، في ذاتها : فزعتها الجفورية وعدم استقرارها وهيجانها الذي سرعان ما تلاه فتور الهمة ، تعبير بكل بساطة عن واقسح ان الشرط العمالي الجديد لا يطاق . وسوف تفتح اسطورة الحرب الأخاذة لبعض الوقت صبراتها الثورية وسوف تجعلها تعمي العنف الكامن فيها : لكن هذا الوعي ظل اسيراً ، مستلباً .

والما من الحرب ايضا سيأتي بطلان مفعول الأساطير والأضاليل . من الحرب لان ظروف الانتاج ، وليسوا هم القادة النفايين الذين سيمزقون الصورة الوهمية التي فلنكها الجماهير عن ذاتها ، انما ستمزق هذه الصورة في معارك لاسوم وفردون . كتب مومولان : « حين انضممت اليهم في فردون ، كانوا حاقدين على الجميع : على الصحفيين ، على النواب ، على الاشتراكيين ، على البارسيين » . على رجال الدرك ، على القابعين في المزرعة . وكان أقوى وأوضح شعور سائد بينهم هو

الشعور بمخسو الصعاخ والكلمب والمبالفة والمخاطأ . . .

وحن عامت الجماعبر عام ١٩١٩ ، سكروى بالمضب والرربة ء كلت شالخره .
وفي كل مكان من اوروبا تقریباً سببح نشوب الثورة منوطاً بالقباه الجنود
والعمال . وفي فرنسا انضم مليونان من الجنود المرعبن الى ثلاثة أو اربعة ملايين
عامل يعملون في الصناع . وكان هذا امتزاجاً انفجارياً مازجر جاً ؛ فتضخمتم
اطارات الاتحاد العام للشغل مناضلين جمده . ويبدو ان الثورة كانت ممكنة
والبورجوازية مستعدة ؛ للقبول بأكتل التضحيات لصالح البروليتاريا . . لكن
اضراب حزيران ١٩١٩ أثبت ان الجماعبر لم تكن مستعدة ، ومن أن كان سيأتيها
الاستعداد ؟ ومن ذا الذي أعدھا وقيامها ؟ في ٢ حزيران ترك عمال التعدين
الباريسيون العمل . وامتد الاضراب الى ثلاث نقابات في سين - اي - واز ؛
وبلغ عدد الضريبن ١٣٠٠٠٠٠ . وعدد الهويات النقابية الموزعة ٨٠٠٠٠٠ .
اضراب نصف سياسي ؛ نصف مهني ؛ فهناك مطالب لكن هناك أيضاً قلق
كبير . . . فكرة عامة نهم البروليتاريا قاطبة ؛ . وقد وجهت الاضراب في
البداية لجنة تقام ؛ وهي منظمة نقابية أنشئت لتوجيه الاضراب . لكن
جمهور النقابيين الجده الكبير - أكثر من نصف الضريبن - كان يوقف في جميع
المسوين ؛ فمرا أمكنة الاجتماعات النقابية ؛ واتهم بتقليبه بأنهم مباحون ؛
وانتخب في النهاية لجنة عمل زعمت انها ستحل عمل لجنة التقام . ولما وجدت
لجنة التقام ان الأمر أمسقط في يدھا ؛ فخلت عن سلطانها لاتحاد المغان الذي أخذ
الاضراب حل حاله . وقد اجتاحت لجنة العمل في ٢٢ حزيران مكاتب الاتحاد ؛
وطالبت بحضور الجلسات ؛ ووصفت القادة بأنهم غير بارعسين إلا في ؛ حشو
الأدعة ؛ . بيد ان الاتحاد كان يريد الاضراب العمام . فدعا الى انعقاد هيئة
الاتحاد المهني . ورفضت الهيئة توسيع النزاع لكنها نصحت الضريسين بالآ
يستأنفوا العمل قبل الحصول على ضمانات . واحال أن لجنة العمل بالذات كانت
قد أصدرت أوامرها منذ ٢٦ حزيران بإنهاء الاضراب ؛ نظراً الى تحسبها بتطور
العزائم حتى قبل أن يتخذ الاتحاد المهني قراره . وكان الفشل ظمناً شاملاً . وعاد

العمال الى الآلات من دون أن يحصلوا على شيء . والواقع أن الجماهير وجدت نفسها متشبكة مع بيروقراطية تبطل من عزيمتها بظرائفها الحديثة وتوقعاتها البعيدة المدى ، وانتخبت لجنة أضرم عليها وعدم كفاءتها مجزما وهيئتها . لقد كان هذا الحدث بمثابة دليل وإشارة : فالجماهير ، التي هي نتاج حديث الانتشار استخدام الآلة ، كانت بحاجة الى قيادة وإلى انضباط متلائمين مع بنيتها الأساسية ، وكانت تسكر الثوابين الذين انكروها قبل الحرب ، وما كانت تقبل بأن تسلم مقاليدها إلا لسلطة جديدة تكافح بلا كلل الاقوازن الدائم في التشكيلات الجماهيرية . وأن كان يمكن إيجاد سلطة كهذه في ١٩١٩ ؟ كل قادة الشعب الفرنسية من الامية العمالية ، و « الاتحاد العام للشغل » يتهمون أنفسهم ، أو يبررونها ، أو يفرعون بأخطائهم . وما كانوا يتفقون إلا على اذانة القادعين الجدد . وقد قدم لهم إضراب حزران « حيشيات » جديدة لدعم الحكم الصادر عنهم : فأقدمهم يتكلم عن « لجنة العصيان وعدم الانضباط » ، ويشكو آخر من أن « غرائز جمهور الشارع الذي يصرخ ويسحل فقد انتقلت الى اجنابنا » ... وبتحدثت قالت عن الأمم الكبير الذي أحس به لأنه « لاقى في فرنسا موقفاً ثورياً بدون روح ثورية لدى الجماهير » . وسيقول بلوم في عام ١٩٢١ : « نحن نعرف عا هي الجماهير غير المنظمة ... نعرف وراء من يسير اليوم ووراء من يسير في الغد ... ومن سار ووراءكم بالأمس قد يكون في الغد أول من سيهاجمكم ... إن الثورة لن تصنع مع هذه العصابات التي تجري وراء جميع الحبول » .

ومع ذلك ، كان لا بد من التخل عن صنمها أو صنمها مع « تلك العصابات » . اما عن عدم تنظيمها فلم يكن ثمة مجال للشك في ذلك ؛ امكن كان هذا بعض دليل على انها بحاجة إلى تنظيم . ومن سوء الحظ انها ما كانت تستطيع ان تخلق هذا التنظيم من تلقاء نفسها نظراً الى عدم وعيها حاجاتها . ترى ألم يكن للطبقة العاملة ، المزقة بين ارسقراطية محتضرة وجمهور يستهلك طاقته على التمرد في القوضى ، من حل آخر غير العجز والتسلق ؟

كلا ؛ فهذه التمزقات كانت تبدو مؤقتة . ولم يكن هناك بسد من لتطور

الموقف : بينما « إن التنظيم لن يبتثق على حين غرة من فوضوية الجماهير لكن مسار السن من مناصلي « الأتحاد العام للشغل » و « الشبقة الفرنسية من الأبنية العمالية » كانوا قد بدأوا يتفكرون من المعارضة الاشتراكية . ذلك ان التجارب التي اكتسبوها من الحرب قد فسادتهم جميعاً الى اعادة الأبنية الثالثة « ففروا ان يضعوا النظم في خدمة الجماهير وأن يقدموا إليها الجهاز الذي هي بحاجة إليه .

ثم كان كل شيء يدفع إلى الافراض بشأن حركة التمركز المستمر وستنجز تصفية الأرستقراطية العمالية . وحتى يقتنع المرء بأن العمال انصاف المختصين لا بد ان يتكفروا في النهاية العمالية الساعقة من البروليتاريا « كانت يكتفي « في حوالي ١٩٢٥ « ان يلقي نظرة خاطفة على الاحصائيات القديمة من مؤسسات فوردي^(١) : ففي هذه المؤسسات كان عامل واحد فقط من أصل مئة يستحق اسم « محترف » ، وكان كل ثمانية عمال من أصل عشرة عمالاً انصاف مختصين . وكان من الممكن هذا اللفظاط العامم الشفقة ان يمتد على الاشتراكي : فهو قد نزل مرتبة مناصلي النقابية الثورية العتدين بأنفسهم الى مستوى أولئك البضير الذين الذي يتكلم عنهم ماركس . لكنه استبعد من جهة ثانية العامل غير المختص . واعداد على الأخص الى الحركة العمالية فونها . وحين تنجد هذه « النيسو بروليتاريا « البسالة النجاس إظهارها وضيعة للكفاح « فيصبح انجاسياً أقوى منه في أي وقت سبق « ولن تعود الوحدة العمالية مجرد كلمة تقال .

١ - نسبة لشبقة	١٩٣	١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩
مدة تكويتهم لدى فوردي	٢٥ واحد لا أكثر	من يوم الى ثمانية أيام	من اسبوع الى اسبوعين	من شهر الى عام	شهر مئة اعوام

وهذا الجدول مأخوذ عن بروليس هيرش : « المعجزة الاقتصادية الأسبوعية » . نقل عن

فريدمان : « الشكلاين الانسانية الآلية الصناعية » .

لكن هذه الافتراضات لم تحسب حساب ما لتوسيعها . فهم بإيقافهم حركة التمر كثر ، أرجلوا التوحيد إلى أجل غير مسمى . فالصناعة الكبيرة لا تستوعب أكثر من ١٥٪ من الشغيلة ، والباقي يتوزع بين ٥٠٠,٠٠٠ مشروع . وبالطبع ليست أهم المؤسسات هي دوماً غيرها تجهيزاً : ففي صناعة السيارات يتفوق قطاع البناء تمركزاً ويقل آلية عن قطاع الغيارات . كما أن المشروع المتوسط لا يملك الوسائل لاستخدام الآلية استخداماً مكثفاً . والشروع الصغير ما يزال بعد في مرحلة بدوية . وبين ٣,٦٧٧,٠٠٠ عامل في صناعة التحويل عام ١٩٤٨ ، نجسد ١,٢٠٦,٠٠٠ عامل مختص ، و ١,٣٦٠,٠٠٠ عامل نصف مختص ، و ١,٠٥١,٠٠٠ عامل غير مختص . والصنفان الأولان يتعادلان تقريباً^(١) . أما الصنف الثالث فكبير للشعب : ففي مؤسسة الكتاب والبناء ، حيث يتفوق المختصون عددياً ، بيت البنية القدية البالية للبروليتاريا على حالها : فالعامل غير المختص يعمل تحت أوامرهم . وأما في صناعة الحديد والفولاذ والنسيج ، فإن الغلبة هي للعامل نصف المختص ، بينما يتفصل المختصون عن الإنتاج المباشر ويشكلون فرقاً للصيانة والإشراف على الآلات لا يعود لها أي قسائم يسائر العمال^(٢) : وعندما يشكل العمال أنصاف المختصين وغير المختصين صنفين شبه متجانسة ولا سيما أنه تكفي بضع ساعات أو بضعة أيام لاستبدال أولئك هؤلاء . ولا ينبغي أن نعتقد أن هذا الانقلاب يوفر للبروليتاريا تجربة جديدة : وإلى ازدهارها القدرات التاريخية : فالطبقة العامة مهددة - وما أعظم فرصة أرباب العمل بذلك - بأن تظل منقسمة إلى قسمين شبه متساويين ، ليست لها بنى واحدة ولا قيم واحدة ولا مصالح واحدة ولا تقنيات واحدة في التنظيم والكفاح .

أ - ثنائية القيم

بنى العامل المختص مطالبه دوماً على اختصاص عمله ونوعيته . فالمنتج

١ - ٣٥٠٥ مقابل ٣٥٠٩ .

٢ - إمكانية الإنتاج تقع في غالب الأحيان على يده عدة كيلومترات عن إمكانية الآلات .

الحقيقي ، المصدر الأرواح لكل ثروة إذا هو . وهو الذي يحول المواد الخام الى
 خيرات اجتماعية . وفقطرة الاضراب العام ، التي تتمتع بشعبية كبيرة قبل
 1914 فقد ولدت من وهي الذات المتكبر هذا ؛ للإطاحة بالمجتمع البورجوازي ،
 يكفي العامل ان يصاب فرافيه . وإذا كان هذا العامل يطالب بلحسية أدوات
 عمله فهذا لأنّه وحده القادر على استعمالها . وعلى كل ، فإن معرفة الفئحة في
 المشاريع الصغيرة نادراً ما تكون أدنى من معرفة رب العمل . والتفافية تضم
 الكفاءات وتعتبر نفسها بالنسبة مؤهلة لراقية الانتاج ؛ انها ستحاول بصورة
 طبيعية غداة الثورة الى جهاز تسيير . ولما كانت حقوق هذه الارستقراطية للبيع
 من جداراتها ، فهي ليست بعيدة عن اعتبار نفسها الضحية الوحيدة للرأسمالية .
 والكلمة التالية التي ألقاها عامل ميكانيكي في المؤتمر الاتحادي عام 1903 تعتبر
 عن الشعور العام : « إن إنكار القيمة الاختصاصية العامل لسا يعني بشخص أو
 آخر إيجاد ظروف مختلفة للاستغلال الرأسمالي » . ومن هنا يمكن لبعض النفوس
 الحزونة ان تستنتج دوناً مشقة كبيرة ان استغلال العمال غير المحتضين ليس بعد
 كل شيء عملاً بالغ الأجرام . ولم تظن النخبة العالية تعالي في موقفها الى هذا
 الحد ؛ لكن ما لا ينكر هو انها كانت تعتبر مساعدتها « أعباء ثقيلة » . هل
 كانت تعترف لم يخفوا ؟ هذا أمر مشكوك فيه . ولعل انها كانت ترى فيهم
 مواضع دافعة لكرهها . وهذا الذنب الانساني القائم على العمل ملتبس ؛ فنحن
 لا نشك في أنه يحقق تقدماً على الملعب الانساني القائم على الثروة . بيد انه لا
 يعدو ان يكون أكثر من مرحلة . ولو توقف الرء عند هذا ؛ لظلت التعالية
 مستبعدة عن الانسانية . تقولون ؛ على الانسان ان يستحق ان يكون انساناً .
 لكن ماذا ستمثلون بأولئك الذين لا تتوفر لديهم الوسيلة لذلك ؟

ان البروليتاري الجديد لا يستطيع ان يعرف على اي استحقاق او جدارة
 لأن كل شيء يستغل لإقناعه بأنه لا يملك اي استحقاق او جدارة . بيد ان
 التمس والبؤس يرفهانه ؛ فإما ان يطمس او يحصل على تلبية لطلبه . لكن
 علامة يبيع مطالبه ؟ على لا شيء على وجه التحديد . لو عليها قائما اذا شتم :

فالحاجة تخلق الحق . لقد حدث انقلاب في القيم مع ظهور الجماهير ، ورسخت الآلية دعائم المذهب الانساني . ولا تحسب العامل نصف المختص انساناً معشراً بنفسه وواعياً لحقوقه : انما هو انسان حنون وواعٍ لإنسانيته الدون ، وبطالبي يحف في ان يكون انساناً . وعلى هذا فالمذهب الانساني القسام على الحاجة هو المذهب الوحيد الذي يتخذ الانسانية قاطبة موضوعاً له : لتصفية الجدارة والاستحقاق فتصف آخر حاجز كان يفصل بين البشر . لكن هذا المذهب الانساني الجديد هو بمحد ذاته حاجة : فهو معاش على نحو اجوف واعتباره معش حرمان غير مقبول . ان الانسان بالنسبة إلى العمال المختصين يصنع نفسه ، ولا يقى عليه إلا ان يعيد تنظيم المجتمع . اما بالنسبة للعمال النصاب المختصين فسوان الانسان لما يصنع بعد : انه ما يتفلسف الانسان ، ما هو موضع تساؤل بالنسبة إلى كل واحد منا في كل لحظة ، ما هو مهذب باسئسار ان يتضيق من غير أن يكون قد وجد قط .

كان كل شيء ميسر على خير ما يرام لو ان المذهب الانساني القائم على العمل اصب تدرجياً امام المذهب الانساني القائم على الحاجة : وهذا ما كان سيحدث لو لم توقف المائتوية الثورة الصناعية . واليوم يتعايش هذان المذيعان الانسانيان وهذا التعايش يشوش كل شيء : فسار تجمد الأول وطرح ذاته لذاته ، لأصبح عدو الآخر . والجماهير ، من جهة ثانية ، قد سررت إليها سرراً عدوى ايدولوجية تنخبية العالية : فهي لا تشعر بالحجل امام البورجوازيين لأن أفضل واحد فيهم لن يستحق ابداً ، مها يفعل ، الامتيازات التي يتشبع بها . لكن العمال المختصين يلتزمون إلى البروليتاريا وهم مستقنون شأن العامل نصف المختص ، وإذا كلوا يعيشون بصورة أحسن منه بقليل ، فهذا الفرق يبدو وكأنه قابل للإعمال عندما يقارن مستوى حياتهم بمستوى حياة البورجوازيين . وهم يزعمون على الأخص أنهم مدينون هذه المزايا الطفيفة الزهيدة إلى جدارتهم . لماذا لو كان هذا صحيحاً؟ لقد قلت ان معظمهم من ابناء المختصين : لكن هذا غير محفور على جباههم بعد كل شيء . ان العامل نصف المختص يقول في نفسه ان اعدو لو فرشوا على انفسهم

بعض التضحيات لأرسفوه هو أيضاً لتدوير . أو لعله يقوم نفسه على أنه كلف
 يفكر إلى الأمانة والثبات . ان لا تساري الشروط الطاغري يدل في نظره على
 لا تساري القيم : إذا كان العامل المختص يستمد قيمته من عمده فإن العامل نصف
 المختص لا يساري شيئاً طالما انه ، من حيث التعريف ، قابل للاستبدال بغيره .
 وخلالة القول انه يشعر بالحجل امام اولئك الذين يفرض فيهم اثم رفضه في
 الكفاح . وبالتالي فإن كفاحيته مهددة بالتناقص . ولتحرير الجماهير من شعورها
 بالنقص ، توجب تصفية جميع القيم الاشتراكية لفترة ما قبيل الحرب تصفية
 جذرية . توجب إلهامها بأنها تقدم للبشر جميعاً فرصة النظر إلى الانسان والمجتمع
 على حقيقتها ، أي يعني أفضل الناس حفظاً واكثرهم حرماناً . ولما كان تطور
 التكثيف يؤدي إلى تدوير قيمة العمل ، ذلك التدوير الأسس للانسان على الانسان ،
 فقد لوجب ان يبين هذه المسيحية النفسية ضد كل الاخلاق ضد كل غاية ، ان التدوير
 تشويه ، ان العلاقة الانسانية الوحيدة هي علاقة الانسان الواقعي الكلي ، الانسان
 الكلي ، وان هذه العلاقة المتعة أو الشهادة موجودة بشكل دائم في قلب الجماهير ،
 وانه لا وجود لها إلا هنا . لكن بقدر ما كانت العالمية تأخذ هذه الايديولوجية
 الجذرية ، كان العمال المختصون ، الذين رأوا قيمتهم تنقص ، يتصلبون على
 مواقفهم . إن الاستقرارية تعني ذاتها حين نهائم : فنحن آخر اعوام فترة مسا
 قبل الحرب ، وكرر فعل على صعود الجماهير ، اطلق نظريون مفروضون اسم
 « القروسية » على نقابية الأقلية وأرادوا ان يجعلوا من المناضل سادناً جديداً
 ليكمل الرب : فالعامل المختص ، ذلك السيد المستنير ، يقبل بأن يندثر نفسه
 للجواهر لكنه يشكر عليها حق الدفاع عن مصالحها بنفسها . ولقد حلفت فترة
 ما بعد الحرب تصفية جديدة واختفت النقابية الثورية . لكن ليس روحها :
 فحين في داخل « الاتحاد العام الموحد للشغل » بين ١٩٢٦ و ١٩٣٧ سيقوم
 انصار نقابية النخبة الشيوعيين بقوة . وبين ١٩١٩ و ١٩٣١ أكره الاتحاد العام
 للشغل برئاسة جوهو^{١١} على الوفوع في مزلق البيروقراطية ، نتيجة التمسك
 ١ - ليون جرهو : وليس الاتحاد العام للشغل بين ١٩٠٩ و ١٩٤٥ . قال جائزة نوبل
 لسلام عام ١٩٥٦ . ٥٢ ٥٥ .

التزايد الفهم النقابية ، لكن موظف النقابة لا يتل سوى النخبة العالية وقد
 ظلت الجماهير خارج التنظيم . وفي ١٩٣٦ ، حين صرح سيار في مؤتمر تولوز :
 « ما تزال هناك ايدولوجيتان رئيسيتان تتواجهان في الحركة العاملة وفي الحركة
 النقابية وهاتان ايدولوجيتان هما ايدولوجية برودون وايدولوجية ماركس » ،
 كان جوهره على حق إذ أجابه : « منذ ١٩٠٩ ، لم اسمع قط مناقلين يعرضون
 وجهات نظرهم بالاستناد الى ماركس أو برودون » . كان على حق من حيث
 الشكل لكنه في الواقع تهرب من المشكلة . ذلك ان الاتجايمين الذين تكلم عنها
 سيار ايضا في البدء ماركسيين أو برودونيين : بل هما موجودان في البروليتاريا
 الفرنسية بغض النظر عن كل ثقافة فلسفية أو سياسية . اسألوا مناقلا شيوعياً
 عن رأيه به « الكرامة الانسانية » ، تجدهم يهز كتفيه . فهل من قبيل الصدفة
 ان يكون اتحاد الماعدان والاتحاد العام للشغل ، في عهد رئاسة جوهرو ، قد أعلنوا
 عن تأييدهما للتنظيم العملي للعمل شريطة « ألا يس الكرامة الانسانية »^{١٤} ،
 وأن تتكرر هذه الكلمات نفسها عام ١٩٤٥ في تصريح له « الاتحاد الفرنسي
 للعمال المسيحيين » ؟ إن « كرامة » العامل المختص انما هي تفوق عمله . انه من
 الاساس انسان - طالما انه يفخر بعمله - ومن الاساس حر - طالما ان الآلة
 العامة تفرك مكاناً واحداً للعبادة : انه يطالب باسم الحرية والكرامة بيجتمع
 اعدل يعرف بقيمته وحقوقه . اما الجماهير فلا كرامة لها ، ولا لتصور حتى
 تصوراً ما الحرية : لكن بعض وجودها يدخل التطلب الجذري للانساني في
 مجتمع لا انساني ، كما تدخل الشظية في اللحم .

ب - ثمانية المصالح

كثيراً ما لوحظ - ولن أماري في هذا - ان الجماهير ترضى بإيقاع عمل
 بإياه العامل المختص . فلي « مؤسسات ستروين » قامت اضرابات ١٩٢٦ و١٩٢٧
 على أساس التعارض بين الآلات والعمل . كان التتسبون الى النقابة - وجميعهم

١ - التولز الاتحادي الماعدان ١٩٢٧ . لتلا عن كويليه « المصدر المذكور آلفانس - ١٩٦٥ » .

من المخصصين - يريدون تحفيز معايير المردود ، وكان العمال انصاف المخصصين يريدون تسريع الايقاع : فظالما أنت عملهم هو في كل الأحوال العتمة ، فمن مصلحتهم ان يدر ويفعل . ويرجعهم على أساس القطعة يمكن أن يعادل الربح على أساس الساعة العامل المخصص : انه نوع من ثار . لقد أدانت مثلها العرولياتاريا العمل المسلسل والعمل بالآلات نصف الآلية عند ولادته : لصنفة أنتج ، مع مرور الزمن ، عمالاً جدها يعيشون من المكتسة ، وعليهم ، شاوروا أم أبوا ، ان يعطوا عن تضامنهم معها . ولا مجال للشك ، بالفعل ، في أن ، التبر - بوليشاريا ، تلي ، يوظفها الذات ، متطلبات الانتاج المسلسل : فلقد ظهرت في الولايات المتحدة حين أراد أصحاب الماسلسل ، تحت وخز المزاحمة ، أن يوسعوا السوق الداخلية وان يتخذوا من الجماهير زبائن لهم ، عن طريق زيادة المردود لتخفيض التكاليف . وهذا بالتأكيد لا يعني أن الجماهير تعمل لثابتها : فحين العامل نصف المخصص المنتج والعامل نصف المخصص المستهلك يتنصب حاجز الربح والاستقلال . لكن من الصحيح بالمقابل ان ارتفاع مستوى الحياة يرافقه نمو الانتاجية . ففي ١٩٤٩ كان العامل الأميركي ينتج ، في ساعة واحدة من العمل ، أربعة أضعاف ما ينتجه العامل الفرنسي . وفي العام نفسه ارتفع الدخل القومي بالنسبة الى الفرد الواحد ، الى ١٤٥٣ دولاراً في الولايات المتحدة مقابل ٤٨٦ دولاراً في فرنسا . ان مصلحة العامل المسلسل نصف المخصص عندما لا تكن في زيادة مجهود أو زيادة عدد ساعات عمله : إنما عليه ان يطالب بالزيادة التدريجية لانتاجيته مقابل المجهود نفسه وعدد الساعات نفسه . لكن هذا يتطلب ، أقل ما يتطلب ، هجر الطرائق المائتوية : فن الواجب تجديد الآلات ، وتشديد التركيز ، والتشجيع ، ونشر الآلية . والحال ان مصير العامل المخصص منوط بالإبقاء على أشكال الانتاج القديمة : إن مصلحته مرتبطة بصورة مسا ، بالمائتوية . بينما ، ان ارتفاع مستوى الحياة يحتمل أن يعرض عن التدوير قيمة العمل وعن سحق تسلسل الأجور : لكن النزاع إنما يدور حول امتيازات التخبة وكبرياتها و ، فرحها بالعمل ، وكرامتها ، أي وعي تفوقها . وعلى هذا فإن مطالب الجماهير تنزع الى

تحتطم الأطارات الراضة لاقتصادنا . والنخبة بالمقابل تعمدل في مطالبها حتى لا
لسبب تحولات تكون شؤماً عليها .

ج - التعدد النقابي

ان الاختصاص المهني يتطلب وبغضى لدى العامل حتى الحكم والمبادعة
والسؤاليات . وهو الذي يجعله أيضاً غير قابل للاستبدال بغيره . والمستخدم
- في المشاريع الصغيرة على الأقل حيث الآلية معدومة - يظل قريباً جداً من
جهازه المكون في غالبته من عمال مختصين . وهؤلاء العمال قادرون ، بفضل
تعممة عملهم والذات ، على ممارسة تأثير ناعم ومتصل على أرباب العمل والتواجه
الدائم بسين الاستقرارية العالية والصناعيين هو الذي يبقي على « الناس »
والثور . وعلى صعيد المشروع تستطيع هذه النخبة ، بتدورها يصعب استبدالها
بغيرها ، ان تحصل على أشياء كثيرة بمجرد تهديدها بالأضراب ، وبالتالي عن
طريق للمفاوضة باعتبار ان هذا التهديد يظل دوماً مخنياً . إن العامل المختص
يشتمع بأوراقه واجهه في دهائه : فهو يستطيع ان يناقش ويسارم ، ولا يلجأ الى
العنف إلا كوسيلة أخيرة . انه يتقدم ويتراجع ، يهدد ويتساعل ، ويتلام مع
موقف رب العمل مع الوضع ، مع ميزان القوى المتبدل دوماً ، وهذا كله
بالكلمات : كلمات ليست في الواقع نغمات أصوات ولا أفعالاً ، بل يعاقب ترمى
على الصياط ويمكن سحبها في كل لحظة . ان العامل المختص يستطيع ، قبل ان
يتنقل الى العمل ، ان يتكور رمية زهره بغيره ما يشاء . تشهير وتهديدات متبادلة
وعود ، قطعية واستثنائ للمفاوضات : ان هذه المناورات الجردة وشبه الرمزية
تقطع في غالب الأحيان الطريق على امتحان قوة ، لتليح المجال في اللحظة
المناسبة لحل توافقي . إن اختصاص العامل النقابي يسمح لتقابة بالأحتفاظ
بجربتها في المناورة .

ونضيف بأن هذه النخبة متجانسة : ان حركة التمركز ولدت بوجوه فراطية ،
لكن مسائل القاعدة يستطيع أن يعتبر نفسه قائداً بالقوة ، فهو لا يظل عنين

ووسائله خبرة او معرفة نظرية . كما انه يمارس عليهم رقابة فعلية وفاقية .
وبالتقابل لا تستطيع القيادة ان تخطى . بصدده مشاعر القاعدة : الفاتحيون
يتكلمون ، ويدلون بأرائهم ولبارات الرأي تطلق عن نفسها . وهم يسامعون
جميعاً وشخصياً في تحديد الخطوط الكبرى للعمل النقابي . تأس دائم بين الرؤساء
والقاعدة ، فقط مستمر يمارسه الشغل على رب العمل : إذن شرطاً السياسة
النقابية متوفران .

أما مع الجماعية فتتناقض طرفي التفاوض . فالعمل ، بعد ان تدفورت قيمته
يكف عن أن يكون بذاته وسيلة للعمل . وطالما ان الحركات تدور ، فإن
العامل الانساني لا يبدو قابلاً للإعمال . وربما بعد يوم ، وبحركة واحدة يزداد
الانفصال بين العامل المحروم من الضمانة التي كانت توفرها القيمة المهنية وبين
القيادة . وهذا المعنى يبلل الشرط الجديد للبروليتاري الى تحطيم استمرارية
عمله ، فحقن يكون المقاومة العالية تأثيرها على قرارات ارباب العمل ، فلا بد
ان تتخطى عتبة معينة ، والا فلن تكون محسوسة قية . وبكلمة واحدة ، ان
الاضراب ، اي العنف ، هو ملجؤها الوحيد . لكن سلاح العمال النوعي^(١) هو
هذا قد يدل من طبيعته : فالعامل المختص لا يمكن الاستغناء عنه ، وحسب
يرقق الانتاج يكفي ان يظل في بيته لا يرحله . يقينا ، انه يمارس عنفاً ، لكن
هذا العنف مشروع ، ثم انه يبلل - من حيث البسداً على الأقل - الى ان يلبس
بجرداً وسلياً . ومن هنا فليس ان رد فعل رب العمل لا بد ان يظل محصوراً ضمن
حدود معينة ، والاستخدام يستطيع ، اذا ربح المعركة ، ان يضاعف المقويات ،
لكنه سيجد مشكلة لو أراد ان يفسح دماً . لكن العامل نصف المختص يمكن
استبداله بأي عامل آخر ، باعتبار انه كمنتج لا يتميز عن اي عامل آخر . إذن
لا يكفي ان يترك العمل ، بل لا بد ايضاً ان يقع الآخرون من الاستمرار فيه .
وبعد عشرين عاماً من الحسيرة ونفس الطريق وجدت الجماعية السلاح الجديد ،
السلاح الوحيد المتناسب مع شرطها : الاضراب مع احتلال الصانع . وكان هذا

(١) ليون جومر . محاضرة في المعهد العالي العمالي ، ١٩٥٧ .

معناه التطاول على أقدمس حقوق البورجوازيين ، والتعرض بالتالي لتدخل قوات الأمن . إنذارات ، قنابل مية للدروع ، وإذا لم يكف هذا أطلقت النار . قبل سنقول ان الجماهير أكثر استفراساً و ، شرأ ، من النخبة ؟ مثل هذا القول لا يفر ولا طائل تحته . والحقيقة هي ان تطور التكتيك وطس جذور العنف ؛ فكي يدافع العامل نصف القمص عن أبيه ، فلا مفر أمامه من الجرافة بجلده . ولهذا السبب نفسه لا تلك الجماهير من وسية دفاعية غير العمل الجماهيري ؛ فمن طريق عمليات جماعية تشن على المستوى القومي ؛ تحاول الجماهير ان تحصل على عقود جماعية تشمل فروعاً بأكلها من الصناعة . لكن هذه العمليات غير ممكنة إلا اذا التزمت الجماهير دفعة واحدة بشعار واحد . والحال اننا رأينا انه يُلسب اليها خطأ فرع من وحدة وحشية ؛ لأنها في الواقع نشئت جزئياً ، تجمع ميكانيكي من الوحدات ، تتاج حرف لآلية المهام . ولا ريب في ان البلية الأرخيلية هي حد مثالي صرف لعملية التحول الى كتلة ؛ اما في الواقع فإن قوى الاثلال تصادف عمليات عديدة . وبعض حضور الجهاز التقني - تلك الجملة العصبية - يحفظ للبروليتاريا ؛ عندما يتراس التوتز الاجتماعي ، فرعاً من والتخلص العضلي . بيد انه من الصعوبة بلكان اعتبار الجماهير العمالية جيشاً في حالة ليقط دائم . بينما ؛ ان الصراع الطبقي لا يتوقف لحظة واحدة ؛ كانت العامل لا يني لحظة واحدة عمن معاناة العنف وعمن معارضته بحض واقعه الانساني . لكن نشاط الافراد لا يجرهن البتة على ان الجماهير نشيطة بحد ذاتها . ومن الخطأ ؛ كما رأينا ؛ ان نعتبر ذاتاً جماعية يمكن تحليل نسبتهاء . إن سلوك الجماهير ليس نسبياً البتة والفتح خطأ يمكن ان نركبه عمو ان تقارنه بسلوك فرد من الافراد . ان إنسان الجماهير لا يتميز عن أي إنسان كان ؛ فهو مثل أو مثلكم ، ومواقفه الشخصية لا امية لها على الاطلاق . انه بحد ذاته عامل واع ؛ لكن قوى التثنت ؛ ان تعارضه بجماره باعتبارها أنه الأخرى التي تعكس له عجزه وقضاعف من عزائه ؛ تعجز نشاطه وتنتج منظومة جماعية يكون رد فعلها كرد فعل الشيء ؛ كرد فعل الوسط المادي الذي تنداع فيه الإلارات ميكانيكياً . إن

الجماعير هي موضوع التاريخ ، انها لا تشمل ابداً من تلقاء ذاتها ، وكل عمل تقوم به الطبقة العامة يقتضي ان تبدأ الجماعير بالقاء وجودها كجماعير تأخذ طريقها الى الاشكال الأولية من الحياة الجماعية . ولا يحق لنا ان نتكلم عن ه فقط ، يقال انها قارسة على مستخدميها ، وتأثيرها لا يمكن ان يكون إلا سلبياً ، فأرباب العمل يعرفون ان الاستقلال ، اذا تجاوز عتبة معينة ، لعب في عكس اتجاه قوى التكتيل ، ويجازف بأن يسبب بظورة سريعة للجماعير العمالية والحويلها التي يروايتها . أما فيما يتعلق بالعمل اليومي للفاضل فبأن التناقض يشب الى العمون ولذا : فمنه ينصب على الجماعير - الموضوع ليحولها التي يروايتها- ذات . وهو يبدل جهده ، ايها كان ، لتصفية البنية الحبيبية لصالح وحدة عضوية . والحال ان الوحدة لا يمكن ان تتحقق الا اذا كانت مطاة من البداية بصورة من الصور : فطالما ان كل فرد يرى عزله في عزلة الآخر ، فإنه لا يستطيع ان يفلت منها إلا اذا افلت منها الآخر . وبكلمة واحدة : ايها كان المرء ، فلا بد ان تكون البداية في مكان آخر . وفي مناطق التمرکز الصناعية الكبرى يمكن لتعط الانتشار الليكاليكي ان يحل في البدء محل الوحدة . وهذا ما يسمى بالتقليد : وهو بالطبع ليس عملاً جماعياً بل هو تلك الحركة العقل التي تجعل العمل ممكناً ، وانما على الفاضل لتنع مهبة تحويل الله الساري والعمودي الى عمل محدد واضح . لكن ينبغي ان نضيف أيضاً ان التقليد نفسه يفترض وحدة معينة موجودة مسبقاً . وصحيح ان قوانين التقليد ، تنطبق فقط على القطاعات الاجتماعية التي هي في حالة التحلل دائم¹¹ : فما أطلقته في جاري ليس هو الآخر ، بل أنا نفسي وقد أصبحت موضوع ذاتي . والا لا أكرر فعد لأنه فعد ، بل لأنني انا الذي فعد من خلاله هو . وخلاصة القول انه ينبغي ان أؤكد وضعه وحاجاته كما لو انها وضعي وحاجاتي بصورة يبدو لي معها سائره عن الخارج كشروع

١ - ان أعضاء جماعة مندوب يتعاونون بعمل وطبقهم (وبالتالي وشعب) يفسر ما يرتبطهم قانون الجماعة بقدرات ، فما حاجتهم الى التقليد بعضهم بعضاً طالما انهم يختلفون من خلال الوحدة ؟ انهم يتعاونون .

منبثق من رأسي. إن التقليد والتقليد قابلان للاستبدال أحدهما بالآخر ومنفصلان في الوقت نفسه ، والسواك التقليد هو نتيجة ديالكتيك الحرية والحاربية. فطالما إن العامل نصف المختص لا يتميز عن أي انسان آخر ، فإن نطق انتشار الحركة المطلوبة عبر الجماهير سيتم عن طريق العدوى لأن كل فرد يرى الآخر قادماً نحوه كأبي انسان آخر ، أي كمنفسه . وبقدرة ما إن التكتيل يولد في آن واحد الانعزال وقابلية الاستبدال ، يولد أيضاً التقليد بصفته علاقة ميكانيكية بين الجزئيات . وليس التقليد مطلق ولا صفة نفسية : بل هو النتيجة المحسوسة لبعض الأوضاع الاجتماعية . ولا بد أيضاً من أن تستند هذه الصلات الميكانيكية الحاصلة الى تركيب مسبق يسمح على الأقل بشواحه الخطين والمقلدين ولو كان ذلك من خلال وحدة السكن أو التسروع المادية الصرفة . لا بد على الأقل من وحدة الخطر التدهم أو الأمل المحسوس . والحال ان التثقت المسي لصناعة الفرنسية يلعب دوراً في صالح أرباب العمل. ان التثاقي لا يلغي مبران العدوى ولكنه يرفع من درجة الشاعة. ان الأثا تصيح أظرف عن بعد. وحتى تُفدرك وحدة الموقف فلا بد أن يزداد استفعال الخطر: إن الظروف الاستثنائية هي وحدها التي ستكشف للجماهير المتأثرة التفرقة عن الوحدة العينية والحاضرة لبروليتاريا. ففي عام ١٩٣٦ على سبيل المثال لا الحصر ، أدى انتصار الجبهة الشعبية السياسي الى انتشار الحركات الاجتماعية عن طريق العدوى: فقد ادركت الجماهير وحدتها إذ رأتها متجسدة خارجاً عنها في تحالف الأحزاب الشعبية الثلاثة ، فجهاد فعلها ، بصورة شبه ميكانيكية ، مثملاً في تشابه مسالكها . ولو أن الحركة لم توضع في وجهها المراقيل ، لتحوالت عاجلاً أو آجلاً الى عمل ثوري .

إن الظروف التي تحقق تبلور الجموع الى جماهير ثورية ، يمكن أن نسمي بحق « تاريخية » ، فهي مرتبطة بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أوروبا . لكن لا بد من الملاحظة بأنها لا تتوفر في كل آن . وعلى هذا فالانتقال من حالة الكتلة الى وحدة الجمهور البدائية له بالضرورة طابع تنازلي منقطع . ذلك إن الكتلة مصابة بجمود وعطالة يمنعانها من الرد على الإقارات الناعمة : فتجنن لا

يمكننا أن نلتفت منها تلك الحركات السريعة والمجموعة بسرعة ، وذلك لتظاهرات الحادفة الى إثبات القوة ، وتلك العمليات الجزئية ، وتلك التاورات التي تسمح بممارسة ضغط متواصل على الخصم دون الدخول في صراع مكتشف معه . وعلى كل ، فإن التهورات البدائية تقتصر الى التوازن ، فممكنة العمل قد سرقت مستقبل العمل : فإذا ما تحركوا فهذا لأن شرطهم الواضح غير مقبول ، ولأنهم يفتنون امكانية تعديده على الفور . ولا يمكننا أن نلتفت منهم أن يتحركوا نحوهم في دعم مشروع طويل الأمد : إن من المناسب ان نصيف الى التصلب والانقطاع الذين تتميز بها الحركة الجماعية شيئاً من عدم الاستقرار .

ولا نسرع على الأخص ونستنج ان ، التبو - بوليباريا ، املاحية اكثر منها ثورية : فالأمر على العكس تماماً . وصحيح انه لا تكن نية الجماهير إلا باسم الدفاع عن مصالحها المباشرة : لكننا حين نتحرك ، نزيد كل شيء ، وعلى الفور . فقد سبق للدعاية البورجوازية ان أفتنتها بأنها لا تستطيع ان تدخل أي تعديل على شرطها بدون كلفة . وهكذا أصبح الراقع اليومي في نظرها نظاماً صارماً من المحرمات . لكن ما ينتشها من حالتها الكتلوية هي استحالة أعمق أيضاً : استحالة تحمل حاجاتها لمدة أخرى من الزمن . واما هذه الاستحالة الباقية ، تنهار المحرمات جميعاً ، وعندما يصبح التغيير استحالتها الأكثر مباشرة . فاليأس يولد الأمل ، وتيلور الجموع الى جماهير يولد الأيمان بأن كل شيء ممكن . إن العامل المختص يستطيع أن يقتصر على بعض الطلاب ، أما الجماهير فتريد كل شيء لأنها لا تفك شيئاً . إن عملاً مبدئياً ، مبدئياً على سنوات من التجريبية ، مشككاً من تلقاها ، وقالبه ، واعياً لكونه شرطاً طويلاً للتكس ، يمكن ان يقتصر حيلياً على هدف محدد : لكن طالما إن الجماهير لا تفك ذاكرة جماعية وطالما ان ، بنظاتها ، منقطعة ، فإن عملها يكون جديداً فوراً ، معارداً من البدء دوماً ، بلا تقاليد ولا تحراض : لا شيء يحدده ، لا الحرف من القشل ولا التفكير بالتاريخ . عمل يطرح نفسه في ماعية الصفر ، كعملية سامية وقدره مطلق على تغيير العالم والحياة . ومن هنا لتتكشف الحاجات جميعاً دفعة واحدة .

وتعتبر « الحد الأدنى الحيوي » بغير بدلة مما يريد التعبير عنه : فتحت مسافة الحد بكن الموت . والحياة بالنسبة إلى انسان الجماهير هي الضبط ألا يرتفع فوراً . إن الشغل لا يستطيع « في المراحل الطبيعية » أن يلبى إلا عدداً زهيداً من حاجاته : الحاجات التي إن لم تلب « نضت عليه » . وطولاً إن قوى التثنية قد رتخت فيه شعوره بالعجز « فلا بد أن يمارس رقابة دائمة على جميع الحاجات التي ليست بجهوية . وهذه الحاجات « نصف المكبوتة » نصف الكفحة « تظل مع ذلك حاضرة في كل لحظة : وكل ما هنالك انه لا يتعرفها ولا يسميها . لكن حين يواجه الشغل فجأة خطر الموت على إثر تدور مفاجئ « في مستوى حياته » تولد الحركة الشعبية وتتحوّل الجماهير وتلتبدل . وعلى الفور تتعكس العلاقة بين الممكن والمستحيل وتفسر الحاجات عن وجهها لأن العمل يستطيع الآن أن يلبسها . وحين يكون كل شيء ممكناً يصبح « الحد الأدنى الحيوي » لا يطاق . وانطلاقاً من هنا تتعاظم الحركة الشعبية وتوغل في سيرها باطراد اللهم إلا انها تحطمت على صخرة المقاومة المسلحة التي سيديها أبواب العمل : إن كل نجاح من نجاحاتها لتجيب لها على تطلب المزيد « وكلما تعطلت جذورها بدون ان تكف عن أن تكون مباشرة « طرحت بالضرورة ماضية المجتمع بالذات على بساط البحث . إن الاجور « بالنسبة الى نصف الفرنسيين » تتأرجح حول الحد الأدنى الحيوي : ولو توجب اليوم أو غداً زيادة قدرتهم الشرائية الى الثلث « فإن فرنسا البورجوازية ستنظرون في الجو حطاماً . إذن فلا أهمية تقريباً إن كان الضربون أو المتظاهرون يريدون أو لا يريدون تحقيق الثورة : فكل تظاهرة جماهيرية هي موضوعياً ثورية : تبدأها الجماهير كيلا تقوت وتناميها تنحيا . وحتى اذا أمكن « في إطار الرأسمالية » تلبية بعض حاجات الجماهير بإتباع سياسة منسقة على مدى عشرة أو عشرين عاماً « إلا أن الحقيقة الاساسية تكمن في انها لا تستطيع الانتظار : إن بورجوازية يقطن داراً غير مرضية يستطيع ان يبصر « فالسألة لا تعدو أن تكون بالنسبة اليه أكثر من مسألة شيء من التناقض . أما الاسرة العمالية التي تتكسد في كوخ حقير « فليس أمامها إلا أن تطلب اشتقاقاً

أو لتنتقل إلى مسكن آخر . لكن نور السكن التي توعد بها غير موجودة بعد ، فكيف تبذل سكانها القهم إلا إذا استلكت النور الموجودة الآن ، إن الجمهور الثوري لا يمكن أن يحصل على تلبية كاملة لمطالبه إلا إذا استلم السلطة¹¹ . ولو أن البلوس لا يحرره إلا في الحالات التي يمكن فيها استلام السلطة ، فكان ذلك غاية التي . لكن كيف نؤمن بوجود هذا « الانسجام المسبق » ؟ صحيح أن كل « حركة جماهيرية » هي بداية ثورة ، وأن الظروف التي تستلزم عملاً شعبياً يمكن أن تضغط في الوقت نفسه مقاومة الطبقات الحاكمة . لكن تاريخ العروليتاريا السطوي والداعي يكفي لتدرك أن شروط الانتصار العمالي دائماً ما تصورت متوفرة جميعها معاً . ثم إن العروليتاريا لا تقتل سوى تلك الأمة وليست الجماهير سوى جزء من هذا التكت . وحتى يكتسب الانتصار ذات يوم ، فلا بد من إعداد العدة لهذا الانتصار بعدد التحالفات داخل الطبقة العاملة ، وعند الحاجة خارجياً عنها ، ورسم خطة ، وتحديد استراتيجية ، وإستراتيجية التكتيك . وهذا بالضبط ما هي عاجزة عنه . ومن هنا فإن دور المتاضل سينقلب رأساً على عقب .

إنه أولاً موظف . ولقد أصاب كولينه إذ قال : « لا يستطيع الجمهور أن يساهم من لقاء نفسه في الحياة التالية . إنه يحض نفسه المتساقطين المسؤولين ، ويحكم عليهم تبعاً للنتائج المباشرة التي يأتونه بها » . لكن ما الداعي لأن يأتي فيها بعد ويصف لنا مناضلاً مثالياً يعمل كوسيط بين القادة والجماهير ؟ ولا أجمل بالطبع من أن ينشر مثل هذا الوسيط يومه ، شأن الرفاق ، « العمل التكتيكي والمهني الصرف » ، مع تساميه في الوقت نفسه عن طريق التنضحية فوق اختصاصه ليحكم على الشكليات الهينة ، وفوق المهين ، لينظر إلى « الشكليات الاجتماعية في عوميتها » . ومن سوء الحظ أن مثل هذا الشخص « الراسخ الجسود » ، « الشجرة » ، « ما غريب قامساً عن العامل نصف المختص المعاصر . فهو إن

1 - حين يستلمها ميترينج في قائده أن يعفوا في أن واحد على تلبية حاجاته وعلى مقاومة نداء الثورة . وهكذا يترك ديالككتيك جديد : فلك أنه لا بد من مشروع طويل النفس لتحقيق ما يطالب به الجمهور من الثورة .

الماضي ، وكولبيته انما بصور لنا ، تحت اسم آخره العامل المختص والتنظم تقابلياً الذي عاش حرالي عام ١٩٠٠ . ولا تأخذنا الدهشة اذا اقر بعد ذلك بسان والتاقل نادر وغير مستقر لدى العمال انصاف المختصين . - وأن يكون بعض الناس متجهزين وراسخي الجذور معاً ، فهذا ممكن : فكل شيء يتعلق بالشرط ، والصحة ، بأوقاص الفراغ ، بالثقافة ، وبكلمة واحدة ، بنوع العمل . لست ان اولئك الذين يرددون مسوقين تحت وطأة الأرض ، لا يمكنهم في الوقت نفسه ان يملأوا فراغها . وللوهة الأولى لا توجد ثمة صعوبة مبدئية تحول بين العمال نصف المختص وبين ان يصبح مناضلاً متنازلاً . والعلة الوحيدة الجديدة لسببها مبتذلة وعارضة : التعب . لكن هذا التعب في الواقع ليس حادثاً عارضاً . فهو يفرآك من غير ان يلذوب ، كالتلوج الأبدية ، وهو الذي يصنع العامل نصف المختص ويكيّفه . بقينا ، انه سينقضي عندما ستخفف ساعات العمل او تطبق الآلية على أوسع نطاق . لكن العامل نصف المختص سينقضي معه . ثم اننا لا نحلم بإمكانيات الصناعة الأميركية او للصناعة السوفياتية ولا بشرط الانصاف في عام ٢٠٠٠ : انما الكفك عن عام ١٩٥٤ وفرنسا اللاتوسية . الكفك عن الشغلة التي أضنام الشعب والبؤس معاً . ومنذ عام ١٩١٢ كان عمال تطريق المعادن ، الذين استشهد بهم مير هاج ، يشكون من أن تعيهم لا يسمح لهم بالأهتاج بالتعب ، ويتمنون صراحة ان يتسول عنهم ذلك غيرهم . ومع ذلك الزدادت الأمور تفاقماً وسوماً : فحتى يكسب الشغل قدر ما كان يكسبه عام ١٩٣٨ ، عليه ان يعمل أكثر . انه ينهض في الساعة الزاينة او الحساسة ، وينطلق في السادسة ، ويعود إلى بيته في الثامنة مساءً ، ويتناول طعام العشاء ، وينام في التاسعة . وهو يشكو بمرارة من حرمانه من الحياة العائلية : فمن أنى له الوقت للتضال ؟ ومواعيد العمل بالأصل تحول دون عقد الاجتماعات التقابلية ، المهم إلا اذا حدثت في مكان العمل بالذات . وكثيراً ما يتوجب تخفيض العمال على وقف العمل حين يراد أخذ راجم بصدده مسألة تخصيم . اما المتساوقون ، المتادرون ، الذين يستطيعون تلبية مطالب كولبيته ، فإني أفهم أن يكونوا «غير مستقرين» :

فهم مرغمون على القنصر مدة فزعمهم ، وعاجلاً أو آجلاً سينهارون . اللهم إلا
 إذا تركوا العمل اليدوي وعائلتهم التقاية ، أي رفاقهم . بينما ، لا غنى عن خروج
 المناضل من الكتلة : لكنه على وجه التعديد يخرج منها . فهل سلتكفون أيضاً ؟
 بعد هذا ، عن « الحياة الشيوعية » ؟ هيا كفساً ك ا فهذه « البيروقراطية »
 ضرورة في عصر « التطوع العلي » . وفي الولايات المتحدة الأمر كية نفسها
 حيث ظل الحزب الشيوعي عملياً بلا تأثير على التطور التقني ، تقوم التنمية المحلية
 التقاية أو المستخدم نفسه بإعادة جميع للتدوين العالين للمصانع الكبيرة . بما
 فيهم مندوب « الورشات » - يشغل دالم . وتوسع العمل الذي يتم بسين
 المناضلين والشغيلة في قلب المنظمات المهنية أيضاً يعكس لتوسع العمل الذي تم في
 المصنع والذي خلق البروليتاري الجديد . وما « البيروقراطية » التقاية إلا الرد
 للناسب على بيروقراطية أرباب العمل . فطالما ان « آخرون يفكرون بالثيابة عن
 العامل نصف المختص » ، وطالما أن الاختصاصيين بأخذون على عاتقهم ان يوزعوا
 عليه المهام من مكاتبهم في التسروح ، فلا بد ان يكون هنالك اختصاصيون
 آخرون ، في مكاتب أخرى ، ينكرون ضد هذا الفكر ويفكرون كصفات
 العمل الكطالاب . ان استبعاد الأتسان من قبل الأتسان^{١٤} في العمل لا يسد
 ان يكون له معادله التقاي ، وانفصال التكنيكي والعامل نصف المختص يجب ان
 يعوض عنه بانفصال العامل نصف المختص والمناضل العارف . أهذا شيء يؤسف
 له ؟ ممكن . لكن ما العمل ؟ فشكل الجهاز التقاي عهد بينية البروليتاروا . تم
 ان هذا المأخذ لا تصيب هدفها عبارة على ذلك . فكولينه يسفر عن مقاصده
 الحقيقية حين يستخدم كلمة « النخبة » ويشير إلى فرق الوسطاء : وهذا هو الاسم
 الذي كانت تسمى به « الأقليات القاعة » في حقبة ما قبل الحرب الأولى .
 ومؤلفنا يعرف بالتأكيد الجماهير ويظهر اهتماماً مشكوراً بمصالحها . لكنه حين
 يريد ان يحكم عليها ، لا يتوصل إلى التجرد من الآراء المسبقة الأرستقراطية ،
 وهو يقدم ، بالرغم من انه ليس ببروليتاري ، الوسيلة لفهم الشفقات العمالية لأنه

١ - التعبير الفرنسيان (ان ابن يسير العمل الانساني) .

يلتزم وجهة نظر قسم من البيرولياتاريا عن القسم الآخر منها . أجل ، القسا باسم
ثقة قديمة بثقافة البيروقراطية الجديدة ، وفيه الجماهير يجد حده في الأزماء
الذي ينظر إليها .

لكن إذا ما قبلنا بتطورات ملهيب إنساني قائم على الحاجة ، تغير كل شيء
ووجد الموظفون الجدد تبريرهم في الحاجة إليهم . فهم يتأسبون الجماهير أكثر من
أي تحية أخرى لأنهم لا يراهم التزاماً متناقضاً بحماية الصلحة العامة ومصصلحة
خاصة معينة في آن واحد . قد يريد البعض أن يقول إنهم يشكون هم أيضاً
تحية ، لكن هذا غير صحيح : فعامل التحية هو العامل الذي يؤدي العمل نفسه
الذي يؤديه ، فثاقه ، وعلاوة على ذلك يتاضل . فهو الأول بين أقرانه .
ورؤيته الانسانية والطوعية تكسبه منزلة ومكانة والحق في أن تكون كلته
مصدرة . أما الموظف الثاني فقد ولد ، على العكس ، من قسم العمل : انه
يفعل ما لا يملك وفائه الوقت لعله ، ولهذا السبب بالذات لا يعود يفعل ما
يلعبونه . وما داموا يعرضونه على خدمته ، فلا حق له البتة في عرقان الجليل
من جانبهم ، ولا سلطات له غير السلطات التي فوضوه بها . هناك بالطبع
مجازفة : فكثيراً ما نراه الكتاب يميل التنظيم البيروقراطي الى اعتبار نفسه غاية
ذاته ، لصطن هذا العيب ، بخلاف ما قيل ، أقل ظهوراً في التلاعبة منه في أي
تنظيم آخر . بينما ، لا بد ان نخرج الى الأيد التصور الرومانتيكي القائم على مبدأ
السامية الذي تقول به ثقة مرصعة جذورها في الطبقات العميقة من اللاشعور
الشمي : فالجماهير تعتقد ان اللاشعور المتقارفا ان الشعور باعتبار انها محض
ثالثت ميكانيكي . كما انه صحيح ، من جهة أخرى ، انها عاجزة عن ممارسة رقابة
دائمة ومفصلة على الجهاز . فهل ينبغي ان نستنتج من هذا أنه بالإمكان جرهما أينا
براه ؟ المعطس هو الصحيح : فثقتها بالذات يحميها من التأثيرات كافة . إن
الفكرة البورجوازية القديمة عن « المخرج » راسخة الجذور بصورة لا يتوصل
معها الكتاب السياسيون اليوم الى التحرر منها . ولقد أمل السيد بيرنهم بمحاكات
مدعنة كثيرة بصدده هذا الموضوع . وكوليتيه ، الأكثر تحمراً بكثير ، لا يفرد

عن الكتابة : « ان الجمهور يدل على طاقات التجارية ... لحسن ما انت
 تظن . هذه الطاقات ، حتى يستغل بسين أيدي الاطارات التي تتلخص فيها
 آنذاك كلية الحياة النقابية » . والحال أن هذا رأي خاطئ . منة بالثمة : فبقياً ،
 ان الجماهير لا تملك لا الارادة ولا الوسائل لتجديد الاطارات ، وهي تفضل أن
 تحتفظ بالقادة الراعيتين . لكن هذا من قبيل اللامبالاة أكثر منه بدافع الروتين .
 فقبل ١٩١٤ ، ما كان المناضل يُعهد إليه وظائف السكرتارية النقابية إلا لأنه
 استحق لغة وفاقه . لكنهم كانوا يطيعونه ، فيما بعد ، لأنه سكرتير : إن مصدر
 السلطة ، في نهاية الألفية ، تأسس الى حد كبير . والجماهير اليوم لا تأبه
 بالمرسات : وهذا أولاً لأن عدداً كبيراً جداً من العمال النصارى المختصين يعيشون
 على هامش المنظمات المالية ، ولا يتقدمون بالشعارات والأوامر إلا عندما يرونها
 منسجمة ومصالحهم . أما العامل المختص والمنظم نقابياً فيطيع لأنه يعرف
 سلطة القادة الذين انتخبهم . فيطيع لأنه يعرف سلطة القادة الذين انتخبهم .
 لكن العامل نصف المختص إذا كان يعرف سلطة الرؤساء الذين قد لا يكون
 شارك في انتخابهم ، فهذا لأن الظروف قد حالت على طاعتهم . وعلى هذا فإن
 العمل لمو أشبه باستفتاء : فالجماهير لا تصوره أبداً ، ولا تحتاج ، ولا تطالب
 بتجديد الاطارات ، ولا يمكننا ان نتكلم عن ضغط القاعدة على الرؤساء . فهي
 تسير او لا تسير ، هذا كل شيء . وهذا يعني انها تنظم في جماعة قاعة او تهاجر
 وتسلم لأشكال التكتيل . والقوى النقابية تزداد او تضائل حسب النتائج التي
 يتم الوصول إليها ، أما الاطارات فتظل بالطبع تنحى عن كل تبدل ، لكن
 يحدث لها أحياناً ان تشكل وحدها كلية النقابية . ولا مجال للشك في ان عدم
 الاستقرار هذا يشجع على تحول الوظيفين الى أوليفارشية ، لكن من غير الصحيح
 انه يشجع الروتين : بل هو يرفع القسادة ، على العكس ، على تقويم سياستهم
 باستمرار . ولا يمكن بالطبع اعتبار هذا المد وهذا الجذر شهادة على الرضى او
 الاستياء : إنما هما أمارات غير إرادية وأعراض . لكن هذا لا يمنع أنها يشكلان
 على طريقتها رقابة حازمة وإن لم تكن راعية . فالجماهير تراقب المناضل كما

يراقب البحر وجبل الدفة . فهو رئيس عندما تتحرك ، ولا يعود شيئاً عندما
تلتفتت . وإذا كان يتم بالجهاز أكثر من اعتماده برفاقه ، فإن الصلحة العامة
تكون مصلحته الخاصة . وهو لا يستطيع ان يحقق مطاوعة الشخصية ، إذا كانت
تسبب مثل هذه المصاعب ، إلا إذا اوحى للجماهير بثقة متجددة بربما . وهو ان
يوحي اليها بالثقة إلا اذا قبل بأن يفردها حيث تذهب . وبكلمة واحدة ، عليه
ان يكون الصبور حتى يكون ذاته .

يبد انه منها يحاول ان يوجد من أجلها وحدها ، فإنه لا يستطيع ان يسير
شيئاً من واقع انه كفى عن ان يكون جزءاً منها . صحيح أنه شاطر ورائع
شرطي ، لكنه ما عاد يشاطرهم أبداً منذ ان اصبح منافساً . وهزل من سبيل
الى تغيير هذا الواقع طالما ان الجماهير ليست شيئاً سوى وحدة كائنة من العزلات
تحتي تحتها شيئاً دائماً ؟ ولو ظل في خضم الجماهير ، لحكم على نفسه بالانزوال
وعدم الفعالية شأن أي إنسان آخر . لقد كان قايلاً البروليتاريا في عام 1900
يسمح للناشطين بالبقاء في الطبقة : كانت القروى المهنية لقوم القسلسل ، وكان
أساس السلطة الرابطة التي تجمع بين السيد المختص والتابع غير المختص . إن
الجماهير كالرمال : فإذا كنت مجرد حبة فيها ، فكيف يمكنك ان أوجد الحبات
الأخرى ؟ وما الواقع الشكلي الغريب السمي به ، أي إنسان كان ، إلا عزلة
تبادلية : فأنا أي كان في نظر أي كان . وأي كان هو في نظري أنا نفسي . ومن
هنا فطقت من هذه الصفة المرمزة: فهي درماً في مكان آخر . وما كان فذاً من أهمية
لو كنت استطيع ان احده نفسي بنشاطي المتفرده . لكن طالما ان العامل نصف
المختص يعمل أي شيء كان ، فإنه يرشد الى تلك الامية المرمزة التي لا تخصه .
وهذا المرمز الدائم لواقعي يفسر التقليد ، لكني لا أفقد ، كما رأينا ، إلا لأستبد
واقعي الشخصي الذي يتجلى يوماً تلو الآخر ويستند الى الآخر . لكن اذا ما زعم
أي كان انه يوجهي وبقروني ، فإنه يتحول الى شخص معين ، فأطابقه بمشاهدته .
بشيء ، حين تتحرك الجماهير ، يخرج من صفوفها رؤساء ، لكن هذا لأنها كفت
ان تكون جماهير ولأنها تبلورت الى شكل بدائي من الجماعية يركز رئيسها

الرجل ويحسد في شخصه سيادتها المترجحة ؛ وحين تعود الى حسنة التفتت
 بختي الرئيس . اما الجهاز فيظل قائماً ؛ انه يبرر ديومته بطابعه التأسيسي .
 لكن سلطة المناضل ليست إلا منفي ؛ فهو اذا كان يصدر أوامر الى الجماهير
 باسمها بالذات ؛ فهذا لأنه يستند الى وحدتها الثابتة أو المتكيفة ؛ ولأنه يجعل
 من نفسه قسماً على سيادتها المعرّضة دوماً الى الكسوف . انه يقف امام هذه
 الجمهور كشاهد على نحو انه إذ يذكره بأنه كان مبعثاً رهيباً ، عيناً ؛ استبدادياً
 يارس على كل عضو من اعضاءه قطعاً لامتناهياً . ومن هنا تأتي عنه الجماهير ؛
 انها لا تقبل سلطته باعتبار انها لا تستطيع ان تعارضه بسلطة أخرى باعتبار
 ان بقايا التورقة المنتنة تنعما من ان تكون مصدراً لرهبة السلطة ؛ بيد انها
 لا تعترف بها ؛ والواقع ان هذه السلطة تأتي من مكان آخر ؛ من تلك الزمرة
 القديمة التي كفت عن ان تكونها . إن وحدة البروليتاريا - التي يحسد على
 العوام الجهاز النقابي - تظل شعراً مجرداً أو مثلاً أهل غير قابل للتطبيق أكثر
 منها تركيياً حياً . بل ان الجماهير تشمل على نوع من النزعة المناوئة للقبائصة ؛
 فالهال يراون بعض الشيء دوسياً في اولئك المواطنين الذين لا يعيشون بشرط
 العمالي بكامله مما يمكن لغائبهم واخلاصهم . وحين تكون الغلبة لتوى التصفيل
 (التحويل الى كتلة أو جمهور) ؛ فإن وجود الجهاز النقابي يمنع التحلل البروليتاريا
 اطلاقاً كلاً من دون ان يضمن هذا الانسجام الطبيعي التام . إنه يبني على الجمهور
 العمالي في حالة غير متوازنة لا تكف عن التراجع بين الاصطفاف البيكيني
 الصرف وبين التركيب العضوي ؛ والجماهير إذا ما حركها تيار أمر عادت من
 جديد جماعة متلاحقة ؛ وبدأت ترى في التنظيم النقابي تحررها ورمز وحدتها
 التطور ؛ وانخرقت بالنالي وقد استعادت سيادتها الفاضلة بسلطة المواطنين⁽¹⁾ .
 ولا أهمية عندئذ اذا كانت غالبية الشفة تلك أو لا تلك البطاقة النقابية ؛ فهي

١ - بقدر مقبول . ولنا نلاحظ في جميع الحركات الشعبية الكبرى نزعات كبرى أو
 غلبة بين القادة الرعيليين والسيوليين النقابيين . وفي غالب الأحيان تكون الغلبة للمواطنين
 القاديين إذ انهم لديهم خبرة أكثر . لكن لا بد أيضاً من ان ينعما كادتهم في خدمة الصالح
 العمالية الحقيقية .

تتبع الأوامر وتصدر حكمها بعد التنفيذ . والسرعة هي التي توحد بين هذين الجزئيات المتفرقة ، والممارسة هي التي تدجها من خلال تركيبتها لهازيها ، والجهاز هو الذي يقوم بدور الوساطة بين الفرد والجموع . لكن أصل التيارات يظل ما فوق نقاي : فالجوع أو الغضب أو الخوف هو الذي يصدر إشارة التحرك ، أو هي ، كما حدث عام ١٩٣٦ ، إندفاع الأمل المباشرة . ولولا المنظمة النقابية لتوقفت الحركات على الأرجح : فوجودها يحافظ على ظواهر الوحدة التي يسمح بانكسارها الساري . وصحفيها ومسؤولوها يمدفون المسافات ، ويضمون عوامل متراسبورخ على اشتراك مباشر مع عامل بيرديان^(١) . لكن المنظمة النقابية عاجزة بمقد ذاتها عن انتاج الحركات . وحين تشمل شرارتها فهذا لأنها تكون قد أدركت بسرعة قضيتها الحقيقية . وبالتسابل فإن المنظمة النقابية مسؤولة - إلى حد ما عن قوة الحركات واتساعها واتجاهها وفعاليتها فعليها تقع مهمة إرشاد الجماهير إلى غاياتها الحساسة ، وتسريع أو عرقلة التطورات المحلية بدلالة التطور العام . ولا بد أيضاً من أن تكون مطلعة على الوضع الاقتصادي ، وعلى الموقف الاجتماعي وميزان القوى المتواجده . ولا بد على الأخص من ارت

١ - الوثائق التي سنذكرها تظهر أهمية الإعلام والدور الذي يكتسبه أن يلعبه في عرقلة أو مساعدة حركة برغم أنها نظرية ، ففي ١٩٣٦ حدث أول اضطراب مع احتلال الصنوع في المصاهر في ١١ أيار . وفي ١٣ أيار توقف عمال مصانع لايبكوتوير في تولوز عن العمل وطلبوا في الصنوع . لكن مبلن الاضرابين خلا مجهولين في باريس لأن الصحافة الثقلية لم تذكر عنها كلمة واحدة . وفي الثاني ٥ هي وعدعا بين الصحافة الشيروجرارية التي وقعت بها في عدة مطور وبلا لتسهيل . وفي ١٤ أيار حدث اضطراب جديد مع احتلال الصنوع في كوروفول . والتمت الصحافة الصمت . واخيراً في ٢٠ أيار ولا سيما في ٢١ أيار قارنت « الأومانية » بين الاضرابات الثلاثة ووقعت بمدة طرائق الكفاح والتأليب . وفي اليوم نفسه تطاهر ٦٠٠٠٠٠٠ نسمة امام « جدار وجبال الكومونة » بدعوة من لجنة الدفاع الاشتراكي - الشيوعي والاتحاد العام للثقل . المذ فقد كان العمال يتعدون قوتهم الجديدة وطرائق النضال الجديدة في آن واحد . والحال انه بدأ من ٢٩ أيار امتدت حركة الاضراب إلى منطقة باريس كلها وبدأ من ٦ حزيران إلى فرنسا كلها . ويعدر الإعلام ينتج من خلال هذه التسابورخ ، فصمت الصحافة شبه التام أخطر انتشار الحركة التي حشر يوماً . وما إن ذكرت الصحف الاضرابات الثلاثة الأولى ، حشر عند الحركة .

تكون قادرة على لرفع وردة الفعل النهائية : هل الحركة التي تخرج واورها قابلة للاستمرار ؟ هل ينبغي دعمها بالطاقات القابلية كافة، ودفع العامل إلى الانحراف فيها حتى النهاية ؟ أم لها لا تعدو ان تكون أكثر من تارقش تاضي المصلحة بتحركها لتظهر ؟ وكيف السبيل الى التماثل في الموضوع إن لم تجمع المعلومات وتسير الأعوار وتنتشر الاحصائيات ؟ إن الجماهير لا تكف عن إعطائه الشارات : وعلى المناضل تقع مهمة تأويلها . لقد ولى زمن التفرغ بعرفة لجامعة يزعم انها تولد من قاعل الجدور والقرارات التي تتخذ استناداً الى حدس خلاق مزعوم : فالجماهير التي هي موضوع بطيئتها تصبح موضوع المناضل الخاص^(١١) وهناك تكتيك للجماهير كما ان هناك للعلاحة . والنص التالي الذي نشرته « القوة العمالية » له دلالة الميزان في هذا الصدد :

« . . . في رأينا : لا مجال للمباراة في إن حركات إضراب ١٩١٧ لتقتد إلى الصدمات الحياتية المادية للجمهرة الضعيفي من الأجراء الصغار والمتوسطين . . . إن عربة تلف على منحدر لا تحتاج الى مسرع حتى تطلع . انما يكفني ان يرخي بها العنان ويرفع من امامها العرائيل . امسا الميزات الخاصة بهذه الحركة - لأن كل حركة إضراب لها ميزاتها الخاصة - فإنها لككرة ولا شك بما علمنا اياه فثبو العلوم الثورية من أن اصل الفنية الثورية يمكن في حداثت ظاهرة ناشئة عن تفاعل متسلسل يتم بها وينتشر التحلل المادي^(١٢) » .

إن الظابع النيكاينكي الصريح هذه الصور يتناقض تناقضاً صارخاً والانشاء العضوي ، « تحية ما قبل الحرب الأولى . له « القوة العمالية » تعترف صراحة بدور الدعاية السارية والصفة مما فوق القابلية لأسباب الحركة . لكن أولئك

١ - نشره الذي لا يعني بالطبع إصدار حكم مسبق على العلاقات الشخصية التي يمكن أن

تكون المتماثل مع العمال .

٢ - عدد ١٢ حزيران ١٩١٧ . وكانت « القوة العمالية » ما يزال مندوبة بالاعتاد العام للتفعل . وكان موقف جومو مقبلاً ، فهو لم يكن يريد أن يؤسس الاضرابات ولا أن يدين الضرب .

التقنيين المذمورين (انهم سينتفكون عما قريب الاتحاد العام للشغل) بقرونت صراحة بمعجزهم : فمن الممكن معرفة حركة وجهها ، لكن اذا انقطع العنان أو تحرب السد ، فإن العربة ستندرج حتى اسفل المنحدر أو ستتدفق المياه على السهول الواطئة . ونحن نجد في تلك السطور صدى للرعب الذي كان يشعر به باوم والتقليبون القدامى تجاه الجماهير : فانشقاق و القوة المعالية ، تم على أساس مبدأ « ليتج تجده من يستطيع » .

التمركز ، البيروقراطية ، التنكيتك : إن طبيعة « النيو - بوليئاريا » هي التي تفرض هذه السمات على التقاية الجديدة . وهي التي ستبدل أيضاً التنكيتك التقائي بأخاها عليه ثلاثة ميزات جديدة : تقوية التحريض الاجتاهي ، تشجيع توسع الاضرابات في كل مرة يمكن فيها ذلك ، العمل على جعل الزاعات زاعات جذرية .

التحريض الدائم

إن الجماهير متعطلة أو متقدمة دوماً على رؤسائها . لكن لتعذر من الاستنتاج بأنها غبية أو بأن البيروقراطيين أنذاك : وإلا سقطنا من جديد في المذهب البيسكولوجي . والواقع ان هذا التباين ليس إلا الانعكاس الوضحي لبعده المكاني الذي يفصل المناضل عن موضوعة ، وهو يتعسر بالطابع التضميني لتنكيتك الجماهير . إن مناضل القاعدة يفت تجاه رفاق يدعوهم الى العمل : انه يكلمهم وهم يصغون اليه ، لكن من النادر ان يتكلم الكلام معهم . ولقد عبر أسد التقايين ، هي ثوريل ، عن موقفه بهذه الألفاظ : « تجولوا في المصانع ، اذهبوا الى الورشات ، تزلوا في المكتب ، اعضوا الاجتهادات ذات المسد الكبير أو الصغير . أصفوا الى صوت المناضلين وراقبوا الجمهور : وسوف تدهلون إذ تلاحظون انه ذمراً ما يكون هناك حوار بين المناضلين والجمهور . افا هناك مولودج من قبل المناضلين وسلبية كبيرة من قبل الجمهور . وغالباً ما يحدث ألا ينجح المناضلون في كسر شوكة هذه السلبية . فالجمهور يسمع لكنه لا

يقول شيئاً . وإذا ما توجهتم بالسؤال مباشرة إلى أحد أفراد الجمهور ، لما حصلتم في غالب الأحيان على أي رد فعل يمكن أن يتبر السبيل أمامكم^{١١} .

وهذا لن يدعشنا : فقولاء الرجال متحدثون في وحدتهم . فإذا ما فصل بينهم التمسب والجموع ، فأهم سيجرد على الكلام باسم الجميع ؟ وأجسم سيجرد أيضاً على الكلام باسمه الشخصي ثم الذين يقرب بينهم الوعي المشترك لغزائهم ؟ إن المناضل يظل قريباً عنهم ؛ فهو لا يعكس لهم بعد قوتهم ووحدتهم . ومع ذلك انقلع عليه مهمة التكوين باستعداداتهم ، ويضول خطاياته عليهم ، وبامكانيات الموقف الموضوعية . وإذا ما قبلنا بصحة تشخيصه ، فأننا لا نستطيع بالتقابل إلا الاقرار بأن نقل الأوامر يشوه الرسائل المتوترة ؛ فالاتحادات النقابية تتلقى المعلومات بطريقة التسلل ، وأندراً ما تكونت على « قاسم مياثرة » بالأحداث ، وحين تجمع القيادة أخيراً جميع المعلومات المتوفرة لديها لا يكون التركيب الذي تقوم به إلا إعادة بناء لا يمكن لاحتمال صحته ، في أحسن الأحوال ، أن يتجاوز احتمال صحة فرضية عملية قبل التحقق التجريبي منها . وسيكون هناك بالطبع امتحان مضاد ؛ لكن لما كان العمل يقوم عنساً مقام التجربة فإن الخطأ يكلف غالباً ويمكن أن يؤدي إلى كارثة ؛ ومن حسن الحظ أنه ليس من الضروري ، في حالات كثيرة ، انتظار نتيجة الصراع لإفراخ أن النضال انطلق من بدايات غير سليمة . وهكذا يُتبع الأمر سريعاً بأمر مضاد . لكن على وجه التحديد لأن الجمهور هو شعبي التاشلين ، فإن الجهاز يمزق بأن يعزل نفسه إذا ما طالب قوى الجماهير بما لا يستطيع أن تقدمه على الفور . كما أن القادة يمزقون ، إذا ما ارادوا تصحيح خطئهم ، بأن يمسدوا أنفسهم يسببون خلف للتودين . يقيناً ، إن التجربة وسداد البصيرة والصفات الشخصية تتدخل على جميع المستويات ؛ لكن « الاستبدادية » و « الذيلية » تطلان أخطر خطرين يراجهان العمل الثنائي . فذلك ان الوظيفين يوجهون الحركات بتقريبات متشابحة ؛ ضربة إلى اليسار ، وضربة إلى اليمين . ولهذا فإن مهمة

١ - نشر في مجلة « اسبري » - نوز - آب ١٩٥١ - ص ١٢٠ .

التفاضلين الأساسية هي ان « يظلوا على لاس» مع الجماهير » . وهذه الكفالات ما كان لها معنى كبير في زمن نقابية التخبية . فهل نقول ان الحال ما تزال على ما هي عليه اليوم أيضاً ؟ ذلك ان خاصية التثنت الجزئي هي جعل الناس مستحيلاً . فالمرء يمكن ان يحثك بجماعة ما بواسطة مثليها ، لكنه لا يستطيع ان يحثك بجموعة من الجزئيات المتفرقة . واذا أراد التنازل ، ان يحثك « بالجماهير » فعليه أولاً ان يعطيها ظاهراً من تنظيم . فهي حلقة مفرغة اذن ؟ كلاه ذلك ان مهمته هي ان يؤثر عليها باستمرار عن طريق نوع من إقارة جماعية حتى يبقى عليها في حالة تصلب وعدم تبع . ولما كان العمل وحده يستطيع ان يخضها ان ان تضع ، فعلى التنازل ان يضعف الشعارات حتى يهيء الجو لبداءات عمل : فحتى لو ظلت هذه البداءات مبتورة ، فانها ستقرب بين الأفراد وتخلق تيارات انفعالية وتسمح بامتحان الكفالات العالية ومراقبتها . وسوف يتخذ منها أرب العمل والتخبية المهنية المختصة ذريعة لتبويض البيروقراطية على تفضيلها الفوضى على المصالح العالية الحقيقية : فالتنازل والصالح « في وأهم لا يعمل إلا في الوقت المناسب » ويعمل بسرعة ودقة حتى يحصل على نتائج محدودة ، وينهي التنازل عندما يتم التوصل الى هذه النتائج . لكن هذا التنازل التام والمحدد ، الذي يبدأ وينتهي في النظام ، ليس ممكناً إلا بالنسبة الى التنازلات التخبوية التي هي كلها نشاط وانجائية . بيد ان عطالة الجماهير تعتم على العكس ان تأتيا الحركة من الخارج . اذن فهي تحمل معها معادفا ، التحريض ، الذي يهدف عن طريق تخض دائم الى تغذية بداية حياة جماعية حيثما يهد الموت بحظ رحاله . ولولا التحريض ، لكانت الحركات الشعبية الكبرى أكثر زهداً ، وتأخرت طويلاً قبل ان تولد ، ولأمكن القضاء عليها بسهولة أكبر .

التوسع

إن العامل نصف المهتم « قابل للاستبدال بغيره » ، والاحتكاك حل مهمل المزاحة : ولهذا السبب المزوج ما عاد في وضع الاضراب ان ينجح على مستوى

المشروع وحده . فلا بد ان يتعد الى فرع صناعي بكامله او الى الأمة بكاملها . ومن هنا ، فإن العامل لم يعد هو الذي يقرر على مستوى المشروع الخاص . أو انه بالأحرى ما يزال يقرر لكن تحت الضغط : كان قبل الحرب العالمية الأولى يفتح الموقف المحلي ، ويوازن الأخطار واحتمالات النجاح ، وينخرط في العمل دفاعاً عن مصالح محلية . أما اليوم فيطلب منه أن يلتزم بحركة تتجاوزها ولا يدرك معناها إلا إحصافاً أولياً خامساً . والمناضل يقوم بدوره الوسيط بسين الجموع والأجزاء . والجهاز قد توسد بالحركة التي تتوحق قباشرها : وعلى هذا فإن الموظف المحسبي يتكلم بلعم الجميع . وكل مستمع من مستمعيه معزول في قلب الجمهور ، إلا ان المناضل يفهم هؤلاء المستمعين ان البروليتاريا تعيد لتكوين نفسها في كل مكان : فعليهم ان تقع مهمة المشروع للتدريب العام والآلات من العزلة . انهم يشعرون ، حتى قبل ان يكتمل الاندماج ، بالقوة القسرية الجماعية بدائية في سبيلها الى التكون من جديد . وهذا أمر لا يتم بدون أن تتشوه الديموقراطية النقابية تشوهاً عميقاً . وما ان تجل الذات الجماعية^{١١} ، حتى يتم تعرفها من الضغط الذي قارسه على أعضائها . فالقرارات تتخذ في جو من الحماسة والانفعال . وبالطبع لا بد من التشاور والتفاهات ، والجاهل ترى أن عليها ان تقرر بجمرية السلوك الذي ينبغي أن تسلكه . لكنها تعرف ان فاعلية عملها ستكون متناسبة

١ - قصد الذات الجماعية ذات المبررة وليس ما استأمر أي « وهي جماعي » . است ذات في الجماعة التي جمع بينها الوقت « وحده شيئاً عملياً بالذات » . وأوجدت الذات جنبها القضاة الموضوعية الدائمة وانقسم العمل للزمن في البداية ثم التنظيم . وتنظيم القاعة التي استأمره لنفسه ان الذين اكتشفهم . ووجدت في تخصيم وعندها القابلة . وما هي « د » ملغاة الزعم ، ويشد بنا فيه الكفاية ان الوحدة المبنية للجماعة إسقاطية . أي انها بالضرورة خارجية عنها . فالقيادة البيهية المفضلة تتجمع وتشكل في شخص الزعم الذي يتكسبها بعد التكل عضو من أعضاء الجماعة ، وبعد كل واحد منهم نفسه قسماً على السيادة التلقائية لواء الآخرين والقوة وذلك بقدار ما يطبع . وإذا كان هناك زعم ، فإن كل فرد يتكون وحيماً باسم الزعم . وعلى هذا فإن « الرعي الجماعي » هو بالضرورة محدد : انه بالشيء الذي كل فرد ليس الجسماني الذي يلتقطه في الرعي الفردي للآخرين .

مع قوة اندماج الجماعة . ان كل فرد يستطيع ان يبدي رأيه ، حتى تم الموافقة على القرار ما فلا يكفي ان يكون عليها ، فطالما ان خطر الانهيار يظل قائماً باستمرار في قلب الوحدة ، فلا بد أن تتسأل الصيغة المقترحة موافقة الجميع . وإذا ما أشفق رأي من الآراء في تعزيز الوحدة الجماعية ، فدعاهم واختلف من غير ان يخلف أثراً ، وينسأه حتى أولئك الذين عبروا عنه في البدء . يقال انه هكذا هي الحال أيضاً في المجالس القيادية طالما ان الأقلية تطأطئه الرأس أمام قرارات الغالبية . لكن هذا غير صحيح مطلقاً : فهي تطأطئه الرأس لضعفها تظل قائمة بجانب الغالبية وكأنها تجربتها الدافئة ، وتحتفظ بأدعائها في ان تصيح ذات يوم غالبية بدورها . أما على مستوى الجماهير فإن الغالبية تثمهم الأقلية . أو ان هناك أقلية متصرفة لا تكاد تظهر الى الوجود حتى تختفي بعد أن تتكون قد أدلت برأيا . وتم إعادة توطيد الوحدة باستمرار عن طريق تصفية المعارضين : وإذا ما قاوموا حوربوا حتى بالنسف : فالشئ في نظر الجماعة مجرم يؤثر عاطفته الخاصة على الرأي المجمع عليه ، خائن يرفض الاعتراف بخطئه ويقبل بالمجازفة بتمزيق وحدة الصف العالي . ولقد عرفت حكومتنا كيف تستغل الموقف : فقد فرضت ممارسة الاستفتاء ومنعت حق التصويت لتسيير النظمين في التبادلات . ولقد زعمت ان قصدها ، بالطبع ، حماية حقوق الانسان . أما في الواقع فقد كانت تريد ان تفكك الروابط الجماعية . وهذا الفش يظهر للعيان الفورة التي تفصل الديمقراطية البورجوازية عن ديمقراطية الجماهير . صحيح ان التصويت يرفع الأيدي يعني الاستسلام مقدماً للضغط الجماعي ، لكن الانتخاب بالورقة السرية يلقي بالجماهير من جديد في لجة نشأتها الأولى . فلا يعبر كل فرد ، وقد وجد نفسه وحيداً من جديد ، إلا عما ينسخر به بقوله ، نظراً الى أنه لا يعرف كيف سينكر لو كان جزءاً من جماعة . لقد كانت لتوه ، في الاجتماع أو في الورشة ، يري فكره يتكون ، وكانت يستمع إليه ، يتعلمه من شفاه رفاقه . أما الآن فإن رأيه ، هذا ان كان له رأي ، إنما هو جهل برأي الآخرين . ان وزراةنا ، بزعمهم انهم أقتنوا الشخص ، سطوا مكاتبه من جديدة

الى مستوى الفرد . فذلك الاستفتاءات تشجع على العطاء : فعين بتخصه قرار
التشال بصورة جماعية ومشاركة بسود جو من الطرارة وتمشى الحماسة بالمعدى .
لكن الشك يولد من جديد في العرفة السرية : فكل فرد يخشى تحالف الآخرين ،
وبعود كما كان أباً كان . وهذا مثال بين ألف : ففي تشرين التسالي ١٩٦٢ ، قرر
عمال مؤسسات صنوبر الاضراب مع احتلال المصانع . وتدخيل البوليس
وأجلام عنها . ثم نظمت السلطات العامة استفتاء مرهمة العمال على التصويت على
فشل نصفي . وأسرع الأتحاد العام للشغل يوميه بالاستتشاف . وجرى
الاستفتاء : فاستتكتف ٣٤٢١ من أصل ١٠٠.٠٠٠ ، وكان المستتكتفون من ذوي
الشكبة الذين يرفضون الاسلام . كما انهم كانوا بالطبع أكثر العمال عداء لذلك
الشكل من الاستشارة الشعبية . أما بين الذين توجهوا الى صندوق الاقتراع ،
فقد صوت ١٠٣١ على مناهة الاضراب : إذن فقد كانوا متفقين مع الأوائل على
الأهداف والتكتيك ، لكنهم لم يتقبلوا بتطلبات الأتحاد العام للشغل لأنهم كانوا
يريدون أن يتصرفوا بحرية بحق التصويت حتى ولو كانت الحكومة هي التي
تضمنتهم لهم^١ . وبذلك يتكون مجموع الذين أيدوا الاضراب ٥٠٣١ . أما الذين
أيدوا استئناف العمل فقد كان عددهم ١٩٦٨ . والحال ان الاضراب قد بدأ
بدون تصويت مسبق . لكن من الواضح أن ما كان أحد ليجرؤ على تقريره مع
مثل هذه الغالبية الضئيلة . وبعبارة أخرى ، لقد تضمنت دور الصلابة البالغ
عددهم ٥٠٠٠ من جر الآخرين . وقد انضم المترددون الى الجبهة خوف الانعزال ،
بينما لزم المعارضون الصمت وتراجعوا عن المقاومة لأنهم عرفوا انها لن تجدي .
إنها كما ترى نصيحتان متباينتان . ولأرباب العمل ملء الطريرة في أن يزعموا بأن
الثاني هو وحده الصحيح : والحق انها كليهما صحيحتان ، لكنها بعكسما حالتين
متعلقين من حالات الجهافة . فصحیح أن إجلاء العمال عن المصانع وتجه خسرنة

١ - يمكننا الافتراض - لكن التساميل غير متوفرة وللمائة مائة شخص لا أكثر - ان
مؤلا كانوا من العمال المختصين ، انهم من ذوي الصلابة وفي الوقت نفسه يريدون التصويت الذي
يسري الحقوق القومية .

فأوحى إلى أنصار الأضراب ، لكنه كان سيستمز لولا الاستفتاء ، ولكن المترددون يملتون عن تأييدهم له لأنهم لا يعرفون من وحيمة لإيقانه . لصفت التصويت أجمع تردد والقارن ، وأعاد إلى المعارضين شجاعتهم . وعلى هذا فإن الأضراب يبعثر عن الدماغ الجماعية المفاجيء ، بينما يؤدي التصويت إلى إقفالها الجزئي . ووحدة الكفاح هي تكوين بدائي يرمخ جنوده في جو من الحفاصة ويقتل على قدميه في غالب الأحيان بفضل الإكراه . والموظفون التساهيون مستحيون بتقدير ما أن الجماعة اختارتهم ليأروا باسمها الدكتاتورية على كل عضو من أعضائها .

الجزئية

إن الجماهير لا تفوض أبداً : فهي لا تصوت إلا على برامج ، أنها تشير إلى الهدف الواجب بلوغه ، وعلى المناضل أن يجد أقصر الطرق إليه . ومطالبها بسيطة للغاية حتى أن تحفيها يبدو للوهلة الأولى يتناول اليد : خبز ، مسكن ، إبطال مقول قانون قدر ، إنهاء حرب . أما في الواقع فإن أبسط مطالبها تكون مفصولة عن موضوعها بالتمام أجمع ، ولا يمكن أن تلبى إلا بعمل طويل النفس . خبز ، مسكن ؟ لقد رأينا أنه لا يد لهذا من زيادة الإنتاج ، وبالتالي التخلي نهائياً عن الطرائق المائتوية ، الأمر الذي يستلزم ، على الأقل ، أن تتشكل غالبية أخرى وإن تفرغ حكومة جديدة لإرادتها على كبح أرواب العمل . واليوم والعنوي الزاعة ، يدفع بالنفوس الصالحة إلى الاعتقاد بأن المطلب الشعبي سياسة مضغوطة : فيكتفي بسطة حتى نجد فيه وسيلة لتغييره . لكن هذا غير صحيح : فالمحاجة ليست إلا لفتناً ، وهي تستطيع أن تؤسس مذهباً انسانياً لكن ليس استراتيجياً . والجماهير يطالبونها بالخير رغم تمسكها على التضال ضد المائتوية ، لصفت مطالبها لا تشمل في حد ذاتها على اداة الطرائق المائتوية^(١) . وهكذا

١ - أو كما شتم : إن تلبية هذه المطلب لا تسجم موضوعياً وتتمسك بالتمسك الخطأ . لكن من الممكن أن تطرح هذه المطلب ذاتياً من دون أن تكون لعمال أي معرفة بالمائتوية .

بأخذ التنازل على عاتقه النزاع الدائم الذي يعارض بين الحركة الثورية التي ليس لها مأوى من حدود ، وبين الأندفاع الثوري الذي يطرح الغايات دفعة واحدة ليطلب بتحقيقها فوراً . وما دامت الجماهير لا تستطيع ان تتحرك بدون ان تزعم المجتمع ، فهي ثورية بفعل موقفها الموضوعي : وعلى المسؤولين ، كما يتقدموا قضيتها ، أن يرحموا سياسة ثورية ، لكنهم من هنا بالذات يعارضونها بصورة مزدوجة : فالهدف الواضح والحدد الذي يأخذون على عاتقهم يولفه في لحظة معينة من التاريخ بعيد جداً وخاص جداً في آن واحد بالنسبة الى قواتهم ، خاص جداً : فيقدر ما أن الغاية التي تطرح على الجماهير لا تعدو أن تكون أكثر من وسيلة لإيمرك وسيلة أخرى ، فإن الجماهير لا تتعرف فيها دوماً الغايات الطفلة التي ارتضت بأن تقابل ولوث من أجلها . ويعيد جداً : فيقدر ما أن هذه الغاية لا تعدو أن تكون أكثر من نتيجة تكهناتية ، فإنا نشهد عن النتيجة المباشرة التي تطالب بها الجماهير ، ذلك إنه لا فرق بالنسبة الى الجماهير بين المطالبة بالحزب وبين المطالبة بتوطيد نظام السان ، لكنها لمن تستنتج من ذلك من تلاءم نفسها أن عليها أن تكون مع أو ضد السلم المتحرك . ويكلمة واحدة : إن ماهية الجماهير بالذات الحرم عليها التفكير والعمل سياسياً ، وما من ريب في أن سياسة الجهاز هي تعبير عملي وزمني عن مطالبها . ولما كانت الجماهير تفتل عين القوى التي تستطيع تحقيق الشروع الثوري ، فيبتال عنها أنها وماتل هذه السياسة بقدر ما أنها غايتها . لكن لما كانت الاستراتيجية تفل من حيث البداية غريبة عنها ، فإننا لا نستطيع أن نقول ان الجماهير تصنع هذه السياسة بكل ما في الكلمة من معنى ، بل هي بالأحرى أدوت لها . وبالطبع يرفض القاعدة إصدار الأوامر الى قواتهم وتوجيه حركتها . انعام دوماً يحثون ويحرضون ، ودوماً يفسرون ويسعون الى الانتاع . لكن الصعوبة لا تأتي من الرؤساء ولا من صلاتهم بالجنود : انما تكثف فقط عن التناقض الحسب الذي يعارضه المرجأ بالمباشر ، والديهمة بالاحطة ، والشروع بالحاجة ، والنشاط بالقوى . ونظراً الى اقتناع القاعدة بأنه من المستحيل كل الاستعانة بعبئة الجماهير في سبيل غايات بعيدة وبمجردة ، فانهم

يلجأون دوماً إلى ما يسمى بـ « الهدف المزموج » ، وهذا يعني أنهم يدعمون
 الهدف الأعم والأبعد بهدف مباشر وعيني ، وأنهم بالمقابل لا يهتمون البتة أن
 يظهر أو يخلق الهدف القريب ، وجود هدف بعيد يشكل إن صح القول معناه
 السياسي . وعلى هذا فإنهم يشرحون للأجراء أن وقع الأيجور مرتبط بوقف
 الحرب في فيتنام وبتزع السلاح العام . وهذا الجوع إلى « الهدف المزموج » الذي
 طالما تعرض إلى الاحتقار والافتراء ليس ، بمعنى من المعاني ، سوى طريقة معينة
 في تفسير التاريخ ، فمن طريقه يكشف الغداة للجماهير النتائج البعيدة لعملها
 « المطالب » ويعطونها مساهمة الشروط العامة التي يمكن أن تلبي فيها مطالبها
 الخاصة . ولا مجال للشك بالفعل في أن على البروليتاريا ، في الطرف الراهن ، أن
 ترفض تزج السلاح إذا أرادت أن ترفع مستوى حياتها ، وأنهما بالمقابل تعرفان
 بوميماً « الجهود الطربي » ، بقدر ما تدافع عن أجرها ضد أرباب العمل . لكن
 الطابع المتناثر للعمل الشعبي ، و« تفاوتاته » ، وتقلبه ، وتصلباته المفاجئة واتجاهاته
 اللامتوقعة تكون تلجئها لتسيط الضوء على « تسييس » التقايبية . فالاضراب
 الرابع يبدو كواقعة كلية ، لا يمكن عزل معناها السياسي عنها . والاضراب
 الخامس هو عكس ذلك : هل استأنف الشفوية العمل لأن الصندوق التقاني كان
 فارغاً ؟ هذا شيء لا اعتبار له : إنما يبدو وكأنهم أنكروا رؤساهم . ومع
 يكونون قد تبرأوا القهم إلا من « تسييس » الاضراب ؟ ويظل الجهاز بالتالي
 معلقاً في الهواء ، مجرداً ، ويزيد وبعده عن الجماهير ، نأياً . ويأخذ في نظر
 الجميع مظهر بيروقراطية سياسية . فقد كان الرؤساء يقولون للجماهير : لا تنسوا
 وأنتم تناضلون من أجل اجوركم لكن تناضلون أيضاً ضد الحرب . ونظراً إلى أن
 الجوع فهد الجماهير فهي تتخلل مؤقتاً عن النضال : فيستنتج البعض انها لا تأبه
 بتزع السلاح .

مع تسردم البروليتاريا بتجاوب انفجار السيادة الشعبية وتبدعها . فالسيادة
 تتوهم في نظر النخبة المختصة على الاستحقاق ، أي على الكفاءة والطاقة والثقافة :

والعامل غير المختص أو المياوم لا يكون من جهته ، فإسيادة ، إلا بقدر مساهمته
يكون مؤطراً ومستوراً ومراقباً . أما بالنسبة إلى العامل نصف المختص فالسيادة
تقتضي مباشرة من الجماهير ومنها وحدها . وهذه السيادة لا تتميز عن الحركة التي
تتجمع بها الجماهير على شكل جسد تحت ضغط الظروف الخارجية . وعلى هذا
فإن الطبقة العاملة مزودة بصراع السلطات .

اذن فالتعدد التقني معقول أكثر منه علة: بحيث أنه يساهم في تنمية الانقسامات
العالية لكنه في البداية يمكنها فحسب . قبل ١٩٣٦ كان الاتحاد العام للشغل
برئاسة جوهو يضم بصورة أساسية عمالاً مختصين وموظفين أو شفيطة من قطاع
الخدمات المسماة ومستخدمين صفراً . وعلى الأجل ، نخبة ، القطاع الثاني
وبعض عناصر من القطاع الثالث . وبعد اندماج ١٩٣٦ الذي تم في جو من الحمى
وتحت ضغط الأحداث ، تلك القلق هؤلاء المناضلين : كانوا يشككون في الماضي
من الاستمرار ، وعندما لاحت نذر الحرب أسرعوا يستعيدون حريتهم . وبعد
التحرير انضمت قوى الاتحاد العام للشغل من جديد ، ولم يبق في مواجهته
سوى : الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، وطرحته مسألة الوحدة العضوية
على بساط البحث . لكن على الفور تقريباً بدأ المناضلون القدامى في الاتحاد العام
للشغل التابع لجوهو يشككون من انهم ما عادوا يشرفون ، المحادم ، وقد
كتب بولور عام ١٩٤٣ : « انهم الكالأجانب في بيئتهم بالذات ، ان هذه الجهة
حقبة الدلالة : فالانحداد العام للشغل كانت له عام ١٩٤٥ ، وبالرغم من اسمه
الموقر ، جميع السمات التي تميز تنظيمها جديداً ما يزال يبحث عن طريقه . لكن
والنخبة ، العالية ظلت مصرة على اغتياره مؤسسة قديمة جداً تخصصاً مباشرة :
فكانت تستعمل فيه القادمين الجدد كانوا انها تستقبلهم في بيئتها وتشكو من سوء
زوية مدعويها . وبالطبع لم يفكر هؤلاء المناضلون في تجريم ودانهم العاملين في
الصناعة الكبيرة الفنية : انما وجهوا اتهاماتهم إلى القادة الشيوعيين زاعمين ان
الوحدة التقابية كانت مستوهم من لقاء نفسها لولايم . لكن المناهضة التي يوجهونها
إلى الحزب الشيوعي تصيب أولاً الجماهير . فهم يقولون : ان الشيوعيين يفضلون

الشعبية غير المنظمين على المناهضين الجريين : فأولئك أكثر قابلية لتحريك
 والتسيير من هؤلاء . لكن أليس هذا معناه أنهم ينحدون عليهم باللائمة لأنهم
 يشاؤون الجماهير لا النخبة ؟ يقال ان القادة الجدد يلجأون الى العنف بسهولة أكبر
 مما ينبغي ، وأنهم يقومون في المصانع بتحريض لا هدف له بضر بمصالح البروليتاريا ،
 ويدخلون في المفاوضات على تعصب يهدد بإحباط خططهم ، اتنا لنفهم ان يستنكر
 المناهضون الجريون هذه الحمجية . لكن العنف ، كما بينت آنفاً ، يولد من الموقف
 بالذات ، وليس التحريض سوى نضال دائم ضد العمل المتواصل القوي التكتيبي .
 اما التعصب فله سببان رئيسيان : فهو يرجع أولاً الى ان شرط المعامل نصف
 المختص لا يطاق ، وثانياً الى ان هذا المعامل لا يملك امكانية المقاومة . وطالما ان
 ملجأ الوحيد هو العنف فإننا في جو العنف يفرض مطالبه : فهو يحتمل الصنع ،
 وقد تعمل قوات الأمن على إجلائه منه ، وستطلق النار إذا ما قاوم . والوقت
 غير مناسب للعامل الوسط والتسويات : انه بحاجة الى الكثير من الشجاعة
 والغضب لمواجهة الأخطار . والجماهير بالتالي على حق إذ تعتبر رب العمل عدواً ،
 والتنازلات والتوفيقات خيالات : فهي تطالب بكل شيء طالما انها صادقة .
 وإذا ما خانتها قواعدها انهارت . القادة الشيوعيون خلقوا الديمقراطية الثقافية ؟
 لكن أي ديمقراطية ؟ فالديمقراطية الوحيدة التي جرت ممارستها كانت
 لوستراطية . ولقد نسيت النخبة ان الديمقراطية يمكن ان تكون استبدادية
 افا كانت الجماهير نفسها مصدر الاستبداد . ان « الدكتاتورية » الثقافية -
 افا كانت هناك دكتاتورية - تمارس على الأفضليات باسم الفصالية لكن من القو
 الباطل الاعتقاد بأنه يمكن ان تمارس على العالمية نفسها : فالجماهير لا يمكن لا
 ان 'تعبأ' ولا ان تحرك ، وهي لا تقرر العمل إلا عندما تتحول الى جماعة فاعلة
 بتأثير الظروف الخارجية . الثقلات « الشيوعية » قد نسيت ؟ هذا لأن وجود
 الجماهير كجماهير يتناقض والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتجها . ولا
 يخطئ أحد في فهمي : فأنا لا أزعم ان البنية الراعنة الحزب الشيوعي واهدافه
 وطرائقه محددة كلياً بالمطالب الموضوعية المعامل نصف المختص وحدها ، فلماذا

الحزب تاريخه ودالكتيكه الخاص ، وهو مشروط بالكون اجمع . لكنني أقول ان هذه الاتهامات تستهدف الجماهير بالدرجة الأولى : ومناضل النقبة يدن هذه الجماهير بإدانتها الوسطاء ، وهو يخشاهم وتسخره : فمن الممكن في القد ان ينحط الى مرتبة العامل نصف المختص نتيجة تحول المهام إلى مهام آلية .

ويتم بثغو الجماهير بدورهم ، القوة العمالية ، و ، الاتحاد الفرنسي للعامل المسيحيين ، بأنها بعلان في السياسة ، غلبة وبشكل مراد ، ، وإتهامهم هذا له أساسه من الصحة . فحين يكون كل شيء مرتبطاً ، المساواتية والبؤس ، ارتفاع الأسعار ، إعادة التسلح والمرشحة ، فإن رفض سياسة الحزب الشيوعي اتقا يعني تنفيذ سياسة الحكومة . وعلى كل فإن ، القوة العمالية ، تعتمد على الحزب الاشتراكي و ، الاتحاد الفرنسي للعامل المسيحيين ، يعتمد على وزراء ، الحركة الجمهورية الشعبية ، . وحصر المطالب العمالية في النطاق الاقتصادي والمهني اتقا يعني الرغبة في تبديل التعاليل بدون من العلل ، كما يعني بوجه خاص اطلاق يد الغالبية البرولتارية وبرك على الحرية لها . انهم يريدون أن يخلصوا على الحد الاعلى في اطار النظام ، ويطالبون بنعم زهيدة ، وحتى يستحقوها يدينون الشيوعية في خطايات ، لا سياسية ، ويستقبلون ، بمسنداً عن السياسة ، ورسائل التفاسيات الأميركية . لسنن المآخذ التي يوجهها الاتحاد العام للشغل الى القادة نصيب أيضاً منااضل القاعدة : فـ ، القوة العمالية ، بعد كل شيء لم تسنن تثقل حتى عام ١٩١٧ سوى ، النجاة ، ضعيف في قلب الاتحاد العمالم للشغل ، ولم يكن لا جوهو ولا ضباطه يريدون ان يكونوا الباعدين ان أعطى الوسوسة ، ومنااضلو الأقاليم هم الذين فرضوا القطيعة بتهديدهم بعدم تجديد بطاقاتهم التقايبية . وفي مؤتمر واصدقاء القوة العمالية ، ، الذي دعى للانتطاء على عجلة ، اقترح القيادة تسوية : مطالبة الأكثرية بتطبيق الديمقراطية داخل الاتحاد العمالم للشغل . لكن عبثاً : فالتاضلون لا يريدون أن يعرفوا شيئاً وانضطرت القيادة منكروهة الى السير وراءهم في الالتفاف^(١) .

١ - ان اضرباك الصيف الماضي اسبح على العكس بالأمل في حدوث نقاب مفروض من

هل سنقول إن الجماهير وقتت جميعها وراء الاتحاد العام للشغل ؟ وإن العمال المختصين هم وحدهم المسجلون في « القوة العاملة » أو في « الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين » ؟ إن هذا تبسيط للأمور . فكثير من العمال المختصين بقوا في الاتحاد العام للشغل من قبيل الانضباط الطبقية⁽¹⁾ . وانسحب آخرون إلى النقابات المستقلة . لكن إذا صا نظراً إلى الأمور بصورة عامة وبوجهة « بطلن تسيبنا صحيحاً : إن الاتحاد العام للشغل يستقطب الميول الثورية للبروليتاريا العامة في الصناعة الكبيرة » بينما تثل النقابات الأخرى في غالبيتها الاتجاه الاصلاحي لشغية مختصة تتاضل ضد عدم الاختصاص . وعلى هذا « فإن التمدد النقابي » بعض ما « مشروع باختياره انكساراً لتمزق عميق . وهو « من زاوية أخرى » كارثة على الطبقة العامة لأن تعدد الأجهزة يزيد من لثاقم المنازعات إذ يعطي شحناً وحدوداً لكل اتجاه من الاتجاهات ويعزم كل زمرة على تحديث نفسها بمعارضتها لغيرها من الزمر . لكن التمزق له « على كل الأحوال » سبب أعمق : فهو أجل ولأية قدمتها ماالتوية أرباب العمل للطبقة العامة⁽²⁾ .

(« الأزمعة الحديثة » - العدد ٨١ - جون
 ١٩٥٢ - العدد ٨٤ - ٨٥ - تشرين الأول -
 تشرين الثاني ١٩٥٢ - العدد ١٠١ - نيسان
 ١٩٥٢) .

١ - قرو « اتحاد الكتاب » ٥٥٠٠٠٠٠ صوت ضد ١٥٠٠٠٠٠٠ حساب ١٩٤٧ البلاد في الاتحاد العام للشغل بالرغم من التأييد الاصلاحي العريضة .
 ٢ - لقد تم تجاوز هذه المالتوية اليوم (١٩٦٤) . لكن لا بد ان ينقضي زمن طويل قبل ان نقضي إلى الابعادية التابعة منها العمل علماً اني جديد وقبل ان يتلام النقاب النقابي مع القسوروات الجديدة .

فهرست

صفحة	
٥	صورة المفامر
١٩	علماء مزيفون ام ارناب مزيفة
٥٥	هل نحن في ديوقراطية ؟
٦٣	« نهاية الأمل »
٦٥	الشيوعية والسلام

هذا الكتاب

«قضايا الماركسية» هو الحلقة الرابعة من سلسلة «مواقف» التي كتبها الفيلسوف الوجودي الأول جان بول سارتر وجمع فيها خلاصة آرائه في الفكر والفلسفة والتمن والحياة .

وفي هذه الحلقة يعرض سارتر لعدد من القضايا الماركسية ويتناول بالتحليل بعض مشكلاتها العامة . ولا سيما قضية «الشيوعيون والسلام» في بحث طويل عسير أثار لسدى صدوره منذ سنوات مناقشات عنيفة . ولكن القاد أصبحوا على انه أوفى بحث عن موقف الشيوعية من السلام . وفيه يدلل الكاتب الفرنسي الكبير بمختلف الأدلة على إعلان الشيوعيين لفكرة السلام والسعي الصادق لتطيقه في كلهم .

وبالرغم من أن هذا البحث كتب منذ أكثر من عشر سنوات . فإنه يظل «جديداً» . ولا سيما في هذه الفترة التي يتدخل فيها الاستعمار في عدد من بلاد آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . فيهدد السلام من جديد . ويضع العالم على شفا الحرب .

كتاب هام وخطير .